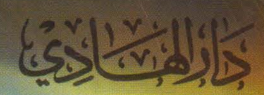
أمر بين أمرين

ثنائيات الانسان والكون بمنطق التأويل والتفسير

الدكتور محمد خاقاني




مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

أمر بين أمرين

ثنائيات الانسان والكون
بمنطق التأويل والتفسير

الطبعة الثانية
١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف: ٠١/٥٥٠٤٨٧ - ٠٣/٨٩٦٣٢٩ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري - بيروت - لبنان
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

أمر بين أمرين

ثنائيات الانسان والكون بمنطق التأويل والتفسير

الدكتور محمد خاقاني



بسم الله الرحمن الرحيم

((يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا))

النساء ـــ ٥٩

((إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى))

طه ـــ ١٢

صدق الله العلي العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين. وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين

تقديم :

لن يبلغ الإنسان ذروة الكمال, ولــن تكتمــل إنســانيته إلا إذا جمــع في نفســه طرفي التضاد من جميع الثنائيات الآفاقيــة والأنفســية.

وإذ لا بدّ لطرفي التضاد أن يكون بينــهما غايــة التبــاعد، فعلــى الإنســان ــ لكــي يصــل إلى ذروة الأمــن والاطمئنــان ــ أن يعيــش أشــد أنــواع القلــق والاضطراب! والفرد لا يتذوّق اليسر بكامله إلا حــين يمتــصّ العســر بكاملــه. ولا ينفتح على جميع الكون إلا بممارسة التقيــد والالــتزام.

وهكذا : عليه أن يكون محارباً ليكون مسالماً, ومتحــولاً ليكــون ثابتــاً, وزمنيــاً ليكون مقدساً, ومتجدداً ليكون أصولياً, وواقعياً ليكــون مثاليــاً, ومنفــرداً ليكــون اجتماعياً, وعارفاً ليكون فيلسوفاً... ولا بد أن يحتشد فيــه كــل ثنائيــات الكــون, لتتوحد شخصيّته, وتزول عنه كل ثنائيــات الكــون!

غريب سرّ هذا الإنسان ! كيف يمكن أن تتجسد فيــه كــل أســاليب الكــثرة, لكي تتبلور فيه كل حقيقة الوحــدة؟

لا بدّ لنا من جولــة تتســع لجميــع الثنائيــات والاختلافــات، مــرة في عــالم الإنسان, حيث برز في فكره وثقافته وحضارته جــمّ غفــير مــن أنــواع الخــلاف, وأخرى في عالم الكون الممتلئ بدوره من خلافات لا تعــدّ ولا تحصــى.

إلا أني جمعت في هذه الجولة المتواضعة مـــن أنـــواع التضـــاد ســـبعين ثنائيـــاً في قضايا نفسية أو بين مظاهر الكون, أظن أنها مصدر ســـائر الخلافـــات.

لست متحمساً في هذه "*الجولة*" لحل الثنائيات, لأنها تقع علـــى طـــرفي التضـــاد, وبالتالي يجب أن يكون بينهما غاية التباعد. ولا أميل إلى تفكيكـــها ـــ كمـــا يحلـــو للبعض ـــ , لأن معارضة كل منها لما يقابله أقوى من أن تفكّـــك بـــأي وجـــه مـــن الوجـــوه.

وليس الغرض في هذه الأطروحة طيّ صفحـــة الخلافـــات, وكتمـــان التنوعـــات في المجتمع البشري ومجموعة العالم, بل فهمها ومعالجتـــها بمـــا تيســـر لي مـــن قـــراءة القرآن, فهماً يركز على "***الاستيعاب***" و"***الإحاطة***" بـــدل "***التفكيـــك***" .

غاية ما أتمناه هي ربط الثنائيات، ولكن بترتيب منـــهجي يعتمـــد علـــى أســـلوب "***الإيلاج والإخراج***", أي "***التأويل والتفســـير***". ففـــي الجولـــة الإيلائيـــة أكتفـــي بعرض كل واحد من الثنائيات عرضاً عابراً وموجـــزاً (مـــع الاعـــتراف بـــأن كـــل واحد من هذه الثنائيات يليق بإصدار كتـــاب عنـــه), ولا أعتمـــد في هـــذا العـــرض على آرائي وأذواقي, بل على نقل جزء يسير من الآراء المتضاربة بـــين أهـــل الفكـــر والثقافة, لتصوير حجم الخلافـــات.

ثم أولج كل ثنائية إلى أخرى أوسع وأعمق منها, وأحاول عـــرض كـــل منـــها في البعض الآخر في ترتيب دائـــري, بغيـــة الوصـــول إلى الثنائيـــات الكـــبرى في عـــالم الفكر وعالم الكون, ثم إلى الأساس الـــذي قـــد يكـــون مصـــدر كـــل الخلافـــات والتعدديات الفرعية, كما تتدفّق جميع الألوان من ضـــوء الشـــمس, وتنحـــدر كـــل الأرقام عن الواحـــد.

الجولة الإيلاجية (التأويلية) تتبعـــها جولـــة إخراجيـــة (تفســـيرية ـــ رجوعيـــة), بقراءة جديدة لكل ثنائية, في ضوء ما عرف من الدوائـــر الـــتي تحيـــط بهـــا وتطـــلّ عليها.

الأسلوب المعتمـــد في هـــذه الأطروحـــة ـــ أســلوب ***الإيــلاج والإخـــراج*** ـــ يختلف عن منهجية "***التحليـــل والـــتركيب***", لأن هـــذه الأخـــيرة تقـــوم بتفكيـــك وتجزئة موضوع الدراسة إلى أجزائه الصغرى, لفهم الأجزاء الرئيســـية الـــتي تســـاهم في تكوين الشيء , ثم تركيبها من جديد للوصول إلى ما يـــراد معرفتـــه:

في كتاب : "المقال في المنهج", اختصـــر ديكـــارت قواعـــد المنـــهج إلى أربعـــة, منها القاعدة الثانية التي تعرف بقاعدة التحليـــل. ونصـــها :

"أن أقسم كل مشكلة أفحصـــها إلى أجـــزاء صغـــيرة مـــا وســـعني التقســـيم, وحسبما تحتمل. وذلك حتى يمكن حلها على غـــير وجـــه".

والقاعدة الثالثة هي قاعدة التركيب وتنـــص علـــى :

"أن أرتب أفكاري ترتيباً منظماً, فأبدأ بأبسط الأشـــياء وأســـهلها مـــن حيـــث الفهم, وهي ما كانت معرفتنا لها أكثر وضوحاً وأصعـــد تدريجيـــاً, إلى معرفـــة مـــا هو أكثر تعقيداً, واضعاً نوعاً من النظام, حـــتى بـــين تلـــك الموضوعـــات الـــتي لا يوجد بينها أيّ تتال طبيعـــي".

لكن أسلوب هذه الرسالة يعكس الأمر, حيث يجعـــل موضـــوع النقـــاش جـــزءً من موضوع أوسع, من منطلق أنه : لا يمكن معرفة الجـــزء إلا مـــن خـــلال علاقتـــه

بالكل الذي يطلّ عليه, ثم الرجوع إليه في ضوء ذلك الكل[1]. إنه : "***منطق الاستيعاب***".

في هذه الرؤية, لا ينحصر الإنسان في الإنسان الطيب والآدمي, بل إن مفهوم الإنسان يستوعب لجميع أنواع الإنسان, التي تشمل أيضاً : الإنسان/الذئب, الإنسان/الخنزير أو أي نوع آخر.

منهجياً, تعتمد هذه الأطروحة على "***الترتيب الدائري***", الذي يشتمل بدوره على "*الترتيب الخطي*" و"*الترتيب الشجري*".

فالترتيب الخطي, هو ما ينعكس في عدة تصورات فلسفية وعلمية قديمة وحديثة, كبعض التيارات الكلامية الإسلامية التي تفترض ترتيباً للمخلوقات, و

---

[1] ينبه المفكر الفرنسي إدغار موران على هذا الرأي عندما يأخذ في مؤلفه الشهير " الوضع الإنساني المركب" (١٩٩٤) على المعرفة العلمية تقسيمها وفصلها العلوم عن بعضها بداعي التخصص ... يعترف موران بضرورة استخدام التجريد (التحليل)، ولكنه يطالب بإعادة بناء الحالة بالارتباط مع السياق. فمارسيل موسى، الانتروبولوجي المعروف, كان يقول: " يجب إعادة تركيب الكل" وموران يضيف : يجب حشد الكل" . ويشخص علة قصور الفكر في النظام الفكري الذي يجد مصدره في نظام التعليم، في المدارس الابتدائية والتعليم الجامعي. فبرأيه هو نظام يجزئ الواقع, ويجعل العقول عاجزة عن ربط المعارف المعزولة تحت عنوان الحقول المعرفية أو العلمية المتخصصة. لذلك بات من الضروري في هذا العصر الكوني إصلاح الفكر، حيث من المستحيل عزل المشاكل عن بعضها البعض. (عفيف عثمان ـــ الفكر الغربي أمام العولمة ـــ السفير ٩٨/١/٢٨).

يمكن أيضا لمس هذه الفكرة في الموقف التالي الذي يعبر عن مماثلة الثقافة البشرية بالكلانية الحاكمة على أعضاء الجسم:

" إن مالينوفسكي ورادكليف براون رفضا فكرة تجزئة عناصر الثقافة أو مكونات البناء الاجتماعي أو تطورهما عبر الزمان او المكان, كما دعا إلى ذلك التطوريون أو الانتشاريون ,.. الثقافة في رأي مالينوفسكي عبارة عن كيان كلّي وظيفي متكامل يماثل الكائن الحيّ , بحيث أنه لا يمكن فهم دور أو وظيفة أي عضو من أعضائه, إلا في ضوء علاقته بباقي أعضاء الجسم ." . ـــ د. حسين فهيم ـــ قصة الإنتروبولوجيا ـــ ١٦٩

هي : الملائكة فالإنسان فالحيوان فالنبــات فالجمــاد.. " وكــل المخلوقــات قابلــة للتصنيف والترتيب... والفلاسفة المســلمون صنفــوا العلــوم تصنيفــات, ورتبوهــا تراتيب بحسب غاية كل صنف ومرتبة مــن فــائدة وثمــرة وموضــوع وصــورة ... فكلما نزل العلم درجة, نقصت درجة خلقه, وكلمــا صعــد علــم تسـلق درجــة خلقيــة".[2]

والترتيب الشجري, أشهر تجلياتــه هــو " الشــجرة الفورفوريــة, الــتي هــي تخليص وتلخيــص لمــا ورد في منطــق المشــائين ورئيســهم أرســطو. والشــجرة الفورفورية تتكوّن من جنس أعلى يتنوع إلى نوعين أو إلى أنــواع متكافئــة، ثم قــد يصير كل من تلك الأنــواع أو بعضــها جنســاً, يتنــوع إلى نوعــين متقــابلين, ثم يتنوع النوع الذي يصير جنساً حتى الوصول إلى مــا لا ينــوّع".[3]

أما "*الــترتيب الدائــري*" (الإيلاجــي), الــذي أعتمــده في هــذه الرســالة, فبالإضافة إلى استيعابه للترتيب الخطي (كما ســترون في كــل قائمــة مــن قوائــم الثنائيات المعرفيــة أو الآفاقيــة أو القرآنيــة), وللــترتيب الشــجري (المســتعمل في إرجاع مختلف قائمات الثنائيــات إلى قائمــة الثنائيــات الأساســية), يمتــاز بعــدة خصائص في تفسير نظام الوجود ونظام الفكر وعالم الإنســـان، منــها :

١ ـــ أن الترتيب الدائري ينسجم مع نظام الدوائر التي تمــلأ الكــون, بــدأً مــن دوران ذرات الإلكترون حــول النــواة المركزيــة في كــل ذرة، مــروراً بــدوران الكواكب والسيارات في نظام المجرات, وصولاً إلى دائرة الوجــود الــتي تنبثــق فيــها الكثرات عن الوحدة, وتؤول إليه في نهاية المطاف. فــلا شــيء متحركــاً في العــالم,

---

[2] د.محمد مفتاح ـــ التشابه والاختلاف ـــ ١١

[3] المنبع السابق ـــ ١٢

إلا أنه يتمحور حول مبدأ ثابت بالقياس اليه, وإن كان متحركا بالقياس إلى مبدأ آخر.

٢ ـ في هذا الترتيب, ما يتجاوز الدائرة الصغيرة إلى دائرة أكبر منها, يعلو وينزل في نفس الوقت, ويتواجد يمينا ويسارا في نفس الوقت, خلافا للترتيب الخطي أو الشجري, فالصعود فيهما يقابل النزول, والنزول يقابل الصعود.

٣ ـ شعاع الدائرة الصغيرة في الترتيب الدائري ينطبق على شعاع الدائرة الكبيرة في جزء منها (حسب سعته). مما يذكرنا بمبدأ العموم والخصوص مطلقا بين الدائرتين. وسيتضح أن هذا المبدأ هو الأساس في التعامل مع التعارضات والثنائيات.

على سبيل المثال : في ثنائية "اللعب/الجد", ما يعتبر جدا في الدائرة الصغيرة ويناقض اللعب, جد حقيقة في هذه الدائرة, وفي نفس الوقت يعتبر لعبا في الدائرة الكبيرة. فيندمج اللعب والجد, ويتحدان بتجاوز الدائرة وتوسيع الإطار. وهكذا بين المطلق والنسبي وسائر الثنائيات.

٤ ـ منهجية الترتيب الدائري واستيعابها, تساعد الإنسان في فهم معنى الانغلاق والانفتاح والقبض والبسط, وفي ممارسة الفضاءات الجديدة في الداخل والخارج, إذ لا تنحصر حقيقة الشيء في الفضاء الذي ينظر كل واحد منا إليه, بل يمكن أن يكون للشيء الواحد فضاءات غير محددة, وممكن أن ينظر إليها كل مرة من زاوية مختلفة عن السابق. ولا يخفى ما لهذا الأسلوب من آثار على تكوين الفكرة الشمولية للإنسان, وأيضا على ممارساته العملية تجاه الآخرين.[4]

---

[4] لا أقصد بتعدد فضاءات المعرفة أو فضاءات الكائن الترويج لمدرسة "التفكيكية", وسيتبين الفرق بين المقولتين خلال مسار البحث.

تنبيه حول "*منطق الإيلاج والإخـــــراج*" :

الإيلاج والإخراج, اللذان استعملهما في هذه الأطروحـــة, بحـــد ذاهمـــا يؤلفـــان ثنائية خاصة, وهما مقتبسان من آيتـــين قرآنيتـــين :

ــ ((يولج الليل في النهار ويولج النـــهار في الليـــل)),[٥]

ــ ((يخرج الحي من الميت ويخرج الميت مـــن الحـــي))[٦] ,

ــ واجتمعتا في آية أخرى : ((يعلم ما يلج في الأرض ومـــا يخـــرج منـــها))[٧] .

و"الولوج : الدخول. قوله تعالى : ((يـــولج الليـــل في النـــهار ويـــولج النـــهار في الليل)), أي يزيد من هذا في ذلك, ومن ذلـــك في هـــذا"[٨].

في هذه المقدمة ــ لكي يتبين إجمالا قصدي من منطـــق الإيـــلاج والإخـــراج ــ أكتفي بالقول: إننا مادمنا نعيـــش في الطبيعـــة المتكـــثرة, فـــإيلاج الليـــل والنـــهار, وإخراج الحياة والموت, يكون باختلاف كل واحد عـــن الآخـــر والتنـــافر الواضـــح بينهما, فلا يجتمعان, بل يتعاقبان تعاقبا زمنيا في عملية كـــر وفـــر مســـتمرتين. هـــذا ما يجري داخل دائرة الثنائية. ولكن, بالخروج من شرنقة هـــذه الدائـــرة أو خرقـــها, نرى أن إيلاج الحياة في الموت يتحقق بضخ المـــوت في الحيـــاة, وبـــالعكس : الآيـــة الشريفة : ((كل من عليها فان))[٩], تفســـر نفـــس المرحلـــة الـــتي تتصـــف بالحيـــاة الحقيقية : ((وإن الدار الآخـــرة لهـــي الحيـــوان))[١٠]. والعســـر يتحقـــق في صميـــم

---

[٥] الحج٢٢ / ٦١ ــ لقمان٣١ / ٢٩ ــ فاطر٣٥ / ١٣ ــ الحديد٥٧ / ٦

[٦] يونس١٠ / ٣١ ــ الروم٣٠ / ١٩

[٧] الحديد٥٧ / ٤

[٨] ابن منظور ــ لسان العرب

[٩] الرحمن٥٥ / ٢٦

[١٠] العنكبوت٢٩ / ٦٤

العسر: ((فسنيسره للعسرى))[11], للإشارة إلى أن طريق الشر ظاهره يسير وباطنه عسير. وهلم جرا.

ترتيب أبواب الكتاب :

تشتمل ***الجولة الإيلائية*** **(التأويلية)** على أربعة فصول:

الفصل الأول : يشمل الثنائيات الأنفسية (في ضمير الإنسان), التي بدورها تنقسم إلى: الثنائيات الثقافية والمعرفية والشعورية.

الفصل الثاني : يدرس الثنائيات الآفاقية (خارج الإنسان وفي نظام الكون).

الفصل الثالث : يشمل الثنائيات القرآنية التي تتمرآ فيها الثنائيات الآفاقية والأنفسية.

والفصل الرابع : يخص الثنائيات العامة التي تستوعب الثنائيات الآفاقية والأنفسية والقرآنية, وهنا تنتهي الجولة الأولى.

ثم لدينا **جولة في *"الحق"***, قد تكون بحد ذاتها جولة,

وبعدها نبدأ "***بالجولة الإخراجية***" **(التفسيرية)**, نراجع فيها كل ما درسناه في الجولة الأولى, ولكن بعكس الترتيب, أي بالترتيب التنازلي (اللمي), حيث يخص :

الوصل الأول : بالثنائيات العامة,

والوصل الثاني : بالثنائيات القرآنية,

والوصل الثالث : بالثنائية الآفاقية,

---

[11] الليل٩٢ / ١٠

والوصل الرابع والأخـــير : يشـــمل الثنائيـــات الأنفســـية الـــتي تنقســـم بـــين الثنائيات الشعورية والمعرفية والثقافيـــة.

وللكتاب فذلكة سيجدها القارئ في "***الخاتمـــة***". ويليـــها :

الملحق الأول, وهو قائمة بالآيات القرآنيـــة الـــتي تتعـــاطى ثنائيـــات الإنســـان والكـــون,

والملحق الثاني, وهو قائمة بالثنائيات الرئيســـية والتفصيليـــة الـــتي درســـناها في هذه الرســـالة.

المبادئ الأساسية في تدوين منطق "أمر بـــين أمريـــن" :

١ ـــ عنوان البحث مأخوذ من رواية الإمـــام الصـــادق (ع) حيـــث قـــال : "***لا جبر ولا تفويض, ولكن أمر بين أمريـــن***"[١٢].

٢ ـــ قال الإمام الصادق (ع) "إن الله أرحم بخلقه مـــن أن يجـــبر خلقـــه علـــى الذنوب ثم يعذبهم عليها. والله أعز من أن يريد أمرا فلا يكـــون. فســـئل : هـــل بـــين الجبر والقدر مترلة ثالثة؟ فقال : نعم, ***أوسع ممـــا بـــين الســـماء والأرض***"[١٣].

وقد استلهمت من العبارة الأخيرة في الحديث الشـــريف أن منطـــق : "***أمـــر بـــين أمرين***" يصلح أن يكون تفسيرا لكـــون كـــل الثنائيـــات في الســـماء والأرض, وفي الإنسان والكـــون :

---

[١٢] محمد باقر المجلسي ـــ بحار الأنوار ـــ ٥/٤

[١٣] محمد بن يعقوب الكليني ـــ الكافي ـــ ٢/٤٠

"إن عنوان : ***أمر بين أمرين*** " عنـــوان عريـــض ومفتـــاح رئيـــس, يصلـــح أن يكون أساسا للتعامل مع كثير من الأزمات الثقافيـــة والإشـــكاليات الفكريـــة الـــتي نتعرض لها اليوم, كالالتزام والانفتـــاح, والقدســـي والزمـــني, والواقعيـــة والمثاليـــة وغيرها .إنها حقا : ((**كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثـــابت وفرعـــها في الســـماء, تؤتي أكلها كل حين بإذن ربهـــا**))[14],"[15].

ولكن, يجب التذكير بأن ***أمرا بين أمرين*** " يختلف عـــن "*منزلـــة بـــين المـــنزلتين*" بالمعنى المعهود في الكلام المعـــتزلي , لأن أصحـــاب منزلـــة بـــين المـــنزلتين بالنهايـــة ((مذبذبين بين ذلك, لا إلى هؤلاء ولا إلى هـــؤلاء))[16]. أمـــا أصحـــاب أمـــر بـــين أمرين, فيقولون فيطوون أطراف الثنائيات في رؤية توحيديـــة شـــاملة.

٣ ـــ قال تعالى : ((***إني أنا ربـــك فـــاخلع نعليـــك, إنـــك بـــالواد المقـــدس طـــوى***))[17].

الآية المباركة أوحتني بالمفاهيم التاليـــة :

ا ـــ إن "النعل" بين ملابس الإنســـان يلعـــب دورا بـــارزا في تشـــخص الفـــرد وهويته ومكانته الاجتماعية. فقد يخلع الفرد بعض ملابسه (لشـــدة الحـــر أو لســـبب آخر) عند الدخول في قاعة اجتماعات أو ملتقى حـــوار, ولا يعقـــل خلـــع الحـــذاء في أي لقاء , إلا في لقـــاء العبـــد بربـــه الـــذي يســـتهلك فيـــه جميـــع التعينـــات والتشـــخصات.

---

[14] إبراهيم ٢٤-٢٥

[15] محمد خاقاني (المؤلف) ـــ الأصالة والتجديد في الواقع والمرتجى ـــ السفير ـــ ١٩٩٩/١/٢٢

[16] النساء ١٤٣

[17] طه ١٢

ب ــ مجيء "نعليك" بصيغة "المثنى" يمثل كـــل "ثنائيـــة" تـــؤدي إلى التشـــخص والتميز عن الذات الأحديـــة.

ج ــ في لفظة : "*طوى*" تصريح واضح بحقيقة "*الانطـــواء*" الـــتي ابتنـــت عليـــها هذه الرسالة في "طي" كل الثنائيات في حضـــرة الحـــق.

٤ ــ الآية الشريفة التالية تقسم مصـــادر التكـــثر والاختـــلاف بـــين "*الآفـــاق*" و"*الأنفس*", وتعتبر كلها "*آيات*" الله تعـــالى,

((سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنـــه الحـــق أولم يكـــف بربك انه على كل شيء شـــهيد)). [١٨]

ولا يخفى أن لفظة "الآية" تعـــني "الإشـــارة" إلى مصدرهـــا وأصلـــها. وحقيقـــة كلها هي "تبين الحق", لا تبيـــين الحـــق, لأن الحـــق بيـــن بذاتـــه, دون حاجـــة إلى التبيين من قبل شيء آخر. والدليل عليه قوله تعـــالى في آخـــر الآيـــة : ((أو لم يكـــف بربك أنه على كل شيء شـــهيد)).

ثم إن كل الثنائيات الآفاقية والأنفســـية تتوحـــد في حضـــرة "الحـــق", وكونـــه شاهدا ومشهودا بذاته وشهيدا على كل شـــيء.

من هنا, تنطلق هذه الرسالة في دراسة الثنائيـــات مـــن تقســـيمها إلى الثنائيـــات الأنفسية (الشاملة للثنائيات الثقافيـــة والمعرفيـــة والشـــعورية) والثنائيـــات الآفاقيـــة, لتجمع كلها في الثنائيات القرآنية بناء على كون القرآن نسخة مكتوبـــة عـــن جميـــع الحقائق الآفاقية والأنفسية,وتلخـــص كلـــها في الثنائيـــات العامـــة الـــتي تتوحـــد في "الحق".

---

[١٨] فصلت ٤١ / ٥٣

وفي ذكر اسم "***الحق***" خاصة من بين الأسماء الإلهية إشارة إلى خصوصية لفظة "الحق" في الجمع بين "الوجود" و"الكمال" كأحد أكبر ثنائيات الإنسان والكون, نشير إليها في "***جولة في الحق***".

٥ ـ قال تعالى : ((***يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا***))[١٩]. تجدر الإشارة إلى أن :

ا ـ الآية الشريفة تحدد التكليف الإلهي عند وقوع المؤمنين في التنازع. وحيث أن التراع بين الناس يعم جميع ثنائيات الإنسان والكون, فيجب الرجوع إلى الله ورسوله لحسم التراع.

ب ـ "***رد الأشياء المتنازع فيها***" إلى الله ورسوله قد يحصل بالرجوع إلى القرآن والسنة النبوية, وبما أن القرآن نفسه يتحمل آراء مختلفة لكونه "حمال أوجه", والسنة النبوية تتحمل آراء مختلفة, للخلاف الواقع بين أتباع المذاهب المختلفة حول أنواع الحديث وشروط حجية كل واحد منها, لذا يجب البحث عن المعنى الصحيح لموضوع "رد المتنازعات" إلى الله ورسوله.

وقد يكون أحد مصاديق "الرد" ذلك الذي استلهمته,وبنيت هذه الرسالة عليه, وهو أن نرد كل ثنائية (وقع الخلاف بين الناس في طرفيها) إلى ثنائية أكبر منها تكون بمثابة مصدرها, وتلك بدورها ترد إلى ما هو أكبر وأوسع منه, إلى أن تصل إلى أكبر ثنائية تتسع لجميع المشتركات والمختلفات, وهي ثنائية ***الوجود المطلق*** ومظهره الأتم أي ***الإنسان الكامل*** المتبلور في الحقيقة المحمدية(ص), التي ذكرت في الآية : ((فردوه إلى الله ورسوله)). ولا يخفى أن

---

[١٩] النساء ٥٩

هذه الثنائية أيضا بدورها في ذات "الحق" ـــ جل وعـــلا ـــ, و((كـــل مـــن عليـــها فان, ويبقى وجه ربك ذو الجـــلال والإكـــرام))[٢٠].

ج ـــ القسم الأخير من الآية : ((ذلك خير وأحســـن تـــأويلا)), كأنـــه يوحـــي بمنهجية هذه الرسالة في "*تأويل*" كل ثنائيـــة إلى مـــا فوقـــها بغيـــة الوصـــول إلى الله يرجع إلى حقيقة التأويل : ((وما يعلم تأويلــــه إلا الله))[٢١]. والله أعلـــم.

د ـــ صدر الآية تربـــط بـــين طاعـــة الله ورســـوله وأولي الأمـــر, ولا شـــك أن طاعة أولي الأمر راجعة إلى طاعة الرســـول, وهـــي ترجـــع إلى طاعـــة الله. وهـــذا يؤكد على نهج الرسالة في "الترتيب الدائـــري" بـــين المســـتويات المختلفـــة في نظـــام الوجود, التي يحيط كل واحد منها بـــالآخر.

ه ـــ إن طي هذا الطريق يتطلب الإيمان بـــالمبدأ والمعـــاد : ((إن كنتـــم تؤمنـــون بالله واليوم الآخر)). وهذا يوحـــي بإرجـــاع مـــا صـــدر مـــن الله (المبـــدأ) إلى الله (المعاد), فالقسم الأول من الكتـــاب يتكفـــل إرجـــاع الثنائيـــات إلى الله (المعـــاد), كما أن القسم الثاني من الكتاب يتضمن إصدار الكـــثرات عـــن الله (المبـــدأ).

و ـــ في التأكيد على الإيمان ((باليوم الآخر)) إيماء إلى ضـــرورة تجـــاوز الظـــاهر للوصول إلى الباطن, وتأويل الظاهر إلى الباطن, لأن النســـبة بـــين الدنيـــا والآخـــرة نسبة الظهر إلى البطن. قال تعالى : ((يعلمون ظاهرا من الحيـــوة الدنيـــا وهـــم عـــن الآخرة هم غـــافلون))[٢٢].

---

[٢٠] الرحمن ـــ ٢٦-٢٧

[٢١] آل عمران ـــ ٧

[٢٢] الروم ٧

٦ ــ هناك اهتمــــام بــالأعداد ٧ , و٧٠ , و٧٠٠ في تبيــين مراتــب التكــثر معتقداتنــا.

ــ فالعدد الأول يرمز إلى مراتب الســــماوات والأرضــين : ((الله الــذي خلــق سبع سموات ومن الأرض مثلـــهن))[٢٣].

ــ والعدد الثاني يشير إلى حجب الله التي تمنع المـــرأ مـــن مشــاهدة الله : "إن لله سبعين حجابا من الظلمات والنـــور".

ــ والعدد الثالث يعبر عن التكثر التفصيلـــي الــذي يتحقــق في صميــم مرتــب العدد الأول : ((كمثل حبة أنبتت سبع سنابل, في كل ســنبلة مائــة حبــة))[٢٤].

اعتمدت في هذه الرسالة العدد الثاني ودرسنا ٧٠ ثنائيـــة في رحلــتي "الصعــود" و"النزول", مع إشارة عابرة إلى ٧٠٠ ثنائية فرعية خـــلال البحــث. وقــد جمعتــها في قائمة الملحق الثاني من الكتاب, كما خصصت الملحـــق الأول بالتــبرك بلآيــات القرآنية الشريفة التي تعير اهتماما بالغا لهذا الموضوع, ولا أفــهم لمــاذا يجــذب هــذه القضية المهمة انتباه العلماء والمفسرين سابقا, حيث لا أعــرف أحــدا خــاض هــذا الموضوع (حسب علمي). والله هو المســـتعان.

٧ ــ ترتيب التعاطي مع الثنائيات وتبويـــب الكتــاب منطبــق مــع "***الأســفار الأربعة***" العرفانيــة.

فالفصول الأربعة الأولى صيغت في سياق : "***السفر مـــن الخلـــق إلى الحـــق***".

وتليها : جولة في الحق. وهي توازي : "***الســفر في الحــق بــالحق***".

والوصل الأول يوازي : "***السفر من الحــق إلى الخلــق بــالحق***".

---

[٢٣] الطلاق ١٢

[٢٤] البقرة ٢٦١

والوصل الثاني والثالث والرابع تمثل : ***"السفر في الخلق بالحق"***.

وهديتي إلى القارئ الذي يصاحبني في هذا السلوك هي ((إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد))[25].صدق الله العلي العظيم.

أخيرا, أتقدم بالشكر الجزيل من الإخوة الأفاضل في ***كلية الرسول الأكرم(ص)*** للفلسفة والإلهيات (بيروت) الذين ساعدوني في جمع الآيات القرآنية المناسبة, وأخص بالشكر زوجتي ***سمية*** وابني ***مهدي*** وابنتي ***مريم***, للجهد الدؤوب الذي قدموه في تحمل أعباء هذا البحث. أسأل الله جل علا لجميعهم توفيق الهداية. وهو المعين.

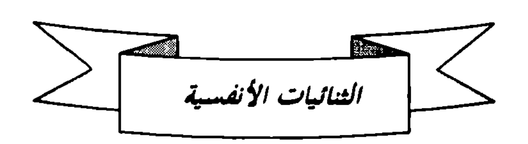
محمد خاقاني

بيروت ــ في ربيع الثاني ١٤٢٠ ــ تموز ١٩٩٩

---

[25] القصص ٨٥

الفصل الأول:



ألف ــ الثنائيات الثقافية

١ ــ الاختلاف/الاشتراك
٢ ــ الانفتاح/الالتزام
٣ ــ الشعبية/النخبوية
٤ ــ الحوار/الصدام
٥ ــ الديموقراطية/الاستبداد
٦ ــ السلم/الحرب
٧ ــ العولمة/الخصخصة
٨ ــ التراث/التجديد
٩ ــ الروحية/الزمنية
١٠ ــ القدسية/الدنيوية
١١ ــ المشروعية/المقبولية
١٢ ــ الثوابت/المتغيرات
١٣ ــ الحق/المصلحة

الف ــ الثنائيات الثقافية

١ ــ الاختلاف/الاشتراك

الاختـلاف :

بعض المفكرين يؤصلـون الاختـلاف في المجتمـع الإنسـاني, كمـا في نظـام الكون. الآراء المتضاربـة والمـدارس الفكريـة المتخالفـة والنزعـات والاتجاهـات المتناقضة ــ في رأيهم ــ لا حد لها في عالم الفكـر والثقافـة الإنسـانية. والمجتمـع الإسلامي لا يقل خلافا عن بقية الحضـارات:

"الخلاف هو خاصية الاجتمـاع العـربي الإسـلامي... فمنـذ وفـاة الرسـول (ص), "ذر الخلاف قرنه" بين أتباعه وصحابتـه, فـدب الـنزاع ووقعـت الفـتن والحـروب".[٢٦]

وأقر أصحـاب المذاهـب الإسـلامية بضـرب مـن الاختـلاف في الأحكـام والاجتهادات، فقالوا بأن "*كل مجتهد مصيب في الحكـم*"[٢٧], بـل قـالوا بـأن كـل واحد مصيب في اجتهاده , وان لم يكن مصيبـا في حكمـه...أمـا في الفلسـفة ... فقـد جـوز ابـن رشـد مخالفـة الإجمـاع في "النظريـات" وإن لم يجـوزه في "العمليـات"[٢٨].

---

[٢٦] علي حرب ــ نقد الحقيقة ــ ٣٣

[٢٧] الشهرستانى ــ الملل والنحل ــ ٢٠١

[٢٨] علي حرب ــ ٣٣

هذا الموقف, يرى دعما له في القرآن, حيث تعلق الاختلافات على الإرادة الإلهية في الآية الشريفة : ((ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة))[29], وفي إرجاء الحكم إلى يوم القيامة, حيث يحكم بينهم ((فيما كانوا فيه يختلفون))[30]. ويتمسك بالحديث الذي يعتبر الطرق إلى الله "*بعدد أنفاس الخلائق*".

ويعتبر العقل الكلامي ناتجا للفرقة, وهو يدعو إلى التوحيد. و"كلما ازداد الخطاب القومي الإسلامي حديثا عن "الأمة" كلما ازدادت الأمة تفككا وتشرذما"[31]. و "علينا أن لا نبحث عن نموذج موحد لكل الشعوب".[32]

"فالاختلاف آية من آيات الخلق, وطريق إلى النشوء والارتقاء وسبيل إلى التجدد, وأداة للتعارف, ولو لم يختلف الخلق عن الحق لما عرف الحق, ولحل العماء...ولو لم تختلف الآراء والعقول لسيطر الجمود وحل الاستبداد ... فكلما تحدثنا عن الوحدة لا نحصد سوى الانقسام... وكل مشاريع التوحيد على اختلاف منطلقاتها آلت إلى الإحباط والفشل...والكل طلاب وحدة على صعيد اللفظ, ولكنهم صناع فرقة في الواقع".[33] وإن "الأحزاب الوحدوية العقائدية والسياسية قد أنشئت لتوحيد المنقسم, **فإذا ها هي نفسها تنقسم** وتتشرذم"[34].وهل رأيت مجتمعا يجمع فيه المثقفون على شيء؟"[35]

---

[29] يونس ــ ١٩

[30] المائدة ــ ٤٨

[31] د. وجيه كوثراني ــ أولوية البحث في الدعوة السياسية ــ السفير ٩٧/١٢/٢٧

[32] السيد محمد خاتمي ــ السفير ٩٧/١/١٣

[33] على حرب ــ نقد الحقيقة ــ ٤٩

[34] علي حرب ــ حول الندوات الفكرية ومأزق العقلانيين العرب ــ السفير ٩٧/١١/١٦

[35] محمد كشلي ــ ندوة السفير الثقافي ــ ٩٦/١١/١٥

القول بأصالة الخلاف, له مؤيدوه في الأوساط الغربية. وممن يمثل هذا الرأي: "صموئيل هنتنغتون", الذي يرى : "أن انتصار حضارة لن تؤدي إلى نهاية تعددية الثقافات في حضارات العالم الكبرى... وكما يلاحظ "مايكل هاورد" : فإن الادعاء الغربي المشترك بأن <التنوع الثقافي هو فضول تاريخي تأكل بسرعة بنحو ثقافة عالمية انغلوفونية مشتركة غربية التوجه تصوغ قيمنا الأساسية ...> هو ببساطة غير صحيح".[36]

الدراسات الأنثروبولوجية أيضا تؤكد على واقع الاختلاف في تكوين المجتمعات البشرية : "فمن وجهة النظر الأنثروبولوجية, يمثل مفهوم "*النسبية الثقافية*" في حقيقة الأمر دعوة إلى الأخذ بضرورة تنوع الشعوب واحترامها, ومحاولة دراستها وتفهمها, والوصول إلى أوجه التشابه والاختلاف بين الثقافات؛ الأمر الذي يساعد على فهم أفضل للطبيعة الإنسانية, وتفسير سلوك الأفراد كافة, والتعرف على أنماط الحياة الاجتماعية في الحاضر والمستقبل"[37].

الاشتراك: :

في الطرف الآخر, هناك مجموعة من المصلحين والدعاة, يتحمسون للوحدة والتماسك بين أبناء الأمة بمقتضى القرآن, حيث يدعو إلى الاعتصام بحبل الله وعدم التفرق, وبالحديث, إذ إن: "يد الله مع الجماعة".

---

[36] صموئيل هنتنغتون ــ صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي ــ السفير ٩٧/١/٢٤

[37] د.حسين فهيم ــ قصة الأنثربولوجيا ــ ١٦٤

هذا الموقف التوحيدي يعترف بالخلاف, ولكن كواقـــع مريـــر, ويتأســف مـــن أن المسلمين : "اتفقوا على ألا يتفقوا"[38], ويرى أن النص بما هـــو شـــرع قـــد نهـــى عن الاختلاف في الدين, واتّهم الذين اختلفوا في حقيقة الكتـــاب بعـــد مـــا جـــاءتهم "*البينات*", فوصفهم بالبغي والكفر, وتوعّدهـــم بـــالعذاب.

وينسب أصحاب هـــذا الـــرأي معظـــم الاختلافـــات والتعارضـــات إلى اتّبـــاع الهوى. في هذا الإطار, "لو جمعنا كـــل الأنبيـــاء والمرســـلين في مجتمـــع واحـــد لمـــا حصل بينهم خلاف"[39], لأن الاختـــلاف فتنـــة .

لكن فئة من المفكرين تهجم بعنف علـــى هـــذا المبـــدأ, وتعتقـــد أنـــه : "عندمـــا يكون الهمّ الذي يلازم فكر العلمـــاء هـــو "وحـــدة الجماعـــة"... فإنـــه يمكـــن أن نتصور بيسر مآل المؤسسات العلمية التي يحركـــها مبـــدأ : "*الفتنـــة نائمـــة لعـــن الله من أيقظها*" ـــ هذه الكلمة التي أخرجت مـــــن ســـياقها, لتصـــوغ منـــهج تفكـــير وفلسفة معرفة ـــ تطيح بأهم وظائف المؤسسة الجامعية, وهـــي القـــراءة في أدق مـــا يحمله هذا المصطلح مـــن دلالات"[40].

تـأويل :

إن مظاهر التنوع في فكر الإنسان وفي ثقافـــة المجتمـــع وحضـــارة الأقـــوام أمـــر واقع لا شك فيه. هذا الواقع مؤلم مشؤوم في رأي دعـــاة الوحـــدة والجماعـــة, لأنـــه يسبب التشرذم والتفكك، ولكنه ميمون باعث على التفـــاؤل عنـــد الطـــرف الآخـــر

---

[38] كلام شهير لجمال الدين الأسد آبادي الأفغاني

[39] من كلمات الإمام الخميني (ره).

[40] د. أحميدة النيفر ـــ نصر حامد أبو زيد ومعضلة : ق . ر . أ ـــ السفير

الذي يتشاءم من الوحدة المملة كالصحراء الجوفاء, وينظر إلى تعددية الآراء كحديقة زاخرة بمختلف الألوان, مليئة بأنواع الورود والأزهار, مما يسهل العيش فيها.

إن دراسة ثنائية ***الاشتراك/الاختلاف***, تؤدي بنا إلى معالجة : ***الانفتاح/الالتزام*** في الخطوة التالية.

٢ ـ الانفتاح/الالتزام

الانفتاح:

المجتمع الإنساني مجموعة غير منتظمة من أصحاب الرؤى المتخالفة والسلائق المتنوعة. هناك آلاف من العوامل في الأرض والسماء والتاريخ والجغرافيا والداخل والخارج, تساهم في تنوعٍ في المجتمع الإنساني, لا مثيل له من حيث هوة الخلافات بين الألوان والأحجام والأشكال وغيرها. أقل هذه الخلافات (ربّما) يظهر في هندسة الخطوط المنطبعة في بنان السبابة، حيث لا يوجد شخصان متماثلان في بصمات أصابعهما. ثم تتسع دائرة الخلافات, لتشمل كل شيء وكل شيء حيث الميول والنزعات والهوايات والآراء والمعتقدات.

لكن الإنسان مدني بالطبع، يقال إنه سميّ إنساناً, لأنه يستأنس بالآخرين من بني نوعه. ولا يرى بدأً من نوع من التعايش والتلاحم مع الآخرين في مؤسسات أبسطها الأسرة, وأشملها تلك التي نشاهدها في ضوء المستجدات الحديثة كالقرية الكونية.

فثمة من يتجه نحو هذا التعايش, وما يستلزمه من انفتاح للآخر (أياً كان), ومن الديموقراطية في نسيج الدولة والمؤسسات, والحرية التامة في التعبير عن

الرأي, وممارسة هذه الحرية في جميـــع المجــالات الاقتصاديــة والسياســية والثقافيــة, ولا يسمح لأحد أن يفرض أسلوبه وعقيدته ووجهات نظــره علــى الآخريــن.

"فالمنفتح ينظر إلى غيره من ذوي الهويـــات الأخــرى نظــرة مغــايرة, فيتقبلــه, ويرى فيه مكملا أو مماثلا, وقد يتماهى معه أو يتوحد به, ولذلـــك يصــرف النظــر عن فوارق اللغة أو العرق أو الدين أو الثقافة أو أيّ انتمــــاء آخــر".[41]

والمنفتح يرى : "أن الانغلاق موقف ســلبي غــير فــاعل... ينقلــب إلى مــوت بطيء, قد تتخلله بطولات مدهشة, ولكن صاحبه محكــوم عليــه بالإخفــاق".[42]

ويرى أن "الإسلام قادر على أن يكون هو الوعاء, كمــا كــان قديمــا, عندمــا آخى بين المهاجرين والأنصار وبــين الأوس والخــزرج وكــل القبــائل تحــت مــا يسمى التصور الإسلامي العام الذي يتســم بالتعديــة الفكريــة والحــوار بينــهما, والاتفاق على برنامج عمـــل وطــني واحــد... كمــا حــدث في بدايــة الثــورة الإسلامية في إيــران".[43]

ويرى المنفتح مــن واجبــه :"الســعي لتوفــير بيئــة ملائمــة للتســامح بــين الشعوب",[44] ويعتقد أن: "أحد المخاطر التي يمكن أن تهــدد الإســلام والمجتمــع هــي أن نعتبر رؤية معينة أو فكرة معينة تمثّل عــين الإســلام دون ســواها... ولا يجــب أن نستعين بالمقدسات لإثبات أفكارنا، فنحن في خدمة المقدســات, وليســت هــي أدوات لنــا".[45]

---

[41] علي حرب ــ نقد الحقيقة ــ ٨١

[42] محمد عابد الجابري ــ عشر أطروحات حول العولمة والهوية الثقافية ــ السفير ٩٧/١٢/٢٤

[43] حوار مع المفكر المصري حسن حنفي ــ رئيس كلية الفلسفة في جامعة القاهرة ــ السفير ٩٦/٧/٤

[44] السيد محمد خاتمي ــ السفير ٩٨/١/١٣

[45] السيد محمد خاتمي ــ كيهان العربي ٩٧/١/٦

الالـتزام :

الملتزم المتشدد ــ على عكس المنفتح ــ ينغلق علـى نفسـه, و"ينظـر إلى غـيره من خلال هويته الدينية العقائدية ... وينفي الآخـر, ولا يعـترف لـه بحقـه في أن يكون مختلفا عنه..., والمنغلقون هم الأغلبون والأكثريـة السـاحقة".[٤٦]

والانغلاق قائم على "الأصوليـة"، المصطلـح الـذي شـاع وسـاد في وسـط الأوساط الثقافية العربيـة, وهـو التعريـب المعتمـد لمصطلـح " فوندامنتاليسـم " الأجنـبي Fundamentalism ".[٤٧]

و"الأصولية الإسلامية يجعل جوهـر الإسـلام احتجاجـا سـلبيا علـى كـل الظواهر غير الإسلامية. وخير من يمثل هذا الاتجـاه هـو المعـروف سـيد قطـب, الذي يشكل خطابه حـول المسـيحية واليهوديـة الهيكـل النظـري للمجموعـات والحركات الإسلامية المتشـددة .

يعتقد "قطب" أن العالم كله يعيش حياة الجاهليـة مـن إلحـاد وعلمانيـة وآلهـة مادية..., ولا يمكن إلاّ أن تكون الشريعة الإسلامية هـي النـاظم الوحيـد لعلاقـة الإسلام بالمسيحية واليهودية. وأي شريعة أخرى تـؤدي بـالمجتمع بأسـره إلى حـال من الكفـر.

ويرفض "مصطفى شكري" (الذي كان مـع " قطـب " في السـجن) تعدديـة الفهم الديني, ويدعو النـاس إلى الالـتزام بـالقرآن والسـنة وحدودهمـا... وأمـا "صالح سرية" الذي أصبح زعيم تنظيم الفنية العسكرية, فقد تـأثر أيضـا بقطـب . ويمكن أن نرى نظرته من خلال تصنيفه للبشر إلى ثـلاث فئـات فقـط : المسـلمين

---

[٤٦] علي حرب ــ نقد الحقيقة ــ ٨١

[٤٧] فرح موسى ــ خيارات الأمة وضرورات الأنظمة عند الشيخ محمد مهدي شمس الدين ــ ٢١

والمشركين والمنافقين. فالإسلام ألغى في ما بعد كل الشرائع السابقة, وأصبح مركز الإيمان والكفر...

وتنظيم "الجهاد" يعلن الحرب على البرلمان المصري. ذلك أن هذا البرلمان قد منح نفسه (إعادة ٨٦ من الدستور) حق التشريع, وسمح بالديمقراطية, وهو مفهوم يساوي في المعادلة بين المؤمن والكافر كمواطنين . إن النظام (الديموقراطي المفترض) في مصر يريد منا ـ كما يوضح "عمر عبد الرحمن" ـ أن ندخل في نظام الأحزاب, حتى يساوي بين الإسلام والأيديولوجيات والأديان الأخرى".[48]

"ورغم أن "أبا الأعلى المودودي" و"سيد قطب" يصران على ضرورة "استعلاء" المسلم، فالحاصل ليس الاستعلاء، بل التمايز والانفصال, أو الحرص لى الخصوصية الشديدة. وقد بلغت حالة الانفصال هذه في السبعينات حدود الأيديولوجيا القديمة لدار الإسلام ودار الحرب".[49]

والمنفتحون, "يعاندون جينة العنف التي حولت الصحوة الإسلامية إلى نكبة..., حيث أول من خضع ـ في الجزائر ـ لأفكار التيار الإسلامي, هن الفتيات, بدأن الخضوع بارتداء الحجاب... ثم بالصلاة في المساجد, وحضور خطب الجمعة... إلى حضور حلقات تحولت في ما بعد, إلى عمل سياسي ضد الحكم... وتحولت هذه الصحوة إلى نكبة لا يمكن أن يغفر لنا التاريخ. بدأ الإرهاب حين تعاطى الجميع الدين, وتحولت قاعدة النهي عن المنكر والأمر بالمعروف إلى الاعتداء المباشر على النساء."[50]

---

[48] أحمد الموصللي ـ الحركات الإسلامية المعاصرة ـ السفير

[49] رضوان السيد ـ دراسة في الاجتهاد السياسي والفقهي ـ السفير

[50] هادي مقران (كاتب جزائري) ـ جنية العنف حولت الصحوة الإسلامية إلى نكبة ـ السفير ٩٧/٢/١٤

أما في مصر، "فالثقافة المصرية تعيش العبث والتعصب, الذي أصبح يتلبس كل صاحب رأي, حيث يرى رأيه "صحيحاً " وأي رأي آخر "مزيفاً". بلا استثناء, تتعاطى الثقافة المصرية الفاشية والأصولية, وهما تتعامل يوميا, وتدمّر مجتمعا أصبح منهمكا بكل ما هو تافه."[٥١]

ثم يعزو المنفتحون هيبة الإسلام الملتزم إلى قاعدتي الارتداد ومبدأ الحسبة : "فالإسلام الفقهي والعقائدي لا يمارس إلاّ على نحو ما نشهده ونرفضه, ما لم يجر إلغاء قاعدة الارتداد ومبدأ الحسبة، لكي تطبق قاعدة ((لا إكراه في الدين)),ولا رقابة على حرية البحث والتفكير، الأمر الذي يعني الحاجة إلى إعلان جديد لحقوق الإنسان في الإسلام".[٥٢]

وبالمقابل, يستنكر آخرون أن تكون أية حالة أصولية في صميم عالم الإسلام, إلا ما استورد من الغرب :

"يقول الشيخ شمس الدين : لا توجد أصولية إسلامية بالمعنى المفهوم في الأرض عن الأصولية المسيحية. في نطاق الإسلام : مسلمون حقيقيون ومسلمون غير حقيقيين. مسلمون يحملون رؤية سياسية ويتحركون في الواقع من أجلها، ومسلمون لا يحملون هذه الروية..."

فالأصولية كتعبير لا تفيد السلبية في شيء. لكن الإعلام الغربي وضعها في خانة الفرق المسيحية واليهودية التي كانت تدعو إلى نصوص جوفاء خالية من أي معنى حضاري ومن أي موقف سياسي حقيقي".[٥٣]

---

[٥١] وائل عبد الفتاح ــ الثقافة المصرية تعيش أقوى لحظات العبث والتعصب ــ السفير

[٥٢] علي حرب ــ المطلوب إعلان جديد لحقوق الإنسان في الإسلام ــ السفير ٩٦/٩/٦

[٥٣] فرح موسى ــ خيارات الأمة وضرورات الأنظمة عند الشيخ محمد مهدي شمس الدين ــ ٢٧ ــ ٢١

تأويل :

إن تحديث الثقافة في الشرق, حث بعض المثقفين على التخلي عن الالتزامات الدينية والقيم السائدة الاجتماعية. حاولت هذه الفئة المثقفة رفض المبادئ والأسس الاجتماعية المتشددة. وبرفضها لهذه الأسس ابتعدت شيئا فشيئا عن عامة الشعب, لتنغلق على نفسها بحجة الانفتاح على الآخرين.

الخطوة التالية تدرس ظاهرة انغلاق المثقف وابتعاده عن الشعب.

٣ ـ الشعبية/النخبوية

الشعبية :

هذا الاتجاه يتعلق "بعالم محافظ كلية, جامد في قوالب قديمة, تحتفظ بكل مقوماتها ومظاهرها كما كانت منذ آلاف السنين كما يقول "الجابري"،... اهتمامه مختلف عن مجتمع النخبة... وينمو باتجاه التضاد حتى على صعيد الأغنية. ففي الوقت التي تجلب فيه ألباب مجتمع النخبة موسيقى البوب والجاز الأمريكي وأغاني مايكل جاكسون والأغاني الأجنبية بشكل عام, نجد أن كوكب الشرق "أم كلثوم" تصبح خياراً شعبياً, ترددها المحلات والمقاهي الشعبية". [٥٤]

النخبوية :

هذا الانتماء يتعلق "بعالم عصري مخترق كلية, تهيمن عليه الحداثة الغربية... وتسود القطيعة بينه وبين الانتماء الأول على حساب التواصل... وتنشأ بينهما

---

[٥٤] تركي علي ربيعوا ـ (باحث سوري) ـ قراءة لأفكار برهان غليون ومحمد عابد الجابري ـ السفير ٩٦/١٠/٤

حالة من التنافر والتنابذ وغياب لغة التواصل والحـوار، تقـود في النهايـة إلى تأخـير المجتمع وانشطاره عموديا بين التقليدية والثقافيـة المعـاصرة".[٥٥]

تـأويل :

النخبة التي تتطلع إلى الاشتراك, وتدعو إلى الانفتـاح, تحتـاج إلى آليـة لتحقيـق هذا الهدف, تجدها في أسلوب : "الحـوار".

لكن إيمان الجهة المقابلة بأسس ومبـادئ لا تتحمـل التعـارض, يسـوقها نحـو "الصدام" مع كل ما تعتـبره خطـراً علـى مبادئـها، فتختـار "***الصـدام***" بـدل "***الحوار***". مما يقودنا لدراسة هذه الثنائية في الخطـوة التاليـة.

٤ ــ الحوار/الصدام

الحـوار :

الحوار آلية ضروريـة للتعـايش السـلمي, يؤكـد عليـها أصحـاب مذهـب الانفتاح, للتقريب بين الأديان الكـبرى أو للمذاهـب المنتميـة إلى ديـن واحـد, وللتنسيق بين الحضـارات.

في إطار الحوار بين الإسلام والمسيحية, ظهرت بـوادر مـن الطرفـين في الآونـة الأخيرة, وأدت إلى إقامة مؤتمرات دولية وإقليمية هنـا وهنـاك.

يقول الدكتور "صبحي صالح" : "قد أقـام الإسـلام علـى تشـابه الأديـان في تفهم ظاهرة الوحي قاعدته الأساسية في وجوب التلاقـي الدائـم بـين الروحيـات

---

[٥٥] المصدر السابق

جميعا, وإن كان قد خص المسيحيين بكثير من التعـاطف... لأنهـم أقـرب النـاس مودة للمؤمنـين".[56]

ويذكر الطرف المسيحي من ناحيته علـى لسـان الأب "يواكيـم مبـارك" : "إن إنشاء قداسة البابا بولس السادس سكرتيرية خاصـة بـالحوار مـع المسـلمين, فـهو بمثابة دعوة لمحاورين قيمين, يتمكنون من الكلام باسـم الإسـلام في مختلـف شـعبة وفي مداه العـالمي".[57]

"الشيخ شمس الدين" أحد دعاة الحوار, إذ "يؤكّـد علـى ضـرورة أن تكـون الجماعة حية ومتواصلة من خلال ثقافتها مع العالم الآخر. وهـو حـين يفسّـر آيـة "الوسطية"[58], يذهب بالقول إلى أن المسلم لا تمنعه ثقافتـه مـن أن يكـون حيـاً في حواره مع الآخرين, ويعترف لهم بجهودهم, ولا ينكر عليـهم حقـهم".[59]

من دعاة هذا الحوار أيضا "منـاحيم فردمـان", حاخـام مسـتوطنة تكـواع في فلسطين المحتلة. هو يرى أن الحوار بين الدين اليـهودي والديـن الإسـلامي, يمكـن أن يخدم الاتجاهات الأكثر إيجابية في الثقافة اليهودية. وعلـى سـبيل المثـال :

"إن كنا نرغب في التحرر من التفاخر الديني, فمـا هـو الشـيء الواعـد أكـثر من فتح حوار بين الأديان؟ بكلمات أخرى, إن سألتم عما يمكـن أن نتحـاور مـع الإسلام, وما الذي لدينا كي نعرفه؟ فيمكـن الـرد : أن الميـول المـتزايدة لدينـا, والتي تكتسب قوة للتحرر من الارتجال القومي, والخـروج مـن القشـرة التبريريـة للصهيونية, يمكن أن تندمج مع فتح الحوار مع الإسـلام. إن انفتاحنـا الجديـد نحـو

---

[56] د. صبحي صالح ــ المسيحية والإسلام في لبنان ــ ٢٠٦

[57] المصدر السابق ــ ١٨٦

[58] البقرة٢ / ١٤٣

[59] فرح موسى ــ خيارات الأمة وضرورات الأنظمة عند الشيخ محمد مهدي شمس الدين ــ ٣٠٤

"إعادة تقييم أنفسنا" كحالة ثقافية أكثر من كوننا حالـــة سياســية, يمكنــه أن يبــني الحوار بين الثقافة اليهودية والثقافــة الإســلامية".[60]

أما الحوار بين الحضــارات, فمــن الناشــدين إليــه "الســيد خــاتمي", رئيــس الجمهورية الإسلامية في إيــران, الــذي يســتنكر مقولــة "*صــراع الحضــارات*", ويعمل من أجل تحريك الحوار على المستوى العالمي. والاقتراح الـــذي قدمــه باســم الشعب الإيراني إلى منظمة الأمم المتحـــدة لتســمية ســنة ٢٠٠١ الميلاديــة بســنة الحوار بين الحضارات ولقي قبولاً عاماً ورسمياً من قبـــل الــدول الأعضــاء, يؤكــد على إيمانه بهذا المبدأ في تأسيس ثقافة جديدة لنا، وحضـــارة جديــدة تليــق بالأمــة الإســلامية.

الصــدام :

فيما يخصّ الأديان, هناك وجهات نظر تنظــر بكـــل تشــاؤم إلى هــذا الحــوار، ويشبهه "بحوار الطرشان", ويــرى أن "الحــوار الإســلامي ـــ المســيحي, ليــس في التحليل الأخير, إلاّ تكريسا للطائفية بكل مضامينــها الاجتماعيــة القائمــة".[61]

وفيما يتعلق بتفاعل الحضارات, فقد رفــع "صموئيــل هنتنغتــون" رايــة صــدام الحضارات, وحاول أن يثبت : "أن الحضارة الغربيــة عــاجزة عــن الوجــود, مــن دون أن تبتكر لها أعداء يبررون وجودها ووحدتهــا وممارســة جبروتهــا العســكري. فها هو الخطر الإســلامي, يحــل محــل الخطـر العــربي أيــام الحــروب الصليبيــة والأندلس, والخطر الكنفوشي (الصيني, وبمعنى مــا, اليابــاني) يحــل محــل " الخطــر

---

[60] مناحيم فردمان ـــ سلام مع الإسلام ـــ مترجما إلى العربية في السفير ـــ ٩٧/١٢/٢٢

[61] د. صادق جلال العظم ـــ نقد الفكر الديني ـــ ٤٤

الأصفر " زمن الحرب الباردة, علـــى اعتبـــار أنـــه بـــات يتعـــذر تصنيـــف الخطـــر الشيوعي بما هو خطر حضاري, لأنه جمع شعوبا مـــن حضـــارات مختلفـــة".[62]

تـأويل :

قلنا إن قناعة البعض بلزوم الانفتاح على الغير, تتطلـــب ضـــرورة فتـــح الحـــوار مع الغير. وهو بدوره يستلزم آلية لتطبيق الحوار في ســـاحة العمـــل , وهـــي ممارســـة الديموقراطية ورفض الاستبداد. فنعالجهما في الثنائيـــة التاليـــة.

٥ ــ الديموقراطية/الاستبداد

الديموقراطيـــة:

الديموقراطيون يعتقدون أنه : "لا إمكانية متاحـــة لتحقيـــق إبـــداع في أي مجـــال من المجالات, إلا في رحاب الديموقراطيـــة. ولهـــذا الســـبب, فـــإن مهمـــة الكـــاتب والمنتج الثقافي هي الدفاع عنها. فالديموقراطية بهذا المعـــنى بالنســـبة إليـــه هـــي قيمـــة عليا, باعتبار أن توفرها هو شرط وجـــوده الثقـــافي"[63].

وإذ إن الديموقراطية تحتـــل الصـــدارة في ســـلم قيـــم الديموقراطيـــين، فالمســـلم الديموقراطي يحاول أن يجد لها (ولقيم أخرى ينتمـــي إليـــها كالاشـــتراكية وحقـــوق الإنسان) "حكم الوجوب" في الفقه. وذلك, "بتوظيف مفـــاهيم الشـــورى وتكـــريم

---

[62] فواز طرابلسي ـــ نقاش مقالة صموئيل هنتنغتون " الغرب فريدا لا كونيا " ـــ السفير ـــ ٣١ / ١ / ٩٧

[63] علي أومليل (المفكر المغربي) ـــ الديموقراطية بديل من العشائرية العقائدية ـــ السفير ـــ ٩٧/١/١٩٧

الإنسان والدعوة إلى العدل والإحسان, وغـــيره مـــن المفـــاهيم الـــواردة في القـــرآن والحديث بصيغة فعل الأمر في كثير مـــن الأحيـــان".[٦٤]

الاســتبداد:

يرى بعض المفكرين مقولة الديموقراطيـــة نتاجـــا غربيـــا غايتـــه تـــبرير الســـلطة وتحميل لغة السيادة على الشـــعب:

"نلحظ، وبعكس ما يقوله ليوتـــار، أن مفـــاهيم الديمقراطيـــة والمجتمـــع المـــدني والأكثرية... لا تستخدم من قبل السلطة لتـــبرير شـــرعيتها المرتكـــزة إلى أســـطورة الديمقراطية بما هي حكاية جديدة تقوم على لغة العلم، بل لتلـــزم الحقـــل المحيـــط بهـــا (المجتمع) بما تتخذه من قرارات في "منطقة لغويـــة" متحـــررة مـــن إلزامـــات العلـــم، منطقة لغوية سياسية قانونية تقوم على مبدأ السيادة الـــذي لا يؤصلـــه العلـــم"[٦٥].

"ونحن نستمع إلى هذا النقد ونصغـــي بـــانجذاب إلى مـــا يكشـــفه مـــن زيـــف الادعاءات الرائجة بأن الديموقراطية هـــي أساســـا فصـــل بـــين الســـلطات، ولكـــن كيف يكون بالإمكان فصل التنفيذ عـــن الســـيادة وتميـــيز اللغـــات أصـــلا في ظـــل غياب ما يحول دون اجتياح لغة السيادة السياسية القانونية الـــتي تؤصـــل الســـلطة في الزمن، أي بغياب الوحي؟ إن تعريف كانط للحماس وربطـــه بـــالتوحيد بـــات يمنـــع التقريب بـــين تصـــور الإســـلام للحكـــم المنطلـــق مـــن وحـــدة النـــص القـــرآني والديموقراطية بما هي تعبير عن سيادة الدولـــة الحديثـــة".[٦٦]

---

[٦٤] حبيب معلوف ــ نقد كتاب : المشروع النهضوي العربي لمحمد عابد الجابري ــ السفير ٩٧/٢/٧.

[٦٥] د. نظير جاهل ــ أوهام الديموقراطية ــ ١١

[٦٦] نظير جاهل ــ ٢٧

"إن ما حصل فعليا في المجتمع الغربي ليس استبدال لغة المعارف الدينية والحكائية... بلغة العلم، بل استئثار أو استتباع وتسخير السلطة، باسم السيادة للخبرات والمعارف المتنوعة في المجتمع على الصعيد القومي, (ثم بصورة تدميرية دون استبدال فعلي بأي لغة سياسية فعلية على الصعيد الدولي). وذلك باستخدام لغة العلم كأداة تدمير للقديم وأداة ضبط مساعدة للغة السياسية المستحدثة لغة الدولة السيدة".[67]

الرؤية التشاؤمية إزاء ظاهرة الديموقراطية لم تبق في دائرة بعض المثقفين, بل راجت أكثر منها في أوساط بعض المتدينين.

فبعد أن فشلت الديموقراطية فشلا ذريعا, تجسد في هزيمة الجيوش العربية في سنة ١٩٤٨, وقيام دولة إسرائيل المزعومة..., ولم تحقق للمسلمين شيئا, ظهرت إلى النور مقولة "***الحاكم المستبد العادل***" مع "الشيخ محمد عبده" وغيره, ممن اعترفوا بها, ودعوا إليها .

نرد فيما يلي نموذجا من الذين يرفضون الديموقراطية من منطلق رؤيتهم الدينية :

"إن الديموقراطية على سبيل المثال منهاج للحياة, مخالف لمنهاج الإسلام. ففي الديموقراطية الشعب هو صاحب السلطة في التشريع, يحلل ويحرم ما يشاء..., في حين أن الشعب في الإسلام لا صلاحية له في تحليل الحرام وتحريم الحلال، ولو أجمع الشعب كله على ذلك.

---

[67] نظير جاهل ـــ أوهام الديموقراطية ـــ ١٥

فالجمع بين الإسلام والديموقراطية إذن, كالجمع بين الإسـلام واليهودية مثـلا. فكما أنه لا يمكن أن يكون الإنسان مسلما ويـهوديا في الوقـت نفسـه, لا يمكـن أن يكون مسلما وديموقراطيـا"[٦٨].

هذا ما يقوله "صالح سرية", الذي حكم وأدين وأعـدم في مصـر, بعـد محاولـة الاستيلاء بالقوة على إحدى المدارس الحربية في منطقة قـرب القـاهرة.

"شكري مصطفى", مؤسس "الجماعة الإسـلامية" المعروفـة "بجماعـة التكفـير والهجرة" في مصر يقـول :

"ما وجدنا رسول الله ولا القرآن الكريم يعـني بتعليـم الطبيعيـات والفلكيـات والفلسفات والرياضيات". ولما طرحت المحكمـة السـؤال التـالي علـى "شـكري مصطفى" : "إنما تريد المحكمة أن تعلم رأيك في تعليـم الكتابـة..." , أجـاب المتـهم بكل وضوح ودون أي وجل : "يحـرم تعليـم الكتابـة في الجماعـة المسـلمة, إلا بقدر الحاجة العملية الواقعية, لما يتصل بالعبادة. وتعلم الكتابـة الزائـدة حـرام".[٦٩]

إلى جانب هذه المواقف المتشددة إزاء الديموقراطية, هنـاك مواقـف لا ترفضـها, وإنما "تؤجلها" لحساب قيم أخـرى :

"إن الفكر القومي العربي قد سعى دائمـا نحـو "تـأجيل الديموقراطيـة", فقـد أجلها أيام الكفاح الوطني "من أجـل الاسـتقلال" و "مـن أجـل الوحـدة" بعـد الاستقلال. أما بعد منتصـف الخمسـينات, حـين رفـع الفكـر القومـي شـعار "الوحدة والاشتراكية", فقد كـان تـأجيل الديموقراطيـة يـبرر بضـرورة تحقيـق

---

[٦٨] صالح سرية ـــ رسالة الأيمان ـــ ٣٢/١

[٦٩] صادق جلال العظم ـــ الإسلام والعلمانية ـــ السفير ٩٦/٣/٢٧

"الاشتراكية أولا". ويلخص "محمد عـــابد الجـــابري" في استشـــرافه للمســـتقبل, وفي محاولة لتحديد آفاقه, إلى أن تأجيل الديموقراطية أصبح غـــير قـــابل للتـــبرير".[٧٠]

في مجتمعات أخرى, قد يكون لتأجيل الديموقراطيـــة مـــبررات شـــتى، منـــها أن "الدكتاتورية المحدثة", قد تكون مبدئيا أكثر فعالية بكثـــير مـــن الديموقراطيـــة, لخلـــق الشروط الاجتماعية التي تســـمح بـــالنمو الاقتصـــادي الرأسمـــالي... مثالـــه حالـــة الفيليبين... حيث قد تكون الدكتاتورية أكثر "وظيفيـــة" لإقامـــة مجتمـــع حديـــث, كما كانت الحال عندمـــا اســـتخدمت الســـلطة الدكتاتوريـــة لغـــرض الإصـــلاح الزراعي أثناء احتلال اليابان من قبـــل الأمريكيـــين".[٧١]

والبعض الآخر يرى في الديموقراطية حـــلا مؤقتـــا علـــى قـــاعدة الاضطـــرار في الوضع الراهـــن :

"لو كان هناك مجتمع محكوم بالإسلام, فـــهذا المجتمـــع يجـــب أن يعتمـــد مبـــدأ "الشورى", وليس مبدأ الديمقراطية. وألا يكون خرج على أهـــم مبـــدأ مـــن مبـــادئ الإسلام, فيما لو اتخذ من الديمقراطية بديـــلا عـــن الشـــورى. وبمـــا أن المجتمعـــات الإسلامية اليوم, لا تحكم بما أنزل الله تعالى, فإنه يمكن اعتمـــاد مبـــدأ الديموقراطيـــة, كصيغة مؤقتة, تسمح لقوى التغيير بـــأن تعـــبر عـــن رأيـــها في طـــرح مشـــروعها السياسي... "فالشيخ شمس الدين" لا يدعو إلى اعتمـــاد مبـــدأ الديموقراطيـــة كنـــهج سياسي, لأنها تمثل المبدأ الأفضل, وإنما هو يدعـــو إليـــها باعتبـــار خـــير مـــا يمكـــن اعتماده في أجواء الاستبداد ومصـــادرة الحريـــات"[٧٢].

---

[٧٠] حبيب معلوف ــ نقد كتاب المشروع النهضوي العربي لمحمد عابد الجابري ــ السفير ــ ٩٧/٢/٧

[٧١] فوكوياما ــ نهاية التاريخ والإنسان الأخير ــ ١٣٢

[٧٢] فرح موسى ــ خيارات الأمة وضرورات الأنظمة عند الشيخ محمد مهدي شمس الدين ــ ١٥٨

تأويل:

الديموقراطي يأخذ على عاتقه الدفاع عن السلم والتعايش السلمي, مما يسمح بممارسة الحريات الشخصية, والتعبير عن الآراء في مختلف المجالات الاجتماعية.

لكن المستبد يبيح لنفسه استخدام لغة القوة وقوة السلاح, في فرض ما يراه لصالحه أو لصالح مجتمعه أو لصالح طائفته. هنا ننتقل من ثنائية : ***الديموقراطية/الاستبداد*** إلى مسارها الطبيعي أي : ثنائية ***السلم/الحرب***.

٦ ــ *السلم/الحرب*

السلم :

يلقي بعض الباحثين الغربيين (في دراستهم عن مظاهر العنف في الحركات الإسلامية) المسئولية ــ ولو بشكل غير مباشر ــ على "طبيعة" الإسلام[٧٣]... ويرد بعض المثقفين المسلمين هذا الموقف بأن "الطبيعة العنيفة للإسلام والمسلمين لا شواهد عليها, رغم كثرة الحديث عنها.

فالتاريخ ــ إذا كان هو المقصود ــ شهادة ذات وجهين. هناك الفتوحات الإسلامية الأولى وفتوحات العثمانيين في أوروبا على سبيل المثال. لكن هناك أيضا الاستكانة الطويلة لعنف المغول والصليبيين والاستعمار الأوروبي والغربي[٧٤]. وان كان المقصود بالعنف الإسلامي : النصوص، ظواهرها

---

[٧٣] منهم الباحث الغربي دكميجان (في دراسته عن الإخوان المسلمين)

[٧٤] "جماعة من المسيحيين اغتالت هوبائيا (٣٧٠ ــ ٤١٥ م). وجيور دانو برنو (١٥٤٨ - ١٦٠٠) ولوتشيليو فانيني (١٥٨٥ ــ ١٦١٥) أحرقا أحياء بأمر من الكنيسة الكاثوليكية. وباروخ دو سبينوزا

وإمكاناتها، فإن نصوص المسالمة والتصالح والتعاضد ليست أقل بروزا وإلزاما. ونحن نعرف من استقراء التاريخ الإسلامي, أن نصوص القتال كانت تعتبر ناسخة لنصوص المسالمة أوقات الحروب والاعتداءات. بينما تجري العودة إلى نصوص الرحابة والتعامل والتواصل في أزمنة السلم".[75]

الحروب :

بالمقابل, لا يكف بعض المسلمين عن رسم الحرب في صميم الشريعة الإسلامية, وفي إطار الجهاد ضد الكفر. "فقد ذهب الإمام الشافعي إلى أن علة القتال الكفر. واتجاهه هذا كان إيذانا باكتمال الخلفية الفقهية لمنظومة "*دار الإسلام و دار الحرب*".[76]

القتال هنا, يعتبر نوعا من أنواع الجهاد. "وجاءت آيات بينات في القرآن الكريم, لا تحتاج إلى جهد لبيان معانيها الخاصة بالجهاد، فقد أوضحت معنى الجهاد ووجوبه وأهدافه، ومن ذلك قوله تعالى: ((وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم))[77]. وقوله تعالى: ((كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم، والله يعلم

(١٦٣٢ -١٦٧٧) أقصى من جماعة اليهود الهولنديين, وحرم من حقه في دخول الكنيس. وهل يعني ذلك أن العقل اللاهوتي أو الكلامي هو هو أكان يهوديا أو مسيحيا أو إسلاميا ؟"

[75] رضوان السيد ــ الظاهرة الأصولية ومخاطر التوقع ــ السفير ــ ٩٨/١/٨

[76] رضوان السيد ــ دراسة في الاجتهاد السياسي والفقهي ــ السفير

[77] البقرة ٢ / ١٩٠

وأنتم لا تعلمون))[٧٨]. وجاء في سورة التوبة قوله تعالى : ((انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله))[٧٩].

ويفهم من القرآن الكريم, أن سبيل الله التي أمرت الآيات القرآنية بالقتال والجهاد من أجلها, هي الرسالة الإسلامية, سواء منها العقائد الإيمانية أم الواجبات الفعلية الإيجابية والسلبية. وبناء على ذلك يكون الجهاد في سبيل الله, هو بذل الجهد القوي في التبشير بالرسالة الإسلامية, وتأييدها ونشرها والدفاع عنها حربا وسلما"[٨٠].

أما في خارج المنظومة الإسلامية, فقد ملأت الحرب حيزا واسعا من العلاقات الدولية, ليس فقط في ساحة الحروب الدامية, بل في مستجدات الحياة الجماعوية والعولمة الحديثة أيضا :

" إن تدهور الحياة الجماعوية يوحي بأنه سنكون في الغد مهددين بأن نصبح "أناسا آخرين", مهتمين بأنفسنا بهدوء, مفتقرين لكل طموح "تيموسي", يهدف إلى ما هو أكثر سموا، بسبب بحثنا الدائب عن الراحة. غير أن الخطر المقابل قائم كذلك : فنحن مهددون، من حيث الإمكانية، أن نصبح مرة أخرى "أناسا أولين", متورطين في معارك دموية لا طائل منها, ولكن مستعملين هذه المرة أسلحة حديثة...

لقد تصور "هيغل" ــ على العكس من "كوجيف" هنا ــ أن رغبة الافتخار بإنسانية الشخص, لن تكون مشبعة بالضرورة بواسطة "السلام والازدهار" المحققين في نهاية التاريخ. فالناس سيتعرضون بصورة دائمة، إلى خطر الانحطاط

---

[٧٨] البقرة ٢ / ٢١٦

[٧٩] التوبة٩ / ٤١

[٨٠] د. فايد حماد محمد عاشور ــ جهاد المسلمين في الحروب الصليبية ــ ١١

من حالة المواطن إلى مجرد حالة الـــبرجوازي، واحتقـــار ذاتهـــم عـــبر مســـيرة هـــذا التطور. فإن صميم المواطنية, إذا كان ــ وســـيبقى ــ القبـــول الإرادي بـــالموت في سبيل الوطن . لذلك ينبغي على الدولة أن تفـــرض الخدمـــة العســـكرية, وأن تشـــن الحـــروب.

لقد أخذ على "هيغل" بسبب هذا المظهر مـــن فكـــره مـــأخذ الاحـــتراب (روح الحربية). لكن الفيلسوف لم يمجد قـــط الحـــرب حبـــا بهـــا، و لم يعتبرهـــا الهـــدف الرئيسي للإنسان. فالحرب كانت هامـــة لنتائجـــها الثانويـــة علـــى طبـــع الإنســـان وعلى الجماعة. لقد كان "هيغل" يعتبر أنه, بـــدون إمكانيـــة الحـــرب والتضحيـــات التي تتطلبها، فإن الإنسان يعيش أنانيـــة دنيئـــة، وينمـــو المجتمـــع في مســـتنقع مـــن الإشباعية الشهوية الأنانية وتنتهي الجماعـــة إلى الانحـــلال...

لنفترض، مع هذا، أن العالم قد "امتلأ" بالديمقراطيات الليبراليـــة، بحيـــث لم يعـــد ثمة وجود لأي استبداد أو اضطهاد جدير بهذا الاســـم, تشـــن الحـــروب ضـــده. إن التجربة تلمح أنه لئن كان البشر لا يسعهم النضال من أجـــل قضيـــة عادلـــة ــ لأن تلك القضية كانت قد انتصرت في جيل سابق عليـــهم ــ فـــإنهم ســـوف ينـــاضلون ضد تلك القضية بالذات، وذلك من أجل متعـــة النضـــال. وبعبـــارة أخـــرى فـــإنهم سيقاتلون بسبب الضجـــر : إذ ليـــس بوســـعهم تخيـــل أنفســـهم في عـــالم بـــدون صراعات. وإذا كان الجـــزء الأكـــبر مـــن العـــالم الـــذي يعيشـــون فيـــه, يتمـــيز بديمقراطيات ليبرالية مزدهرة وسلمية، فإنهم عندئـــذ ســـيقاتلون ضـــد هـــذا الســـلام وذلك الازدهار، وضد الديمقراطيـــة"[81].

[81] فرانسيس فوكوياما ــ نهاية التاريخ والإنسان الأخير ــ ٣٠٢ ــ ٣٠٤

ويجمع العديد من المؤرخين على أن "ثلثي حروب البشر كانت لأسباب أيديولوجية وفكرية وثقافية, وليس لأسباب اقتصادية فقط. وأن العديد من أباطرة التاريخ وقادة الغزوات والفتوحات, كانوا متأثرين بفكر مستشاريهم وطروحاتهم الثقافية...

العلمانيون يرون في فتاواهم, أن الإسلامية والأصولية مجرد ظلامية ورجعية وتوتاليتارية... أما فتاوى المسلمين, فتنص على أن هؤلاء العلمانيين هم امتداد للحركة الاستعمارية، وأنهم صنيعة الأجنبي في مختبرات صياغة العقول وطبخ الأفكار... وكل يسعى إلى إلغاء الآخر بأي طريقة كانت".[٨٢]

تأويل :

الاعتراف بالسلم, والسعي لتحقيقه في شبكة المعادلات العالمية, يفرض على دعاة السلام أن يخرجوا من الخوصنة والخصخصة في تنظيم العالم الجديد. وحيث لا يمكن تجزي الواقع الراهن في العالم, وتفكيك الساحات السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية, يصبح الاعتراف "بالعولمة" واقعا معاشا في تلك المساحات.

ومن لا يريد الرضوخ والاستسلام أمام هذه الظاهرة العالمية المتجددة يوما بعد يوم, لا بد له من تحصين مواقعه, والتمترس وراء الإقليم ــ جغرافيا ــ, أو الخصخصة ــ اقتصاديا ــ, أو الذات والأصل ــ نفسيا وثقافيا ــ.

---

[٨٢] يحي أبو زكريا ــ كاتب جزائري ــ مبررات العنف الإسلامي ومبررات العنف العلماني ــ السفير ٩٦/١٠/٢٥

٧ ـــ العولمة/الخصخصة

العولمة :

"اتخذت العولمة أشكالا مختلفة, ومرت بمراحل متتالية، ليس فقط من حيث كثافة العلاقات ووسائل الاتصالات التي جعلت من كوكب الأرض قرية صغيرة، ولكنها مرت أيضا من حيث الكيف بمراحل مختلفة.

في المرحلة الممتدة من الثورة الصناعية في أوائل القرن التاسع عشر, مرورا بالحرب العالمية الثانية, وصولا إلى منتصف القرن العشرين. ولكنها اتخذت العولمة شكلا بسيطا، وتجلى هذا الشكل من خلال تقسيم العالم إلى مناطق : المنطقة المصنعة والمنطقة التي لم تدخل بعد في الثورة الصناعية, لكنها كانت على الرغم من ذلك جزءا من المنظومة العالمية.

لكن, كنتيجة للحرب العالمية الثانية وظهور حركة التحرر الوطني في آسيا وأفريقيا, وانتصارات هذه الحركات التي ساهمت في التخلص من الأشكال القديمة للكولونيالية، دخلت دول الأطراف في نظام الثورة الصناعية والتحديث للدولة والمجتمع إلى حد ما، لكن من دون ديمقراطية في معظم الأحيان. وفرضت نوعا من تقسيم العمل لم يعد قائما على أساس وجود التصنيع أو غيابه. وهذا شكل آخر من العولمة بدأ في الخمسينات ولا يزال قائما حتى الآن وتجلى في تقسيم العمل وضبط الأسواق والمبادلات التجارية العالمية، ومحاولة تأطير الأسواق المالية والاستثمارات الأجنبية بقوانين محلية لكي تخضع العولمة لمقتضيات التنمية الوطنية المستقلة ذات الأبعاد الاجتماعية باسم الاشتراكية أو من دون أسمها وهدفها.

و كالعادة تآكل هذا النمط تدريجيا, وبلغ حدوده التاريخيــــة، الأمــر الــذي أدى إلى انقلاب في القوى الاجتماعية على صعيــد الأقطــار والبــلاد والمنــاطق، وعلــى الصعيد العالمي أيضا. وفتح ذلك على مرحلة جديدة من العولمــــة المرتبطــة بمشــروع الرأسمالية البحتة الذي أسميــه مشــروع الطوباويــة، طوباويــة الســوق، طوباويــة الليبرالية الجديدة القائمة على مبدأ إلغاء تقنين السوق، وإلغــاء جميــع القوانــين الــتي تحد مجال نشاط آليات الســـوق، وهــذا النمــط مرتبــط بــالضرورة باســتراتيجية نيوليبرالية. هنا يمكنني القول أن هذه العولمة ليســت فقــط اتجاهــا موضوعيــا ناتجــا من الثورة الصناعيـــة والتكنولوجيــة الحديثــة، بــل هــي اســتراتيجية رأس مــال المــهين"[٨٣].

ويعتبر المفكر الفرنسي "إدغــــار مــوران" أن : "العولمــة تمثــل فرصــة فريــدة للتواصل والفهم المتبادل بين الناس من مختلــف ثقافــات المعمــورة, وتشــجع علــى اختلاط الثقافات.... ويعــثر مــوران علــى الأمــل في الانفتــاح علــى مســاهمة الحضارات الإسلامية في العلاقة التي أقامتها بين الذات وبــين العقــل، بــين الــروح وبين الجسم. وهو ما أهملته الحضارة الصناعية الإنتاجيــــة الــتي حصــرت بحثــها في الفعاليــة".[٨٤]

هذا وإن بعض دعاة العولمة يستنكر مقولــــة أقلمــة الثقافــة إلى جــانب عولمــة السياسة والاقتصاد, "إذ ليس صحيحا أن ثقافات الأمم تظــــهر ظــهورا مســتقلا... فالحضارة الإسلامية ما كانت ممكنة التصور, لــــولا الثقافــات الفارســية والبيزنطيــة

[٨٣] سمير أمين ــ ملحق الكفاح العربي ــ ٩٩/١/٤

[٨٤] عفيف عثمان ــ الفكر الغربي أمام العولمة ــ السفير ــ ٩٨/١/٢٨

واليونانية... ولا شك بأن هناك عناصر ذاتية أو محلية في كل ثقافة, ولكن الباقي هو المشترك أو العالمي....

و النظام العالمي ليس في الاقتصاد والتبادل التجاري وحسب, بل وفي الثقافة وتبادل الأفكار أيضا. وليس من الممكن أن تتجدد الثقافة المحيطة بهويتنا الخاصة إلا بالانفتاح على العالم وثقافاته. فالهوية المنفتحة هي الباقية والمتجددة. أما الانعزال فأكبر أعداء الهوية" .[٨٥]

و"العولمة" قد تنطلق من أساس ديني يقوم على فكرة أن الناس كلهم أبناء أسرة واحدة, خلقت من ذكر وأنثى, وقدر لها أن تكون ذات مصير مشترك. فلا بد من عولمة الخطاب الموجه إلى الناس :

"لقد فسر مسؤول إيراني كبير أن رسالة (الإمام) الخميني إلى "ميخائيل غورباتشوف", هدفت إلى وضع حد للآراء الزاعمة بأننا نقصر خطابنا على عالم الإسلام. إننا نخاطب العالم بأسره".[٨٦]

الخصخصة:

الآراء المتشائمة عن العولمة تذهب إلى أن "الرياء والكيل بمكيالين هما ثمن ادعاءات العالمية. وهي عالمية (حسب رأي هنتنغتون) : "تروج للديموقراطية، لكن ليس إذا أوصلت أصوليين إسلاميين إلى السلطة. وتطبق عظات منع انتشار أسلحة الدمار الشامل على إيران والعراق، لا على إسرائيل. وتعتبر التجارة إكسير النمو الاقتصادي, لكنها تستثني منها الزراعة. وتثير قضية حقوق

---

[٨٥] رضوان السيد ـــ العولمة الملعونة باسم الهوية الوطنية و الدينية ـــ السفير ـــ ٩٧/١٢/٢٥

[٨٦] دانيال بايبس ـــ العقل العربي للإسلام المتطرف

الإنسان مع الصين لا مع السعودية. وترد العدوان على الكويتيين مالكي النفط بقوة هائلة, ولا ترد بقوة مماثلة على عدوان يستهدف البوسنيين الذين لا يملكون نفطا".[87]

ومعارضوا العولمة, يرونها منطلقة من إرادة الهيمنة على العالم, وتفتيت ثقافات الحضارات الأخرى. وليسوا متأكدين من الطرف الناجح منها :

"ظاهرة العولمة (أي سيطرة تحالف الشركات متعددة الجنسيات والقوة التكنولوجية العالمية على العالم) باتت واقعا معيشا ويوميا. وأن هذه الظاهرة لها أدمغة أميركية واضحة... وهذا ما يدفع بالعديد من الأميركيين إلى الحديث الآن عن "أمركة العالم" أو "أمريكا/العالم "... لكن, لا بد من التذكير بالنظرية الأخرى التي تقول : إن أميركا هي التي ستذوب في العالم بفعل العولمة. ويقول أصحاب الرأي : إن انهيار مفهوم "الدولة ــ الأمة" تحت ضربات العولمة الاقتصادية, سيؤدي إلى تجزئة الولايات المتحدة إلى أكثر من عشرين دولة مستقلة".[88]

"فرانز بواز"(الرائد الأول للاتجاه التاريخي ــ التجزيئي في أمريكا) "يعارض الفكرة القائلة بوجود طبيعة واحدة وثابتة للتطور الثقافي... وكنتيجة لذلك, فالباحث الأتنولوجي الذي يدرس الثقافات, يجب أذن أن يوجه اهتمامه نحو دراسة تاريخ الجزئيات المختلفة والعناصر المكونة لثقافة ما, كل على حده، وذلك قبل الوصول إلى تعميمات بشأن المجتمع الإنساني وثقافته ككل"[89].

---

[87] فواز طرابلسي ــ نقد مقالة : الغرب مزيدا لا كونيا لصاموئيل هنتنغتون ــ السفير ــ ٩٧/١/٣١

[88] جاكي درفشيان ــ من سيذوب في الآخر ... ــ السفير ــ ٩٨/١/٢٨

[89] د.حسين فهيم ــ قصة الأنتربولوجيا ــ ١٦١

حتى المفكر الفرنسي "إدغار موران", الـذي سبق وأن أشرنا إلى انتمائه إلى العولمة, يعتقد : "أن لها جانبا مدمرا, خصوصا في الجانب الثقافي، إذ قد يتم تجاهل بعض الثقافات, وحتى ضربها باتجاه قيام تجانس للهويات... وخشي أن يكون وعد "العولمة" برفع مستوى الحياة, على حساب نوعية الحياة ذاتها. فالتدهور في النوعية, نسبة إلى الكمية, هو سمة أزمة حضارتنا. لأننا نحيا في عالم يغلب عليه منطق تقني اقتصادي وعلمي, فلا نعتبر حقيقيا, إلا ما يخضع لقاعدة الكمية. فلا يدخل الحب ولا العذاب ولا اللذة ولا الشغف ولا الشعر في دائرة الكمية".[٩٠]

وهل تتحقق *العولمة* في الساحة الثقافية ؟ الإجابة سلبية عند الجابري. في رأيه: "ليست هناك ثقافة عالمية واحدة ، وليس من المحتمل أن توجد في يوم من الأيام. وإنما وجدت وتوجد وستوجد ثقافات متعددة متنوعة, تعمل كل منها بصورة تلقائية, أو بتدخل إرادي من أهلها على الحفاظ على كيانها ومقوماتها الخاصة. من هذه الثقافات ما يميل إلى الانغلاق و الانكماش، ومنها ما يسعى إلى الانتشار والتوسع، ومنها ما ينعزل حينا وينتشر حينا آخر.

تـأويل :

دراسة الخلفية التي تحكم على دعاة العولمة, تفيد بأنهم لا يقتنعون بتراثهم الحضاري والثقافي, ويسعون إلى إزالة الحدود والتوحد بالآخرين تحت شعار العولمة؛ إما بهدف فرض هيمنتهم على الآخرين, أو بهدف الامتصاص من

---

[٩٠] عفيف عثمان ـــ الفكر الغربي أمام العولمة ـــ السفير ـــ ٩٨/١/٢٨

إيجابيات الثقافات الأخرى. كلا الهدفان يقومـان علـى فكـرة "التجديـد" مقـابل "التراث" . وإليكم دراسة عن ثنائية : *الـتراث/التجديـد* .

٨ ــ التراث/التجديد

التجديـد :

"اليوم,كل المهتمين بالشـؤون الإنسـانية في كـل أبـواب العلـوم الإنسـانية متعرضون لهجمة ثنائية الأصالة والتجديد. هذه إشكالية تفـرض نفسـها في ميـدان السياسة والاقتصاد وعلم الاجتماع والحقـوق والفقـه والفلسـفة والكـلام وحـتى الأدب والفـن.

لا يمكننا اليوم أن نتحدث عن مجال إنسـاني مرتبـط إمـا بفكـر الإنسـان أو عمله وأدائه الفردي والاجتماعي, يكون بمعزل عـن إشـكالية الأصالـة والتجديـد. فكل من هـذه الاختصاصـات عرضـة لجـدال بـلا هـوادة بـين الأصـالويين والحداثويـين.

ومن الطريف, أن إشكالية الأصالة والتجديد تـبرز نفسـها في ملـف الأصالـة والتجديد بالذات, أكثر من بقية الملفات والساحة الـتي يتنـافس فيـها الأصوليـون والمتجددون ! لأننا نرى أن هذه الثنائية أصيلـة متجـذرة في المـاضي, وصفحـات التاريخ تروي لنا قصصا من هذه المعركة. لكـن هـذه الثنائيـة تجـددت في الآونـة الأخيرة, وأخذت بعدا واسعا في ساحات العراك, كمـا في ملتقيـات الحـوار .

الحداثوي المجدد يرفض الإدبار إلى الماضي, لأنه رجعيـة فكريـة وثقافيـة, ولأنـه لا ينسجم مع حركة التاريخ الذي يبتعد دوما عـن المـاضي ويصبـوا إلى المسـتقبل في اتجاه واحد. ولكل من التيارين مرتكزاتـه ودعائمـه, ولكـل منـهما منطلقـات

مختبئة في أعماق النفس الإنسانية . فالأصولي يميل إلى الاستقرار والإيمان الثابت الذي يجلب له اليقين، وينسف الشكوك والشبهات، وهذه غريزة إنسانية قوية جدا . والمتجدد يكره الجمود ويمل من الآراء المتحجرة المتكلسة كجمود الصخور, وبالعكس يتوق إلى كل ما هو جديد : إلى الأدب الجديد، والفن الجديد، والزي الجديد, والعيش الجديد، والفكر الجديد. أو ليس هذه أيضا غريزة إنسانية قوية ؟ بل هي هكذا حقا"[91] .

دعاة التجديد على مختلف أقسام. منهم من يعارض الأديان السماوية, ويرى فيها ركونا إلى حقائق أساسية, لا تقبل التجديد :

"من الأمور الجوهرية التي يشدد عليها الدين الإسلامي, أن الحقائق الأساسية جميعا, التي تمس حياة الإنسان في الصميم, وجميع المعارف التي تتعلق بمصيره في الدنيا والآخرة, قد كشفت مرة واحدة في نقطة معينة وحاسمة في التاريخ (نزول القرآن, وربما الكتب الأخرى قبله)... وظيفة المؤمن والحكيم والفيلسوف والعالم, ليست اكتشاف حقائق جوهريه جديدة... وإنما العمل للوصول إلى نظرة أعمق في النصوص... وتأويلها حتى تستنبط معانيها الدفينة... استنادا إلى: ((ما فرطنا في الكتاب من شيء[92]))".[93]

ومن الحداثيين المجددين, من يتوغل في رفض كل أساليب الفكر والإنتاج المعروفة سابقا:

"لقد كان "هدايت" رجلا حديثا, رغب في الحديث عن الفكر المعاصر المضاد للفكر الديني. لذلك وجب عليه أن يكتب رواية بلغة, ليس لها أية تقاليد

---

[91] محمد خاقاني (المؤلف) ــ الأصالة والتجديد ــ السفير ــ ١٩٩٩/١/٢٢

[92] الأنعام٦ / ٣٨

[93] صادق جلال العظم ــ نقد الفكر الديني ــ ١٦

وراثية... فاخترع كلمات وجملا مغاير ... أما الكتاب الآخرون أي المثقفون المعاصرون لهدايت, فلم يكونوا يمتلكون رؤية مشابهة له, و لم يفهموا أنه : من دون هذه الثورة الشكلية... لن يكون هناك فكر حديث".[٩٤]

ويستمر هذا التوغل في كل ما هو جديد, إلى درجة تبرير الأسلوب المبتكر, والإبداع الذي يشن حملة شرسة على كل القيم والمعايير الأخلاقية, كما تمثل في رواية "سلمان رشدي". ويتهم علماء الدين بأهم : "لا يستطيعون فهم ما معنى الرواية ـــ هذا الشكل من التعبير ـــ الذي هو ليس شكلا بريئا".[٩٥]

فبالجملة, يعتقد دعاة التجديد : "أن بعث الحضارة غير ممكن، وإحياء التراث غير ممكن، إلا إذا كان المقصود القيام بنهضة تستلهم الحضارة والتراث".[٩٦]

التراث :

"الأصالويون أو الأصوليون, المنتشرون في الغرب المسيحي والشرق الإسلامي والبوذي واليهودي, رغم اختلافاتهم الكثيرة يتفقون على أصول وثوابت ورثوها عن حضاراتهم العريقة وأنبيائهم السابقين. فالأصولي المعارض لفكرة التجديد, يحب ماضيه وماضي حضارته ويفتخر به, ويرى في ما ورائه من الماضي نورا يهتدي ويقتدي به"[٩٧].

---

[٩٤] اسكندر حبش ـــ صادق هدايت : إشارة مهتاجة في الليل ـــ السفير

[٩٥] المصدر السابق

[٩٦] رضوان السيد ـــ بيان قمة طهران وعلائق الثقافة بالسياسة ـــ السفير ـــ ٩٧/١٢/١٨

[٩٧] محمد خاقاني (المؤلف) ـــ الأصالة والتجديد ـــ السفير ـــ ١٩٩٩/١/٢٢

جعل التراث مقـــابل التجديـــد, يصـــوّر في الأذهـــان مجموعـــة مـــن الـــتراثيين يرفضون كل جديد في دائرة حياتهم اليومية. والحق أن هنـــــاك تراثيـــون علـــى هـــذا النمط, يرفضون كل جديد يبعدهم عن نمط حيـــــاة آبائـــهم وأســـلافهم, ويشـــنون حملة شرسة على أساليب الحياة الجديدة التي تـــترافق مـــع الثـــورة العلميـــة وتقنيـــة العصر الحـــاضر.

إلا أنه قد يقصد من التراثيين فئـــة أخـــرى, لا يـــتريثون في التكيـــف بالعـــادات العملية الغربية, والأخذ بكل ما هو حصيلة التقنيـــــة الجديـــدة، لكنـــهم تراثيـــون في رفض القيم الغربية الكامنة وراء التكنولوجيـــــا :

في كتابه "بين المؤمنين", يلاحظ "ف . أس . نايبول" : أن العديـــــد مـــن القـــادة المسلمين في أيامنا هذه, ينظرون إلى العلم والتكنولوجيا الغربيـــين, باعتبارهمـــا أشـــبه "بسوبر ماركت" عالمية, حيث بإمكانهم المجـــيء بـــأموالهم, لشـــراء المنتجـــات الـــتي يجدونها مفيدة, ورفض تلك التي لا يريـــــدون...

والنقاش المسموح بازدياد في الشرق الأوسط, هـــو أن مـــا تحتـــاج إليـــه بلـــدان المنطقة, هو التحديث من دون التغريـــب. أي القـــول بـــامتلاك المنتوجـــات الماديـــة للثقافة الغربية وربما للعلم و التكنولوجيا اللذين أنتجتهما, لكـــــن مـــن دون الرزمـــة الثقافية والقيم الخاطئة وطريقة الحياة الفاسدة المتصلـــة بهـــا... وجهـــة النظـــر هـــذه ترد في أيامنـــا بصيغـــة متطرفـــة في كتابـــات وكـــلام الذيـــن يســـمون أصوليـــين إسلاميين, والذين يرون الحضارة الغربية وتحديدا الثقافـــة الشـــعبية الأميركيـــة غـــير إنسانية, ومفسدة بدرجة خطـــــرة".[٩٨]

---

[٩٨] برنارد لويس ـــ الحضارة الغربية دمج الحضارات, والإسلام أول من سعى إلى العالمية ـــ السفير ٩٧/٢/٧

"يبدو جليا, أن الإسلاميين لا يـهدفون إلى إقامـة نظـام إسـلامي حـق, بـل نسخة ذات نكهة إسلامية للواقع الغربي! يظـهر هـذا تحديـداً في أربـع مجـالات : الديانة، الحياة اليومية، السياسة والقـانون...

لقد أدخل الناشطون الإسلاميون ممن يجهلون الإرث الإسـلامي شـروحا دينيـة على النمط الكنسي. ظهر هذا الاتجـاه أول الأمـر في العربيـة السـعودية, حيـث بنت السلطات طيفاً من المؤسسات الجديـدة... و لم تتلكـأ الجمهوريـة الإسـلامية في إيران في تتبّع خطى النموذج السعودي, لا بـل تخطّتـه...

وجعل الإسلاميون يوم الجمعة يوماً للراحة... إن فكرة يوم الراحـة غريبـة مـن أساسها عن روح الإسلام الشديدة التوحيد, التي تحكم علـى مقولـة أن الله يحتـاج إلى يوم للراحة على أنها فكرة إنسانية خاطئة. عوضاً عن ذلك, فـإن القـرآن يـأمر المسلمين بإقفال محلاتهم, فقط في أثناء تأدية فريضة الصـلاة. وفـور انتهائـها, فإنـه يتوجب عليهم أن يتفرقوا في أنحاء الأرض سـعياً وراء رزق الله؛ بعبـارة أخـرى أن يتعاطوا التجـارة...

من المدهش أن الإسلاميين أخذوا من الغرب نظرتهم إلى المـرأة... يزهـو زعيـم نيابي بأن لدى إيران أفضل سـجل مسـاواة بـين الجنسـين في الشـرق الأوسـط, مشيراً إلى نسبة النساء العالية في التعليـم العـالي...

إن المفكريـن الإسـلاميين (أمثـال د. فتحـي الشـقاقي ود.حسـن الـترابي) العازمين على السير بالعـالم الإسـلامي إلى الـوراء نحـو القـرن الهجـري الأول, يمتازون أيضا باستيعابهم وممارستهم للعادات الغربيـة, ويقدرونهـا ــ علـى الأقـل بعضاً منها ــ حقّ تقديرا!... إن ما يجمع بـين كثـير مـن المفكريـن الإسـلاميين البارزين أيضا : هـو خلفيـة الإنجـاز العلمـي والتقـني... يميـل الإرهـابيون إلى توجههم العلمي نحو العلوم... إن كثيراً من إسـلاميي مصـر المتورطـين بأعمـال

عنف ضد نظام الحكم, هم من حملة الشهادات الجامعية في مجالات العلوم. إن الزعماء الإسلاميين ليسوا فلاحين ممن يقطنون مناطق ريفية, لم يتغير خط الحياة فيها لقرون خلت؛ بل هم أشخاص عصريون, يعيشون عيشة مدنية بشكل كامل. بل أن كثيراً منهم من خريجي الجامعات. على الرغم من كلامهم حول إعادة خلق المجتمع الذي ساد في أيام النبي محمد, ألا أن الإسلاميين هم أناس عصريون يقفون في واجهة المتادين بضرورة التأقلم مع الحياة العصرية... قد يقال بأن النبي هو مصدر إلهامهم, لكنهم يحاولون الاقتراب من فكره, من خلال مواصفات السنوات الأخيرة من القرن العشرين"[٩٩].

هذا, وإن الرؤية التراثية لا تحض أساليب الحياة وأنماط العيش, وإنما تؤطر مناهج الفكر بشتى مجالاته. في ما يتعلق بالمنهج التفسيري التراث, يتناول "نصر حامد أبو زيد" هذا الأسلوب, ويقول :

"إن أهل السنة ينظرون إلى حركة التاريخ وتطور الزمن, بوصفها حركة نحو الأسوأ على جميع المستويات. لذلك ربطوا معنى النص ودلالته بالعصر الذهبي، عصر النبوة ونزول الوحي"[١٠٠].

وعلى ساحة الفكر العربي : "الجدل دائر بين الرشديين الذين يعتقدون أن الفكر العربي يتجدد بالعودة إلى ابن رشد، وبين الحنفيين الذين لا يرون خلاصاً للعقل العربي إلا بالعودة إلى ابن خلدون وابن تيمية، وبين الحداثيين الذين يطالبون "بلوثر" عربي أو "فولتير"عربي, وبين الذين نفضوا يدهم من الحداثة بكل نماذجها وشعاراتها".[١٠١]

---

[٩٩] دانيال بايبس (رئيس تحرير ميدل ايست كوارترلي) ـــ العقل الغربي للإسلام المتطرف ـــ السفير

[١٠٠] د. أحميدة النيفر ـــ نصر حامد أبو زيد ومعضلة ق . ر . أ ـــ السفير

[١٠١] علي حرب ـــ حول الندوات الفكرية ومأزق العقلانيين العرب ـــ السفير ـــ ٩٧/١٢/١٦

لكن, من التجديديين من يرفض حتى التمسك بآراء مفكري الماضي من أمثال "ابن رشد", بهدف حسم النزعات الفكرية المعاصرة :

"لا علاقة لابن رشد بما يتوهم أنه صراع معاصر بين الحكمة والشريعة, أو بين النقل والعقل, أو معركة العقلانية والتنوير ضد أصوليين, كما يقال في الخطاب السياسي... وكل من يحاول تصوير المسألة المعاصرة بأنها كذلك, فإنما يرتكب إثما من آثام الكذب أو الدجل أو النفاق أو الارتزاق أو البحث عن دور, حتى لو كان ثمن هذا الإثم أن تجري الدماء أنهاراً".[١٠٢]

تأويل :

الصراع بين التراثي والتجديدي يكشف لنا بوضوح, أن المتمسك بالتراث لا يرى تجدّد الزمن ناقضاً لهويته المترسخة في جذور الماضي, لأن الهوية نابعة من أسس, لا يمكن للزمان أن يحوّلها ويقتلعها, إذ هي حقائق روحية, لا تؤطّر بإطار الزمان والمكان.

ويعارضه في هذا التجديدي والحداثي, الذي يرى بصمات الزمان والمكان وآثار التاريخ والجغرافيا واضحة في تكوين أية ثقافة أو حضارة. فيرفض الحديث عن الأصول الثابتة.

هكذا, الصراع بين التراث والتجديد, يقود بنا إلى دراسة صراع أعمق بين *الروحي والزمني* في الخطوة التالية.

---

[١٠٢] وائل عبد الفتاح ــ كيف أصبح ابن رشد موظفاً في الدولة العربية المعاصرة ــ السفير ٢٥/١٠/٩٦

٩ ـــ الروحية/الزمنية

الروحيــة :

الروحي هو من يتطلع إلى جوهر الدين الذي "هــــو أمـــر مقـــدس متعـــال, فـــلا يوجد دين لا يتعامل بـــــالأمر المطلـــق والمتســـامي, لأن هـــذه الأمـــور في جوهـــر الديـــن".[١٠٣]

التياران القومي والماركسي, هما من التيارات الزمنية الـــــتي بـــرزت أمـــام التيـــار الروحي الإسلامي, عبر تطور الصراع في العـــالم الإســـلامي.

"أما الإسلاميون، فقد قدموا خلال العقدين الماضيين تحليــــلات بالغـــة الجذريـــة، وهي تمضي في أحيان كثيرة إلى أبعد مما مضت إليه أطروحـــات التقدميـــين الجداليـــة تجاهـــهم :

– فالقومية فكرة مستوردة, المقصود بها شرذمة الأمـــة الإســـلامية، وإدخالهـــا في صراعات داخلية. إنها لغة التراب في مواجهة اللغة الإلهيـــة الموحـــدة والجامعـــة.

– والاشتراكية كسبيل للتنمية المستقلة زحف أحمـــــر, يرمـــي إلى القضـــاء علـــى المقومات الباقية للاستمرار والاستقرار في أوطـــان المســـلمين.

– وشعارات الحداثـــة والديمقراطيـــة والعلمنـــة، شـــعارات مســـتوردة لضـــرب المسلمين في دينهم وثقافتهم الموروثة، وهويتـــهم وتاريخـــهم.

– والأمة محاصرة بزحف غربي شـــامل منـــذ قرنـــين مـــن الزمـــان، عناوينـــه : الصليبية، والشـــيوعية والليبراليـــة، اســـتطاع اســـتقطاب أطـــراف محليـــين داخـــل الأقليات غير الإسلامية, وضمن المثقفـــين المغـــتربين، والنخـــب الحاكمـــة. وهدفـــه

---

[١٠٣] السيد محمد خاتمي ـــ محاضرة بعنوان : التدين في عالم اليـــوم ـــ دار النـــدوة/بـــيروت ـــ الســـفير ـــ ٩٦/١٢/٥

المستتر بل والمعلن, السيطرة علـــى المســـلمين بـــأدوات محليـــة, وتذويـــب هويتـــهم المانعة والمقاومة والمتمثلة بالإســـلام.

والإجابة عن ذلك كله عند مفكـــري الحركـــات الإســـلامية : حتميـــة الحـــل الإسلامي, الذي بدؤه تطبيق الشريعة في النظـــام الاجتمـــاعي السياســـي".[١٠٤]

والروحي الذي يرى نفسه مختلفاً عن الزمـــني, قـــد يتفـــق معـــه (رغـــم هـــذا الاختلاف) على مبدأ الفصل بين اللاهوت والناسوت, ليعطـــى مـــا لقيصـــر لقيصـــر ومـــا لله لله.

هكذا تتولد ***العلمانية***, وتستقيم بفصل السياسي عـــن الديـــني وتحديـــد مجاليـــهما الأصليـين.

والمرجئة من روّاد هذا الفصل في الثقافة الإسلامية, حيث قدّمـــت المعرفـــة بـــالله على الإيمان, والإيمان على العمل, بتأكيدها أن الإيمـــان هـــو المعرفـــة بـــالله والمحبـــة بالقلب, بناءاً على أسبقية العقـــل علـــى النقـــل. وإذا كـــان التســـامح والاعـــتراف والعفو يتعين بتقبل الاختـــلاف والغيريـــة, وبتحديـــد عـــالم الله وعـــالم الإنســـان, وحدود التعالي والحضور, والفصل بـــين الروحـــي والزمـــني، والسياســـي والديـــني، فيمكـــن القـــول أن المرجئـــة قـــد مثّلـــت أولى محـــاولات العلمنـــة في الفكـــر الإســـلامي".[١٠٥]

لا يخصّ "دانيال بايبس" هذه المحاولة بجماعة المرجئة, بـــل يعزوهـــا إلى الإســـلام التقليدي, "الذي يشددّ على علاقة الإنسان بخالقه, في حين قلل مـــن شـــأن علاقتـــه بالدولة. لقد بدا مجال الفقه شاسعاً ومجال السياسة محدداً. على مـــدى القـــرون الـــتي

---

[١٠٤] الحوار القومي/الديني ـــ مركز دراسات الوحدة العربية ـــ ٧٨

[١٠٥] د. جميل قاسم ـــ العلمانية : المختلف والمؤتلف ـــ السفير ـــ ٩٦/٧/٥

خلت, تجنّب المتدينون من المسلمين الحكومة, والتي بالكاد يرون فيها إلا المشاكل (الضرائب، الخدمة العسكرية الإلزامية...). من ناحية أخرى لقد بذلوا جهوداً جبارة, ليعيشوا وفق أحكام الشريعة"[١٠٦].

الفصل بين الدين والسياسة, لم يبق في دائرة ما يسمىّ عند البعض بالإسلام التقليدي, بل وجد من يتحمّس له من المفكرين الجدد، منهم : "الشيخ شمس الدين", صاحب نظرية "المتحد القومي ــ الإسلامي والرافض للدولة الدينية", إذ يقول :

"أنا ضد فكرة أن الإسلاميين يدخلون إلى الحكم المطلق. الإسلاميون (إلى مدى لا نستطيع الحكم على أفقه التاريخي), هم مشروع ثقافي, وليس مشروع سلطة على الإطلاق... الإسلام في المجتمعات القابلة والموافقة ممكن أن يصير مشروع سلطة, كما نلاحظ في النموذج الإيراني, ويبقى على القيمين عليه أن ينجحوا. لكن في المطلق, لا نستطيع أن نقول إنه مشروع سلطة. لذلك نصيحتي الدائمة إلى الجماعات الإسلامية أن لا تدخل في أية آلية من آليات السلطة, ابتداء من المخترة إلى الحاكمية الأولى"[١٠٧].

وإذا كان هذا رأي بعض المفكرين المسلمين حول الفصل بين الروحي والزمني أو الثقافي والسياسي, وهم عارفون بحجم دائرة الفقه السياسي في الإسلام, فما بالك بالمسيحية التي لا تتضمن أسس وشرائع للاجتماع البشري على الصعيد السياسي والحقوق والمعاملات؟ وهذا ما ساعد الاجتماع المسيحي

---

[١٠٦] دانيال بايبيس ــ العقل الغربي للإسلام المتطرف ــ السفير

[١٠٧] حوار فكري مع الشيخ شمس الدين ــ السفير ــ ٩٧/١/٢٣

في الفصل بين الدين والدولة. والثورة التي طالبت بهذا الفصل, جاءت في جانب منها, لتحرير المسيحية نفسها وإعادتها إلى نطاقها الطبيعي"[١٠٨].

الزمنية :

الفصل بين المؤسسات السياسية والمؤسسات الكنسية وبين التفكير العلمي والتفكير الديني, لاقى قبولاً في الغرب, "باعتباره جزءاً أساسياً للحداثة الغربية. وبالتأكيد فإن بعض الدول الغربية الحديثة الأكثر نجاحاً, قد حققت فصلاً كهذا, أما بتشريع دستوري, كما في الولايات المتحدة وفرنسا، أو باتفاق ضمني بين الطرفين, كما في المملكة المتحدة والملكيات الاسكندنافية، في حين أن في دول غربية ناجحة أخرى, مازال الدين وحتى أحزاب مستندة إلى الدين تلعب دوراً مميزاً "[١٠٩].

والعلمانية "بأبسط معانيها... تنطوي على فكرة الحياد الإيجابي للدولة, إزاء الأديان والمذاهب والطوائف والفرق الدينية الموجودة في مجتمع ما...

تعني العلمنة بالتالي : الاستقلال النسبي للمجتمع المدني عن التحكم الرسمي به وبحياته العامة ومعاملاته ومبادلاته , وفقاً لمبادئ دين الأكثرية وعقائده وشرائعه، كما تعني المساواة بين المواطنين جميعاً أمام القانون, بغضّ النظر عن انتماءاتهم الدينية أو المذهبية أو الطائفية"[١١٠].

---

[١٠٨] السيد محمد حسن الأمين ــ محاضرة بعنوان : العلمنة والدين والدولة ــ قراءة في الإشكاليات ــ السفير ٩٧/١٢/١٩

[١٠٩] برنارد لويس ــ الحضارة الغربية دمج حداثات , والإسلام أول من سعى إلى العالمية ــ ترجمة فؤاد حطيط ــ السفير ــ ٩٧/٢/٧

[١١٠] صادق جلال العظم ــ الإسلام والعلمانية ــ السفير ــ ٩٦/٣/٢٧

و"مفردة العلمانية, تعني أصـلاً الشـعب أو العامـة, مقـابل رجـال الديـن أو الكهنوت, أي تعني كل ما لا ينتمـي إلى رجـال الديـن ويكـون خارجـاً عـن سلطتهم... وإذا لم تكن العلمنة بالضرورة مضادة للديـن معاديـة لرجالـه, فإنها تقضي على الأقل الفصل بين الصعيد القدسـي والصعيـد السياسـي, بـين الكهنـة والساسة, ولِنقُل اللاهوت والناسـوت"[111].

العلمانيون إذن يصرون على : "الفصل الكامل بين العقلـين العلمـي والديـني, وأن مأساة التناكر أو التواصل المسـتحيل بـين القدسـي والفقـه السياسـي, إنما تكمن في عدم التخصص وفصل صلاحيات المعـارف ومناهجـها وغاياتهـا, كمـا حصل لسوانا في أوروبا. فالسياسة تدخـل في منزلـة العقـل الوضعـي أو العلمـي الدنيوي. ولقد حـاول الفقـه الديـني اليـهودي، المسـيحي والإسـلامي جلـب السياسات إلى المقدسات. فماذا كـانت العاقبـة؟ : ظـهرت الدولـة الثيوقراطيـة، الملكية المملوكة بحق إلهي... وإلى جانب الإله, ظـهر القيصـر ومعبوداتـه الجديـدة من الأموال إلى الآلات الحديثـة".[112]

ومن اللافت للنظر : أنهم ينزّهون ساحة القرآن عـن كـل مـا يمـت بصلـة إلى القرآن! : "مفهوم الدولة غير موجود في الخطاب القرآني (حيث نجـد "دولـة" مـرة واحدة, لا بمعنى الدولـة state)"[113].

لا شك أن ممارسة الفصل الروحي والزمـني, تعـوّد الإنسـان والمجتمـع شـيئاً فشيئاً على التخلّي عن القيم الروحية في كل يتعلـق بـالأمور الزمنيـة, كالسياسـة

---

[111] علي حرب ــ نقد الحقيقة ــ ٧٠ ــ ٥٧

[112] خليل أحمد خليل (أستاذ في الجامعة اللبنانية) ــ التواصل المستحيل بين القدسي والفقه السياسي ــ السفير

[113] المنبع السابق

والإدارة والاقتصاد, التي يجب أن تجري وفق معطيات علميـــــة, بعيـــدة كـــل البعـــد عن المبادئ الســـامية.

في مثل هذه الحالة يمكن تفهّم ما يقوله الروائي الياباني "كـــنزا بـــورو اويـــه" :

"على عتبة القرن الواحد والعشرين, يعرف جميعنا أن ليـــــس هنـــاك أيـــة رؤيـــة جديدة بالفيض على العالم بأســـره. لأننـــا لم نعـــد نؤمـــن لا بإلـــه بمعنـــاه الديـــني التقليدي، ولا بإله بالمعنى التاريخي الهيغلـــــي، ولا بإلـــه بـــالمعنى الماركســـي، لذلـــك كان عليّ أن أتخلص من هذه الـــرؤى الثـــلاث".[١١٤]

تـأويل :

عندما يتعارض مقولة الروحي مع الزمني, يتبـــين أن الروحـــي ينســـب نفســـه إلى حقائق مطلقة ومتسامية ومحفوفة بهالة من القدســـية, قـــد تجعـــل مـــن الصعـــب أن تدرس بنظرة نقدية, أو تجرب بأســـلوب الصحيـــح والخطـــأ. وبالمقـــابل, يتجنـــب الزمني عن إضفاء أية قدسية إلى الأطروحات التي تمارســـها, فينظـــر إليـــها بوصفـــها أمور طارئة دنيوية, تتعرض للتغير والاندثـــار والاضمحـــلال, شـــأنها شـــأن الدنيـــا بعروض الأحداث والتغيرات لهـــا.

فليس لنا, إلا جعل ثنائيـــة **الروحـــي/الزمـــني** في دائـــرة : ***المقـــدس/الدنيـــوي***, ودراسة التضاد بينـــهما.

---

[١١٤] اسكندر حبش ـــ كنزابورو اويه، ذلك المجنون الذي لا شفاء منه ـــ السفير ـــ ٩٧/١/١٠

١٠ ـــ القدسية/الدنيوية

القدســية :

القدسية تعتبر جوهر الدين. وقدسية الدين قد تفــرض علــى المتديــن, أن يجعــل كل ما هو غير أمين في خدمة الدين. والدين المتبلور في نص الكتــاب المقــدس (أيّــا كان) وسائر النصوص الدينية (السنة), هو الذي يحـــدّد مســار العلــوم والمعــارف والأساليب العلمية. كما كان الشأن في الغرب حتى القرن الســادس عشــر، "فكــل المعلومات الإنسانية, كانت ذات علاقة بالكتاب المقــدس, وهــو المرجــع والمقيــاس لكل حقيقــة"[١١٥].

الدنيويـة :

هذا الانتماء يرفض أية سيادة تفرض من جانب المقدسات علــى مســار العلــم. فالعلم سيّد ذاته, وبإمكانه أن يشكك في جميع القيم والمعايير, ولــو كــانت ســائدة طيلة القرون, ومتفق عليها عند جميع علماء السلف. والنقد العلمـــي يعــمّ مواضيــع الكتب المقدسة, والبحث العلمي يعتبر مقياساً نهائيــاً لحقيقــة النصــوص المقدســة, كما حصل مع النهضـــة :

"فقد طرأ تغيّر ثقافي جذري بظـــهور الثــورة العلميـــة, وأدت مراقبــة الظواهــر ومعرفة القوانين الخاضعة لضـــرورات الأســباب الطبيعيــة إلى التســليم باســتقلال العلم استقلالا تاماً... و لم يصبح العلم مستقلاً عن الإيمــان فحســب، بــل بــدا في تناقض معه. فقد حُكم على "غليليو", لكونه يخالف الكتاب المقـــدس, عندمــا بيّــن بعد "كوبيرنيكوس", أن الأرض تدور حول الشـــمس لا العكــس،... فبــدأ العلــم

---

[١١٥] مجموعة كتّاب ـــ طريقة التحليل البلاغي و التفسير ـــ ١٨

بنقد المفاهيم التقليدية حول الكتاب المقدس...، واعتبر المفسرون كـــل عنصـــر مـــن الكتاب المقدس لم يُثبت صحته التاريخية، عنصراً مغلوطاً يجـــب التخلـــي عنـــه "[116].

وإذا كان بالإمكان أن "يطـــاول الشـــك حقـــائق الكتـــاب المقـــدس التقليديـــة الواحدة بعد الأخرى، كما بيّن "ريشار سيمون" في كتابـــه "تـــاريخ نقـــدي للعـــهد القديم، أنه : من المستحيل أن يكـــون موســـى مؤلـــف كتـــاب الأســـفار الخمســـة بصيغته الحاضرة، وذلك بالنظر إلى فوضـــى النـــص، وإلى الاختـــلاف في الأســـلوب الإنشائي" [117]، وحيث لم يكن بالإمكان أن يتطـــاول هـــذا الشـــك "القـــرآن" مـــن حيث نصه الذي لا شك فيه، أخذت النظرة النقدية والبحث العلمـــي مجـــرى آخـــر في القرآن لا في ألفاظ القـــرآن، بـــل في مدلولاتـــه ومعانيـــه، وفي تفســـير محكمـــه ومتشابهه. فبات الدين عند المســـلمين جوهـــراً مطلقـــاً مقدســـاً متســـامياً (كنـــص القرآن)، ولكن الدنيوية والنسبية تعرضتا لفهم الإنسان للقـــرآن والديـــن:

"إن تحول نظرة الإنسان إلى الدين، لا توجد لطمـــة إلى حقيقـــة جوهـــر الديـــن وقداسته وتعاليـــه "[118].

تـأويل:

الشريعة "هي إلهية في الأصل والمبتدئ، لكنـــها تـــؤول عنـــد التفســـير والتطبيـــق إناسية ودنيوية"[119]. والقدسية التي تتدفق من جوهـــر الديـــن، تضفـــي علـــى مـــن

---

[116] المصدر السابق ــ ١٨ ـــ١٩

[117] المنبع السابق ــ ١٩

[118] السيد محمد خاتمي ــ محاضرة "التدين في عالم اليوم ــ السفير ــ ٩٦/١٢/٥

[119] علي حرب ــ نقد الحقيقة ــ ٦٥

يتولى الدين, ويتكفل تبليغه وتطبيقه, مشروعية مصدرها الإدارة الإلهية التي تختار أنبياءه وأولياءه بغضّ النظر عن إرادة الشعب.

لكن الدين لا إكراه فيه, ولا يأخذ مجراه الطبيعي بين الناس, إلاّ بملء إرادتهم, وبناءً على تفكيرهم الذي هو تفكير نسبي ودنيوي. وطالما تكون الإرادة الشعبية هي الأساس في "مقبولية" الحكم، فالاحتمال مفتوح أمام التعارض بين "***مشروعية القدسية***", و"***مقبولية الشعبوية***". الخطوة التالية تدرس هذه الثنائية.

١١ ـ *المشروعية/المقبولية*

المشروعية :

إن تجربة الديموقراطية بمعنى الخضوع لرأي الشعب, تجربة سيئة للغاية عند بعض المفكرين لدرجة تقنعهم بعدم إمكانية بين قرار الشرع والعلمنة الداعية إلى سلطة الشعب :

"لماذا يبقى الإسلام عصياً على العلمنة ؟ الجواب يبدو بسيطاً, وهو أن الإسلام ربط وجوده بلغة الوحي ودمج الشرع بها، فاصلاً بذلك بصورة حاسمة يتوقف عليها مصيره نفسه، بين سلطة التشريع التي لا تنفصل لغتها عن لغة الوحي بما هو ذكر منتشر بين الناس، بما هو لحمتهم وسر رابطتهم الاجتماعية الذي يعبر عنه مفهوم الجماعة ـ قبل تشويهه من قبل السلطة الأموية ـ وسلطة التنفيذ التي حاولت دوماً التفلت من هذه اللغة, دون أن تستطيع استبدالها مصطدمة بوحدة الوحي وإعجاز لغته. إن هذا بالضبط ما لم تستطع المسيحية أن تفعله, وما لم تدع الديمقراطية له إلا لتزييفه وخرقه. إذ كيف يُدعى

المجتمع إلى الاستقلال عن سلطة الدولة, وتنتزع منـــه أي أداة لغوية تتمتع بقوة الممانعة ومشروعية الصمود أمام ادعاءات السيادة المطلقة التي لا تعطي لـه إلا وهماً, وتستخدم فعلاً لفك لحمته وتحويله إلى أفـراد لا يجتمعون إلا في حقل السلطة ولا يقررون إلا بمفرداتها ولغتها ؟

إن ما يحلم به "غلنر" من تبريد "*للخمينية*" بتطويع للشرع، يثبت تاريخ الإسلام (رغم ما فيه من مآس) عكسه. إنه يثبت الحكمة الكامنة وراء ممانعة الاجتماع الإسلامي للعلمنة, و هي أن الشرع قد يُعطل ولكنه لا يطوع !".[120]

إذن مصدر التشريع هو الله وليس الناس :

"الشيعة تجعل الإمامة في دائرة مسائل علم الكلام وليس الفقه, باعتبار أن " الإمامة هي التي تُخلف وتنوب عن النبوة، والنبوة مسألة تتعلق بالخالق وليس بالمخلوق, وهي من عمل وإرادة الله سبحانه وتعالى".[121]والأمة, "لا تمتلك الحق المطلق في العزل, عندما لا يحيد الولي عن الضوابط في ولايته وتصرفاته"[122].

هذه الرؤية, تؤسس الإمامة بالمطلق على الإرادة الإلهية, على قاعدة ((إن الحكم إلاّ لله))[123], و((وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم ***الخيرة*** سبحان الله وتعالى عما يشركون))[124]. "ولا بدّ أن نعلم, بأن الشورى والانتخاب والاختيار على أساس الانتخاب, من البدع التي جاءتنا من الغرب... لا يقول

---

[120] نظير جاهل ــ أوهام الديموقراطية ــ ٤١

[121] آية الله جوادي آملي ــ الإمام الخميني يعيد صياغة الخطاب الفقهي/ الثقافة الإسلامية/ العدد ١٩٩٧/٧٤

[122] الشيخ محمد توفيق المقداد ــ ردّ بعض الشبهات عن ولاية الفقيه ــ السفير ــ ٩٨/١/٨

[123] الأنعام٦ / ٥٧

[124] القصص ٦٨

الإمام المعصوم : اذهبوا واختاروا قاضياً لأنفسكم، بل يقــول : إني جعلتــه قاضيــاً, وعليكم الطاعــة".[125]

المقبوليـة :

وفي المقابل، أهل السنة "يعتقدون بأن الإمامة قضيـــة تتعلــق بــالمخلوق وليــس بالخالق، وأن الإمام يجب أن يكون من صنع البشـــر, وليــس معينــاً مــن قبــل الله. فهم يجعلون الإمامة في علم الفقـــه".[126]

أما عند الشيعة, فالإمام المنصوص عليه مشـــروع, ســواء اختــاره الشــعب أم لم يختره. وتبقى إرادة الشعب (المقبولية) نافذة في تنفيـــذ حاكميــة الإمــام المشــروع, من منطلق : "*لا رأي لمن يطاع*" . كما أن للشعب "حق عــزل الــولي الفقيــه مــن خلال نفسه, أو من خلال ممثلـــي الشــعب, وهــم "مجلــس الخــبراء"، إن رأى أن قيادته لا تستجيب ولا تلبّي حاجاتــه, أو تقصّــر في ذلــك مــع إمكانيــة القيــام بها".[127]

في التاريخ الإسلامي المعاصر, يعتبر "جمال الدين الأفغــاني الأســد آبــادي مــن دعاة ضرورة المقبولية الشعبية للحكم . "فلا يجد البــاحث نفســه مضطــراً لبحــث المزيد من الجهد والعناء, للوقوف على حقيقة فهمــه للشــورى مقــابل الديمقراطيــة, التي بدت يومها كالسحر الــذي يحــول المعــادن الخسيســة إلى ذهــب. معركتــه الفكرية والسياسية, كانت تهدف إلى رفع شأن الدولــة الإســلامية، الدولــة العالميــة

---

[125] آية الله السيد محمود الهاشمي ــ نظرة جديدة في ولاية الفقيه ــ ٤٩

[126] آية الله جوادي آملي ــ الإمام الخميني يعيد صياغة الخطاب الفقهي/الثقافة الإسلامية/العدد ٧٤ ــ ١٩٩٧

[127] الشيخ محمد توفيق المقداد ــ ردّ بعض الشبهات عن ولاية الفقيه ــ السفير ــ ٩٨/١/٨

الواحدة، أو مجموعة الدول الإسلامية بلا فرق... طالما أنها تطبق منهج الشورى, بحيث يتم الاختيار على أفضل وجه, يضمن وصول أقدر الناس وأفضلهم إلى ولاية "الأمر", فالاستبداد والشورى على طرفي نقيض، يتمثل ذلك بشكل صريح بنموذجي النظام السياسي: الملكي, أو الاختياري المبني على الشور".[128]

وضح ذلك من كلامه الموجه للمصريين :

"إنكم معاشر المصريين! قد نشأتم في الاستعباد، وربيتم في حجر الاستبداد, وتوالت عليكم قرون منذ زمن الملوك الرعاة حتى اليوم".[129]

إنه يرفض الملكية التي هي السوط المسلط على رقاب الرعية، مما أوهنهم, وسهّل انتصار الغزاة الذين دنسوا أرض مصر وغيرها من البلدان. إنه يدعو للقضاء على تلك الرموز الظالمة, ولأن يستفيقوا من سباقم, ليعودوا أحراراً, ولينعموا بما حظي به غيرهم من الحرية والسعادة :

"هبوا من غفلتكم, أفيقوا من سكرتكم، عيشوا كباقي الأمم أحراراً سعداء".[130]

و لم يتراوح الأفغاني كسابقيه, بين مرضاة أصحاب النفوذ وعلى رأسهم الولاة، وبين الحقيقة التي يراها، فقد أعلن صراحة أن الأمة هي صاحبة السلطة والسيادة على القوانين، ودور الرئيس يقتصر على التنفيذ لما أقره الشعب عبر المجالس النيابية التي تنتخب بالطرقة المتعارف عليها والمعمول بها في الديمقراطية.

---

[128] علي محمد لاغا ــ الشورى والديمقراطية ــ ٨٥

[129] عمارة محمد ــ العرب والتحدي ــ سلسلة عالم المعرفة ــ العدد ٢٩

[130] نفس المرجع ــ ٧٩

ورفض العلاقة مع أي حاكم إلا على أساس هـــذه المبـــادئ ، فإمـــا القبـــول بنظـــام الشورى المدعم بالمجالس النيابية والمبني علـــى اختيـــار الحـــاكم, وإلا الثـــورة ضـــد الوالي, ملكاً كان أم شاهاً أم ســـلطاناً.

وأخيراً, لا يخفى أن المقبولية الشعبية متـــأثرة لحـــدّ كبـــير مـــن عوامـــل القـــوة ومناطق النفوذ عند شرائح المجتمع, وهي بدورها متـــأثرة مـــن أســـاليب السياســـة, التي قد "ترتكز علـــى العصبيـــة, وتتوســـل القـــوة وتلجـــأ إلى الغلبـــة... (لكـــن) المشروعية تُستمد من الشرع الديـــني".[131]

على طرفي هذا التضاد (بين القدسية والإطلاق مـــن جهـــة, والدنيويـــة والنســـبية من جهة أخرى), قد يبدو طبيعياً أن نواجه "أعظم خـــلاف وقـــع في أمـــة العـــرب, ومن ثم في الملة الإسلامية. وهو الخلاف في الإمامـــة أي في الخلافـــة, "إذ, مـــا ســـلّ سيف في الإسلام على قاعدة دينية, مثل ما ســـلّ علـــى الإمامـــة في كـــل زمـــان", كما لاحظ ذلك مؤلف "الملل والنحـــل".[132]

تـأويل :

المشروعية التي تنطلق من القدسية, تبـــني علـــى الأصـــول الثابتـــة الـــتي ترســـم الخطوط العريضة لتطبيق الإرادة الإلهية الأزلية, والـــتي يمكـــن تســـميتها "***بثوابـــت***" النظام العام في المجتمع الإنســـاني.

لكن المقبولية النابعة من نزعات الناس الدنيويـــة, تهـــدف إلى توجيـــه الطـــوارئ والمتغيرات, والضرورات المرحلية, أي التكتيكـــات الـــتي تتكيـــف مـــع مســـتجدات

---

[131] علي حرب ــ نقد الحقيقة ــ ٣٣

[132] المصدر السابق.

الزمكــان (الزمــان/المكــان). هــذا مــا يــؤول بنــا إلى دراســــة ثنائيـــة : ***الثوابت/المتغــيرات***.

١٢ ــ الثوابت/المتغيرات

الثوابــت:

العلاقة بين الثوابت والمتغيرات, أو بين الإســـتراتيجي والتكتيــك, تشــبه الربــط بين المعلومات الأولية والمعلومات الثانوية في دائـــرة العقـــل :

"المذهب العقلي يوضح أن الحجر الأساســـي للعلــم, هــو المعلومــات العقليــة الأولية, وعلى ذلك الأساس تقوم البنيات الفوقية للفكـــر الإنســاني, الــتي تســمى بالمعلومات الثانويـــة"[١٣٣].

والثوابت في الحضارة الإسلامية تتجلّى في النـــص (قرآنـــا أو ســـنةً). لأن هـــذه الحضارة تتفرد عن أخواتها أو رقبائها , بأنها "***حضـــارة النـــص***" .

والنص ــ قرآناً أو سنة ــ (بما هو نص) يبقى ثابتاً, ويعـــبّر عـــن الثوابـــت الـــتي تتجاوز المتغيرات التاريخية والجغرافية, وترسم الخطـــوط العامـــة, إمـــا لتبيـــين نظـــام الوجود (الحقائق), أو لتشريع الأصـــول الـــتي تجلـــب الســـعادة والخـــير للإنســـان (الاعتبارات التي تشمل القيم الأخلاقية والتكـــاليف الدينيـــة والاجتماعيـــة) .

والثابت أو الإستراتيجي, هو الذي يحـــدد الموقـــف الأساســـي أو الحكـــم الأولي حسب المصطلح الفقهي, والذي يجب أن يطبّـــق مبدئيـــاً وبشـــكل عـــام. ولكـــن :

---

[١٣٣] الشهيد محمد باقر الصدر ــ فلسفتنا ــ ٦٤

"*ما من عامّ إلا وقد خصّ*". ولا يمكن إعمال وصفة واحـــدة موحـــدّة علـــى كـــل الحـــالات.

إن التعارض بين المصـــاديق والمجـــالات, يـــؤدي إلى التعـــارض بـــين الأصـــول، فتتساقط الأدلة إذا كانت متكافئة. وإن لم تكن هكـــذا, فـــالدليل الأقـــوى يســـقط غيره. ولكن ما هو الدليل الأقوى؟ كثيراً ما لا يتفق عليـــه, وتشـــتد حـــدّة الصـــراع عند الأصوليين, بين ما هو الأولي وما هـــو الثـــانوي.

ثم إن شأن الإستراتيجي كما ذكر آنفاً, أن يرسم الخطـــوط العامـــة الـــتي هـــي بمثابة دستور ثابت للفقه أو الأخلاق أو الحقوق وســـائر العلـــوم الاعتباريـــة. فـــهو يفرض نفسه على المتغيرات, وبالتالي يفرض نفسه على المرجـــع الـــذي يريـــد اتخـــاذ موقف من المتغيرات, ويقلّل من خيار المفتي الـــذي عليـــه إبـــداء رأيـــه بنـــاءً علـــى اجتهاده, بمعنى أن ولايته موطّرة خاضعة لأصـــول مســـبقة.

المتغـيرات :

لكن, ثمة رأي آخر يناشد بـــ "***الولايـــة المطلقـــة***" للفقيـــه. والولايـــة المطلقـــة تتنافى وهذا التأطير, وتســـتلزم هـــامش منـــاورة واســـعة, لا تحددهـــا الفروضـــات المسبقة.

ثم إن ثنائية الثوابت/المتغـيرات تظـــهر نفســـها في معادلـــة : ***الغايـــة/الوســـيلة***. والبحث عن الغاية والوسيلة, يدفع الإنســـان إلى التفكـــير في مكانتـــه كإنســـان في عصر التفجر المعرفي وثورة المعلوماتية, هل بقي هو مصـــدر القـــرار, يقـــرر مصـــيره كما يريد؟ أم أصبح أداة يجره العلم والتكنولوجيا نحـــو مســـتقبل مجـــهول؟! :

"إليكم مثلاً ما يقوله أحد العلماء الحديثين : ليس الإنسان شيئاً سوى آلية بيوكيمياوية، مشحونة بجهاز احتراق يمنح الطاقة للكمبيوترات"[١٣٤] .

تأويل :

النظرة الدقيقة إلى الثوابت, تفيد أنها تفرض نفسها على الواقع, بغض النظر عن المصالح المرحلية والمتغيرة. أصحاب الإستراتيجي, لا يفضلون تغيير نهجهم الثابت بحجة التكيف مع المتطلبات. بعبارة أخرى, يرفضون "الزكزكة" في نهج الحياة. لأن هذا التكيف أو الزكزكة, قد تؤدي إلى نفاق يستبيح كل "المحاذير", بحجة أن "***الضرورات تبيح المحذورات***" , وأن "***الغاية تبرّر الوسيلة***", و"*المصلحة يجب أن تفضّل, ولو تعارضت مع الحق*".

فقد آن الأوان لدراسة ثنائية : ***الحق/المصلحة***.

١٣ ــ *الحق/المصلحة*

الحق :

هنا, لا نقصد بالحق معناه العام, وسندرسه لاحقاً بذلك المعنى. المقصود هنا الحق الذي يقابل المصلحة. في الحديث: "*قل الحق ولو كان عليك*", أي خلافاً لمصلحتك, و"*قل الحق ولو كان مرّاً*", أي فضّل الحق, ولو لم ينسجم مع أمانيك.

---

[١٣٤] نظير جاهل ــ أوهام الديموقراطية ــ ٣٠

طالما شغل بال الناس, ومنهم الحكمـــاء, مســـألة الحـــق والمنفعـــة, والعلاقـــة الجدلية القائمة بينهما, وكيفية الوصول إلى ضابطة واضحـــــة تحـــدد الحـــق , وتبـــين خصائصه وتميزه تمييزاً تاماً عن الباطل والشبهات. وقد شغل بـــالهم أيضـــا موضـــوع الوصول إلى الحق, وتحديد الطرق المفضية إليه. وهـــــذا أمـــر بديـــهي لأن الوصـــول إلى الحق يعني للناس الكثير، ويعني للحكماء كـــل شـــيء، وبالتـــالي فـــهو الأسمـــى عندهم على الإطـــلاق.

ثم إن الحق, كثيراً ما تحوطـــه الشـــبهات والأهـــواء, وتتدخـــل في تصويـــره المصالح والمفاسد الخاصة والعامة, فيختلط الأمـــــر علـــى طـــالب الحـــق, ولا يعـــود بإمكانه التمييز بينه وبين الباطل. وهـــذا مـــا يدعونـــا إلى إعمـــال النظـــر في هـــذه المسألة الهامة, ودراستها بجد وعمق, لمعرفـــــة الصحيـــح مـــن السـقيم مـــن هـــذه الأفكار المتضاربـــة.

والحكماء والمصلحون يدعون إلى طلب الأهـــــداف الســـامية, بوســـائل شـــريفة خالية عن الشر والظلم والجريمة، وذلك لأن الوسيلة السيئة تـــترك أثارهـــا القبيحـــة على الهدف, فتلوثه بقذارتها، وتجعلـــه مبغوضـــاً حـــتى لأكـــثر النـــاس حماســـاً لـــه واحتياجاً إليـــه.

وفي القرآن : ((يا أيها الذيـــــن آمنـــوا كونـــوا قوامـــين لله شـــهداء بالقســـط, ويجرمنّكم شنآن قوم على ألاّ تعدلوا اعدلوا هو أقـــــرب للتقـــوى)).[١٣٥]

فالجميع مطالبون من منطلـــق إنســـانيتهم وإيمـــانهم بـــالله, أن يلـــتزموا جـــانب الأخلاق والقيم وعمل الخير، ويبتعدوا عن الظلم والشـــر وعمـــل الســـيئات.

---

[١٣٥] المائدة /٨

وقال رسول الله (ص) : "الإيمان قيد الفتك".[١٣٦] وذلك يعني أن المؤمن لا يغدر، وأن الغدر يذهب بالإيمان، والمؤمن يمثل في نظر الإسلام : الشخص العاقل والإنسان السوي, الذي تقاس الأمور الملائمة للبشرية عليه.

المصلحة :

لكن بعض الفلاسفة وبعض أرباب السياسة, ذهبوا إلى الاعتقاد بأن الحق ليس سوى المنفعة، وما ليس بنافع فهو باطل. ثم عدّوا ذلك مذهباً فلسفياً يدرّس في الجامعات, ويعتمد منهجاً عملياً في مجال السياسة والإدارة.

لا شك أن تفضيل الحق على المصلحة, ليس سيد الموقف فيما يجري بين الناس وتعامل بعضهم بعضاً. كثيرٌ هم الذين يناشدون بالحرية نظرياً, ويمارسون أبشع أنواع الضغط, والذين يدافعون عن الديموقراطية نظرياً, ويتوغلون في الاستبداد. أكثر الناس من يفضّل المصلحة على الحق على الصعيد العملي.

ولكن مما قد يبعث على الدهشة, أن نجد أخلاقيين أو فقهاء وأصوليين كبار, يتبنون هذا التفضيل على الصعيد النظري والأيديولوجي.

منهم "نجم الدين الطوفي الحنبلي" (أحد علماء القرن الثامن الهجري), الذي "ذهب إلى أن الحديث النبوي الصحيح "***لا ضرر ولا ضرار***", أولى بالتغليب ــ عند التعارض ــ من أي نص آخر, إذا اقتضت مصالح الأمة ...

والطوفي بهذا الموقف يتابع طريق عدد من الفقهاء, الذين يعتقدون بأن المقاصد الكبرى للشريعة إنما تقوم على "***جلب المصالح ودرء المفاسد***"، ونذكر من هؤلاء "العزّ بن عبد السلام", الذي خصص كتابه "قواعد الأحكام" لبيان

---

[١٣٦] العلامة المجلسي ــ بحار الأنوار ــ ٤٤/ ٣٤٤

قيام الشريعة على جلب المصالح ودرء المفاسد. وفيه يقول : "والشريعة كلها مصالح. أما تدرأ مفاسد، أو تجلب مصالح"[١٣٧].

كما جاء بعدهما "الشاطبي", صاحب كتاب "الموافقات". ولقد أبرز هؤلاء الفقهاء الثلاثة بشكل جلي مبدأ : "جلب المصالح ودرأ المفاسد" كمقصد عام للشريعة, ترتبط به كل أحكامها".

يأسف الدكتور "خلف الجراد", ويتابع قوله : "ولكن لم يكن لجهودهم أي أثر في التطبيق العملي... حيث تم إغلاق "باب الاجتهاد" بإحكام، و لم يبق متداولاً من "أصول الفقه", إلا القسم المتعلق بالدلالات الحرفية للكلمات، مع طغيان المجادلات اللفظية الشكلانية عليه"[١٣٨].

"والمصلحة مترادفة مع المنفعة. والمنفعة لغةً : تحصيل الخير الذي يكسبه الإنسان لنفسه[١٣٩]، ويقابلها الضرر والنقص الذي قد يلحقه. قال تعالى : ((قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً)).[١٤٠]"

وعليه, فالنافع هو الخير الذي يحقق لنا مصلحة من المصالح المادية أو المعنوية، وقد تطلق بالاصطلاح الحقوقي على الفائدة التي تحصّل من جراء استعمال آلة أو أجير, فيقال : يمتلك المستأجر المنفعة, دون العين. وبكلمة شاملة يمكن تعريفها بأنها : "الخير الواصل لجهة محددة".

---

[١٣٧] العز بن عبد السلام ـــ قواعد الأحكام ـــ ١ ـــ ٩

[١٣٨] د. خلف الجراد (باحث سوري) ـــ أي حدود تفصل بين روح التشريع ومدلول النص ـــ السفير

[١٣٩] أقرب الموارد ـــ ٢ / ١٣٣١.

[١٤٠] الأعراف/ ١٨٨.

واضح حينئذ من هذا التعريف, أن المنفعة تختلف باختلاف الجهات، فرب نافع لجهة, ضار لجهة أخرى. وربما يكون أمر واحد نافعاً لشخص ضاراً لآخرِ، ولهذا قالوا قديماً: "*رب ضارة نافعة*"[141].

"والتشريع الإسلامي السياسي لم يغفل "***مبدأ المنفعة***", سواء على مستوى الأفراد، أم المجتمع والدولة. فأساسه ــ كما هو معلوم ــ جلب المصالح، ودرء الأضرار والمفاسد المادية والمعنوية، ثم إقراره المصلحة العامة ومقتضياتها في جميع شئون الحياة، فروضاً كفائية، وحقاً جوهرياً للمجتمع، وشخصيته المعنوية التي تنبثق منها إرادته العامة الحرة, وتنطلق من تصور موحد صاغته القيم العليا""[142].

ولكن, ما علاقة مبدأ "***جلب المصالح ودرء المفاسد***" بالمبدأ القائل بأن "***الغاية تبرّر الوسيلة***"؟ وهل أن الإسلام يؤيده ؟

امتاز الفيلسوف والسياسي الإيطالي المعروف نيقولا ميكافللي (١٤٦٩ ــ ١٥٢٧), وهو من بورجوازية فلورنسا, بنظرته الإيجابية لهذا التبرير. إذ له رأي خاص حول كيفية إدارة الدولة وبسط السلطة، وكتب في ذلك كتابه الشهير "الأمير", الذي بيّن فيه أهم نظرياته السياسية ناصحاً الحاكم الذي سماه الأمير بما يجب فعله للنجاح بمهمته.

ومما جاء فيه :

"على الأمير أن يعمل, بحيث تغلب على محبته في نفوس رعيته، إنما على الأمير أن يهتم بسمعته، وأفضل حصونه هي محبة شعبه".[143]

---

[141] الشيخ إبراهيم البدوي ــ مقالة : الحق والمنفعة

[142] د. فتحي الدّريني ــ خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم ــ ١٦٣

[143] جان توشار ــ تاريخ الفكر السياسي، عن كتاب الأمير، ميكافيللي ــ ٢٠٢

هكذا يعترف ميكافيللي بقوة الرأي العام وتأثيره على الحاكم، لكنه يدعو الأمير في انتقادات العقلاء إلى اعتماد النفاق، حيث عليه أن يظهر الرياء والمحبة, ويستبطن العنف والقوة. ثم يقول :

"وإذا نجح الأمير في حفظ حياته ودولته, فكل الوسائل التي يعتمدها يُحكم عليها بأنها شريفة. وتطبق نفس القاعدة على علاقته مع الأجنبي؛ فالوعد والمعاهدة لا قيمة لهما إلاّ بمقدار بقائهما متوافقين مع مصالح الأمير".[١٤٤]

ولقد رأى ميكافيللي أن الغرض من السياسة, هو المحافظة على قوة الدولة بكل الوسائل المتاحة. ومقياس النجاح عنده, هو مدى القوة التي وصلت إليها الدولة, لا مدى نجاحها في حمل شعوبها على الرقي والحضارة والرفاهية. ولهذا كتب عن الوسائل التي تحقق قوة الدولة, وتمكنها من توسيع نفوذها في الخارج، وعن الأخطاء التي تؤدي إلى انهيارها واضمحلالها. فحبذ استعمال الحاكم لكل الوسائل, حتى تلك المنافية للأخلاق لتحقيق أغراضه في الحكم, معتبراً أن الوسائل غير ذات أهمية قياساً على ما تحققه من الغرض المطلوب منها.

وكثيراً ما نراه يمتدح الحكام الذين لا يتقيدون بالقيم الأخلاقية في سبيل توطيد مراكزهم وتحقيق قوة دولتهم، وهذا هو سبب ما لحق به من سمعة سيئة.

وقد علّل بعضهم شحطات ميكافيللي هذه بالقول: "إن الواقعية الميكافيللية هي التي أدت إلى إلصاق التهم بصاحبها، فأصبحت مرادفة للخبث والغدر والدهاء والفساد في السلوك والأخلاق".[١٤٥]

---

[١٤٤] المرجع السابق ، ومعجم الفلاسفة الميسر ـــ ١٠٦.

[١٤٥] عصام البستاني ـــ مدخل إلى علم السياسة ـــ ٤٨ .

والغريب أن ميكافيللي يتمادى في حث الحاكم على تقوية سلطانه بكل الوسائل, إلى درجة الاعتماد على الجريمة إن لزم الأمر".[146]

وهكذا نرى أن هناك من يدعو إلى بلوغ الأهداف بأنواعها كيفما كان, وإلى استخدام كل الوسائل مهما كانت. فإنها تأخذ شرافتها وفضلها من نجاحها, لا من مدى ما تلقاه في عقول الناس العقلاء ونفوسهم من قبول واحترام وقيمة، ومن هنا صارت السياسة مرادفة للكذب والغش والخداع والغدر وسفك الدماء.

وقد عمل الكثيرون من الساسة، كي لا نقول كلهم، على هدى نظرية ميكافيللي هذه، فعُدم بينهم كل ما يمت إلى الوفاء والاحترام والأخلاق والقيم بصلة، وصارت هذه المفاهيم في نظر السياسيين الكبار كلمات جوفاء, يُخدع بها البسطاء، ويمكن استخدامها لإقناعهم بتأييد الحاكم, دون أن يلزم نفسه بشيء منها.

والأخطر من هذا, أن ميكافيللي اعتبر أن الدين وسيلة من الوسائل, التي تساعدنا في السيطرة على أذهان الناس. وعليه فهو في نظره وسيلة من وسائل الخداع السياسي التي لا يجوز, بل ينبغي للحاكم استخدامها لتقوية سلطانه.

مع ميكافيللي، وجد الفكر السياسي نفسه موغلاً في الزمنية. فهو يحتقر الكهنة. بل يذهب إلى أبعد من ذلك، وهو أنه لم يكتف بعلمنة الدولة, بل أراد أن يلحق الدين بها تماماً, إذ كان يفهمه فقط على أنه آلة للحكم, ومجرد عنصر

[146] جان توشار ـــ تاريخ الفكر السياسي ـــ ٢٠٢

تماسك اجتماعي, وكأنه يردد قــول القــائل :"لا تحــاربوا مطلقــاً الديــن، ولا أي شيء يتعلق بالله, لأن مثل هذه الأشياء لها تأثير قوي علــى عقــول الحمقــى".[١٤٧]

يقول ميكافيللي في كتابه الأمير : "يجب أن يكون الأمــير في آن ثعلبــاً وأســداً، ثعلباً كي يستولي على السلطة بالخداع, عندما لا يملك القوة، وأســداً كــي يحتفــظ بها القوة بعد الاستيلاء عليــها".[١٤٨]

في مقارنة سريعة بين المسلكين, يمكن لنا نصل إلى النتــائج التاليــة :

١ــ تعود الميكافيللية في جذورهــا إلى أســس براجماتيــة, علــى الرغــم مــن تقدمها عليها زماناً. وذلك لأن ميكافيللي يــرى، كمــا تقــدم، أن الوســيلة الــتي تحقق القوة للدولة هي الوسيلة الشريفة, مما يعــني ضمنــاً عــدم الاعــتراف بــالواقع الثابت الذي هو الحق كمــا أســلفنا، ويعتــبر أن المفيــد في تحقيــق الهــدف هــو الشريف, كما أن البراجماتية ترى أن النافع هــو الحــق. فكلاهمــا ينكــران وجــود الواقع الثابت، ولكن كل من زاوية خاصــة.

٢ــ الميكافيللية تؤدي إلى انعــدام الأخــلاق والقيــم في المجتمــع البشــري, لأن الحاكم الذي يسمح لنفسه باســتخدام الوســائل اللاأخلاقيــة في تقويــة ســلطانه وتثبيت دعائم ملكه سيولد عند الآخرين الدافع القوي لمبادلتــه بــالمثل, ليجاريــه في ذات الميدان. وهذا يعني تشجيع الاعتماد على الوسائل الخسيســة مــن قبــل النــاس عموماً. ومع الزمن, يتحول الخلق الإنساني إلى مجرد مفــاهيم جوفــاء, لا قيمــة لهــا بين النــلس.

---

[١٤٧] المصدر السابق ــ ٢٠٤ ، بتصرف

[١٤٨] فرانسوا اوبرال وجورج سعد ــ معجم الفلاسفة الميسر ــ ١٠٦

إذن, الغاية لا تـــبرر الوســـيلة, و "الغايـــة الشـــريفة تتطلـــب وســـيلة شـــريفة. والوسيلة الدنيئة تلوث الهدف الطـــــاهر"[١٤٩].

تـأويل :

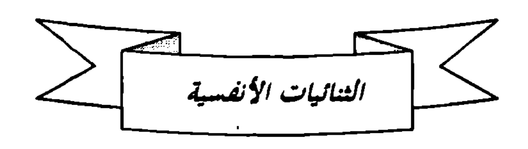
الحق بما هو حقّ "***مطلق***"؛ لأنه لا يتلخص في زمـــــان دون زمـــان, ومكـــان دون مكان. ولا يتقوقع في الطوارئ والمرحليّات. لكن المصلحة تقولـــــب بقوالــــب فرديـــة أو معينة. فمصالح الفرد كثيراً ما تتضارب مـــع مصلحـــة الجمـــع, ومصلحـــة هـــذا المجتمع مع مجتمع آخر, ومصلحة المجتمع الإنساني كلـــــه بـــين هـــذا الجيـــل وجيـــل آخر. والذي يؤخذ بعين الاعتبار في المصلحـــــة هـــو الظـــرف الـــذي تتبلـــور فيـــه المصلحة. فهي "***متناهية***" أو مقولبة بهذا المعـــــى.

لكننا نؤجّل الحديث عن ثنائية : ***المطلق/النسبي*** إلى بدايـــة الفصـــل الرابـــع مـــن الكتاب, ونتريث لدراسة سائر الثنائيات الأنفسية والآفاقيـــة والقرآنيـــة. لأننـــا نريـــد أن نجمع دوائر كل هذه الثنائيـــات, ونعزوهـــا إلى الثنائيـــات العامـــة الـــتي نبدأهـــا بالمطلق/المتناهي. وفي قائمة الثنائيات المعرفية, نبدأ بثنائية : ***العلـــم/العمـــل***, لمـــا لهـــا علاقة ***بالحق/المصلحة***, ***وصلة الغاية بالوســـــيلة***.

---

[١٤٩] إبراهيم البدوي ــ الحق والمصلحة

الفصل الأول:



ب : الثنائيات المعرفية

١٤ ــ العلم/العمل
١٥ ــ العلم/الأخلاق
١٦ ــ العلم/الدين
١٧ ــ الواقع/المثال
١٨ ــ الفكر/اللغة
١٩ ــ العين/الذهن
٢٠ ــ اليقين/الشك
٢١ــ العقل/الحس
٢٢ ــ العقل/الشرع
٢٣ ــ العقل/الخيال
٢٤ ــ العقل/القلب
٢٥ــ الحصولي/الحضوري

ب : الثنائيات المعرفية

تمهيد :

إن همزة الوصل بين ما انتهينا إليه في قائمة الثنائيات الثقافية (الحق/المصلحة) وما نبدأ به في قائمة الثنائيات المعرفية, هي أن الإنسان يكتسب "العلم" للوصول إلى "الحق" والتفريق بينه وبين الباطل، ولكن يباشر "بالعمل" لما فيه "مصلحة" له, فالعلم يميل إلى الحق, والعمل يستهدف المصلحة. هذا ما يبرر تقديم البحث عن الثنائيات الواقعة بين ساحة المعرفة وساحة الممارسة, أو بين الذات والخارج, ومن ثم الغور في الثنائيات الواقعة في الداخل المعرفي.

١٤ ـــ العلم/العمل

العلم :

ينقسم الناس عموماً, والمثقفون خصوصاً وبوجه أبرز, بين الدعاة إلى العلم كقيمة ذاتية, وجعل العمل (في جميع مجالاته) بخدمة تحقيق المزيد من العلم، وبين المناشدين بالعمل أو العملانيين, الذين يمشون بعكس السير, بجعلهم اكتساب العلم في خدمة ما يسميه بعضهم بالعمل الصالح, وآخرون بالنشاط الاجتماعي والتحرك الاقتصادي, أو العمل الثقافي.

بين الذين يؤصلون العلم, هناك طبقة مثقفّة تتوق إلى معرفة أسرار الكون, يهمها كل صغيرة وكبيرة في عالم الذرات والمجرات. فمن باحث يقضي ٤ سنوات, يلتقط مئات الصور من مناقير الإوزات؛ فإذا به يكتشف أن الخطوط

والأشكال الهندسية المنطبقة على هـــذه المناقـير, تختلـف بـين إوزة وأخـرى, ولا توجد إوزتان متماثلتان في هذه الخطوط, بالضبط مثـل أشـكال البنـان في سـبابة كل إنسـان.[150]

ومن باحث يخصص ٥ سنين من عمره ليلاً نهـاراً في مختـبر جـامعي, ليـدرس الآثار التي تخلفها مختلف الأشعة على أذناب الفـئران. وكـم يكـثر عـدد هـؤلاء الباحثين في الجامعات ومراكز الدراسات هنـا وهنـاك, ممـن يقضـون أعمـاراً في الكشف عن مجهول, ولو كان بمستوى نملة أو أصغر منـها بكثـير.

وكان "باشلار" من هذه الفئة، إذ قـال في أطروحتـه أن "الإنسـان يجـب أن يعيش ليفكر وينتج الحقيقة، بدلاً من أن يفكر ليعيش, علـى نحـو مـا أراد هيغـل. في هذه الطريقة, ينتقل الذهن إلى النظر في الحقيقة, كغايـة في حـد ذاهـا, بمعـزل عن المنفعة المتولدة منها وبالأخص في المجال التقني. ويصبـح إنتـاج المعرفـة العلميـة فرضاً أخلاقياً أساسه احترام الحقيقـة".[151]

وكان "صدر المتألهين الشيرازي" من هـذه الفئـة, إذ أكـدّ "أن رأس السـعادات ورئيس الحسنات هو اكتساب الحكمة الحقة، أعني : العلـم بـالله وصفاتـه وأفعالـه وملكه وملكوته والعلم باليوم الآخـر... وهـي الإيمـان الحقيقـي والخـير الكثـير والفضل العظيم المشار إليه في قوله تعالى : ((ومن يـؤتي الحكمـة فقـد أوتي خـيراً كثيراً))[152]... والعروة الوثقى في التقريـب إلى الله, والفـوز بالسـعادة الأخرويـة, هي اقتناء العلم والمعرفة, دون مجرد العمـل والطاعـة. وإن كـان العمـل الصـالح وسيلة إليه فإنها هي الثمرة والغايـة. والعمـل كـالزرع, وهـي النتيجـة والعمـل

---

[150] وقد أشار إليه القرآن بقبوله : ((بلى قادرين على أن نسوي بنانه)) ــ القيامة ٤

[151] د. وفاء شعبان ــ قراءة في كتاب ديديه جيل بعنوان "باشلار والثقافة العلمية " ــ السفير ٩٦/٥/١٠

[152] البقرة ٢ / ٢٦٩

كالمقدمة, وهي المخدومة والسلطان والعمل كالخادم والعبد الأجير. قال : ((إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)).[153] [154]

العمل :

هذا الاتجاه يشمل معظم الناس, الذين همّهم الأساس هو العمل اليومي, بدل الفكر وإنتاجه, من عامل أو رجل أعمال يشتغل بحرفة اقتصادية, يفرغ الوسع فيها ليلاً نهاراً، أو سياسي يقود حزباً, يبذل كل طاقاته في ترسيخه وتنشيط أعضائه وسريان مفعوله في خضمّ الصدامات والاشتباكات، ريثما ينجح في انتخابات بلدية أو نيابية أو رئاسية, فيجني ثمار ما بذله دون انقطاع، أو مجاهد مناضل يقضي حياته في الوديان والهضبات, ليطلق الرصاص على رؤوس أعدائه.

ومن يمثّل هذا الاتجاه في المدرسة الإسلامية هم "***الخوارج***", إذ جعلوا العمل بالأركان ركناً أساسياً يوازي الركنين الآخرين, أي الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان. النتيجة أن من يخّل بالعمل يسلب منه الإيمان، كما أن من يقوم بعمل مناقض لشؤون الإيمان أي الفاسق كافر, وإن كان معتقداً بالقلب. ويناقضهم "***المرجئة***", الذين يلخّصون حقيقة الإيمان في الفكر والمعتقد, دون الاعتناء بالعمل.

"يقول "أبو عبيد القاسم بن سلام" (٢٢٤ ه / ٨٣٨ م) في مفتتح رسالته "الإيمان"[155] : إن أهل العلم افترقوا في مفهوم الإيمان فريقين : فريقاً يرى أن

---

[153] فاطر ٣٥ / ١٠

[154] صدر الدين محمد الشيرازي (صدر المتألهين) ـــ أسرار الآيات ـــ ٢

[155] أبو عبيد القاسم بن سلام ـــ الإيمان ـــ ٩ ـــ ١٠

الإيمان بالقلوب والألسنة، "فأما الأعمال فإنما هي تقوى وبرّ، وليست من الإيمان". ثم يقول : "وإنّا نظرنا في اختلاف الطائفتين, فوجدنا الكتاب والسنة يصدقان الطائفة التي جعلت الإيمان بالنية والقول والعمل جميعاً، وينفيان ما قالت الأخرى...

إن ظاهر كلام "أبي عبيد" منصب على مناقضة مفهوم المرجئة (ومنهم حنيفة) للإيمان. فهم يرون أنه التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، ولا مدخل لاعتبار العمل ركناً من أركانه ينتفي بانتفائه, وإلاّ كان ذلك مضنياً في اتجاه الخوارج والمعتزلة...

كانت اتجاهات المرجئة رداً على تشدد الخوارج وتردد القدرية فالمعتزلة. فقد انطلقت فرق الخوارج من مفهوم الإيمان (الاعتقاد القلبي) لتنشئ حزباً للمؤمنين ينفي كل ما عداه. فخفف القدرية والمعتزلة من تشدد الخوارج, دون أن يشككوا في منطلقهم, عندما ذهبوا إلى أن اختلال علاقة الاعتقاد القلبي بالنتائج العملية تخرج من الإيمان, ولا تدخل في الكفر. إن ذلك يحدث توتراً أخلاقياً لدى مرتكب الكبيرة يضطره للاختيار بين العودة للإيمان (بالتوبة والعمل الصالح), أو مفارقة صف المؤمنين (والمسلمين) بالإصرار على كبيرته أو سلوكه المخالف لسلوك المؤمنين (والمسلمين).[١٥٦]

هذا فيما يخص المذاهب الإسلامية. أما في المدرسة الغربية, "فوليام جيمس" وأتباعه "البرغماتيين" هم الذين يمثلون الاتجاه العملاني :

تقوم المدرسة البرجماتية، ورائدها الفيلسوف الأمريكي وليام جيمس، على النظرية القائلة : ***الحق هو ما ينفع***. وعلى حسب تعبير "جون ديوي" :

---

[١٥٦] رضوان السيد ــ الجماعة والمجتمع والدولة ــ ٢٣٨

الصادق هو ما يفيد[157]. وعليه, فإن هذه المدرسة تتخذ من المنفعة مصدراً وحيداً لتمييز الحق من الباطل، وبالتالي لتمييز الأفكار الصادقة عن الكاذبة. فالمقياس الذي يفصل بين الحق والباطل عند أرباب هذه المدرسة, هو مقدرة الفكرة المعينة على إنجاز أغراض الإنسان في حياته العملية، فإن تضاربت الآراء وتعددت, كان أحقها وأصدقها هو أنفعها وأجداها, أي ما تنهض التجربة العملية كدليل على فائدته. والأفكار التي لا تحقق قيمة عملية, ولا يوجد لها آثار نافعة فيما تصادف من تجارب الحياة, فليست من الحقيقة في شيء, بل يجب اعتبارها ألفاظاً جوفاء, لا تحمل معنى.

والمنفعة التي يشير إليها فلاسفة البراجماتية, هي ما يحقق الحقيقة العليا في الوجود، تلك الحقيقة المكونة من أمرين:

١ ـــ الاحتفاظ بالبقاء.

٢ ـــ الارتقاء بالحياة نحو الكمال.[158]

وانطلاقاً من هذه الأسس, فإن هذه المدرسة لا تفرق بين الوهم والواقع, ولا بين الحق والباطل, ولا بين الصدق والكذب, إلا بمقدار ما يحققه كل منها من الفائدة والمنفعة لصاحبه في هذين المجالين. لهذا يقول الفيلسوف الإسباني "جورج سانتيانا" (١٨٦٣ ـــ ١٩٥٢) عن المذهب الكاثوليكي الذي يعتنقه :

"إنني أصدق المذهب الكاثوليكي ولو أنني أعلم انه كاذب".[159]

---

[157] أحمد البهادلي ـــ محاضرات في العقيدة الإسلامية ـــ ٤٢

[158] صدر الدين محمد الشيرازي (صدر المتألهين) ـــ أسرار الآيات ـــ ٢

[159] أحمد البهادلي ـــ محاضرات في العقيدة الإسلامية ـــ ٤٣.

تـأويل :

المدرسة العملانية تربط تكوين الشخصية الإنسانية بمـــدى خوضــه في ســاحات العمل. ومعركة العمل الاجتماعي تضم المساحة الكبرى مـــن هـــذه الميـادين. قـد تكون هناك أعمال فردية بحتة, أو عبادات ومناســك, تقـام مـن قبـل الفـرد في علاقته بربّه. لكن العمل الجماعي هو الأســاس في المدرســة العمليــة بحكـم مدنيـة الإنسان بحسب طبعه. ومباشرة العمل في المجتمـــع, لا يخلـو مـن القيـم, ومعايـير التقييم التي قد تختلف بين مجتمع وآخــر.

هنا نجد أن الإشكالية التي واجهناها في التردد بين كون العلــم غايــة العمــل, أو العمل الصحيح غاية العلم, تبرز بشكل آخر, في أن العلم : هــل هــو الــذي يجــب أن يخدم الأخلاق والفضائل ؟ أم أن العلم بحـــدّ ذاتــه هــو الفضيلــة الكـبرى دون منازع, حيث يجب إخضاع كل الفضائل الأخرى لـــه. هكـــذا نصـل إلى ثنائيــة : ***العلم/الأخـلاق.***

١٥ ـــ العلم/الأخلاق

العلم :

من يبني موقفه من هذه الثنائية على مدار العلـــم وأصالتـــه, يــرى أن الأخــلاق ونظام القيم ومعايير الخير والشر كلها تتبع العلــم. والعلــوم والمعــارف, هــي الــتي تنطلق منها القيم الأخلاقية في المجتمـــع.

"أوغست كنط" سار علــى هــذا الــدرب, عندمــا شــرع في تأسيس علــم الاجتماع، "حسب مبادئ العلوم الطبيعية، ورســم تطــوراً للبشــرية, يمــرّ بثــلاث

حالات يلائم كـل منـها نوعـاً مـن التفكـير. الأولى : اللاهوتيـة، والثانيـة : الميتافيزيقية، وآخرها : الوضعية، حيث يبني الإنسان تصوراته انطلاقـاً مـن العلـم.

ولم يبتعد "ماركس" عن المنطق نفسه, عندما استعان بـالجدل الهيغلـي, لينشـئ قواعد للتاريخ، يصبح بموجبها علماً, يسمح بالتأثير على حـاضر الإنسـانية والتنبـؤ بمستقبلها. ويمكن القـول أن هـذه المواقـف أعطـت الكلمـة الأخـيرة للعلـم، وتفاءلت بإنجازاته التي ستؤثر حتماً وبـلا وسـاطة في سـلوك الإنسـان. ويكفـي برأيها أن تولد نظريـة علميـة, أو ينشـأ حقـل معـرفي جديـد حـتى تـترقى الأخـلاق"[١٦٠].

الأخـلاق :

ولكن، هل لاقت هذه النظرية قبولاً في خضم الأحـداث والتجـارب؟ الإجابـة سلبية قطعـاً:

"إن مآسي القرن العشرين برهنت عكس ما كان متوقعـاً تمامـاً, وبينـت عـدم حتمية الأخلاق للعلم, ودفعت إلى إعادة التفكـير بـالعلم وبنتائجـه علـى الثقافـة الإنسانية"[١٦١]. ثم بـالرجوع إلى ثنائيـة ***العلـم/الأخـلاق***, نجـد "أن مـن أكـثر الثنائيات حضوراً متأكداً، تلك التي تقوم بـين العلـم والأخـلاق, في اتجـاه يرسـم ملامح حقلي "***أخلاقية العلم***" و "***علـم الأخـلاق***"...

حول مفهوم الأخلاق، هناك آراء تتبـاين تبـاين الأيديولوجيـات الـتي ترسـم تضاريس الحياة. لكن, هناك مفاصل أساسية في تحديد هـذا المفـهوم, تنطلـق مـن

---

[١٦٠] د. وفاء شعبان ـــ قراءة في كتاب ديديه جيل بعنوان "باشلار والثقافة العلمية" السفير ـــ ٩٦/٥/١٠

[١٦١] المصدر السابق

منهجين، نهج يربط الأخلاق بالمطلق, وآخر يربطها بالنسبي... وإذا ما كانت الرؤية الدينية بمنهجها الذي يربط الأخلاق بالمطلق, هي الأكثر استقراراً ومحافظة, وبالتالي الأكثر قدرة على صياغة المشاهد التي تقف للحظات على خط الزمن، فإن الرؤية المادية بمنهجها الذي يربط الأخلاق بالنسبي هي الأشدّ اضطراباً". [162]

هكذا نرى أن دراسة الأخلاق وتفسير أسسها ومنطلقاتها, لم تقتصر على الشرائع السماوية التي تضع الأخلاق ومكارمها في صلب أهدافها، بل شملت العلمانية المحايدة إزاء الدين:

"العلمانية هي النظام الأخلاقي الذي يقوم على مبادئ الأخلاق الطبيعية, دون التقيد بالمعتقدات الدينية أو ما وراء الطبيعة... والعلمانية, لا تعارض الدين, ولا تدعي أن لا نور ولا هدى إلاّ بها, ولكنها تقول أن النور والهدى موجودان في العالم الطبيعي الذي يعمل مستقلاً عن أية عوامل أو قوى خارجية عنه". [163]

وتتجاوز العلمانية, لتشمل النزعة المادية الميكانيكية أيضا، وإن كان البون شاسعاً بين الأديان السماوية وبين هذا الاتجاه الذي "ينزع فيه الإنسان الأخلاقي بطبيعته إلى زيادة كمية سعادته إلى أقصى حدّ ممكن, وخفض كمية آلامه وبؤسه إلى أدنى حدّ ممكن. ونتيجة لتفاعل هذه "الذرات الأخلاقية الأنانية" , تتولد الحياة الأخلاقية في المجتمع, وتتم عملية تعريف معايير الفضيلة والحق فيه. وهذا تماماً ما حاول أن يفعله مفكر كلاسيكي مشهور مثل "جاري بانتام", في

---

[162] حسن العاشور (كاتب عراقي) ــ العلم وأزمة الأخلاق ــ السفير ٩٨/١/٢١

[163] دائرة المعارف الأميركية ــ طبعة عام ١٩٩٤ ــ نقلاً عن السفير ــ ٩٧/١٢/٣

فلسفة الأخلاق و التشريع التي وضعها... لكـن مجموعـة مـن الشـعراء والفنـانين الإنجليز الذين ينتمون إلى المدرسـة الرومانسـية, ثـاروا علـى النظـرة الميكانيكيـة المحضة إلى الكون, لأنها تجرّد الوجود من كل معنى وغايـة, وتجعـل الطبيعـة عميـاء في مجرى أحداثـها".[١٦٤]

إن التعارض بين العلم والأخلاق, اندلعت نيرانه في العـالم الـذي يقـف علـى مشارف عصر الاستنساخ. وللنعجة "*دوللي*" التي ظهرت عـبر الاستنسـاخ الجيـني في عملية, قام بها "د. ويلمـوث" الفضـل في إثـارة هـذه الأزمـة, الـتي حثـت "الرئيس الأمريكي بيل كلينتون إلى تشـكيل لجنـة خـبراء, ضمـت أخصـائيين في علم البيولوجيا, وفي النظام القيمي والأخلاقي المرتبـط في مجمـل علـوم الطـب أو ما يعرف بـ "البيوطيقا"، وبعد مـداولات عديـدة, خلصـت اللجنـة إلى صـوغ تقرير, تضمن رفض اللجنة لاستنسـاخ البشـر".[١٦٥]

لكن, لا رفضُ الإدارة الأمريكيـة والاتحـاد الأوروبي, ولا احتجـاج الفاتيكـان ومفتي الأزهر, وسائر المراجع الروحيـة أو السياسـية لاستنسـاخ البشـر, لم يمنـع ولن يمنع باحثين, يواصلون تجاربهم في تحقيق هذا الاستنسـاخ، أمّـا بدافـع عـرض عضلات أمام نظام التكوين, وبهدف تغيـير خلـق الله, أو بدافـع أفضليـة العلـم مطلقاً, والتوحدّ مع الله بممارسـة الخلـق والإبـداع، كمـا : " أعلـن البـاحث الأميركي "ريتشارد سيد" عزمه على إنشاء عيـادة متخصصـة لاستنسـاخ أطفـال, لمساعدة الأزواج العاجزين عن الإنجـاب".[١٦٦]

---

[١٦٤] صادق جلال العظم ــ نقد الفكر الديني ــ ١٣٥ ــ ١٣٦

[١٦٥] أحمد المغربي ــ هل هم من الآن في القرن المقبل ؟ ــ السفير ــ ٩٨/١/٣

[١٦٦] السفير ــ نقلاً عن أ ف ب ، أ ب ــ ٩٨/١/٨

إذا كان العلم لا يستطيع الوقوف بوجه السلطة والسيادة الاستكبارية, بل يتبعها غالباً عند التطبيق وفي ساحة العمل, لكن الأخلاق هي لغة القيم ولغة التسامي فهي لغة الحماس وتمتاز بحرارة الحماس. لهذا فإن حركة الاستشراق الغربي تحاول إضفاء صورة علمية باردة عن الإسلام, لأنها تخاف من حرارة الحماس المتلهبة في الإسلام الأصولي وفي الخمينية, وتسعى لتبريدها:

"إن غلنر لم يستطع رسم صورة باردة للخميني بما هو حامل لغة الشرع إلا بعد تشويه صورة كانط وإخفاء أثره على فكر ما بعد الحداثة, وذلك بتفيه التعددية التي يستنبطها ليوتار من صورة الأرخبيل اللغوي المتكامل باسم العقلانية المستنيرة التي تترسخ على قاعدة طغيان لغة العلم على لغة الأخلاق.

وعلى قاعدة هذا الطغيان يحاول غلنر ظاهراً توسيع الحقل الكانطي ليطال الإسلام، مقلصاً إياه فعلياً كونه ينطلق مما وصلت إليه حركة تراجع الحماس وانهيار فكرة التسامي لإسقاط النموذج الغربي على الإسلام : الشرع بلا وحي، الإسلام بلا لغة القرآن الأصولية كمعبر للحداثة. إن هذا ما يبعد شبح الحماس عن الفضاء الغربي، لذلك يوفر سعي غلنر لتوضيب الإسلام في الحداثة فرصة نظرية مميزة لفهم هواجس لغة السيادة السياسية الاستشراقية في الغرب للقضاء على أي إمكانية استماع أو عبور بين الدعوة إلى التعددية اللغوية ما بعد الحداثية والدعوة الإسلامية إلى التمسك بلغة التسامي ـــ لغة الوحي، لأن الخروج عنها أو تجزيئها لا يؤدي إلى تطبيق الشرع بالتصالح مع الحداثة بل إلى تعطيل الشرع وفقدان الحماس وتفويت أي فرصة تجدد لغة الوحي في الغرب حيث ما تزال رغم تغييبها تقض نظم العقلانية السلطوية.

ألا يستأهل كـــل هـــذا التفكـــر ويدفـــع إلى إعـــادة النظـــر في الأطروحـــات الاستشراقية الراهنة الداعية من جديد إلى عبـــادة الحداثـــة"[167].

تـأويل :

بعد ثنائية "***العلم/العمل***" و ثنائية "***العلم/الأخلاق***" بـــات ضرورياً, أن نرجـــع الأخيرة إلى ثنائية أوسع مساحة، وهي ***العلم/الديـــن***، ليـــس ادعـــاءً بـــأن الأخـــلاق حكرٌ على الأديان المعروفة, بل اعتقـــاداً منـــاً بـــأن الديـــن والأخـــلاق متلازمـــان, والغاية الرئيسية المشتركة بين الأديان, هي تحقيق الأخلاق الســـامية عنـــد البشـــر.

١٦ ـــ العلم/الدين

العلم :

إن ثنائية العلم/الدين في نظر البعض, تعتبر مـــن المتناقضـــات, يســـتحيل جمعـــها كما يستحيل رفعـــها ! :

"إن محاولة طمس معالم التراع بين الديـــن والعلـــم, ليســـت إلاّ محاولـــة يائســـة للدفاع عن الدين... إن الدين بديل خيالي للعلم... والنظـــرة العلميـــة الـــتي وصـــل إليها الإنسان عن طبيعة الكون والمجتمع والإنســـان, خاليـــة مـــن ذكـــر الله تمامـــاً، كما قال "لابلاس" : "عندما ســـأله نـــابليون: "ومـــا المكـــان الـــذي يحتلّـــه الله في نظامك ؟ "فأجـــاب لابـــلاس : "الله فرضيـــة لا حاجـــة لي بهـــا في نظـــامي". أن الإسلام والعلم في هذا الأمر (المنهج الذي يجـــب اعتمـــاده في الوصـــول إلى قناعاتنـــا

---

[167] نظير جاهل ـــ أوهام الديموقراطية ـــ ٢٨

ومعارفنا, والطريق التي يجب أن تسلكها, للتيقـن مـن صـدق هـذه القناعـات أو كذبها) على طرفي النقيض... لقد اقتلعت المادية الميكانيكية (الـتي تمـت صياغتـها على يدي "إسحاق نيوتن") الصورة الكونية الدينية السابقة عليـها, وحلـت محلـها في السيطرة على الفكر العلمي بشتى أنواعـه ومناحيـه"[١٦٨].

في هذا المجال, يكشف بعض المثقفين, استغلال العلـم بيـد السـلطة السياسـية لتدمير الدين وقيمه. في هذه الأجواء, خضـوع العلـم للسـلطة السياسـية يجعـل المصالحة بين العلم والدين أمراً مسـتحيلاً ! :

"إذا كانت الدهشة من الشعور بالبداهة تدفعنـا إلى اكتشـاف أن لغـة السـيادة هي التي توجه لغة العلم للتحكم باللغات الأخـرى، فإنها بالمقـابل قـد تردنـا إلى موقف تأملي يكتفي بالجملة الوصفية أو التعجبية : لقـد اسـتطاعت لغـة السـيادة استتباع لغة العلم وتدمير لغات المعارف الأخـرى، وبالتـالي بـات مـن المسـتحيل مصالحة لغة الدين مع لغة العلم وذلك لأن القوة الـتي تسـلط العلـم لا تعطـي أي فرصة لمثل هذه المصالحـة"[١٦٩].

ثمة من لا يذهب إلى هذه الدرجة مـن التشـدد, في معارضـة العلـم للديـن, ولكن يرى في رقابة الدين على العلم في مختلف مجالاتـه, نسـفاً لمعالمـه وعرقلـةً في مسـيرته :

"هذا الأمر (اعتماد منظور إسلامي للعلاقات الدوليـة), مـن شـأنه أن يـؤدي إلى إقفال أبواب المسـعى العلمـي القـائم علـى الشـك والنقـد, أو إلى تشـظي الاجتهادات وتنافرها ولبوسها لبوس الديني والمقـدس, بفعـل الاطمئنـان والركـون

---

[١٦٨] صادق جلال العظم ـــ نقد الفكر الديني ـــ الصفحات ١٥/١٧/١٩/١٢٩

[١٦٩] نظير جاهل ـــ أوهام الديموقراطية ـــ ١٨

إلى "الصحيح" و"الشامل" و"الكامل"... إن الصفة تعطي للنص دلالات اللاهوت وإيحاءات المقدس والعلم الكلي, وتغني عن الشك والقلق والسعي والتعلم... أعتقد أن التطلب العقيدي لمعيار العلم, حلاً للمسألة المعرفية... يصار إلى مصادرة الموقف الديني (العقيدي) للمسعى العلمي والرأي, وإصباغ صفة المقدس عليه".[١٧٠]

الدين :

صحيح أن هذا الموقف العدائي والمتصلب أمام الدين, يتلاشى أما غالبية العلماء والأخصائيين في مختلف الميادين, الذين لا يمانعون بين تطلعاتهم العلمية, وانتمائهم الديني, وممارستهم للشعائر الدينية في حياتهم، "لكن العلم بما هو علم, لا يتوقف عند أي حدّ, "ولا يمكن لأحد أن يوقف العلم"[١٧١]. وهذا يبدو متعارضاً مع مقتضيات الأديان وفتاوى المرجعيات الروحية, التي لا تجيز علماً يهدف إلى طغيان الإنسان, ويسمح للاستكبار بفرض هيمنته على رقاب المستضعفين والمحرومين, وترى العلم وإنجازاته ومعطياته وسيلة, قد تستغلّها الأيدي الشريرة. حتى العلم غير النافع, لا بد أن يستعاذ منه إلى الله[١٧٢]، فكيف بالعلم الضار ؟

---

[١٧٠] وجيه كوثراني ــ نقد في المنهج

[١٧١] ريتشارد سيد (باحث أمريكي) ــ السفير ــ ٩٨/١/٨

[١٧٢] في الدعاء : "أعوذ بك من علم لا ينفع , ومن قلب لا يخشع ..."

تـأويل :

العلم بما هو علم, يتطلع إلى "***الواقع***", ويريـــد فهمــه وكشــف الســتار عنــه, بغض النظر عن أية فضيلة أخلاقية أخـــرى.

لكن الدين بما هو دين, لا يقصر هدفه علـــى فــهم الواقــع, الــذي يمكــن أن يكون شراً لا بد من تجنّبه, وشيطاناً يجب الهروب منـــه، وإنمـــا يحــث علـــى ***المُثــل العليا*** , التي تضمن للإنسـان خـيره وسـعادته. وهــذا مــايقود بنـا إلى ثنائيــة : ***الواقع/المثـال***.

١٧ ـــ الواقع/المثال

الواقــع:

الواقعية التي تقابل المثالية, تعرض نفسها على عـــدة أصعـــدة :

١ ـــ على الصعيد المعرفي والتفكير الفلسفي في تفسير عــالم الوجــود,

٢ ـــ على صعيد الفـــن والأدب,

٣ـــ على الصعيد الأخلاقي والقيمـــي.

نلقي باختصار نظرة على هذه المســتويات :

١ ـــ على الصعيد المعرفي والتفكير الفلسفي في تفســير عـــالم الوجـــود :

ونعني : "أصالة الواقع الخارجي مقابل أصالة الذهـــن أو التصــور".[١٧٣]

---

[١٧٣] الشهيد مرتضى مطهري ـــ تعليقات على أسس الفلسفة والمذهب الواقعي ـــ ٧٤/١

الواقعية هي المذهب القائم على النظرية القائلة أن هناك واقعاً محسوساً خارج أذهاننا، وهو ثابت ومستقل عنا, لنا أن نصيبه, وقد نخطئه. هذا الواقع, لا يتأثر بأفكارنا عنه, ولا بمصالحنا ولا بنظرتنا الذاتية إليه, فهو مطلق, وليس نسبياً بالمعنى الفلسفي للنسبية.

هذا الواقع هو الحق، وما سواه هو الباطل، وكل فكرة طابقته فهي الحقيقة, مهما كان ضررها أو نفعها على الفرد والمجتمع.

من هنا, فان المذهب الواقعي يعطي الأشياء قيمتها الحقيقية المستقلة عن الهواجس والأوهام, والبعيدة عن المصالح الضيقة التي تختلف باختلاف أصحابها، ولا يعترف بما تتركه الذات البشرية من آثار واختلاف في إدراكه، فهو واحد بالنسبة للجميع, لا يتغير مهما كانت أفكارنا وعلومنا ومشاعرنا.

فوجود النار أمامي مثلاً, أمر خارج عن إرادتي, وهو واقع لن يتغير, وإن كنت أتضرر من وجودها. كما أنه لا يتبدل فيما إذا تخيلت أنها معدومة. وأيضاً لا يختلف حالها من إنسان إلى آخر, مهما كانت حاله، فإنها تحرق كل من يمسها دون استثناء.

لا ريب أن المذهب الواقعي هو المذهب الذي يثبت أن للحق وجوداً منفصلاً عن ذواتنا, وغير مرتبط بمصالحنا وأغراضنا , ولا يتأثر بأفكارنا عنه وأوهامنا.

أصحاب هذه المدرسة يستدلون على صحتها بأمور :

١ ـــ إن الفطرة البشرية تقضي بذلك, فالإنسان منذ ولادته يتعامل مع الأشياء على أنها واقع مفروغ عنه, لا أنه خيال وسراب، ولا يختلف حال البشر في هذا التعاطي, فتراهم يطلبون الماء الحقيقي عند عطشهم والطعام الواقعي, عند

جوعهم, لا ما يتخيلون أنه ماء أو طعام، وتراهم يعطون للأشـــياء الواقعيـــة القيمـــة ذاتها في تعاملهم وتصرفاتهم مع بعضـــهم البعـــض. ولا يؤثـــر في قناعـــاتهم وجـــود ضرر ما من شيء موجـــود في الواقـــع, بحيـــث يـــؤدي ذلـــك إلى إنكـــاره, وإنمـــا يتحولون للتفكير في كيفية التخلص من هـــذا الضـــرر, ممـــا يعـــني علميـــاً أنهـــم لا يزالون يؤمنون بوجوده, ولذلك اضطروا للتخلـــص منـــه.

٢ ـــ لو كان الواقع يختلف حاله باختلاف المنافع والأضـــرار الـــتي يســـببها لنـــا, أو باختلاف الأفكار التي تشتمل عليها ذواتنا, لمـــا كـــان هنـــاك معيـــار مضبـــوط, يمكن أن تسير البشرية بحسبه في مسيرتها التكاملية, وتتعـــامل مـــع بعضـــها البعـــض على أساسه، وعليه سيعم الجهل والفوضى, وتسود الحـــروب, ممـــا يـــؤدي في نهايـــة المطاف إلى انقراض الجنس البشري، وهو أهم وأكبر محذور تكويـــني تنطـــوي عليـــه فكرة إلغاء الواقع الثـــابت.

٣ ـــ إن جعل المنفعة هي المقياس لمعرفة الحق يضيّـــق نطـــاق الفكـــر البشـــري, ويقدم الأهواء والشهوات على القيم والأخلاق، ويخلق مجتمعـــاً بعيـــداً كـــل البعـــد عن الحضارة والرقي، ويسلب من البشر بعدهم الإنســـاني المنطـــوي علـــى التعـــاطف مع بني جنسهم, والتعامل معهم من منطلق القيم وحـــب الخـــير.

٤ ـــ إن كل المدارس التي أنكرت الواقع الثابت, تديـــن بواقـــع آخـــر تتخيلـــه، ثم تختلف في تسميته. ذلك الواقع الآخر ليس في جوهـــره ســـوى العـــدم والبطـــلان, ما دام يقابل الوجود العدم, ويقابل الحق البـــاطل. ولا يمكـــن اجتماعـــهما في محـــل واحد . قال تعالى : ((فماذا بعد الحـــق إلا الضـــلال)).[١٧٤]

---

[١٧٤] يونس ، ٣٢

الواقعية بهذا المعنى, ترفض رؤيـــة أمثـال "بروتوغـوراس" و"غورغيـاس" مـن اليونانيين القدماء, و"بركلـي" و"شـوبنهاور" مـن الأوروبيـين المتـأخرين الذيـن أنكروا العالم الخارج عن الذهـن, و"اعتـبروا التصـورات الذهنيـة أصيلـة, أي أن هذه التصورات صنيعة الذهن, وليس هناك وجود خارجي لهـذه الصـور في العـالم المنفصل عنـا".[175]

٢ ـ على صعيد الفـن والأدب :

"الأسلوب الواقعي هو الـذي يعتمـد في الحديـث أو الكتابـة علـى العينّـات الواقعية والاجتماعية. أما الأسلوب المثـالي, فـهو الـذي يعتمـد علـى الخيـالات الشاعرية للمتحدث أو الكـاتب".[176]

٣ـ على الصعيد الأخلاقي والقيمـي والثقـافي :

في هذا الإطار الواقعية تعترف بمعطيات الأحـداث الـتي تحصـل عـبر حركـة التاريخ وداخل المجتمع البشري, سواءً انسجمت مـع القيـم الأخلاقيـة أو لا.

"يكشف "دريدا" عن بطلان النظرة التي تعلق الواقع علـى المثـال, كمـا فعـل "فوكاياما" بجعله النظام الديموقراطي الليـبرالي الغايـة المتحققـة للتـاريخ, ومثالـه الأخير والأوحد.. .أما ظواهر الواقـع المعـاصر ومشـكلاته, كـالعنف السياسـي واللامساواة والاستغلال الاقتصادي, وتهميـش معظـم البشـرية, فـهي ظواهـر لا قيمة لها, وهي مهما تفاقمت, فإنهـا لا ترتقـي إلى أكـثر مـن أعـراض زائلـة, وإغراقات مؤقتة, لن تثني مسيرة التاريخ نحو المثـال الأخـير".[177]

---

[175] الشهيد مرتضى مطهري : تعليقات على أسس الفلسفة والمذهب الواقعي ــ ٧٤/١

[176] المصدر السابق ــ ٧٤/١

[177] كريم أبو حلاوة ــ قراءة في كتاب (أطياف ماركس) لجاك دريدا ــ السفير ــ ٩٦/١٠/٤

"إن الدفاع عن ماركس والماركسية من خلال الفصل بين ماركس والماركسيين ــ بين النظرية والتجربة ــ ليس موفقاً . إذ من السهل اليوم التبرؤ من صيغة الاتحاد السوفيتي لتبييض وجه الماركسية بالقول : إنها : "صيغة بإمكاننا القول عنها اليوم من دون تردد أنها لا تعبر في شكل ممارستها عن جوهر هذا الفكر لا في نصوصه الأصلية ولا في حركة تطوره ولا في نهجه".

مثل هذا القول يشبه قول الإسلاميين أيضا عندما يوجه النقد إلى المشروع السياسي الإسلامي بالإشارة إلى فشل التجربة السلطانية الإسلامية خلال أربعة عشر قرنا في تحقيق العدل والحرية والمساواة, فيجيبونك أن التجربة التي يدعوها الفقهاء : "الملك العضوض" لا تعبر في شكل ممارستها عن جوهر الإسلام لا في نصوصه الأصلية ولا في حركة تطوره, ويستثنون حالتين نموذجيتين ومثاليتين : الحالة الراشدية عند الإسلاميين السنة, وحالة الإمامة المعصومة عند الإسلاميين الشيعة...

مثل هذا التماثل بين الموقفين والقولين هو تماثل في المنهج ونمط التفكير, ويقوم على الفصل المصطنع بين النص وحملته, الفصل بين الأيديولوجيا وممثليها أي الفصل بين الإسلام والمسلمين, والماركسية والماركسيين" [178].

المثال :

١ ــ على الصعيد المعرفي :

"ذهب بعض فلاسفة الغرب إلى إنكار وجود العالم الخارجي من الأساس متذرعين بأخطاء الحواس في بعض الحالات تبعاً للسفسطائيين، وقد اعتقد بعض

---

[178] وجيه كوثراني ــ حوار الأيديولوجيات أم حوار من أجل تخطي الأيديولوجيات ــ السفير ــ ٩٨/١٢/٥

المثاليين أن الوجود أمر عقلي لا تحقق له في الواقع الخارجي بل لا واقع خارجي أصلاً، وبعض آخر أقر بالوجود الخارجي إلا أنه ادعى عدم إمكانية معرفته والوصول إليه، وما يمكن معرفته والوصول إليه، وما يمكن معرفته هو الواقع الخارجي كما ندركه نحن، وليس من الضروري أن تكون معرفتنا وإدراكنا له مطابقاً لواقعه الموضوعي.

ولا يخفى ما في هذه الدعاوى من مغالطة. فإن خطأ الحواس في بعض الكيفيات وإن كان صحيحاً, ولكنه لا يعني الخطأ في إدراك الواقع الخارجي البديهي في الجملة. بل إن الخطأ بنفسه دليل على الوجود الخارجي. هذا مع أن نسبة الخطأ إلى الحواس غير صحيحة, فإنها بذاتها ليست معرضة للخطأ، وما يتوهم من وقوع الخطأ فيه إنما هو راجع إلى الحكم وليس إلى نفس الحس"[١٧٩].

"والمدرسة المثالية تقوم على الفكرة القائلة : " الموجود هو المدرك ", ولازم ذلك أنه لا يوجد خارج إحساسنا وإدراكنا شيء يمكن لنا أن نصيبه أو أن لا نصيبه. وهذا لون جديد من ألوان إنكار الواقع الثابت. وقد حمل "جورج باركلي" الفيلسوف الإنجليزي لواء هذه الفكرة, فكان إمام المثالية الحديثة.

ثم إن باركلي أقام اعتراضه على سؤال هام: إذا كان الواقع الموضوعي لا وجود له, فمن أين تأتي الإحساسات التي تنبثق في داخلنا كل لحظة بشكل لا إرادي ؟

---

[١٧٩] تعليقات حاتم إسماعيل على : "بينات" للمؤلف

ويجيب : بأن الله نفسه يبعث تلك الإحساسات فينا. وعليه فلا يبقى عند باركلي سوى أمرين ثابتين , هما : العقل ومدركاته, والله الباعث لهذه الإدراكات.

الواقعيون يعارضون هذا المذهب, لأنه يلتقي تماماً في نتيجته مع السفسطة، وذلك لأنه يلغي إمكانية المعرفة الحقيقية, لأنه لا يعترف بوجود شيء خارج حدود الفكر, لكي يُعرف ويعرف.

ولابد هنا أن نلفت النظر إلى الفرق الجوهري بين الترعة المثالية الحديثة, التي جاء بها باركلي, ومثالية أفلاطون الذي كان يقول بنظرية المثل القاضية بأن الأفكار التي يدركها العقل ، وهي أمور كلية, لها موضوعية أيضاً، ولكن ليس ذلك في العالم المادي الذي نعيشه, وإنما في عالم آخر, سماه عالم المثل.

المثاليون يشككون في قيمة الصور الذهنية, التي نلتقطها من الخارج, ومقدار انطباق التصورات الذهنية على الأعيان الخارجية، لأن كل ما نمتلكه ونعرفه هو مفاهيمنا الذهنية, ولا نمتلك الواقع العيني في أذهاننا, حتى نتأكد من تطابق تصوراتنا معها. فلا يمكن الاعتماد على واقع مستقل عن الإنسان.

والنتيجة هي ما قاله "بروتوكوراس" بأن : "الإنسان هو مقياس كل الأشياء. كل إنسان إذا حكم بشيء حسب ما فهمه هو على حق. وأن الحقيقة ليست شيئا سوى ما يفهمه الإنسان. ولما كان الناس يدركون الأشياء بشكل مختلف, فالشيء الواحد مثلاً قد يظنه انسان صدقاً, ويتخيله آخر كذباً, ويشك ثالث في صدقه وكذبه، إذن يصبح الشيء الواحد صادقاً وكاذباً في نفس الوقت وصواباً وخطأً في وقت واحد"[١٨٠].

---

[١٨٠] الشهيد مرتضى مطهري ـــ المصدر السابق

وبعد أن قام سقراط وأفلاطون وأرسطو بكشف مغالطات هؤلاء المثاليين السوفسطائيين, ظهرت مثالية أخرى على يد أفلاطون, حيث اعتقد "أن لكل نوع من أنواع موجودات هذا العالم المادية وجوداً مجرداً عقلياً, والأفراد المحسوسة لكل نوع إنما هي ظل ذلك الوجود المجرد، وهو النموذج الكامل لهذه الأفراد, ويسميه *"ايده"* وترجمت هذه الكلمة في المرحلة الإسلامية إلى كلمة *"مثال"*. ولا ينكر أفلاطون وجود الأفراد المحسوسة, وإنما يعتبر وجودها وجوداً متغيراً جزئياً فانياً, على عكس "المثال" الذي يعتقد بكونه متمتعاً بوجود كلي باق وغير متغير. ويعتقد الإشراقيون من بين المسلمين بالمثل الأفلاطونية. ومن المعروف أن الشيخ الرئيس "ابن سينا" يخالف بشدة الاعتقاد بالمثل الأفلاطونية"[181].

"والمثل عبارة عن الصورة العقلية المجردة للأنواع، فإن لكل نوع مثالاً عقلياً مجرداً يشكل كماله ومثاله وهو خالد لا يفنى بخلاف الجسد، ويستمد الجسد كماله من ذلك المثال، والمعرفة الحقة عند أفلاطون هي معرفة هذه المثل لأن المثل هي الحقائق الثابتة ولما كانت موجودة في عالم أعلى من العالم المحسوس كانت معرفتها أعلى من المعرفة الحسية, لأن المعرفة الحسية كثيرة التبدل والتغير بخلافها"[182].

إلى أن برزت المثالية الحديثة في الغرب عبر "هيغل", الذي اتهم المنطق الصوري الأرسطي بالجمود والتكلس في قوالب الحدود, والتعاريف الثابتة في قسم المعرّف (التصورات), وهجم على أبده القضايا في قسم الحجة

[181] المصدر السابق

[182] تعليقات حاتم إسماعيل على : "بينات" للمؤلف

(التصديقات), و لم يعتبر للهوية قيمة، لأن هويـــة كـــل شـــيء في التجـــدّد الدائـــم. و لم يقبل باستحالة جمع النقيضين, بـــل تبنّـــى لـــه في منطقـــة الديـــالكتيكي الـــذي استخدمه في رسم معالم فلسفة مثالية, لا تعـــترف إلا بـــالذهن, والموجـــود يســـاوي الذهني.

أمّا "ماركس", فقد التقى مع "هيغل" في منطقه, وعارضـــه في فلســـفته المثاليـــة, حيث يعترف بالذهن, وأعتبر الموجود مساويا للمادة, وارتفعت حـــدة هـــذا الـــتراع إلى حد التأثير في أدبيات الحـــوار اليومـــي, مثالـــه أن الواقعيـــين المـــاديين الذيـــن لا يعترفون بأصالة الذهن والمثال, يعبرون في الإنكليزية عـــن عـــدم اهتمامـــهم لشـــيء ما بعبارة : (Never mind) أي: لا ذهن ولا فكـــر. في المقـــابل التعبـــير المصطلـــح في أوساط المثاليين هو : (It doesn't mater) أي : لا حقيقـــة للمـــادة!

ثم تشعبت المثالية الجديدة في مدارس الغرب الحديثـــة الـــتي تلتقـــي مـــع بعضـــها البعض ــ رغم خلافاتهـــا الكثـــيرة ــ في تـــأصيل الفكـــر أو الـــذات الإنســـانية, وفاعليتها في صناعة التصورات, وليس فقط كونها مرآةً تلتقـــط الصـــور كمـــا هـــي في الخـــارج.

الخلاف بين المثالية والواقعية, لم ينحصر في إطار التفكير الفلســـــفي, بـــل أثّـــرت هذه الثنائية على مختلف مجالات الحياة الفردية والاجتماعيـــة, وشملـــت كـــل العلـــوم الإنسانية والفنـــون والآداب:

٢ ــ على صعيد الفنـــون والآداب :

هناك الكثير من الأدباء والشعراء, الذين ينتمون إلى المـــدرس الواقعيـــة في رســـم مســـتجدات الواقـــع السياســـي والثقـــافي والاجتمـــاعي, وينشـــدون الأشـــعار في

المناسبات والشعر والأدب, دواوينهم مفعمة بـــالأحداث؛ يقابلـــهم جمـــهور آخـــر, يؤمن بخلود الأدب, ويرى سر نجاح بعض الشعراء مـــن أمثـــال الحـــافظ الشـــيرازي في تجاوز أطر الزمان والمكان بالاجتناب عن الوقـــائع والمتغـــيرات, والتركـــيز علـــى ثوابت القيم والمثل العليـــا.

ونفس الصراع يوجد بـــين الواقعيـــة والمثاليـــة في فنـــون كالرســـم والتجســـيم, حيث يتهم الواقعيون المثاليين بأنهم بعيدون عن هموم النـــاس, لا يـــأبهون بمـــا يجـــري على الساحة، كما يتهم المثاليون الواقعيين, بأنهم يقلّدون الواقـــع بالاستنســـاخ منـــه في الرسم والفنون التشكيلية، لأن الفن عندهـــم يتلخـــص في الإبـــداع, وخلـــق مـــا يشعر به الفنان في صميم نفسه, وإن لم يكن له حـــظّ في الواقـــع.

٢ـــ على الصعيد الأخلاقي والاجتمـــاعي:

رفضت الحركات الدينية, سواءً الأصوليـــات المســـيحية واليهوديـــة والإســـلامية, والحركات القومية, الاستسلام أمام الواقع. واعتبرت الدفـــاع عـــن معايـــير الفضيلـــة والأخلاق أو الكيان القومي الاجتماعي واجباً إنســـانياً, باعتبارهـــا مثـــلاً متســـامية. ولا بد من تطبيق الحق, ولو كان مرّاً, ولو تطلّب التضحيـــــة والفـــداء.

المثالية تمثل اتجاه الرافضين الذيـــن يتحمســـون لتطبيـــق المســـاواة والعدالـــة, ولا يستسلمون أمام واقع الاستكبار والظلم والطغيان. "صادق جـــلال العظـــم" يســـمى الفئة الأولى (المثاليين) بالصراطيين, مقابل التـــاريخيين (الواقعيـــين), وهكـــذا يرســـم الصراع بينـــهم:

"كلما اصطدمت "اللا" الصراطية في التاريخ الإســـلامي (مـــهما بـــدت صادقـــة وصحيحة وصافية في وقتها) بالنعم التاريخيـــة (مـــهما ظـــهرت منحرفـــة ومبتدعـــة

وخارجة عن الصراط الإسلامي المستقيم ليومها), فإن الميـــل العـــام لهـــذا التـــاريخ, كان دوماً باتجاه انتصـــار النعـــم التاريخيـــة علـــى الـــلا الصراطيـــة... لا شـــك أن المسلمين الصراطيين... والأصوليين كانوا على حق كلياً وقتـــها, في إصرارهـــم أنـــه لا شـــيء في العقيـــدة الإســـلامية... منســـجماً مـــع الحكـــم الملكـــي الوراثـــي الإمبراطوري المعروف. لكن التاريخانيين هـــم الذيـــن انتصـــروا, وســـادوا بنعمـــهم التاريخية على الصراطين بلائهم الصافية النقيـــة".

ثم يغزو الكاتب سبب انتصـــار الإســـلام علـــى مـــدى التـــاريخ, إلى واقعيتـــه وقدرته على التكيف مع الواقع, وليس مثاليتـــه وقيمـــه :

"لو لم يكن الإسلام يحمل كدين عالمي تاريخي, طاقـــة هائلـــة علـــى التحـــول والتكيف والمرونة والتأويل والتفسير وإعـــادة النظـــر, لمـــا تمكـــن مـــن الاســـتمرار والاتساع على امتـــداد ١٥ قرنـــا, في مجموعـــة هائلـــة مـــن الثقافـــات المختلفـــة والمجتمعات المتنوعة والحضارات المتضاربة والـــدول المتصارعـــة... ونجـــد أن أعظـــم مدافع عن علمانية الدولة في الهند منذ الاستقلال هي الأقليـــة المســـلمة في البـــلاد".

وحيث لا يقدر بهـــذه الرؤيـــة علـــى تـــبرير أيّ انتصـــار تـــاريخي للصراطيـــين والأصوليين, لا يرى بداً في تبرير انتصـــار الجمهوريـــة الإســـلامية في إيـــران (الـــتي يتهمها الكثيرون بالأصولية والإرهاب), بأنها هي أيضـــاً مصـــداق للنعـــم التاريخيـــة وليس للاّ الصراطيـــة :

"حتى في إيران الإسلامية ألمح في العمق تأكيداً أولياً للنعـــم التاريخيـــة علـــى الـــلا الصراطية... في لحظة انتصار آيات الله في إيـــران, واســـتيلائهم علـــى الســـلطة, لم يقدم هؤلاء الآيات على استعادة الخلافة الإسلامية ــ وكان هنـــاك خلافـــة شـــيعية في التاريخ الإسلامي كما نعرف ــ كما أنهـــم لم ينشـــئوا نظامـــاً أماميـــاً يشـــرف عليه ويديره نائب الإمام مثلاً، بل أقدموا علـــى تأســـيس جمهوريـــة للمـــرة الأولى في

تاريخ إيران الطويل : جمهورية تمارس الانتخابات الشعبية والاستفتاء الجماهيري, لها مجلس تأسيس وبرلمان... وهذه الأشياء جميعها, لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالإسلام كتاريخ وعقائد وصراط, ولها العلاقات كلها والارتباطات جميعاً بأوربا الحديثة كتاريخ وكمؤسسات سياسية وحكومية وإدارية".[183]

تأويل :

على الرغم من تشعب المدارس الواقعية في تصوير ما هو الواقع, واختلاف التيارات المثالية في ترسيم ما هو المثال؛ وعلى الرغم من اختلاف الأصعدة التي يتم فيها المشادّة بين الواقعي والمثالي، إلاّ أنّ القاسم المشترك بين مختلف الترعات الواقعية هي في جعل الواقع نظاماً أوسع بكثير من دائرة الذات الإنسانية. وعلى الإنسان (باعتباره جزءاً صغيراً في عالم لا يتناهى) أن يتعرف على نواميس هذا الواقع, ويحاول قدر وسعه أن يخضع لأنظمته, وينطبق عليه لتحقيق السعادة. فالأصالة للواقع؛ وعلى الذات الإنسانية أن تتمرأى به.

أما الترعة المثالية, فتسير بعكس هذا التيار, حيث تدعو إلى تأصيل الذات الإنسانية, وتتمحور عليها, وعلى القيم الفطرية التي تمتزج بها. من هذا المنطلق, وظيفة الإنسان ليست في التطابق مع الواقع, بمقدار ما هو تغيير الواقع وإبداع الواقع, حتى ينسجم مع الذات.

---

[183] صادق جلال العظم ـــ الإسلام والعلمانية ـــ السفير ٩٦/٣/٢٧

إن اتخاذ موقف صحيح إزاء هذه الثنائية, يستلزم التعـــرف الأكـــثر علـــى ثنائيـــة الأنا (الفكر) ـــ الخارج, ومعرفة الجسر الرابط بينـــــهما وهـــو "اللغـــة". وذلـــك في دراسة ثنائية : ***الفكر/اللغـــة***.

١٨ ــ *الفكر/اللغة*

الفكـــر :

المدارس الفلسفية في مرحلة ما قبل الحداثـــــة, كـــانت تعـــير الاهتمـــام الأصلـــي على الفكر. واللغة لم تكن لها قيمة أساسية : "قبــــل فوكـــو كـــان الخطـــاب تابعـــاً للتصور، أي مرآة للمعنى أو آلة للفكر. ولهذا لم يكن يعـــــترف لـــه بأيـــة فاعليـــة أو دور، بل كل الفاعلين تُعزي للفكر الذي لا يفكّـــــر مـــن دون الخطـــاب, ولكنـــه لا يفكّر فيما هو الخطـــاب".[١٨٤]

وأدت نتائج بعض الدراسات العلمية إلى إمكانية تحقق الفكـــر مـــن دون لغـــة :

"دراسة أمريكية أثبتت قدرة القرود على العد من واحد إلى تســـــعة مـــا يدحـــض تأكيد الفيلسوف الفرنسي الشهير ديكـــــارت بـــأن هـــذه الثدييـــات القريبـــة مـــن الإنسان لا تستطيع القيام بذلك لأنها لم تطور لغة. وقـــال هربـــرت تـــراس المشـــرف على البحث : لدينا أدلة كافية على أن الحيوانات يمكن أن تفكـــــر بـــدون اســـتخدام لغـــة" [١٨٥].

---

[١٨٤] علي حرب ـــ نقد الحقيقة ـــ ١٠٥

[١٨٥] النهار ٩٨/١٠/٢٦

اللغـة:

"بعد فوكو يتغير الموقف بالكليـة... ويصبح الكـلام إجـراء مـن إجـراءات الحقيقة... واللغة لم تعد تدرك بوضعها أداة للتوصـل أو الإيصـال، بـل أصبحـت تدرك في كينونتها الحقيقية بوصفها موطن الوجـود، إذ بها يسـمى كـل شـيء باسمه الخاص, ويكتب هويتـه وأحديتـه".[186]... والشـاعر والفيلسـوف كلاهمـا يسعى إلى الاستنطاق, وإلى إعادة الخلـق والإنتـاج، كـل علـى طريقتـه : الأول يجدّد الكلام وأسلوبه، والثاني بنية الفـهم وطريقتـه".[187]

العلاقة الوطيدة بين اللغة والفكر, جعل هيدغـر يتبنّـى في كتابـه "في الفلسـفة والشعر" النظرة المطابقة للغة والفلسفة. "هذا الربـط بـين النحـو العقلـي والنحـو اللغوي, شهدنا له في تاريخنا الفكـري مسـاجلة مشـهورة يوردهـا أبـو حيـان التوحيدي في مقابساته مع مسكويه. ومقابل النحـاة الذيـن اعتـبروا أن لا حاجـة لمنطق اليونان, لأنه خاصية من خصائص اللغة الإغريقية يغنينـا عنـه نحـن العـرب منطق "لغة" عدنان. واكتفى آخرون في المقابل بمنطق اليونـان "أبـو البشـر مـتى"، ميّز مسكويه والتوحيدي بين النحـو العقلـي (المنطـق العقلـي) والمنطـق اللغـوي (المنطق البياني)، وتبعهما في ذلك الفلاسفة الفارابي وابن سـينا وابـن رشـد".[188]

ثم "إن اللغة هي الإنسان بمعنى من المعـاني، بـل هـي روح الشـعب، وعقلـه، وعاطفته، وخياله. وهي التي تحكم نظرة الإنسـان إلى نفسـه، وإلى الآخريـن، وإلى الكون وما فيه... واللغة ـ بهذا الفهم ـ ليست أصواتاً يعبر بهـا كـل قـوم عـن أغراضهم وحاجاتهم النفسية والعقلية والروحية... وليست نسـق رمـوز وإشـارات

---

[186] علي حرب ـ نقد الحقيقة

[187] المصدر السابق ـ ١١٦

[188] جميل قاسم ـ نقد كتاب نظرية العقل لجورج طرابيشي ـ السفير ـ ٩٧/٦/٢٧

باردة أو محايدة... هي كل ما ذكرنا. ولكنـــــها، في الوقـــت نفســـه، هـــي الهويـــة الحقيقية في كل المجتمعات الإنسانية.. فمن يفهم منك ويفــــهمك هـــو الإنســـان... وإلا فهو الأعجمي عند العــــرب... وهـــو ــ حســـب دي ســـوير ــ الأبكـــم أو الأخرس عند الروس، الذين يعنون بـــه الألمـــان تحديـــداً... وهـــو (Barbarous) أي العي التمتــــام و(Begue) في اليونانيـــة القديمـــة. وهـــو المتلعثـــم (Balbus) في اللاتينيـــة...

واللغة هي النعيم والجنة عند بعض القبائل الـــتي كـــانت تبكـــي أبنائـــها الذيـــن يضطرون إلى مغادرة القبيلة، لأنهم انتقلــــوا مـــن نعيـــم اللغـــة الأم وجنتـــها... إلى جحيم رطانـــة الآخريـــن, وضجيجـــهم اللغـــوي الـــذي يشـــبه صـــراخ الطيـــور والحيوانات والمجـــانين !

ويعرف علماؤنا المتقنون وذووا البصر والبصـــــيرة, أن الـــدول الحديثـــة والأمـــم المتقدمة في العصر الراهن , لا تختلف نظرتها إلى لغاتها ولغات الآخريــــن عـــن نظـــرة تلك القبائل البدائية التي أشـــرنا إليـــها ... فـــهذه الأمـــم وتلـــك الـــدول , تنفـــق مليارات الدولارات كي تدمر لغات الآخرين من جهة , وكـــــي تنشـــر لغاتهـــا مـــن جهة ثانية... وهذه الأمم وتلك الدول التي تتحكـــــم بقرارهـــا السياســـي والثقـــافي واللغوي , تجعل قضية الدفاع عن اللغة الوطنية ، ورعايتـــها ، وجعلـــها لغـــة العلـــم والأدب والثقافة والحضارة ، تجعل منـــها قضيـــة مقدســـة ... وتعمـــل، في الوقـــت نفسه، على تنقيتها من الغريب, سواء أكان هذا الغريــــب كلمـــة ــ وهـــذا أهـــون الشرور ــ أم تركيباً لغوياً وهذا أخبثها علـــى الإطـــلاق."[١٨٩]

---

[١٨٩] د. عصام نور الدين ــ تدريس اللغة العربية في المغتربات أولوية قومية ــ السفير٣ / ٦ / ٩٨

التركيز على اللغة وامتزاج الفكر بها جعل هيجل يقول في أوائل القرن التاسع عشر: "على الفلسفة أن تتكلم اللغة الألمانية، ونحن في عالمنا العربي نقول: بأنه يجب على الفلسفة المعاصرة أن تتكلم اللغة العربية، وهذه هي الطريق الوحيدة للتقدم ولدخول الحداثة "[190].

أشرنا إلى دفاع فتجنشتن ومالكولم عن الشعار القائل بأن اللغة العادية صحيحة تماماً . وجرى العرف الفلسفي على إلصاق هذا الشعار بمدرسة أكسفورد حتى شاع من بين أسماء هذا الاتجاه الفلسفي اسم "فلاسفة اللغة العادية" أو "فلسفة اللغة العادية".

هذا صحيح إلى حد كبير، ومضلل إلى حد ما، لأن من بين فلاسفة أكسفورد من أدرك نقائص التصور المألوف للغة العادية، ويتضح هذا من التمييزات التي وضعها رايل في مقالته "اللغة العادية" بين "استعمال اللغة العادية" و"الاستعمال العادي للتعبير" والعرف اللغوي. زد على ذلك أن اللغة العادية لم تعد الحكم الفصل في المنازعات الفلسفية كما صورها مالكولم، بل أصبحت مجرد "شاهد"، فهي على حد تعبير أوستن ليست " الكلمة الأخيرة" بل الكلمة الأولى.

إذا كان فتجنشتين قد أشار إشارة خاطفة إلى أن اللغة العادية صحيحة تماماً، فإن مالكولم قد دافع عن هذه الفكرة في مقاله "مور واللغة العادية" بصورة واضحة، ولم يكن تفسيراً لوجهة نظر مور بقدر ما يمثل موقفاً فلسفياً خاصاً، ثم نُظر إليه فيما بعد على أنه أقدم دفاع عن وجهة نظر فلاسفة أكسفورد فيما يتعلق باللغة العادية.

---

[190] د. سامي ادهم ــ فلسفة اللغة ــ ٩

الحقيقة أن كل إنسان قد قـــال في فـــترة مـــا مـــن الزمـــن المـــاضي إن الأرض مسطحة وهذا خطأ واضح : إذ اعتقد كل إنسان قال بهذا أنك لـــو رحلـــت علـــى سفينة و أبحرت غرباً فستصل في النهاية إلى الحافة وتعـــود. و لم يعتقـــدوا أنـــك لـــو واصلت الإبحار غرباً ستعود إلى عبارتهم هي أنهم أخطئـــوا فيمـــا يتعلـــق بالوقـــائع، وليس لأنهم استعملوا لغة غير صحيحة، فقد استعملوا لغة صحيحـــة تمامـــاً لوصـــف ما اعتقدوا خطأ أنه الواقـــع.

هل اللغة العادية صحيحة أم مليئـــة بـــالخلط، وهـــل تكفـــي لصياغـــة الأفكـــار الفلسفية أم ينبغي تجنبها عند صياغة هـــذه الأفكـــار والبحـــث عـــن لغـــة أخـــرى مثالية؟ وهل الحيود عنها ســـيؤدي إلى الوقـــوع في براثـــن الارتبـــاك أم لا ؟ تـــأتي الإجابة على هذه الأسئلة في صورة مواقف متباينة من اللغة العاديـــة. وهـــي موقـــف كل من مور ورسل وفتجنشتين ومـــالكوم. والســـبب في اختيـــار هـــذه المواقـــف واضح إلى حد كبير، إذ أنها تمثل المواقف التي انطلق منـــها موقـــف فلســـفة أكـــس فورد، سواء بالقبول والتعديل تارة، أو بالرفض تـــارة أخـــرى".

تـأويل :

النقاش في ثنائية ***الفكر/اللغة*** لازم, باعتبار أن الفكر جسر للـــترابط بـــين الواقـــع الخارج عن الذات, وبين المثال المتواجد في صميم الذات. لا بـــد إذن مـــن مراجعـــة ثنائية بالغ الأهمية, على مختلف الأصعدة الثقافيـــة والمعرفيـــة والشـــعورية والآفاقيـــة, وهي ثنائية : ***الأنا/الخارج***, أو ***العين/الذهـــن***.

١٩ ـــ *العين/الذهن*

العين :

في حديثنا عن ثنائية ***الواقع/المثال***, عرفنا أن الواقعيين يتأكّدون من إمكانية معرفة العالم الخارج, بالاعتماد على أسس عقلية تناقش في المناهج المنطقية. وبالمقابل, يشكك المثاليون في قيمة المعلومات التي نكتشفها من الخارج. هذا تشكيك يبقى عند بعضهم على حدّ التوقف عند الاعتبارات الذهنية, وعدم البتّ بما يوجد خارج الذهن. ويتجاوز عند البعض الآخر, ليصل إلى المثالية المطلقة وإنكار العالم الخارج إنكارا مطلقاً. فكأن جوهر التراع, يرجع إلى قيمة المعلومات أو عدم قيمتها في الكشف عن الخارج.

هنا ننظر إلى ***الذات/الخارج*** أو : ***الذهن/العين*** من زاوية أخرى, حيث إن أي واحد منهما يجب أن يعتبر الأصل والفاعل؟ وأي واحد هو الفرع والمنفعل؟

إن تأصيل *العين* هو اعتبار عالم الوجود حجر الأساس. والعين يشمل الإنسان كحقيقة في هذا العالم, لكنه نقطة في بحر غير متناه، حقير جداً أمام أقطار السماوات والأرض. لكن ما يبعث على التفاؤل ويبشر بالخير, هو أن في الإنسان قوة رهيبة في التقاط صور غير متناهية من هذا الكون, يمكن أن تدّخر في ذاكرة الإنسان, وتساعده في :"صيرورة الإنسان عالماً عقلياً مضاهياً للعالم العيني". هذا هو الهدف الأسمى عند الحكماء المسلمين, إذ به يجبر الإنسان نقصه الذاتي, وصغره أمام كبرياء العالم.

الفيلسوف الفرنسي "سارتر", ودائماً في "الإنسـان والعـدم", "يتنكـر لأولويـة المعرفة. نقد سارتر لكوجيتو ديكارت (أنـا أفكـر إذاً أنـا موجـود), تلخـص في فكرة أساسية وعامة: كل فلسفة تنطلق من الذات مصيرهـا تجوهـر الـذات"[191].

والقائل بأصالة العين لا يهتم بشبهات الذهنيين عن عدم إمكانيـة التفـاعل مـع العين وفهمه, بل يرى الذهن مجرد جدول تتدفق إليـه صـور الحقـائق مـن عـالم العين. ويستدل على ذلـك أني :

" - أحياناً أتصور الحـرارة والـبرودة , وأصـاب بهمـا, أو أتصـور الحـلاوة والمرارة, وأتذوقـهما.

- وأحياناً أخرى أتصور هذه الأوصـاف في ذهـني, دون أن تـترتب عليـها آثارها. فلا أصاب بالبرد عندما أتصور البرودة فقـط. فلسـت مـن اختـرع هـذه الصور وأوجدهـا.

- فهذه صور لحقائق خارجة عن حوزتي تسـربت إلي ذهـني, ولـو لم يكـن هكذا لما حصل خلاف في المرتين[192]. ثم إن الإحساس بالبرودة عندمـا يـتزامن مـع الإصابة بالبرد يفرض عليّ الاعتراف بقسم من الخارج أسميـها *"الطبيعـة"*, وأقصـد بها القسم الذي تتأثر به حواسي(من اللامسـة والبـاصرة و...)"[193].

---

[191] ميشيل كايل ـــ نقد سارتر لكوجيتو ديكارت... ـــ السفير ـــ ٩٦/٥/٣١

[192] لم أقل : أرى شجرة في الخارج فهي في الخارج , كي لا أقع في إشكالية "هيغل" في مثاليته التي ترفـض وجوداً مادياً خارج الذهن, وتشبه افتراض الأشياء المادية وراء الذهن خطأً يشابه افتراض الصور المرئية في المرآة وراء المرآة. كأن الذهن عنده مرآة يقع الرائي والمرئي في طرف واحد منها.

نعم , يمكن ـــ حالياً ـــ افتراض إمكانية نوع من التوسع في جوهر النفس (الأنا) , بحيث يتسع ويخرج عـن الإطار الذي أرى نفسي فيه , ويستوعب لحقائق الخارج , وحينئذ تصح الرؤية المرآتية للنفس والعالم , وإليـها تميل العرفاء المسلمون.

[193] محمد خاقاني (المؤلف) ـــ بينات ـــ البينة رقم ٧

الذهن :

لكن الاتجاه الثاني يعطي الأولوية والأصالة للذات لا للخارج, وللذهني لا للعيني. ويجعل الأنا محور فلسفته. ومع أن الوجود العيني لا يغيب عنه, إلا أنه يتقولب بقالب الأنا, ويعرض على جوهر الذات. يحصر إدراكه لذاته في صورة الفكر ومعرفة الذات...

وإطار الذهن عنده أوسع من الخارج, نظراً لتواجد أمور في الذهن, لا يمكن أن يتحقق على أرض الخارج :

"إن قولنا اجتماع النقيضين مستحيل، أو اجتماع النقيضين مغاير لاجتماع الضدين، هي قضايا صادقة عند العقل، وصدق القضية يستلزم وجود طرفيها، ومعناه إعطاء صفة لأمر معدوم، ولما كان اجتماع النقيضين مستحيلاً في الواقع الخارجي، دل ذلك على وجودهما في ظرف آخر، وما هو إلا الذهن، وكذلك الحال في قضية مغايرة اجتماع النقيضين لاجتماع الضدين، أو صدق السؤال عن الفرق بينهما"[١٩٤].

والواقع عند من يؤصل الذهن ويتمحور عليه كبير جداً, إلا أنه صعب المنال, وبالتالي يستحيل على الإنسان أن يمتلكه. وليس له إلا ما يتواجد على أرض الذهن, لأنه حتى عندما ينطلق من العين المادية التي يفترض أن تكون واضحة ومشهودة لي (مقارنة بعوالم الغيب), "يرى نفسه عاجزة عن "استيعاب" الأشياء المادية القريبة منه (ناهيك عن الأشياء البعيدة في عالم بلا

---

[١٩٤] تعليقات حاتم إسماعيل على : "بينات" للمؤلف

حدود)، لأن الشيء المادي يبقى مادياً في خـــارج الذهـــن, ولا يتبـــدل إلى معرفـــة ذهنية ليستقر في الذهن[195]، ولا هو ينسلخ عـــن نفســـه ليتبـــدل إلى شـــيء مـــادي, ويستقر فيـــه[196], [197], [198].

---

[195] لأن بقوله كذلك يستلزم الانقلاب وهو مستحيل. ـــ تعليقات حاتم إسماعيل على : "بينات" للمؤلف

[196] خلافاً " لبعض النظريات (برغسون مثلا") التي تهدف إلى الاتصال الصميمي والمباشـــر مـــع الكـــائن بواسطة الحدس, والتداخل معه بواسطة التوحد المتبادل بين الموضوع والواضع". للمراجعة: مذاهـــب علـــم النفس-٢٧

[197] للانقلاب أيضاً، وذكر المصنف أنه أشار بذلك إلى مذهب برغسون، وحاصل مذهبه مرتبـــط في تفســـير العلاقة بين الروح والبدن : فهو يرى أنه متى قلنا روحاً فقد قلنا شعوراً، والشعور قبل كل شيء يعني الذاكرة، والذاكرة محضة وعادة فالمحضة وظيفة للروح تمنحنا رؤية ارتدادية لماضينا، والعادة مجرد تركيـــب حركـــات، يمكن أن تقيم في الجسم. فالذاكرة والشعور شيء واحد والشعور ملازم للكائنات التي لها دماغ، والدماغ على اتصال دائم بأجهزة النخاع عامة، فهو ليس سوى مفترق طرق يستطيع فيه الاهتزاز القادم مـــن أي طريـــق حسي أن يدخل في أي طريق حركي ، فالعمل العقلي هو السير بتصور وحيد خلال مستويات شعورية مختلفـة في اتجاه يمضي من المجرد إلى العيان، وينتهي إلى أن الشعور لا يقول شيئاً غير ما يجري في الدماغ, غاية الأمر أنه يعبر عنه بلغة أخرى، والحاصل أن كلمة دماغ تصرفنا إلى التفكير في شيء وكلمة فكر تصرفنا إلى التفكـــير في تصور.

إلا أن هذا لا يعني إن النشاط العقلي والنشاط المخي واحد رغم ارتباطها الوثيق فان وظيفـــة المـــخ هـــي المحاكاة فقط : محاكاة حياة الروح من جهة ومحاكاة المواقف الخارجية من جهة أخرى، فالمخ في حقيقته ليـــس تعبيراً للفكر ولا للعاطفة ولا للشعور بل هو الذي يجعل الشعور والعاطفة والفكر مشدودة إلى الحياة الواقعيـــة، وبالتالي قادرة على القيام بفعل فعال، فالمخ هو عضو الانتباه إلى الحياة دون أن يلغي روحية الـــروح وماديـــة المادة.

وأما تفسير كل ذلك فهو عن طريق الحدس، والحدس عنده عبارة عن الوعي الذاتي فينا لتفسير ما أسمـــاه " الديمومة " وهي الزمان الذي ندركه بالخبرة الذاتية الداخلية، وهو مغاير للزمان الخارجي الذي تدل عليه آلـــة ضبط الوقت. تعليقات حاتم إسماعيل على : "بينات" للمؤلف

تـأويل :

إن المقارنة بين ثنائية ***الواقع/المثال*** في مختلف المجالات التي سـبق ذكرهـا, وبـين ثنائية ***العين/الذهن***, تفيد بأن النظرة الواقعية, تلتقـي مـع النظـرة العينيـة في إطـار اليقين والجزم، تارة الجزم بصحة مسار الواقع وتقبّله كمـا هـو, وأخـرى بـالتيقن والاعتماد على إمكانية معرفة هذا الواقع, وإمكانية تصحيـح الأخطـاء الـتي يمكـن أن تحصل في عملية المعرفـة.

كما أن النظرة المثالية, تلتقي مع النظرة الذهنية في إطـار الشـك : أمـا الشـك بصحة مسار الواقع, وضرورة نقده على أساس نظـام القيـم المنبعثـة مـن الفطـرة الإنسانية, وبالتالي الوقوف بوجه كل واقع لا يتلاءم مـع تلـك المُثـل، أو الشـك بصحة ما يعرفه الإنسان, وما يمكنه أن يعرفه خارج نطـاق الـذات الإنسـانية.

---

[198] يقول الماديون أن الفكر مجرد خاصية من خواص المخ، وليس أمراً مجرداً عن المادة، واستدلوا على ذلك بأنه قد ثبت علمياً أن الإنسان في حال التفكير تحدث تغيرات في المخ تتوجه إليه أكبر كمية من الدم فيحتـاج إلى غذاء أكثر ويطرد المواد الفسفورية بنسبة أكبر على عكس ما يحصل حالة النوم، وهذا إنما يـدل علـى أن التفكير أثر من آثار المادة فيكون مادياً لا محالة. لكن كون الشيء مادياً يعني أن له حيزاً و مكاناً، ومن البديهي أن كون العلم مادياً يعني أن له حيزاً، فإذا كان المعلوم موجوداً خارجياً فان مكانه في الخارج، وحصول العلـم به يستلزم حلوله في الذهن حال كونه في الخارج وهو مستحيل، كما يلزمه تفكك ذاتـه لأن ذاتـه متصلـة ومتحدة في الخارج فلو كانت الصور العلمية حالة في المادة لزم أن يكون المعلوم منفصلاً ومتخلخلاً في صورتـه الذهنية لأن محله ــ وهو المخ بحسب الفرض ــ منفصل ومتخلخل في أعصابه ومحالّه، فـلا تظـهر الصـورة العلمية إلاّ على وصف محلها وهو الانفصال مع أننا نرى إن الصور العلمية في أذهاننا ليست بذلك الوصـف.
ــ تعليقات حاتم إسماعيل على : "بينات" للمولف

وهذا ما يقود بنا إلى دراسة ثنائية : ***اليقين/الشك***, لاتخاذ موقف صحيح من هذا الجدل.

٢٠ ـ اليقين/الشك

اليقين :

الاتجاه المتحمس لليقين يراه حاجة ملحة, تنبع من ذات الإنسان المتعطشة لفهم الحقيقة. ويؤكد على إمكانية تزوّد الإنسان بمعارف يقينية, تعبّر بكل صدق عن أحكام الوجود وحقائق العالم.

في رأيهم, إن هذا اليقين يمكن تحصيله على المستوى النظري باتباع قواعد المنطق الذي عرّف بأنه : "آلة قانونية تعصم مراعاقما الذهن عن الخطأ في الفكر".

وعلى المستوى العملي, باتباع الشرائع الحقة التي يفترض أنها رسمت وتترلت لدعم مبادئ "الإيمان" بالله. وإذا كان "الإيمان" مشتقا من "الأمن", الذي يجب أن يحيط بفكر الإنسان وعمله, فهو يتطلب اليقين على مراتبها من علم اليقين وحق اليقين وعين اليقين[١٩٩] . هكذا إيمان, لا ينسجم مع أية شكوك وشبهات. وإزالة هذه الشكوك تعتبر الشرط الأساس لاستقرار الإيمان في قلوب الناس. ولا يجب إزالة الشك فحسب, وإنما إزالة الظن ايضاً[٢٠٠]: ((وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية)).[٢٠١]

---

[١٩٩] التكاثر١٠٢ / ٧

[٢٠٠] وهذا قد يتعارض مع نسبية يدعو إليها أمثال سروش وكوثراني ورضوان السيد.

[٢٠١] آل عمران٣ / ١٥٤

الشـك :

الإطلالة الأولى لمذهب الشك على المستوى المعرفي, برز بأيدي الشكاك والسوفسطائيين, "الذين عاصروا سقراط, ونقلوا النظرة الفلسفية من الموضوع إلى الذات, وطرحت المعضلة الفلسفية الكبرى القائلة بالشك في إمكانية المعرفة والسؤال الشهير : هل المعرفة ممكنة أم لا ؟

تقوم المدرسة الشكية القديمة السوفسطائية على نظرية تقول : ليس هناك شيء يمكن إثباته أو الوصول إليه. وقد وضع "جورجياس"، وهو أحد أهم أبطال هذه المدرسة، كتابا سماه "اللاوجود", حاول من خلاله البرهنة على القضايا التالية :

١ ــ لا يوجد شيء.

٢ ــ على فرض وجود شيء, فإن الإنسان قاصر عن إدراكه, مادام الحس يخطئ, ومادام لا دليل على وجود العقل.

٣ ــ على فرض أن إنساناً استطاع أن يدرك شيئاً, فإنه لن يستطيع أن يبلغه لغيره.

وقد سيطرت النزعة الشكية القائمة على الجدل والسفسطة على الناس ردحاً من الزمن, وهي تتفنن في إقناع الناس بعدم وجود واقع, ولا أي شيء حقيقي يمكن الركون إليه. حتى بزغ سقراط وأفلاطون وأرسطو, فحاربوا هذه المدرسة مدة طويلة حتى استطاع ارسطو القضاء عليها نهائياً, وإثبات الواقع والوجود, وإمكانية الوصول إليه وتبليغه للآخرين. فوضع لذلك كتاب المنطق المعروف, وأثبت من خلاله أن المعلومات الحسية والعقلية الأولية والثانوية التي تكتسب

بمراعاة الأصول المنطقية, هي حقائق ذات قيمة قاطعة. وذلــك لأنها تكشــف عــن الواقع الخارجي كشفاً صحيحاً فتصيبه، وتكون بذلــك "حقيقــة". وبالتــالي يثبــت من خلالها الحق الذي هو الواقع الثــابت.

في اليونان, ظـــهر الشــك (موقــف الشــك Septecisme) المــوالي لمذهــب "بيرون" اليوناني, ونشأت بذور الشك, التي "نمت عند ديكـــارت. والمعــنى الأصــح للكوجيكو الديكارتي ليس : (أنا أفكر, إذاً أنا موجود), بــل (أنــا أشــك, إذاً أنــا موجود). والشك هو فعل نقض للحقيقة. يقــول ديكــارت نفســه :(أنــا أشــك, فأنا غير كامل). وينتهي إلى القول : (أشك, فــالله موجــود)"[٢٠٢].

واستمر الوضع, حتى دخل الشك في صلب المنــهج العلمــي للعصــر الحديــث, بعدما كــان يحــث علــى : "الاطمئنــان والركــون إلى "الصحيــح" و"الشــامل" و"الكامل" . في حين أن المســعى العلمــي, لا ينــهض إلا علــى الشــك والقلــق والنقد, ووضع السائد والشائع موضع المســائلة والمحاكمــة, باعتبــاره (أي اعتبــار السائد والشائع والعام) معوقاً إبستمولوجياً أمام تكــوّن العقــل العلمــي والــتراكم المعــرفي"[٢٠٣].

و"لن يستطيع المثقف المفكر, أن يدرك عمق اليومي, سوى بخروجــه مــن عــالم التأويل اليومي. وذلك عبر مغادرة فضــاء الألفــة والعــادة والتعــود, والاســتغراق بمساءلة العالم المحيط بــه"[٢٠٤].

وتنامت منهجية الشك هذا, وأخذت تتلاعــب باليقينيــات وبالــبراهين القائمــة عليها, منها تلك التي أقامها المتكلمون والفلاســفة لإثبــات الله.

---

[٢٠٢] د. مني دياب ــ كوجيتو ديكارت متجدد صوفي وموحد ــ السفير ــ ٣١ /٥/٩٦

[٢٠٣] راجع : د. وجيه كوثراني ــ نقد في المنهج

[٢٠٤] نور الدين الزاهي (باحث سوسيولوجي مغربي) ــاليومي بين وعي المثقف والأيديولوجيا ــ السفير

كما "نشر الفيلسوف الأمـــيركي "وليـــم جيمـــس" بحثـــاً تحـــت عنـــوان "إدارة الاعتقاد ", حاول أن يدافع فيه عن حق الإنسان... في الاعتقـــــاد الديـــني. وكـــانت موضوعة جيمس في المقال المذكور, هي أن البينات العلميـــة والأدلـــة العقليـــة, غـــير كافية بحد ذاتها للبرهان على وجود الله أو عدم وجـــوده. لذلـــك يحـــق للإنســـان أن يتخذ موقفاً من هذه المعضلة يتناسب مع عواطفـــه ومشـــاعره"[٢٠٥].

قرار "ويليام جيمس" هذا في تبنّي العواطف والمشاعر للإيمـــان بـــالله بـــدل العقـــل والاستدلال, يحيي في الذاكرة مساعي "فخر الديـــن الـــرازي", شـــارح " الإشـــارات والتنبيهات" لابن سينا, في التشكيك بكل الدلائل العقليـــة الـــتي وضعـــت لإثبـــات المبدأ والمعاد وسائر الأسس الدينية, واشـــتهر الـــرازي بلقـــب "إمـــام المشـــككين", كما يحيي المساعي التي بذلت لتقرير "تهـــافت الفلاســـفة".

وذلك في وقت كانت الفلسفة و الكلام يتبنيان تحصيـــل اليقـــين, مقـــابل الفقـــه الذي كان يكتفي بـــ "الظـــن" المتوســـط بـــين اليقـــين و الشـــك, لأن "أصحـــاب المذاهب الإسلامية رأوا أن حكم الله أن يتبع الفقيه "غـــالب ظنـــه" في كـــل واقعـــة يحكم فيـــها"[٢٠٦].

النتيجة : أن المجتهد "عندما يقول بأنه مصيـــب وبـــأن خصمـــه مخطـــئ, فـــهو صادق, إن كان "يظـــن" صدقـــه, و لا يقطـــع بخطـــأ غـــيره. كذلـــك خصمـــه. فالاختلاف هنا هو إذن مقبول ومقرّ به... وفي علم الأصول, يقطـــع بـــ "بطـــلان قول من يقطع بالخطأ في المجتهدات", أي من الفروع, كما قـــرّر ذلـــك أبـــو حـــامد الغـــزالي"[٢٠٧].

---

[٢٠٥] صادق جلال العظم ـــ نقد الفكر الديني ـــ ١٣

[٢٠٦] علي حرب ـــ نقد الحقيقة ـــ ٣٦

[٢٠٧] المصدر السابق ـــ ٣٦

ولكن, حتى العلوم العقلية (كالمنطق والفلسفة), الـــتي تدّعـــي تحصيـــل اليقـــين, تعرضت لهجمة عنيفة في رحاب متدولوجيا الشـــك والمســاءلة. الفلســفة والكـــلام تستمدان حجيتهما من المنطق. والمنطـــق كفيـــل بتجنيـــب الذهـــن عـــن الخطـــأ في التصورات والتصديقات. والتصديق المفيد لليقين قـــائم علـــى تصـــورات يقينيـــة, لا تكتسب إلاّ الحدود. فكيف إذا لم يكن "الحدّ" بحدّ ذاتـــه قـــابلاً للتحديـــد ؟! :

"حدّ الحد متعذر... و لم يستطع المناطقة حدّ الذات حـــداً جامعـــاً مانعـــاً, وإنمـــا عرّفوه بالرسم الجامع... والذاتي لا يحتاج في اتصافه بمـــا هـــو ذاتي إلى شـــيء آخـــر غير ذاته. فهو بسيط... وأن يكون حد الحد أمراً متعـــذراً, فذلـــك معنـــاه أن حـــد الأشياء غير ممكن. وعليه, فلا ممكن في التعريـــف إلاّ الرســـم.

وإذا كنا لا ندرك بالرسم إلا الاعتبارات, فإن هـــذه كثـــيرة ومختلفـــة, إذ يمكـــن قياس الشيء إلى أشياء مختلفة, لا حصر لها... فلقـــد حـــدّ الإنســـان مثـــلاً بكونـــه عاقلاً أو صانعاً أو مدنياً أو متناهياً أو متعالياً, وقد يحـــد بغـــير ذلـــك أي بـــاختلاف الاعتبارات. وهذا ما صرح به "الفـــارابي" في كتـــاب "التعليقـــات", وهـــو المعلـــم الثاني بعد "أرسطو" , المعلم الأول, وصاحب المنطق. نعـــني اعترافـــه بـــأن لا ســـبيل إلى درك الفصول المقومة للأشياء, والوقوف على حقائقها. بـــل الممكـــن فقـــط هـــو إدراك رسومها أي صفاتها وعوارضـــها".[٢٠٨]

في هذه الأجواء, ليست مهمة العقل تطمين الإنســـان بمعرفـــة الحقيقـــة, وإنمـــا : "من مهام العقل أن يمارس نقد ذاته باستمرار, وذلـــك بإخضـــاع كـــل الطروحـــات والمشاريع والشعارات إلى الفعاليـــة والتفكيـــك"[٢٠٩].

---

[٢٠٨] المصدر السابق – ١١٩

[٢٠٩] المصدر السابق ــ ٦٩

والنتيجة أن : "باسم فلسفة الاختلاف التفاضلية, أو جنجالوجيا المعرفة...أو التفكيكية...تصل الأمور إلى حد تطبيق المعنى على اللامعنى، واللافكر يصبح غاية الفكر"[210]!

تساويل :

إن من يفتش عن اليقين في تصوره عن العالم, لا يمكنه الاعتماد على أسلوب علمي, يقبل التغير الجذري بين حين وآخر, وعبر التطورات العلمية, بل يجب أن يؤسس إستراتيجيته في نظرته الكونية, على أسس بديهية ثابتة, لا تخضع للمستجدات المتغيرة أي أسس عقلية, تنطلق من بداهة ***العقل*** وحجيته.

لكن من يعتبر التأكد والاطمئنان والشمول العلمي نوعا من المراوغة والخداع, ويخضع المعرفة الإنسانية للنسبة والمساءلة المستمرة, يفضل متابعة الأحداث والوقائع عبر القنوات التي تربط الإنسان بها, وهي : ***الحواس.***

هكذا, تجرنا ثنائية ***اليقين/الشك***, إلى ثنائية ***العقل/الحس***؛ حيث الأول يستخدم لاكتساب اليقين، والثاني يبعث على الشك.

٢١ـ العقل/الحس

العقل :

من الدلائل التي تثبت وجود الإدراك العقلاني عند الإنسان بالإضافة إلى الإدراك الحسي أني :

---

[210] جميل قاسم ـ السفير ـ ٩٦/١١/١٥

" ـــ قد أتصور أن كل ما يوجد في الخارج هـــو هـــذه الأعـــراض. فـــلا شـــيء وراء طول القلم، وعرضه، وعمقه، وكمه، وكيفـــه حـــتى أسميـــه جوهـــرا، خاصـــة عندما لا يمكنني استيعابه بشكل حســـي ملمـــوس.

- لكن عدم الاعتراف بجوهر غير محسوس تقوم بـــه هـــذه الأعـــراض, يســـاوي افتراض هذه الأعراض جواهـــــر مســـتقلة, تتحقـــق بنفســـها في الخـــارج[٢١١], [٢١٢]. وهذا باطل, لأن هذه الجواهر المستقلة ـــ حســـب الفـــرض ـــ مادية, لا تســـتطيع الحلول في ذهني, لكنها حلت في ذهني, فهي أعـــــراض لا جواهـــر."[٢١٣]

- فلا بد من الاعتراف بجوهـــر جســـماني تتمحـــور عليـــه جميـــع الأعـــراض, فتنبثق منها وتلتقطها حواســـي.

وإذ لا يمكنني معرفة هذا الجوهر عـــبر الحـــواس ـــ وقـــد عرفتـــه مـــن خـــلال اعترافي به ـــ فهي من نوع آخر, أسميه معرفـــة عقليـــة, تســـاعدني في تعقـــل مـــا لا يمكن إحساسه ، كما ساعدتني في ترتيب هذه البينات لحـــد الآن وفيمـــا بعـــد.

---

[٢١١] العلامة الطباطبائي ـــ بداية الحكمة ــ ٧١.

[٢١٢] لأن وجود القسمين أعني الجوهر والعرض ضروري، ذلك أن الموجود لا يخلو أما أن يكون في موضـــوع وهو العرض, أو لا يكون في موضوع وهو الجوهر. فإنكار الجوهر يلزمه القول بجوهرية العـــرض لا محالـــة، وبعبارة أخرى أن الموجود أما أن يكون محتاجا لغيره ليقوم فيه أو لا يحتاج إلى غيره ليقوم فيه بل هـــو يقـــوم بنفسه والأول هو العرض والثاني هو الجوهر، فمن أنكر وجود الجوهر فقد أقر بجوهريـــة الأعـــراض دون أن يلتفت لعدم خلو الواقع من أن الموجود إن لم يكن قائما بغيره فهو قائم بنفسه وهو ما نقصده بـــالجوهر. ـــ تعليقات حاتم إسماعيل على : "بينات" للمؤلف.

[٢١٣] علما أن استقلال طول القلم عن عرضه ، وكمه ، وكيفه (وهكذا بقية الأصناف) لا ينسجم مع انتسابها كلها إلى قلم واحد ، فيزول كيان القلم الواحد الذي لا أشك فيه .

لكني لا أستطيع حصر كل معــــارفي في إطـــار المحسوســـات، فـــأتعقل مفـــاهيم يستحيل تحققها من الخارج, من قبيل العـــدم. كمــا أتعقـــل مفـــاهيم, لا أشـــك في مصداقيتها في الخارج, إلا أنها لا يمكن تجربتها الحســـية, كـــإطلاق الوجـــود.

- فالمعارف المعقولـــة, وإن تحصلـــت بعـــد المعـــارف المحسوســـة [٢١٤], إلا أنهـــا تتجاوز إطار الحس,[٢١٥] فلا تساويها من حيث القيمـــة العلميـــة والمصداقيـــة"[٢١٦].

ويعتقد بعض العقليين, أن قسما من الإدراكات, هي التي "يعدهـــا الزمـــن مـــن ذات نفسه هي فطرية ومن الخواص الذاتية للعقل. وحســـب مـــا يعتقـــد العقليـــون, فإن هذه التصورات لا مبدأ ولا منشأ لها سوى العقل. وقـــد حصلـــت للعقـــل قبـــل أي حس وإحساس. ولو فرضنا أنه لم ترد إلى الذهـــن أي صـــورة محسوســـة, فـــأن الذهن واجد هذه التصورات, من قبيل الوجود و الوحـــدة وحـــتى البعـــد والشـــكل والحركة والمدة. ثم يقولون إن هذه التصورات, لا تعتمد على الحـــس إطلاقـــا, بـــل هي فطرية وذاتية للعقـــل"[٢١٧].

العقل هو الأداة الثانية من أدوات المعرفة ، وليست وظيفتـــه مجـــرد التصـــرف في المحسوسات التي وصلت إليه عن طريق الحواس، فهو يـــدرك أمـــورا غـــير محسوســـة، والمعرفة مجرد تفاعلات حسية، وإنمـــا الحـــس معـــد ومـــهيء لإدراك العقـــل لهـــذه الانعكاسات عن طريق قوة المخيلـــة"[٢١٨].

---

[٢١٤] الشهيد مرتضى المطهري ــ شرح المنظومة ــ ٢/٧١٨

[٢١٥] تعليقات الشهيد المطهري على أسس الفلسفة والمذهب الواقعي ــ ١/٢٦٤

[٢١٦] محمد خاقاني (المؤلف) ــ بينات ــ البينة رقم ١٧

[٢١٧] العلامة الطباطبائي ــ أسس الفلسفة والمذهب الواقعي ــ ٢/٢٢

[٢١٨] تعليقات حاتم إسماعيل على : "بينات" للمؤلف

وهناك نظريتان في كيفية إدراك العقـــل :

أ ـ *نظرية التجريد والانتزاع*, وحاصلها: أن العقــل يجـرد المحسوسـات مـن كل مشخصاقما وخصوصياقما ثم ينتزع منها معـنى مشـتركا تشـترك فيـه سـائر الأفراد كمفهوم الإنسانية المنتزع من زيد وعمـر وخـالد.

ب ـ *نظرية التبديـل والانقـلاب*, وحاصلـها : أن المعرفـة تمـر في ثـلاث مراحل: مرحلة الحس ومرحلة الحفـظ والخيـال ومرحلـة إدراك المفـاهيم الكليـة، فالصورة الحسية تعتمد على وجود المحسوس لدى الحاسـة، فـإذا غـابت تصورقما الحافظة والمخيلة مجردة عن مشخصاقما الخارجية, وهاتان المرحلتـان جزئيتـان يمتنـع انطباقهما على أكثر من فرد، وبعد ذلـك تـأتي المرحلـة الثالثـة وهـي ملاحظـة المشخصات والمشتركات في الصور الذهنية فيترك المشـخصات في الصـور الخياليـة ويأخذ المشتركات التي تؤلف صورة ذهنية عامة وهي الصـورة العقليـة.

وعن كيفية حصول الصورة العقلية توجد نظريتـان أيضـا:

ـ إحداهما نظرية جمهور الحكماء, وحاصلها أن النفـس تخلـق هـذه الصـورة وتبدعها نتيجة لحصولها على ملكة الخلق والإبداع بوقوفـها علـى الصـور الخياليـة والحسـية،

ـ والأخرى نظرية صدر المتألهين (قـده), وهـي أن المعرفـة العقليـة ليسـت إبداعا وخلاقية, وإنما هي عملية ترق وتكامل مـن درجـة إلى أخـرى متكاملـة إلى المعرفة الألطف والأكثر تجـردا"[٢١٩].

---

[٢١٩] المصدر السابق

الحس :

الحس هو منشأ المعارف، وإليه تنتهي كافة المعارف البديهية والنظري ، فلولا تزود الإنسان بالحواس لما أمكنه معرفة شيء، ولذلك قيل: "***من فقد حسا فقد فقد علما***"، أي العلم المرتبط بتلك الحاسة المفقودة. ويدلنا على ذلك أنه لو وجد إنسان فاقدا لجميع الحواس لكان عاجزا عن إدراك جميع المعارف لا محالة.

وقد ذهب التجريبيون إلى أن المعارف البشرية وليدة التجربة، ولا يملك الذهن أية أحكام بديهية أو ضرورية بمعزل عن التجربة، وما توهمه العقليون من وجود أحكام ضرورية ليس أحكاما عقلية ناشئة من صميم العقل، وإنما هو وليد تجربة الإنسان عبر تاريخه الطويل وتجاربه المتمادية. وأن العقل ليس له عمل إلا التركيب والتجزئة، والتجريد والتعميم، وأجيب بأن الذهن يمتلك صور ومفاهيم لا وجود لها في الخارج.

ويلزم من ذلك بطلان القياس البرهاني وانتقال المعلومات من الكلي إلى الجزئي، لأنه لا يخلو من أن يكون مصادرة على المطلوب أو كون النتيجة معلومة قبل ترتيب القياس، فإذا قلنا "زيد إنسان" "وكل إنسان فان" فإن النتيجة المفترضة وهي "زيد فان" كانت معلومة لدينا عندما علمنا أن زيدا إنسان، وإلا كان تعميمنا في كبرى القياس (إن كل إنسان فان) مصادرة على المطلوب. فتحصيل المعلومات متوقف دائما على معرفة الجزئيات والانتقال بها إلى الكليات أي بواسطة الاستقراء لا القياس.

وأجاب عنه الفلاسفة الإسلاميون بما حاصله أن اعتماد التجربة طريقا وحيدا للمعرفة يعني إما عدم إمكان حصول المعرفة بالمرة، أو الوقوع في السفسطة ما لم نسلم بوجود بديهيات أولية غير خاضعة للتجربة.

فإن الاستقراء أن أريد به التام فهو غـــير متحقـــق بـــل لا يمكـــن تحققـــه إلا في بعض الموارد الخاصة والمنحصرة, مع أنه على فـــرض إمكـــان تحققـــه فإنـــه إمـــا أن يكون معتمدا على التجربة أيضا أو لا، فعلـــى الثـــاني يبطـــل المذهـــب التجريـــبي, وعلى الأول فالتجربة لا تثبت قيمة نفسها. مع أنه لو سلم ذلـــك كلـــه فـــان هنـــاك بعض القضايا لا يمكن خضوعها للتجربة كعـــدم اجتمـــاع النقيضـــين وارتفاعـــهما، والعلة والمعلول، ومع ذلك لا مناص من التســـليم بهـــا والإذعـــان لهـــا وإلا انهـــارت جميع العلوم البشرية ولزم السفســـطة.

هذا بالإضافة إلى أن التجربة محـــددة في الزمـــان والمكـــان والظـــروف الخاصـــة المحيطة بها، فالحكم على صحـــة التجربـــة أو خطئـــها مرهـــون بهـــذه التجربـــة في ظروفها وعددها ولا يمكـــن أن يتعداهـــا إلى غيرهـــا ممـــا لم يقـــع تحـــت التجربـــة بعـــد"[٢٢٠].

"يعتقد الحسيون أن "طاقة الفكر البشـــري علـــى الحكـــم, تنحصـــر في حـــدود ظواهر الطبيعة (فنومنات) وأعراضـــها, وتعيـــين الروابـــط بينـــها. وهـــذه الظواهـــر والأعراض هي التي يمكن تجربتها والإحساس بها. وأمـــا التحقيـــق في كنـــه الأمـــور وما وراء ظواهر الطبيعة وأعراضها, سواء أكـــان متعلقـــا بالطبيعـــة نفســـها, أم بمـــا وراء الطبيعة, فهو أمر يفوق طاقة الفكر البشري. وكل ما قيـــل لحـــد الآن في هـــذا الباب لم يكن له أساس, وإنما هو تحليق خيال وتســـطير ألفـــاظ... ويعتقـــدون أنـــه: "ليس في العقل إلا ما هو موجود في الحس". وينحصـــر عمـــل العقـــل في التصـــرف بالصور المحسوسة, من دون أن تكون له القدرة على إضافـــة تصـــور غـــير الصـــور

---

[٢٢٠] تعليقات حاتم إسماعيل على : "بينات" للمؤلف

المحسوسة...والنتيجة أن العلم لا ينفك عـن الحـس, وأن الفلسـفة لا تنفـك عـن العلـم"[٢٢١].

حسب الحسيين والتجريبيين, : "فقد نشأ العلـم في الغـرب, أي العلـم كنظـام للمعرفة, المقبولة اجتماعيا, عندما بـدأ البـاحثون يشـككون في صحـة المعـارف اليقينية والنظرية الجـاهزة...

وما كان للعلم الحديث أن ينشأ, لو اسـتمر الغربيـون في إسـناد معلومـاتهم إلى النظم المعرفية التي ورثوها عمن سبقهم. بل إن الأصل في نشـوء العلـم هـو هـذه الفكرة البسيطة التي تقول : إن الكافل لصحة معلوماتنـا ومعارفنـا عـن الواقـع لا يمكن أن يوجد في هذه المعلومات والمعـارف, قديمـة كـانت أو حديثـة ,إنمـا في التجربـة."[٢٢٢]

تأويل :

إن الاتجاه الذي لا يؤمن بحجية العقل واعتباره قوة ذاتيـة صادقـة للتمـيز بـين الحق والباطل في تفسير الإنسان الشامل لمجمل الوجـود, ينقسـم بـدوره إلى عـدة شعب، منها : تيار الحسـيين, الذيـن يعتمـدون علـى الحـس ــ لا غـير ــ في تحصيل المعرفة القيمة. ومنها : تيار أتباع الشـرع, الذيـن يـرون إمكانيـة بـروز الخطأ في جميع المعارف البشرية المعقولة منـها والمحسوسـة.

---

[٢٢١] العلامة الطباطبائي ــ أسس الفلسفة والمذهب الواقعي ــ ٥٢/٢

[٢٢٢] د. برهان غليون ــ اغتيال العقل ــ ٢١٠

وحيث أن الإيمان المستلزم لليقين لا يمكــن أن يتبنـاه الأسـس العلميـة القابلـة للخطأ, فلا بد إذن من اعتماد شريعة سماوية ووحـي الهـي يكشـف النقـاب عـن وجه الحقيقة. وهنا تبرز على الساحة ثنائية : ***العقــل/الشــرع***.

٢٢ ــ *العقل/الشرع*

العقــل :

"الفلسفة نشأت باستبعاد اللاهوت. إنها عنت دوما انسحاب الآلهـة مـن علـى المسرح. حتى عندما انفتح الفلاسـفة علـى الوحـي والنبـوة, كمـا نجـد عنـد "الفارابي" مثلا, فإنهم خلقوا آلهتـهم ...

والفيلسوف يتصرف كخـالق مبـدع وكصـانع مبتكـر. أمـا في اللاهـوت, فالعنصر الغالب هو : خضوع الإنسـان للأمـر الإلهـي, لكـائن أعلـى يمـارس إمبرياليته واستبداده بخلقه. بصريح العبارة : النـبي يقـول لـك : أنـا أولى منـك بنفسك، أما الفيلسوف, فيدعوك إلى أن لا تقلـد أحـدا.

والإنسان لا ينفك عن تأليـه أو تقديـس لأشـيائه، لمعشـوقته...أو لأفكـاره ومفاهيمه, كما هو شأن الفلاسفة الذين هـم في طليعـة المتـألهين. بهـذا المعـنى لا يعرى أحد من إيمان, يستوي في ذلك...الوثني والتوحيـدي والأصـولي والعلمـاني. أما إذا أردت بالإيمان الرضا الكلي والتسليم التام أو اليقـين الحـازم المغلـق, فـهذا يعني عندي موت الفلسفة بالذات... والفيلسـوف الحقيقـي لا ينخـرط في معتقـد ديني, وإلا لما كان فيلسـوفا...

(مع ذلك) إننا نجد بين علماء الإسـلام مـن يـهوى الفلسـفة ويشـتغل بهـا. وأشير هنا بنوع خاص إلى "الإمام الخميني" نفسـه. فـهو قـد تعـاطى الفلسـفة,

وأثنى على أهلها بمن فيهم فلاسفة اليونان, بالرغم من إصداره تلك الفتوى بقتل سلمان رشدي".[223]

ونجد عالما كبيرا من علماء الإسلام, هو : "محمد حسين الطباطبائي", الذي لم يمنعه انتماؤه العقائدي واشتغاله بالفقه والتفسير والكلام من الميل إلى الفلسفة والاشتغال بها, والثناء على أهلها" [224].

الشرع :

في عهد المتوكل, عندما انتصر السلفيون على المعتزلة, عمدوا إلى ضرب العقل والمنطق وحرية الفكر باعتبارها السبيل الذي يؤدي إلى الكفر والإلحاد والإيمان بمسألة خلق القرآن...

وظهر الأشعري, ليجمد عقيدته في التمسك بكتاب الله وسنة نبيه (ص) وما روي عن أصحابه والتابعين وأئمة الحديث وبمذهب واتجاه أحمد بن حنبل. وأهم ما يتألف منه مذهب الأشعري : ما قاله من أن الله قادر على كل شيء, وخالق كل شيء, وليس للطبيعة عنده فعل ما. أما أفعال الإنسان فإن الله يفعلها ويخلقها فيه, فينسبها الإنسان إلى نفسه, ويزعم أنها من كسبه...والعقل لا يوجب شيئا من المعارف, ولا يقتضي تحسينا ولا تقبيما, ولا يوجب على الله رعاية مصالح العباد...

ثم تلا الأشعري "أبو حامد محمد الغزالي". فختم على العقل الإسلامي نهائيا دون رجعة, إلا بمراجعة شديدة وثورة شاملة...

---

[223] علي حرب ــ نقد الحقيقة ــ ١٤٥ ــ ١٤٤

[224] المنبع السابق ــ ٨٦

ونظرا لانتشار فكر الغزالي وكتابه "إحياء علوم الدين", فقد ختـــم علـــى العقـــل الإسلامي, وقطع دابر الرأي. بـــل وانتـــهت تمامـــا فكـــرة حريـــة الإرادة, ومبـــدأ مساءلة الإنسان عما يفعل. فلا هو قادر على الفقه والتشريع, ولا هـــو قـــادر علـــى النظر والتدبير, ولا هو مسموح له بـــأن يبحـــث عـــن ســـبب الأشـــياء ...ولكـــل أولئك فقد تراجع المنطق, وتخلف العقل, وأنـــذر العلـــم, وضـــاعت الحريـــة, وبـــدأ الإسلام عهدا طويلا من النوم, وعصرا بعيدا مـــن الخرافـــة"![٢٢٥]

"جزم "ابن تيمية", بأن العلم المورروث عـــن النـــبي وحـــده يســـتحق أن يســـمى علما... و"الشهرزوري" قد أفتى بـــأن (الفلســـفة أس الســـفه والأغـــلال, ومـــادة الحيرة والضلال, ومثار الزيغ والزندقـــة).

أما الغزالي, فهو الأسبق والأشـــهر والأكـــثر فعاليـــة في صياغتـــه لهـــذا الموقـــف السلبي والعدائي مـــن الفلســـفة وعلـــوم الغـــير. إذ, كـــان أول مـــن حمـــل علـــى الفلاسفة... وبدعهم وكفرهم, بحجة أن آرائهم تخـــالف أصـــول الإســـلام...

لنبدأ بالدائرة السنية : ..."علي سامي النشـــار", (أســـتاذ الفلســـفة وبـــاحث في الفكر الإسلامي)..., يرفـــض الفلســـفة جملـــة وتفصيـــلا , بحجـــة أنهـــا معاديـــة للإسلام, ويعتقد أن هناك فلسفة إســـلامية أصيلـــة صافيـــة يمثلـــها علـــم الكـــلام وحده...والأمر نفسه يتكرر في الدائرة الشيعية : نجـــد باحثـــا إســـلاميا كمحمـــد تقي المدرسي... يستشهد بأقوال وأحاديث, تعتـــبر أن الذيـــن يميلـــون إلى الفلســـفة والتصوف هم : (شرار الخلـــق).

---

[٢٢٥] محمد سعيد العشماوي (مستشار في القضاء المصري) ـــ أفكار من أجل تحديث النظرة إلى الإســـلام ـــ السفير ٩٧/٥/٨

على الضد من ذلك, يقف أهل الانفتاح من ثقافـــات الغـير وعلومـــهم. ويعـدّ "ابن رشد" أبرز مـــن يمثلــهم...و"الفــارابي"...الــذي لم يفــاضل بــين الأمـــم والديانات, بل أقرّ بوجود أكثر من أمة فاضلة... أمــا "ابــن عــربي", فقــد خطـا خطوات أوسع وأجرأ, إذ رأى الحق في كــل صــورة...متــهماً بالجــهل كــل ذي معتقد يتعصب لمعتقــده "[٢٢٦].

تـأويل:

إنّ الاتكال على الشرع, باعتباره كلامـــاً إلهيـــاً نـــازلاً مـــن سمـــاء اللاهـــوت, وصادقاً في تفسير العالم, لم يعجب البعض كبديل للعقــل وبديهياتــه المبســطة؛ إمــا لكون الشرع ذا مصدر خارجي, لا ينطلـــق مـــن صميـــم ذات الإنســـان، وهـــذا البعض لا يرى بدأً مـــن الحاجـــة إلى منطلـــق ذاتي لتحريـــك الإنســـان؛ وإمـــاّ لأن الشرع يتلخص دوره عند البعض الآخر في ترسيم مـــا يســـمى بحـــدود الله, وتأطـــير حريات الإنسان في سلوكه وأعماله حسب الظـــاهر, ولكـــن في تضييـــق الحريـــات الفكرية حسب الواقـــع.

وحيث لا بدّ (عند هذا البعض) من إطلاق العنـــان, وتجـــاوز كـــل الحـــدود في عملية ممارسة الحرية, سواءً الحدود التي يفرضها علينا العقل بمنطقـــه, أو تلـــك الـــتي يمليها الشرع علينا من واجباته ومحرماته، فبات هذا البعض بحاجـــة إلى فضـــاء آخـــر مختلف تماماً عن فضاء الحس وفضاء العقل وفضـــاء الشـــرع , يرسمـــه بمـــلء إرادتـــه وبحجم أهوائه وأمنياته, ثم يبنيه ويسكن فيه, وبـــالأحرى يحلّـــق فيـــه إلى لا يتنـــاهى الإطـــلاق :

---

[٢٢٦] علي حرب ـــ نقد الحقيقة ـــ ٨٣

هذه هي مملكة الخيال . وهذه هي ثنائية : ***العقــــل/الخيــال.***

٢٣ ــ العقل/الخيال

العقــل :

أتباع المذهب العقلي يرون في العقــل جوهــر الحقيقــة الإنســانية. بــه يصبــح الإنسان إنساناً, وبفقدانه يبقى في دائرة الحيوان. تطبيق هــذا المبــدأ يتطلــب منــهم رفض كل ما يعتبر غير عقلاني في عملية المعرفة والكشف عــن الحقيقــة يــرد علــى ألســنتهم :

نحن أبناء الدليل حيثما مــال نميــل

ويرون في رفض العقل وتجاوز حدوده ومعايــيره اتباعــاً للــهوى, وســقوطاً في مخالب الوهم والخيال, أو فقدان الذاكــرة ! :

"أذكر في هذا الصدد تجربة قام بها العالم النفســي الحديــث "ويليــم جيمــس", وهي أنه عرّض بعض أشخاص تجاربه لرائحــة الغــاز, إلى الدرجــة الــتي أفقدهــم القدرة على تركيز الحواس فيمــا حولهــم, فطفقــوا ينطقــون بعبــارات ســجلها الباحث, فإذا هي شديدة الشبه بما يزعم كثــير مــن أهــل التصــوف أنهــم رأوه أو سمعــوه"[٢٢٧].

---

[٢٢٧] زكي محمود ــ المعقول واللامعقول ــ ٣٩٢

الخيـــال :

قيل إن "الحقيقة الشعرية بوصفها نتاجا للخيــــال, دون الحقيقــة الفلســفية الــتي هي نتاج العقل البرهاني. إذ الخيــــال أدرج بحســب منظومــة المعــارف القديمــة في مرتبة أدنى من مرتبة العقل في ســلم الوجــود...

لكن الخيال في نظر "ابن عربي", ليــس ملكــة معرفيــة هــي مصــدر للخطــأ والضلال, ولا هو مرتبة وجودية تتترل تحت مرتبة العقل؛ بــل هــو...أوســع مــن حضرة الحس ومن حضرة العقل...بل الخيال هــو نســيج الوجــود, كمــا يوحــي بذلك قول ابن عربي : "***الوجود كله خيـــال في خيـــال***".[228]

و"***المجاز***" من أبرز مجالات الخيال, الذي ينظر إليه الصــوفي بمنظــاره الخــاص :

"التصوف كما مارسه "ابــن عــربي" وعــبر عنــه, يشــكل خرقــا للخطــاب الفلسفي الماورائي...فقد أزال الحواجز بــين الكتابــة الفلســفية البرهانيــة, وبــين الكتابة البيانيــة الأدبيــة...وفتــح الكــلام علــى الجســد...وأعــاد الاعتبــار إلى الخيال...كما أعاد الاعتبار إلى العلامات...من هنــا لم تعــد تفــهم الحقيقــة مــن دون المجــاز" [229].

والمجاز, هو الطريق الأفضل للتعبير عن البنيات المشــبكة, والمعــاني المبطنــة الــتي تخلد وتجتاز آفاق التاريخ والجغرافيــا :

"قال ابن رشد : إن في الشريعة معاني خفية عويصــة, ليــس باســتطاعة الجميــع تصورها والتصديق بها, ولما كان القرآن قد خاطب الكــل...فإنــه قــد عــبر عــن تلك المعاني العويصة بضرب "الأمثال" عليــها...مــن هنــا كــان احتيــاج النــص

---

[228] أبو العلا عفيفي ـــ شرح فصوص الحكم ـــ الفصل التاسع

[229] علي حرب ـــ نقد الحقيقة ١٠٥ ـــ ٩٩

القرآني إلى...الخروج من الدلالة الحقيقية إلى الدلالـــة المجازيـــة. والأصـــح : القـــول الارتداد من المجاز إلى الحقيقة, مادامت الحقيقة هي الأصـــل, والمجـــاز هـــو العـــارض والاســـتثنائي" [230].

ومن مساحات المجاز أيضا : "***الأســـــطورة***".

فبخرق حجاب العقل, وتجاوز أسسه الفولاذيـــة, تفتـــح أمـــام الإنســـان آفـــاق شاسعة حريرية من الخيالات ومن الأساطير, التي تتكلـــم بلغـــة أخـــرى يجلـــو لهـــا الكثـــيرون :

"عالم الأسطورة عـــالم درامـــي, عـــالم أعمـــال وقـــدرات وقـــوى متصادمـــة. والأسطورة ترى هذا الاصطدام بين تلـــك القـــوى في كـــل ظـــاهرة مـــن ظواهـــر الطبيعة. والإدراك الأسطوري مفعم دائما بهـــذه الخصـــائص العاطفيـــة. فكـــل مـــا يرى أو يحس محاط بجو خاص, جو من الفـــرح أو الحـــزن أو العـــذاب...في حـــال الأسطورة لا نستطيع أن نتحدث عن (الأشياء) باعتبارهـــا مـــادة ميتـــة أو هـــامدة, فكل شيء ثمة خير أو شر, صديق أو عدو، مـــألوف أو غريـــب, جـــذاب معجـــب أو منفر متوعـــد"[231]...

والخيال المنصبغ بالعلم والمنفصل عن الأخلاق في عصر مـــا بعـــد الحداثـــة يعتـــبر معتلا :

---

[230] المنبع السابق

[231] كاسيرر ــ مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية أو مقال في الإنسان ــ نقلا عن نقد الفكر الديني ــ ٥٨

"ألا يكون الشعر المجرد ما بعد الحداثي معتلا لا يفارقـــه الضجيـــج النـــاتج مـــن ارتطام اللغات, رغم تمسكه بالمتســـامي ومقاومتـــه للتجســـيد، وخصوصـــا بعدمـــا ارتضى انفصال الفن عن الأخلاق وأصبح تذكـــرا مزيفـــا للمتســـامي؟"[٢٣٢]

والتوغل في عالم الأســـاطير, وتفضيلـــها علـــى نســـيج الواقـــع, جعـــل بعـــض المفكرين تأويل القصـــص الدينيـــة في الكتـــب الســـماوية بالأســـاطير; في محاولـــة تذكرنا بهذه الآيـــة القرآنيـــة وأمثالهـــا: ((إذا تتلـــى عليـــه آياتنـــا قـــال أســـاطير الأولـــين))[٢٣٣]:

"إن القصة القرآنيـــة القائلـــة أن الله خلـــق آدم مـــن طـــين, ثم أمـــر الملائكـــة بالسجود له, فسجدوا إلا إبليس ما دعا الله إلى طرده مـــن الجنـــة, هـــي "أســـطورة جميلة" ا...و(لكن) للأسطورة هنا معنى جدي وعملـــي...يعـــني مجمـــوع النتـــاج الخيالي, الذي تتركه لنا ثقافة من الثقافات. وعلى هـــذا الأســـاس تكـــون (الأيـــاذة) و(الأوريسة) وملحمة (جيلجامش) من الأساطير...والكتب الدينيـــة تحتـــوي علـــى مقاطع وأجزاء, تعبر عن الفكر الأسطوري...مثل قصـــة الطوفـــان"[٢٣٤].

ثم إن السعي في خلق فضاءات غير متناهية منسجمة مع طمـــوح الإنســـان غـــير المتناهي عبر "*الخيال*", لم يقتصر في الانتماءات الصوفيـــة, بـــل اســـتغل مجـــال الأدب والفن :

---

[٢٣٢] نظير جاهل ــ أوهام الديموقراطية ــ ٢٤

[٢٣٣] القلم٦٨ / ١٥

[٢٣٤] صادق جلال العظم في جلسة الاستجواب أمام محكمة المطبوعات ــ نقد الفكر الديني ــ ١٥٣

"إذا كانت اللعبة المجازية هي خصيصة الشعر, فبالمجاز يجتاز الإنسان العوالم, ويقرب بين الأشياء, وذلك حيث تصير الكلمات رموزا تحيل من شيء إلى شيء, وترتحل بنا من عالم إلى عالم آخر"[٢٣٥].

"العودة إلى القلب مع الرومانسية هي عودة إلى الإحساس والخيال والحدس...إن الفن مع الرومانسية باعتمادها الخيال والإبداع أضاف إلى الوجود بعدا روحيا، وبنا عالما إنسانيا داخليا...

إن تشكل اللغة الفنية الرومانسية هو الموقف المواجه للعقل. إنه التوازن الذي يحتاجه الإنسان للاستمرار، ذلك أن طغيان التقدم المادي والتسليم الكلي للعقل أدى إلى ولادة هذه الحركة التي سميت أصلا نزعة العداء للعقل...والصراع القائم ما بين العقل والقلب, وما بين العلم والفن, هو الذي ينجب اللغات التشكيلية الجديدة...

وترفض الحركة الرومانسية في الأدب والفن علمنة الحياة وتعريفها بجملة من الصياغات البيولوجية والفيزيائية والكيميائية".[٢٣٦]

تأويل :

الفن, بأشكاله المتنوعة من الأدب والموسيقى والرسم والفنون التشكيلية, ساحة واسعة في خلق الفضاءات التي تنسجم مع طموح الانسان. والفنان الذي يحلق في أجواء الخيال, يعرف أن الذي يبدعه ويصوره, لا حظ له من الواقع .

---

[٢٣٥] علي حرب ـــ نقد الحقيقة ـــ ١٣ ـــ ٢٦

[٢٣٦] طارق هزيمة ـــ صراع العقل والقلب ـــ البلاد ـــ ٣٣٧

كذلك العارف, لا يفضل البقـــاء في شـــرنقة *العقـــل*, ويريـــد التخلـــص مـــن الفضاء المألوف, لمعرفة تلك الفضاءات المبطنـــة. لكنـــه علـــى قناعـــة بـــأن فضـــاء *القلب* ليس مثل الخيال, الذي لا حظ له من الواقـــع. بـــالعكس, يؤمـــن بـــأن مـــا يشهد به *القلب* هو الواقع, والمألوف الـــذي يتعـــرف عليـــه *العقـــل* نســـخة عنـــه. وإليكم ثنائية : ***العقل/القلـــب*** .

٢٤ ـــ العقل/القلب

العقـــل :

الفلاسفة أصلوا جانب الفكر والعقـــــل كـــالحجر الأســـاس في بنـــاء الإنســـان. وخير ما يمثل هذا الرأي هو كوجيتو "ديكارت", الـــذي يلخـــص وجـــود الإنســـان في تفكيره. فهو إنسان, بقدر ما يكون مفكرا. غايـــــة كمـــال الإنســـان أن يصبـــح عالما عقليا يضاهي العالم العيني, وأن يتســـع عقلـــه, ليشـــمل كـــل حقـــائق عـــالم الكون.

موضوع الفلسفة عند الحكماء هو : الموجود بما هـــو موجـــود. وغايتـــها تميـــيزه عما ليس بموجود, والكشف عن الحقيقة ومعرفة سلسلة العلـــل والعوامـــل في نظـــام الكون[٢٣٧]. لكي يتحقق هذا الهدف, لا بد مـــن التركـــيز علـــى البرهـــان الصـــرف القائم على اليقينيات والبديهيات. ولا بـــد مـــن تجنـــب المشـــهورات والمظنونـــات, التي لا تجدي في معرفة الحقيقة, وتجعـــــل مـــن الاســـتدلال جـــدلا يحصـــر دوره في إسكات الخصم فقط, دون أية قيمة نظريـــــة.

---

[٢٣٧] العلامة الطباطبائي ـــ بداية الحكمة ـــ ٩

كما لا بد من تجريد الفكر والعقل مـــن أيـة تظـاهرة للمشـاعر والعواطــف, لأنها أيضا تبدل البرهان شعرا, قد يكون أصدقـه أكذبـه (كمـا قيـل في وصـف الشعر), فكيف يفيد اليقـين أو تحولـه إلى خطابـة, لا تنتـج إلا تحريـك مشـاعر الجماهير, إما باتجاه الحق أو الباطل, فضلا عن المغالطة الـتي تلبـس الحـق بالبـاطل, و((لا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتـم تعلمـون))[٢٣٨] .

وقد يستنكر الفلاسفة إذا اتهموا أنهـم يتطلعـون إلى الوجـود عاريـا مـن أي جمال وكمال. لكن سلوكهم البرهـاني في الانتمـاء إلى العقـل ورفـض مسـاهمة القلب, يعودهم على هذا الانطباع المجرد عن روعة الإحسـاس ولطافـة العاطفـة.

القلـب :

أما العرفاء, فلا يرضخون للعيش في قلعـة العقـل الصخريـة كـالجلمود, الـتي خلت من كل آيات العشق . ويتطلعون إلى حيـث الجمـال والكمـال, إلى حيـث الحب والحنان : إلى حضرة القلـب.

وإذا كان الفلاسفة يـترددون :

"نحن أبناء الدليل ، نميل حيث يميـل",

فشعارهم هـو :

"استفت قلبك, وإن أفتاك المفتـون" .

الحياة عندهم ليست للمعرفة الحصولية, والكشف عـن الحقيقـة بقـدم العقـل الذي يعتبرونه قدما خشبيا, بل لوصال الحق والاصطلاء بـه والذوبـان فيـه.

---

[٢٣٨] البقرة٢ / ٤٢

يقول العلامة القيصري في شرحه لفصوص الحكـــم : "...وفيــه تشـبيه العلــم الكشفي بالعذب الفرات فإنه يروي شـــاربه ويزيــل العطــش, كمــا أن الكشــف يعطي السكينة لصاحبه ويريحه. والعلــم العقلــي بــالملح الأجــاج, لأنــه لا يزيــل العطش, بل يزداد العطش لشاربه. وكذلك العلــم العقلــي لا يزيــل الشـبهة, بــل كلما أمعن النظر تزداد شــبهه, وتقــوى حيرتــه"...(إن أربــاب التحقيــق وأهــل الطريق) هم عباد الرحمان الذين يمشون على أرض الحقــائق هونــاً. وأربــاب النظــر عباد عقولهم. فالصــادر فيــهم : ((إنكــم ومــا تعبــدون مــن دون الله حصــب جهنم))[٢٣٩], أي جهنم البعد والحرمان عن إدراك الحقــائق وأنــواره, أي لا يقبلــون إلا ما أعطته عقولهــم"[٢٤٠].

عصارة الوجود عندهم هي الحبّ. حتى الله لا يــهدف إلاّ الحــبّ. لــو لم يكــن الحبّ لبقي العالم بأسره في كتم الخفــاء والعــدم :

"*كنت كنزاً مخفياً, فأحببت أن أعـــرف, فخلقــت الخلــق كــي أعــرف*". ـــ الحديــث

الكلام صريح في تعليق المعرفة على الحــــب.

والعقل عندما ينفصل عن لغة الحمــاس ولغــة الأحاسـيس القلبيــة لا يخــدم إلا سيادة الســلطة:

"إن استبعاد لغة الحماس ـــ لغة التوحيـــد هـــي الـــتي سمحـــت للغــة الســـيادة بالقضاء على اختلاف المعارف واللغات وإخضاعها بلغة العلــــم بدايــة ثم الآن بلغــة

---

[٢٣٩] الأنبياء ٩٨

[٢٤٠] نقلاً عن آية الله حسن زاده الآملي ـــ إنسان در عرف عرفان ـــ ٩٧

المعلوماتية، أي بإناطة وظائف ثانوية بهاتين اللغتـــين، ولذلـــك يبقـــى مـــن الســـاذج الاعتقاد بإمكانية انعتاقهما من أدائها دون احتلال جزيـــرة لغـــة الســـيادة، أي اللغـــة السياسية القانونية الحديثـــة" [241].

لكن العارف أو الصوفي, لا يملك برهانا لإقناع الآخرين بصحـــة مـــا يشـــاهده, أو يدعي أنه يشاهده ويتذوقه. وهذا يجعل مجـــال التشـــكيك في مصداقيـــة الكشـــف والشهود مفتوحا على الآخريـــن :

"لا شك أن المتصوفين الذيـــن ينتمـــون إلى تـــراث ديـــني واحـــد وإلى طريقـــة صوفية واحدة, لا يختلفون كثيرا في وصفهم للحقيقة. ولكـــن عندمـــا نقـــارن بـــين شهادات المتصوفين المنتمين إلى أديان مختلفـــة, نجدهـــا مختلفـــة اختلافـــا جذريـــا, في وصفها لما يجده المتصوف في نهاية مطافه الروحي؛ ممـــا يـــدل علـــى أن التطـــابق في آراء المتصوفة حول هذا الموضوع نابع ليس من وحدة الرؤيـــا الصوفيـــة, وإنمـــا مـــن وحدة التراث الديني الذي ينتمون إليه..لذلك, يحق لنا أن نشـــك بوجـــود حقيقـــة روحية واحدة يتصل بها جميع المتصوفين, مهما اختلفت أديـــانهم , ومـــهما تمـــايزت ميولهم الروحيـــة ". [242]

تـأويل :

بالتدقيق في معظم القضايا التي ناقشناها في قائمـــة الثنائيـــات المعرفيـــة, يتبـــين أن المعرفة ذات وجـــهين :

---

[241] نظير جاهل ـــ أوهام الديموقراطية ـــ ٢٦

[242] صادق جلال العظم ـــ نقد الفكر الديني ـــ ٤٨

إذ, إنها تتصل بالنفس, وتعبر عن وجه من وجوه النفس. وهي بهذا الوجه شأن من شؤون النفس, وحاضرة عندها, فنسميها بالمعرفة الحضورية. لكنها في وجهها الآخر, تعكس للنفس صورة لواقع ما, متحقق في خارج النفس, وتسمى في الوجه الأخير بالمعرفة الحصولية .

ففي المعرفة أو العلم ثنائية, هي : *الحصولي/الحضوري*.

٢٥ـ الحصولي/الحضوري

الحصولي:

"إن حقيقة العلم هي أنه انكشاف الواقع أمام العقل، فلا شيء أعرف وأظهر من العلم, وإلا لزم أن ينكشف بانكشاف آخر وهكذا, فيتسلسل وتستحيل المعرفة، ضرورة أن كل شيء ينكشف عند العقل بالعلم لا بشيء آخر.

وهو ينقسم إلى العلم الحضوري والعلم الحصولي, باعتبار حضور حقيقة الشيء أو حضور صورته عند العقل، والحصولي إلى تصور وتصديق.

أما العلم الحضوري, فمعناه حضور حقيقة المعلوم واتحادها مع العقل، لعدم وجود الموانع المكانية والزمانية وغيرها من مختصات المادة مع المعلوم، فإذا تجرد المعلوم عنها اتحد مع العالم لا محالة، وموطنه النفس.

وأما العلم الحصولي, فمعناه وان كان حصول صورة الشيء الموجود في الواقع الخارجي عند العقل، أي أنه انعكاس للواقع الخارجي لدى الذهن، ولكن العلم الحضوري سبب أساسي في حدوثه, لأنه لولا توجه النفس قواها وآلاتها إلى الواقع الخارجي الذي يقتضي انعكاس الصورة المنكشفة عند العقل, لما أمكن

الاتصال مع الخارج. فالعلم الحصولي مسبوق بالعلم الحضوري ومتفرع عنه، ولا عكس"[243].

والعلم الحصولي عُرّف "بالعلم بماهيات الأشياء وليس بوجوداتها"[244].
ويفضّل آخرون تعريف العلم الحصولي: "بالعلم غير المباشر, وبوساطة الصورة العلمية, تعريف العلم الحضوري بالعلم المباشر وبلا وساطتها, لأن العلم الحصولي لا ينحصر في العلم بالماهيات. فلنا علوم بالوجودات وبالواجب ــ تبارك وتعالى ــ, تتمثل في المعقولات الثانية, وهي علوم حصولية. ولو كان العلم الحصولي مختصاً بالماهية, لما تعلق بما لا ماهية له, كالواجب الوجود"[245].

والفلاسفة, يقسمون العلم الحصولي إلى البديهي والنظري. "والأول ما لا يحتاج في حصوله إلى اكتساب ونظر, كتصور مفهوم الوجود والشيء والوحدة, والتصديق بأن الكل أعظم من جزئه. والنظري, ما يحتاج في تصوره أو في التصديق به إلى اكتساب ونظر, كتصور ماهية الإنسان والفرس, والتصديق بأن الزوايا الثلاث من المثلث مساوية لقائمتين, وأن الإنسان ذو نفس مجردة". [246]

لكن فلاسفة غربيين يشكون في وضوح العلوم البديهية. منهم: "هيدغر", حيث يقول في مقالته حول "مبادىء الفكر"[247]: "إنه *لغشاش*" من يدعي بأنه

---

[243] تعليقات حاتم إسماعيل على: "بينات" للمؤلف

[244] العلامة الطباطبائي ــ نهاية الحكمة ــ ١٩٥

[245] الشيخ مصباح اليزدي ــ تعليقات على نهاية الحكمة ــ ٢/١٩٥

[246] العلامة الطباطبائي ــ نهاية الحكمة ــ ٢/٢٣٦

[247] معربة في مجلة " المواقف ــ العدد ٥٥ ــ ترجمة وائل محجوب

يعرف مبادئ الفكر التي هي أولياته وبديهياته, معرفة واضحة تامة. فالأوليات تتعذر معرفة مصدرها وماهيتها, أي أصلها وفصلها. وتبدو لنا غامضة, بنسبة ما هي جلية واضحة, وعلى قدر ما نسلم بضرورتها وأسبقيتها".

الحضوري :

وهو : "كعلم الواحد منا بذاته التي يشير اليها, ويعبّر عنها بـ "أنا ". فأنه لا يلهو عن نفسه, ولا يغفل عن مشاهدة ذاته, وإن فرضت غفلته عن بدنه وأجزائه وأعضائه.

وليس علمه بماهية ذاته عند ذاته حضوراً مفهومياً وعلماً حصولياً، لأن المفهوم الحاضر في الذهن, كيفما فرض, لا يأبى بالنظر إلى نفسه الصدق على كثيرين، وإنما يتشخص بالوجود الخارجي. وهذا الذي يشاهده من نفسه ويعبر عنه بـ "أنا" أمر شخصي بذاته, غير قابل للشركة بين كثيرين. وقد تحقق أن التشخص بالوجود، فعلمنا بذاتنا إنما هو بحضورها لنا بوجودها الخارجي, الذي هو عين وجودنا الشخصي المترتب عليه الآثار...وهذا قسم آخر من العلم, ويسمى : العلم الحضوري"[٢٤٨].

والعلم الحضوري مقدّم على الحصولي بكل أنواعه, حتى التصورات والتصديقات البديهة فيه. هكذا يعتقد "ديكارت", الذي تعتبره د. منى دياب : "مفكراً مثالياً يذهب من الفكر وينتهي إليه : "أنا أفكر , إذاً أنا موجود"...

فالوجود عند ديكارت ليس أول المعاني التي تخطر بالذهن...وهذا هو العمود الفقري لفلسفته التي بناها على موقف الشك كفكر، فقدم الفكر

[٢٤٨] العلامة الطباطبائي ــ نهاية الحكمة ــ ٢/١٩٦

والأفكار والعقيدة على الوجود...فكـــانت مثاليـــة ديكـــارت, هـــي المعلـــل الأول للصرح العلمي. فالفكر عنده هي الحقيقة, وهي الـــتي تشـــمل الله والعـــالم"[249].

مع أن ظواهر هذه العبارات تفيد بأن المقصود من الفكر هـــو العلـــم الحصـــولي, على ما يتفق عليه علماء المنطق الصوري, والذهـــن هـــو موطنـــه؛ لكـــن التدقيـــق الأكثر في رأيه يفيد تركيزه على ما نصطلح عليـــه بـــالعلم الحضـــوري بـــ "أنـــا". وما يقصده من "أفكر", هو كون "أنا" غير غائب عـــن ذاتـــه :

" لم يلتمس ديكارت حقيقة الوجود في العـــالم الخـــارجي, بـــل في ثنايـــا الفكـــر نفسه. ولذلك لم تحتج النفس في فلســـفته إلى براهـــين مثبتـــة, لأنهـــا موجـــودة في النفس ضمن شعور داخلي يقيـــني... بينمـــا يحتـــاج العـــالم الخـــارجي إلى براهـــين لإثبات واقعـــه"[250].

اتضحّ من خلال هـــذه الثنائيـــة المعرفيـــة : ثنائيـــة ***العلـــم الحضـــوري/العلـــم الحصولي***, أننا واقفون أمام نوعين متغـــايرين في الجوهـــر :

العلم الحضوري هو شهود الذات الإنســـانية لذاتـــه, ولكـــل مـــا بداخلـــه مـــن مشاعر وعواطف وأحاسيس ونوايا وإرادات تنطلق منها. بيـــد أن العلـــم الحصـــولي عبر الذهن, هو مساحة تعرّف الذات الإنسانية على كـــل مـــا هـــو خـــارج عنـــها بذاته. وحيث لا يمكن حضوره عند الذات بكل وجـــوده, فـــالنفس تلتقـــط صـــورة من ماهيته, أو تنتزع مفهوماً منه, ليتمرآ به عنـــد الإنســـان.

و"العلم الحضوري عبارة عن حضور حقيقـــة المعلـــوم عنـــد العـــالم، أي يكـــون المعلوم بنفسه منكشفاً عنده، فهو علم بغير واســـطة، ولذلـــك لا يمكـــن أن يتطـــرق

---

[249] د. منى دياب ـــ كوجيتو ديكارت متجدد صوفي وموحّد ـــ السفير ـــ ٩٦/٥/٣١

[250] المصدر السابق

الشك اليه، بخلاف العلم الحصولي الذي عبارة عن حضـــور صـــورة الشـــيء لـــدى العالم، فهو علم بالواسطة، وهي الصورة الحـــاضرة عنـــد العقـــل، فيمكـــن تطـــرق الشك إليـــها"[٢٥١].

تـأويل :

العلم الحضوري, الذي هو شـــهود قلـــبي وجـــداني مقـــابل الإدراك الحســـي أو العقلي, لا يقبل أيّ خطأ والتباس؛ لكون النفس متحـــدة مـــع ذاتهـــا, بـــل واحـــدة معها وما بداخلها. فالمعلوم هنا عين العالم, والعالم عـــين المعلـــوم, ويســـتحيل عليـــه وقوع الخطأ في الإدراك. وما يكون هكذا فهو : "*مطلـــق*", بـــأحد معانيـــه.

أما العلم الحصولي, فيتم بتوسيط صورة علميـــة بـــين العـــالم والمعلـــوم. وهـــذه الصورة قد تكون حسية, تبعث على الشك في مدى جدارة ودقـــة الحـــواس الماديـــة في عملية الالتقاط, أو في التغيرات التي تطرأ عليـــها عنـــد انتقالهـــا إلى المـــخ عـــبر سلسلة الأعصـــاب.

وقد تكون عقلية, ومنها ما تعتمد على محسوسات سابقة, تبقـــي مجـــال الشـــك في ما ينتزع عنها. ومنها ما تسمى بالبديهيات والأوليـــات. وهـــي أيضـــاً أصبحـــت موضع نقاش حاد عند المدارس الفلسفية الحديثة, التي بـــاتت تشـــك حـــتى في أبـــده هذه البديـــهيات.

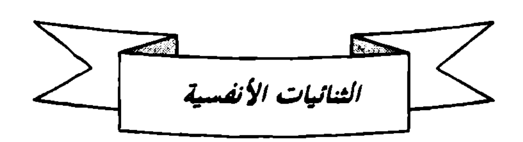
وما يكون هكذا فهو : "نسبي", قد يختلف من شـــخص لآخـــر, ومـــن فضـــاء لفضاء آخـــر.

---

[٢٥١] تعليقات حاتم إسماعيل على : "بينات" للمولف

إذن ؛ لا بد من مناقشة ثنائية أعمق, وهي : *المطلق/النسبي*. ويؤجل الخوض فيها حتى الفصل الرابع, لدراسة الثنائيات الشعورية في الجزء اللاحق من الكتاب.

الفصل الأول:



ج : الثنائيات الشعورية

٢٦ ــ الجدّ/اللعب
٢٧ ــ العسر/اليسر
٢٨ ــ الخوف/الرجاء
٢٩ ــ الإيمان/الكفر
٣٠ ــ الهداية/الضلالة
٣١ ــ الفرد/المجتمع
٣٢ ــ الجبر/التفويض
٣٣ ــ الطلب/الإرادة
٣٤ ــ الحرية/العبودية
٣٥ ــ القرب/البعد
٣٦ ــ التشبيه/التنزيه
٣٧ ــ العلم/الجهل
٣٨ ــ الصحو/المحو

ج ـ الثنائيات الشعورية

٢٦ ـ الجدّ/اللعب

الجدّ :

الحياة الطبيعية التي نعيش فيها ونمارسها, بما فيها من خطط وبرامج لجلب لذّاتها ودفع مراراتها, هي كل شيء, في ذهنية الكثير من أفراد البشر : لا نمتلك إلا هذه الفترة القصيرة, التي تستحيل مقارنتها بأقطار الزمان والمكان. و لم نصل بعد مستوى التقنية العلمية, لدرجة تخليد الإنسان أو تطويل هذه الحياة, و لم يمكن تجديدها أو تمديدها.

هذه الرؤية, تملي على أغلبية الناس أن يضعوا حياتهم, والأهداف التي يمكن رصدها خلال ممارساتهم ونشاطاتهم, موضع اهتمام جدّيّ ورئيسي.

اللعب :

أما الدنيا, فلا تدار دوماً وفق إرادة البشر. و"*الدهر يومان : يوم لك ويوم عليك*"[٢٥٢]. هناك أماني لا تتحقق, لمخالفتها سنن الدهر وقواعد التاريخ، وأخرى لا تطبق, لأنها تصطدم بنوايا الآخرين الذين يفرضون ميولهم ونزعاتهم علينا

ولهذه الصدمة تأثير مختلف على طبائع الناس:

ـ فئة تسقط في مستنقع العبثية, وتصوّر نظام الكون ألعوبة وهزلاً لا جدّ فيها, تصنعها قوانين الصدفة, وتقودها معايير البخت, ليس إلاّ. في مثل هذه

---

[٢٥٢] حديث ورد عن الإمام علي (ع)

الأجواء , ليس علينا إلاّ ممارسة هواياتنا وألاعيبنا, "وليست خياراتنا سوى إستراتيجيات , نمارس من خلالها لهونا ولعبنا..عليّ أن أمارس اللعب حسب قواعد أو بابتكار قواعد جديدة".[253]

و"إننا في النهاية جزء من اللعبة الجارية على مسرح الأمم. واللعبة هي أكبر من اللاعبين, إذ هي تسيطر على جميع الأطراف الداخلين فيها"[254].

ـ **وهناك فئة أخرى, يقتنعون أيضا بعدم جدية هذه الحياة وهذا العالم,** وعدم جدية ممارساتها واتجاهاتها. وبالتالي ينظرون إليها نظرة لهو ولعب. ولكن, إيماناً منهم بأنّ في ما وراء هذا العالم حقائق جدية لا هزل فيها, وأنظمة وقواعد لا لهو فيها. وما يتوجب على الإنسان هو التخلص من ألاعيب الدنيا للوصول إلى عالم الأصالات وعالم الحقائق الأزلية الأبدية.

تأويل:

لا شك أن من يأخذ هذه الحياة وشؤونها وشجونها بعين الجدّ, يصاب بأنواع شتى من المعاناة, ويتذوق كثيراً من المرارات. فليس كل ما يتمناه المرء يدركه. الإحساس "بالعسر", هو سيد الموقف في نفسية هذه الجماعة.

أما الفئة الثانية, فتحاول دوماً أن تريّح نفسها, وتهدّىء أعصابها بهزلية اللعبة بعد كل فشل يصيبه. في رأيهم : طالما أن الدنيا هزل والحياة لهو, فالمطلوب ((*نظرة إلى ميسرة*)). وهنا تبرز ثنائية : ***العسر/اليسر*** :

---

[253] علي حرب ـ نقد الحقيقة ـ ١٣٩

[254] سامر عكاش ـ فلسفة اللعبة الوجودية ـ نقلا عن علي حرب في السفير ـ ٩٨/١٠/٢٤

٢٧ ـ العسر/اليسر

العسر

الخضوع لآلام الحياة ومصاعبها وعسرها, يفرض نفسه على مختلف التيارات الفكرية.

فالقرآن, يرى العيش في "الكبد", والمشقة قضاءً محتوماً للإنسان : ((لقد خلقنا الإنسان في كبد))[٢٥٥], ونبي الإسلام المكرم (ص) يقول : "ما أوذي نبيّ مثلي".

و"بوذا", يرى أن الإنسان يولد في المشقة.

حتى "نيتشه" ـ المعروف بتمرده على كل القيم الأخلاقية لحساب السلطة, والتمتع بها ـ يعترف بأن العسر والألم, هما الكفيلان بتحقيق الارتقاء في الإنسان :

"أنتم تريدون منا إلغاء الألم، أما نحن ؟...يبدو حقاً أننا نريده بالأحرى أعظم وأسوأ مما كان عليه يوماً. إن الهناء كما تفهمونه ليس هدفاً ألبته، بل هو يبدو لنا نهاية وحالاً سرعان ما تحيل الإنسان إلى أضحوكة وحقارة. ألا تعلمون أنّ هذا التأدّب وحده خلق حتى الآن كل ترقّيات الإنسان ؟ وشدة النفس في حضرة الهلاك الكبير، وحيلتها وبأسها في تحمّل الشقاء ومجادلاته وتأويله واستثماره، وكلّ ما وُهب لها يوماً من عمق وسرّ وقناع وروح ومكر وكبر... ألم يوهب لها تحت وطأة التألّم ووطأة التأدّب بالألم الكبير ؟ في الإنسان اتحد المخلوق والخالق : في الإنسان خامة وقطع وزوائد وطين ووحل

---

[٢٥٥] البلد ٩٠ /٤

وسخف وخاوس؛ لكن، في الإنسان أيضاً صانع[٢٥٦] وقسوة طارقة وألوهية متفرّجة ويوم سابع...هل تفهمون هذا التضاد ؟ أتفهمون أنّ شفقتكم تعني "المخلوق في الإنسان", تعني ما يجب أن يكوّن ويُكسر ويُطرق ويُصهر ويُمزق ويُحمّي ويُطهّر، تعني ما يجب وما ينبغي بالضرورة أن يتألم ؟ وإشفاقنا نحن، ألا تدركون من يعني إشفاقنا المعاكس، حين نتصدى لشفقتكم بوصفها أردأ أنواع الترهيل والإضعاف ؟ إشفاق ضد إشفاق إذن! مع ذلك أكرّر : ثمة مسائل أعلى من كلّ مسائل اللذة والألم والشفقة؛ وكل فلسفة تؤدي إلى هذه وحسب، سذاجة هي..."[٢٥٧].

و "تشيع بعض الديانات والأدبيات اعتقاداً بات راسخاً, بأن الشقاء قدر لا مفرّ منه، قد تخترقه هنيهات وجيزة من سعادة لا نستحقها.

يقول مثل شعبي صيني : إن "السعادة تشبه شعاعاً من أشعة الشمس. ويمكن لأي ظل أن يحجبه". أما المقولة اليونانية القديمة, فتؤكد بأن "السعادة فانية ووجيزة".

من يسود عليه هذا التفكير, يتشاءم حيال إمكانية تحقيق السعادة. ويتغلب عليه مشاعر التعاسة. ويرى : "أنني لا أستحق السعادة والنجاح", أو : "لا يوجد من هو قادر على إشباع حاجاتي العاطفية", أو : "لا عليك الاعتماد على العلاقات الحميمة؛ فهي لا تدوم", أو حتى : "لا يمكنني الانتماء لشيء, لأنني لا أنفع ذلك"[٢٥٨].

---

[٢٥٦] بالمعنى الأفلاطوني ، الإله الصانع

[٢٥٧] فريدرش نيتشه ـــ ما وراء الخير والشر ـــ ١٩٧

[٢٥٨] لويز ساموايز ـــ الأسرار الاثنى عشر للصحة و السعادة ـــ نقلاً عن السفير ـــ ٩٨/٢/١٩

اليسـر :

الآراء تختلف في سبل القضاء على الإحساس بالعســـر والشـــقاوة.

الأسترالية "لويز ساموايز", ترى أن الديـــن لم يعـــد في القـــرن الحـــالي, المـــلاذ الذي يتم اللجوء إليه لتحقيق السعادة. بل بات النـــاس (في الغـــرب علـــى الأقـــل), يفضلون اللجوء إلى المحلل النفســـي.

والطب النفسي, يرتكز أساساً على نظريـــات "فرويـــد", المســـتمدة بدورهـــا ـــ برأي ساموايزـــ من تراث الكنيسة الغربية. ويرى فرويـــد أن "مـــا نســـميه الســـعادة بمعناها المطلق, هو تحقيق الرغبات التي كتبت لأقصـــى درجـــة". وتـــرى ســـاموايز أن نظرة فرويد هذه توازي التشاؤم الأدبي السائد. ويمكـــن ســـرّ الســـعادة في فـــهم (المسلسلة) الـــتي تحـــول (الأحـــداث) إلى (إدراك حســـي), تـــؤدي بدورهـــا إلى (معتقدات) تليها (أفكار) و (أحاسيس) تتحـــول بدورهـــا إلى (تصرفـــات) ". [٢٥٩]

تـــاويل :

الانغماس في عسر الحياة وآلامها, والانكماش في مخـــالب المشـــاكل الـــتي تفـــوق أحياناً طاقات الإنسان, يخوّفه من مستقبل هذا الصـــراع المســـتمر.

فليس أمامه, إمـــا الاستســـلام لســـلطان *الخـــوف*, وإمـــا الهروب منـــه قـــدر الإمكان, بتعويد نفسه على فكرة هزليّة الحياة, وتيسير المصـــاعب طلبـــاً لقـــدر مـــن *الرجاء*. فنحن أمام ثنائية أخرى, هي : ***الخـــوف/الرجـــاء***.

---

[٢٥٩] المنبع السابق

٢٨ ـــ الخوف/الرجاء

الخوف :

يقول تولستوي : "إن الطمأنينة هي دنائة روحية".

الإحساس بالقلق والشعور بالخوف, من السمات البارزة للعصر الذي نعيش فيه : "وطأة الضغوط النفسية تسارعت في العالم منذ الستينات بشكل رهيب. و لم توفر أحداً من شرورها. وبات ملحاً على الإنسان أن يفهم طبيعة ما يواجهه مع كثير من المصارحة الذاتية, إذا كان يريد فعلاً أن يتجنب السقوط في انهيار نفسي...ومع اقترابنا من نهاية الألفية الثانية, ما من شك في أن المشاكل الناتجة عن الضغوط النفسية وصلت إلى أعلى مستوياتها". [٢٦٠]

يرى "هربت ماركيوز", في كتابه الموسوم بـ (الإنسان ذو البعد الواحد), أن الخوف هو بمثابة نتيجة لعصر التقدم التكنولوجي. إنه ضريبة العصر إن جاز التعبير, كما هو الموت ضريبة الحياة. فالرفاه والفاعلية وافتقاد الحرية في إطار ديموقراطي, هو ما يميز الحضارة الصناعية المتقدمة, ويشهد على التقدم التقني.

ويحمل "لويس ممفورد", في كتابه (أسطورة الآلة : نبتاغون القوة), أن السيطرة وما يرافقها من فقدان للحرية, بمثابة نتيجة للتقدم التكنولوجي, الذي وصل إلى مداه في عصر الأتمتة الشاملة هذا...

والنتيجة التي يخلص إليها, هو أن هذا العصر لا يلغي الحرية فقط , بل تحذف الإنسان في النهاية :

---

[٢٦٠] مجلة فوكاس ـــ الإجهاد النفسي : لا أحد يسلم من شروره ـــ نقلاً عن السفير ـــ ٩٨/١/١٥

"إن الأتمتة في شكلها النهائي, تشـــكل محاولـــة لممارســـة الســـلطة, لا علـــى العملية الميكانيكية نفسها, بل على الكائن البشـــري, الـــذي كـــان في مـــا مضـــى يوجهها. وذلك بتحويله من عـــامل فـــاعل, إلى عـــامل منفعـــل, وبحذفـــه تمـــام في النهايـــة"[٢٦١].

"والعلامة الفارقة لحضارتنا المعاصرة هي الخـــوف. وكيـــف لا نخـــاف ؟ ونحـــن محكومون بالخوف من الخيارات الحضارية القادمة عـــبر البحـــار, والـــتي يتصدرهـــا خيار شمشون برؤوسه النووية التي تربو على مـــائتي رأس نـــووي".[٢٦٢]

يلاحظ, أن الخوف ليس متأصلاً في الوضـــع الراهـــن في الأوضـــاع الاجتماعيـــة والسياسية, وفي معطيات التقدم التكنولوجـــي فقـــط, بـــل هـــو متجـــذر أيضـــا في مجموعة من المدارس الفلسفية التي انتشرت في القـــرون الأخـــيرة :

"يتجاوز الكوجيتو عند "سارتر" موضوع المعرفـــة, ليطـــاول الحيـــاة بكاملـــها. فيتكلم على القلق والكآبة اللذين يشيران إلى عدم رضى الذات عـــن الواقـــع الـــذي توجد فيـــه".[٢٦٣]

ويتجاوز هذا الحد, ليتجذر في شعور الإنسان بعجزه عـــن الإطـــلاق, وممارســـة سلطته بشكل مطلق عند بعض الفلاســـفة :

"لا يطابق ـــ ولا يمكن أن يطـــابق ـــ التنـــاهي الإنســـاني واللاتنـــاهي الإلهـــي؛ الأمر الذي يجعل المصير الإنساني مصيراً دراميـــاً, يقـــوم علـــى نقيضـــة الوعـــي, أو

---

[٢٦١] لويس ممفورد ـــ أسطورة الآلة , بنتاغون القوة ـــ ٣٣٧

[٢٦٢] تركي علي الربيعو(باحث سوري) ـــ حضارة الخوف علامة فارقة في عصر التقدم التكنولوجي ـــ السفير ٩٧/١/١٠

[٢٦٣] د. وفاء شعبان ـــ ديكارت والفلسفة الفرنسية ـــ السفير ـــ ٩٦/٥/٣١

الوعـي الشـقي. والمصـير الدرامـي هـو القـدر الأنطولوجـي للإنسـان والجماعـات".[٢٦٤]

وهناك من يرى الخـوف المفجـع والعيـش في القلـق شـرطاً أساسـياً لقيمـة الاختبـار :

"من المقومات الأساسية للتجربة الدينيـة الناجحـة, أن يجـهل الممتحـن جـهلاً تاماً النهاية التي ستسفر عنها تجربته, إن كانت هـذه النهايـة لصالحـه أم لم تكـن. فلو شك "إبراهيم" لحظة واحدة, أنه سيذبح كبشـاً عوضـاً عـن "إسـحق", لمـا كانت محنته تجربة, بل كانت مهزلـة...بعبـارة أخـرى : مـن شـروط التجربـة الناجحة أن يعتقد الممتحن اعتقادا راسـخاً لا يتطـرق إليـه الشـك, بـأن تجربتـه ستسفر عن خاتمة مفجعة, وكم عندئذ ستكون فرحتـه عظيمـة, عندمـا يكتشـف أنها أسفرت عن نهاية سـعيدة"[٢٦٥].

الرجـاء :

إذا كان الخوف نتيجة قطعية لابتلاء الإنسـان بمخـاطر الدهـر, لكـن الحاجـة الماسة إلى الرجاء لدفع هذا الخوف, هي أيضـاً مترسـخة في فطرتـه, ونابعـة مـن عمق ضميره. لأنه من المستحيل العيش بدون بارقة أمل, وطفيـف رجـاء, وجذبـة أمنية تمهد طريق الفرد في مواجهة الأخطار. ولأن فقـدان الأمـل بمـا يتـلاءم مـع طبيعة الفرد يقوده تلقائياً نحو الانتحار, والخلاص مـن النفـس.

---

[٢٦٤] د. جميل قاسم ــ العلمانية : المختلف والمؤتلف

[٢٦٥] صادق جلال العظم ــ نقد الفكر الديني ــ ٧٧

تأويل :

فلا بد إذن (لتحقيق الرجاء) من أمـن يستقرّ في النفـس, و"*إيمان*" يطمئن القلب. هذه حقيقة يعيش بها الإنسان. ومـن لا يعترف بها فهو "*كافر*" , أي ساتر وكاتم لواقع أصيل في نفسه, وإليكم ثنائية : ***الإيمان/الكفر***.

٢٩ ـ الإيمان/الكفر

الإيمان :

الإيمان : "تصديق قلبي بما وجب الإيمان به. وهو عقيدة تملأ النفس بمعرفة الله وطاعته في دينه".[٢٦٦]

"إن الإيمان لغة : هو التصديق. وهو على وزن "إفعال" من الأمن, بمعنى سكون النفس واطمئنانها لعدم وجود سبب الخوف. فحقيقة قوله "آمن به" : أذعن به، وسكنت نفسه، واطمأنت بقبوله. فيؤول "الباء" في الحقيقة إلى السببي، وهو تارة يتعدى بالباء كما في قوله تعالى : ((آمنا بما أنزلت))[٢٦٧]، وأخرى باللام كقوله سبحانه : ((وما أنت بمؤمن لنا))[٢٦٨] وقوله تعالى : ((فآمن له لوط))[٢٦٩].

---

[٢٦٦] إمام الأزهر الراحل الشيخ جاد الحق علي جاد الحق ـ مجلة الأزهر رقم ٤٦٠١ ـ ١٩٩٥ نقلاً عن الثقافة الإسلامية ٧٤ ـ ١٩٩٧

[٢٦٧] آل عمران : الآية ٥٣

[٢٦٨] يوسف ، الآية ١٧

[٢٦٩] العنكبوت ، الآية ٢٦

فإذا كان الإيمان بمعنى التصديق لغة، فهل يكفي التصديق لساناً فقط، أو جناناً فقط، أو لا يكفي هذا ولا ذاك، بل يشترط الجمع ؟ الظاهر من الكتاب العزيز هو الأخير. فالإيمان بمقتضى الآيات عبارة عن التصديق بالقلب، الظاهر باللسان، أو ما يقوم مقامه، و لا يكفي واحد منهما وحده.

أما عدم كفاية التصديق القلبي, فلقوله تعالى : ((وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً))[270]، وقوله سبحانه : ((فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به))[271]، فأثبت لليهود المعرفة, وفي الوقت نفسه الكفر. وهذا يعرب عن أنّ الاستيقان النفساني, لا بدّ به من مظهر كالإقرار باللسان، أو الكتابة، أو الإشارة كما في الأخرس". [272]

الكفر :

والكفر أن يجحد الإنسان شيئاً مما أوجب الله الإيمان به, بعد إبلاغه إليه وقيام الحجة عليه. وقد شاع الكفر في مقابلة الإيمان, لأن الكفر فيه ستر الحق بمعنى إخفائه وطمس معالمه". [273]

وثمة محاولة لتسمية هذا العصر بعصر سيطرة الكفر وانهيار الأديان والإيديولوجيات :

---

[270] النمل : الآية ١٤

[271] البقرة : الآية ٨٩

[272] جعفر السبحاني ــ بحوث في الملل والنحل ــ ٣ / ٨٣

[273] الشيخ جاد الحق علي جاد الحق ــ مجلة الأزهر رقم ٤٦٠١ ــ ١٩٩٥ نقلاً عن الثقافة الإسلامية ٧٤ ــ ١٩٩٧

"هذا العصر, تم الاتفاق على وصفــــه بأنـــه عصــر انهيـــار الإيديولوجيـــات... النظرة التيموسية على طريقة فوكوياما...انتصار عصـــري لفكـــرة ذئبيـــة الإنســـان، وتأكيد لتأويل غرائزي عن الطبيعــــة".[٢٧٤]

"لا شك أن الدعاة من المثقفين الملتزمين بتغيير العالم, هــــم الآن في مــــأزق : ثمـــة عجز فاضح عن التغيير. بل ثمة عــــودة دائمــــة إلى الـــوراء علـــى صعيــد المطـــالب والشعارات؛ الأمر الذي أدى إلى تصّـــدع النظريـــات الشـــاملة, وانهيـــار المشـــاريع الإيديولوجية بتحرير البشر وخلاصــــهم"[٢٧٥].

تـأويل :

الحياة طريق يسلكه الناس, وهي جزء من حيوية تحـــرّك العـــالم نحـــو الأمـــام. لا شيء راكداً أو جامداً في الدنيا. الذرات الصغيرة, كمــــا المجــرات الكبـــيرة, تجــري وتسير دوماً في أفلاكــــها.

كل متحرك يمشي في الطريق المؤدي إلى غايته, فقـــد اهتـــدى لكمالـــه, كمـــا أن كل سالك انحرف عن مسيره فقد ضلّ عــــن طريقـــه.

المؤمن المعترف بأحقية الواقع أولاً, والساعي في تحصيلـــه ثانيـــاً, يضمـــن لنفســه *الهداية*. والكافر الرافض لكمال الوجود أولاً, والمتمــــرد عــــن متطلباتـــه ثانيـــاً, هـــو برأي المؤمن يغوص في أجواء *الضلالـــة*.

فلندرس معاً ثنائية : ***الهداية/الضلالـــة***.

---

[٢٧٤] مطاع صفدي ـــــ مقدمة كتاب نهاية التاريخ لفوكوياما

[٢٧٥] علي حرب ـــ من الكتاب المفتوح إلى فتح الإمكانات ــ السفير ٩٨/٣/١٩

٣٠ ـ الهداية/الضلالة

الهداية :

التصديق القلبي المسمى بالإيمان ينبثق من قناعة الشخص بصحة وحقانية الطريق الذي اختاره لنفسه, قناعة تفرض عليه التزاماً بمقتضيات هذا الإيمان, كما تفرض عليه الوقوف بوجه كل ما لا ينسجم مع مبادئه ومعتقداته. وقد يؤدي هذه الفكرة إلى أن يخصّص الإنسان لنفسه وطائفته كل الحق:

"إذا كان الكفر بمعنى التستر على الحقيقة وكتمان الحق, فهذا ما لا يرتضيه غير المؤمنين. ومن الطبيعي أن يدافع كل تيار عن الحق الذي ترتسم به أيديولوجيته, ويدافع عن حقه في الأفكار والأسس التي يتخذها أساساً لرؤيته الكونية, ولنظام قيمه ومعاييره الفردية و الاجتماعية"[٢٧٦].

الضلالة :

وقد دأب بعض الفرق الإسلامية, أن تحتكر الإيمان كله لنفسها, وتكفّر المذاهب الإسلامية الأخرى, فكيف بالنسبة لسائر الأديان والجماعات!

مقولة "*الفرقة الناجية*", انطلقت من رواية رآها " أصحاب الصحاح والمسانيد والملل والنحل عن النبي الأكرم (ص), أنه قال : "إن أمتي تفترق على ثلاث وسبعين فرقة".

وقد اشتهر هذا الحديث بين المتكلمين وغيرهم حتى الشعراء والأدباء, وهناك من لا يعتقد بصحة الحديث, منهم : ابن حزم ، في كتابه : "الفصل في الأهواء

---

[٢٧٦] علي حرب ـ محاكمة غارودي أو نهاية المثقف النخبوي ـ السفير ـ ٩٨/١/٢١

والملل". قال : ذكروا حديثاً عن رسول الله (ص), "أن القدرية والمرجئة مجوس هذه الأمة" وحديثاً آخر : "تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة, كلها في النار حاشا واحدة فهي في الجنة". (ثم قال:) هذان حديثان لا يصحان أصلاً من طريق الأسناد، وما كان هكذا, فليس حجة عند من يقول بخبر الواحد، فكيف من لا يقول به"[277].

والذي يجبر ضعف السند, هو تضافر نقله واستفاضة روايته في كتب الفريقين : الشيعة والسنة بأسانيد مختلفة، ربما تجلب الاعتماد، وتوجب ثقة الإنسان به.

وقد رواه من الشيعة "الصدوق" في خصاله في باب السبعين وما فوق[278]. و"العلامة المجلسي" في بحاره[279]، ولعل هذا المقدار من النقل يكفي في صحة الاحتجاج بالحديث"[280].

من الذين انطلقوا من هذا المبدأ, واحتكروا الإيمان لطائفتهم : "الغزالي", الذي جاهد المعارضة من المعتزلة أو الخوارج أو الشيعة... واستعمل هذا الحديث وبعض الزيادات, مثل: "قل لنا يا رسول الله, ما هي" ؟ قال : "هي ما أنا عليه أنا وأصحابي من أهل السنة "...

هكذا, أصبح "الغزالي"هو" المسؤول عن هذا الطابع الأحادي الطرف في الثقافة العربية, التي تعطي للحاكم كل شيء, ولا تعطي للمحكوم أي شيء".[281]

---

[277] ابن حزم ــ الفصل في الأهواء والملل ج ١ ص ٢٤٨

[278] الصدوق ــ الخصال ج ٢ ص ٥٨٤ أبواب السبعين وما فوق ، الحديث العاشر والحادي عشر

[279] العلامة المجلسي ــ بحار الأنوار ــ ٢٨ / ص ٢ ــ ٣٦

[280] جعفر السبحاني ــ بحوث في الملل والنحل ١ / ٢٣

ثم إن الهداية والضلالة كلتيهما مســـتندتان إلى الله في النـــص القـــرآني. وكيـــف يفسر انتساب الضلالة إلى الله, دون أن يقتضـــي جـــبراً وتســـييراً ؟ يجيـــب العلامـــة الطباطبـــائي :

"إن الله سبحانه خلق الإنسان على فطرة سليمة, ركـــز فيـــها معرفـــة ربوبيتـــه, وألهمها فجورها وتقواها. هذه هداية فطرية أولية. ثم أيدهـــا بـــالدعوة الدينيـــة الـــتي قام بها أنبياؤه ورســـله.

ثم إن الإنسان, لو جرى على ســـلامة فطرتـــه, واشـــتاق إلى المعرفـــة والعمـــل الصالح, هداه الله, فاهتدى العبد للإيمان عـــن هدايتـــه تعـــالى. وأمـــا جريـــه علـــى سلامة الفطرة, فلو سمّي اهتداء فإنما هو اعتداء متفرع علـــى الســـلامة الفطريـــة لـــو سميت هدايـــة.

ولو انحرف الإنسان عن صراط الفطرة بســـوء اختيـــاره, وجـــهل مقـــام ربـــه, وأخلد إلى الأرض واتبع الهوى وعـــاند الحـــق, فـــهو ضـــلال منـــه غـــير مســـبوق بإضلال من الله ـــ وحاشاه سبحانه ـــ, لكنـــه يســـتعقب إضلالـــه عـــن الطريـــق مجازاة, وتثبيته على ما هو عليه بقطع الرحمـــة منـــه وســـلب التوفيـــق عنـــه. وهـــذا إضلال مسبوق بضلالة من نفسه بسوء اختياره وإزاغة له عـــن زيـــغ منـــه."[٢٨٢]

[٢٨١] د. حسن حنفي ـــ رئيس الجمعية الفلسفية في مصر ـــ في محاضرة بعنوان : النهضة العربية ... في معـــهد اللغة والحضارة في باريس ـــ مجلة النور ـــ ٧٩ ـــ كانون الأول ٩٧

[٢٨٢] العلامة الطباطبائي ـــ الميزان ـــ ١٢ / ٥٢

تأويل:

الهداية التكوينية هي الإطار لكل القواعد والنظم التي تجري فيها وعلى ضوءها حركة العالم ونظام الكون. لكن الهداية التي تسمى بالتشريعية, تتزامن مع خيارات الإنسان, والمواقف التي يتخذها بملء إرادته .

وهل يمكن للإنسان ـــ هذا الكائن الاجتماعي ـــ الذي يأخذ الكثير من أساليب حياته, وأنماط فكره وآرائه من الآخرين, أن يمارس حريته, ويأخذ قراره ؟ أم أنه مضطر لتطبيق ما يملى له من قرارات المجتمع ؟

المطلوب إذن, إلقاء الضوء على ثنائية : ***الفرد/المجتمع*** :

٣١ ـــ : *الفرد/المجتمع*

الفرد

المفكر الفرنسي "إدغار موران", يرى في الفردانية مفخرة للحضارة الغربية. لكنه يعترف بأنّ : "كل ما شكّل يوماً الوجه المضيء للحضارة الغربية, يدير لنا اليوم وجهه المعتم الآخر. فالفردية التي كانت أحد انجازات الحضارة الغربية, تترافق اليوم مع ظواهر التشظي والوحدة والأنوثة المركزية وتداعي شبكات التضامن". [٢٨٣]

[٢٨٣] عفيف عثمان ـــ الفكر الغربي أمام العولمة ـــ السفير ـــ ٢٨/١/٩٨

المجتمع :

أصحاب هذا الرأي, ينطلقون من مقولة أصالة الجماعة وليس الأفراد، ويعتقدون أن النوابغ, "كما يرى "مونتسكيو", آثار ونتائج لقضايا أوسع مجالاً وأطول زماناً.

و"هيغل", يرى بأنهم لم يخلقوا التاريخ, بل هم كالقوابل... كذا "الشهيد المطهري: هو يرى بالنوابغ علائم وليس عوامل".[284]

بناءً على هذه النظرية, طرح "إميل دوركايم" في كتاباته, فكرة أن الوظيفية التي تطبق على المجتمعات الإنسانية, تقوم على المماثلة بين الحياة الاجتماعية والحياة العضوية. وانطلاقاً من هذا المفهوم, تصور "رادكليف براون", أنه كما أن للجسم الإنساني بناءً أو تركيباً متكاملاً, فإن المجتمع أيضاً له تركيب أو بناء اجتماعي, يتكون من " الأفراد الذين يرتبطون بعضهم ببعض, وكل واحد منهم متماسك مع الآخر, عن طريق علاقات اجتماعية مقررة"[285].

إلى هذا الرأي أيضا يميل "باشلار" :

"ليس الذهن العلمي الباشلاري فردياً, وإن شمل تكوينه كل فرد على حدة. بل هو في الدرجة الأولى اجتماعي. وحتى يصبح الكلام على ثقافة علمية ممكناً, يجب نقل قيم العلم إلى المجتمع بكامله وربط الفرد به. بمعنى آخر, يجب الانتقال إلى البينذاتية. فالتخلي عن العزلة الفردية, وتجاوز العائق الفردي شرط لبناء الثقافة العلمية في المجتمع... وباختصار : يحتاج (الأنا أفكر) إلى (الأنت تفكر) النقدي...

---

[284] فرح موسى ــ خيارات الأمة وضرورات الأنظمة عند الشيخ محمد مهدي شمس الدين ــ ٣٠٤

[285] د. حسين فهيم ــ قصة الأنتروبولوجيا ــ ١٦٧

وتشبه هذه العلاقة البينذاتية في المجتمع, علاقة المعلم والتلميذ في المدرسة. ويعارض بها "باشلار" علاقة السيد والعبد في الجدل الهيغلي, التي ليست سوى صراع من أجل الحياة والانتصار والاحتراف وبلوغ الحق. هي بينعقلانية تتحقق بالتعلم, فيخضع الذهن للنظام, ويتجاوز الحالة الطبيعية".[٢٨٦]

بين المثقفين العرب, يرى "الجابري", أن وهم (الفردية) هي اعتقاد المرء, أن حقيقة وجوده محصورة في فرديته, وأن كل ما عداه أجنبي عنه لا يعنيه. إنما يعمل هذا الوهم على تخريب وتمزيق الرابطة الجماعية...أما وهم (الخيار الشخصي), فإنه يرتبط بالأول, ويكمله أنه باسم الحرية يكرس الترعة الأنانية, ويعمل على طمس الروح الجماعية, سواء أكانت على صورة الوعي الطبقي أو الوعي القومي أو الشعور الإنساني".[٢٨٧]

تأويل:

التيار المدافع عن أصالة الفرد, بين المفكرين والفلاسفة والمتكلمين ومنظري علم الاجتماع, يصر على هذا المبدأ, بوصفه حجة مقنعة لحرية الفرد, واختياره في اتجاهاته ونزعاته الفردية والاجتماعية.

معنى ذلك, أن التأكيد على أصالة المجتمع, يساوي خضوع الفرد أمام الإرادة الاجتماعية, واستسلامه لقراراتها, واستهلاكه في كيانها. هل الفرد مختار؟ أم مسير ؟ نعالج هذا الموضوع في ثنائية : *الاختيار/الجبر* .

---

[٢٨٦] د. وفاء شعبان ــ قراءة في كتاب ديديه جيل بعنوان : باشلار والثقافة العلمية ــ السفير ــ ٩٦/٥/١٠

[٢٨٧] محمد عابد الجابري ــ عشر أطروحات حول العولمة والهوية الثقافية ــ السفير ــ ٩٧/١٢/٢٤

التفويض :

التفويض عند البعض يعني الاختيار. والاختيار حسب المتكلمين ملازم للقدرة. و"لقد عرفوا القدرة بأنها عبارة عن كون الفاعل إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل، ومعنى ذلك أنه لابد من أن يكون الفاعل عالماً بمقدوره، فلا تتحقق الإرادة ما لم يكن الفاعل عالما بفعله، فالأفعال الطبيعية الصادرة عن الفواعل العادمة للشعور لا يصح تسميتها قادرة على تلك الأفعال, لأن المقدور ما صدر عن علم وإرادة"[٢٨٨].

إن فكرة الجبر المتشائمة, لا تنسجم مع طبيعة الكثيرين, الذين يرون فيها قتلاً لكل دواعي الأمل, وقمعاً لمسؤلية الإنسان, في توجيه نفسه ومجتمعه وبيئته نحو الخير والسعادة.

فالإنسان المكتوف اليدين, سواء بين يدي الإرادة السماوية, أو أمام النواميس الطبيعية, يستقبل ما قدّر له بملء التشاؤم. إذا سيق إلى الجنة, لا يرى فضلاً لخير لم يفعله بإرادته, كمن يصلّي صلاة, والبندقية المصوبة نحوه تجبره على تأدية الصلاة. وإذا سيق إلى جهنم, لا يعرف لما ذا يجب أن يعاقب بما لم يرتكبه هو, وليس ذنبه : ((فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه))[٢٨٩]. وليس هكذا, فالإنسان إنسان بحجم إرادته, وعلى قدر حريته.

---

[٢٨٨] تعليقات حاتم إسماعيل على : "بينات" للمؤلف

[٢٨٩] البقرة ٢ / ١٧٣

هذا المعسكر, يتسع لشرائح مختلفة من العلمانيين, وعلى رأسهم مدرسة الوجودية المتمثلة بـ "جان بول سارتر الفرنسي" في الفلسفة الغربية, وبعض المتكلمين المسلمين, الذين يؤمنون بعدل الله, وباستحالة تكليف ما لا يطاق. ويشمل الشيعة والمعتزلة بين المذاهب الكلامية الإسلامية, اللتين عرّفتا بـ "العدلية". لأنهما ركزتا على وجوب العدل على الله لإثبات اختيار الإنسان وحريته, وإن نشب خلاف بينهما في أمر التفويض, وسندرسه في الرقم(١٠٩) إن شاء الله.

الجبر:

أما الذين ألغوا إرادة الإنسان بكاملها (بين الفلاسفة), فبرروا موقفهم بأن ما يسمى بالفعل الاختياري هو نتيجة ضرورية لمقدمات ليست اختيارية.

فالمقدمات, سواء منها الرغبات والميول الكامنة في غرائز الإنسان, التي طبعت الفطرة الإنسانية بها, والأفكار والمعلومات التي تتوافد على الإنسان في تعامله مع الخارج, كلها غير اختيارية. والنتيجة التي تنطلق منها وتترجم عنه بسلوك الإنسان, لا بد أن تصبح ضرورية حتى تظهر. و"*الشيء ما لم يجب لم يوجد*". فأين الإنسان من الاختيار؟ كل ما يصدر منه : إما بفعل الوراثة وخصائص الجينات والكروموزمات, وإما بالتأثر من البيئة والتقاليد والقيم السائدة في المجتمع.

تشمل جبهة الجبريين طيفا واسعا من الموحدين المؤمنين بالقضاء والقدر, وأن الله يعلم ماذا سيفعل الإنسان. بل هو الذي يخطط له, فيعز من يشاء,

ويذل من يشاء, ويؤتي الملك من يشاء, وينـزع الملك ممن يشاء. ولا مؤثر في الوجود إلا الله.

وتشمل أيضا : الماديين, الذين يؤمنون بنظام الأسباب والمسببات, وأن كل ما يجري في هذا العالم, بما فيه أفعال الإنسان, يتبع نظاما محتوما نابعا من الخصائص الذاتية للمادة وحركتها. كل مسير في نظام الكون, ومنه الإنسان فردا ومجتمعا. إن تاريخ تطور المجتمع الإنساني محكوم بالحتمية وبالسنن القطعية, كتنازع البقاء واستمرار الأقوى.

الاعتقاد بالجبر عند بعض الإسلاميين ارتكز على ضرورة وجود القوى الشريرة للاحتفاظ بنظام العالم, وأنه لا بد من وجود قوى طابعها الشر, لتعمل على زرع الفتنة والفساد, وتوسوس في صدور الناس امتثالا لأمر الله !

هذه صورة ارتسمها البعض عن إبليس, واضطلاعه بالشر دون أي خيار :

"كان إبليس خاضعا في أحواله واختياره وطرده ولعنه وتسويقه, إلى أحكام الإرادة الإلهية, ولأمر قضائه الذي لا يرد. كان مجبورا بحكمته ومقهورا بمشيئته, بدليل قوله تعالى : ((إنا كل شيء خلقناه بقدر))[290]...ونظر الإمام المقدسي إلى مصير إبليس (في كتاب تفليس) فقال (عن إبليس) : (فسواء أسجد أو لم أسجد وعبدت أو لم أعبد فلا بد من الرجوع إلى سابقة الأقدار, فإنك خلقتني من نار. فلابد من العود إلى النار: ((منها خلقناكم وفيها نعيدكم))[291]و... خلقني كما شاء, وأوجدني كما شاء, واستعملني فيما شاء, وقدر علي ما شاء

---

[290] القمر ٤٩

[291] المقدسي في كتاب تفليس ص ٢٣ ــ نقلا عن صادق جلال العظم ــ نقد الفكر الديني ــ ٧٤

فلم أطق إن أشاء إلا ما شاء. فما تجاوزت ما شاء, ولا فعلت غير ما شاء, ولو شاء لردني إلى ما شاء, وهداني بما شاء, ولكنه شاء, فكنت كما شاء".[٢٩٢]

تأويل :

في أجواء الإيمان بالله, وفي ثقافة الشرائع السماوية, لا يمكن حل معضلة الجبر/التفويض, إلا في ضوء دراسة الإرادة الإلهية, كلاميا وفلسفيا, ليتبين أنه هل تشمل هذه الإرادة أفعال الإنسان الاختيارية ؟ أم أن الله فوض أمر الإنسان إليه ؟ وإذا شملت, فهل يمكن التمرد عنها ؟ أم لا ؟ الإجابة السلبية عن السؤال الأول, قد تتنافى مع إطلاق القدرة الإلهية, كما أن الرد بالإيجاب عن السؤال الثاني تؤدي إلى نفس النتيجة. ولكن لا شك هناك حالات تمرد وعصيان, يعترف بها كل الكتب السماوية.

وقد دفعت محاولة الخروج من هذا المأزق بالبعض إلى التفريق بين الإرادة والأمر عند الله, نعالجها في ثنائية *الطلب/الإرادة*.

٣٣ ــ الطلب/الإرادة

الأمر :

اضطر بعض العلماء المسلمين, أن يميزوا بين الأمر الإلهي (أو الطلب) وبين المشيئة أو الإرادة الإلهية. فالأمر بطبيعة الحال إما يطاع وينفذ, وإما يعصى ويخالف.وللمأمور الخيار في ذلك.

---

[٢٩٢] المنبع السابق ــ ٧٨

الإرادة :

أما المشيئة الإلهية, فلا تنطبق عليها مثل هـذه الاعتبـارات. لأنها بطبيعتـها لا ترد. وكل ما تتعلق به المشيئة الإلهية واقـع بـالضرورة.

و"هل هنالك تلازم بين إرادته تعالى وبين طلبه, فما يأمر بـه يحبـه, ومـا ينـهي عنه لا يريده ؟ أم لا ؟ وبعبارة أخرى : هل ما يطلبه البـاري تعـالى مـن تكـاليف, هي ليست من إرادته في شيء ؟ وبالتالي فهو لا يريدهـا ؟ أم الأمـر علـى خـلاف ذلك ؟

فعلى الأول, توجب المغايرة بين طلبه سبحانه وبين إرادته. وهـو مذهـب "أبـو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري", إذ قال بأنه سبحانه يـأمر بمـا يكـره, وينـهي عما أحب. وقد ألجأ إلى ذلك إقامته لمذهب الجبر بإلغـاء اختيـار الإنسـان أفعالـه, وتقريره أن الله تعالى خلق الاختيار في الإنسـان بنحـو الكسـب. ففعـل الإنسـان مخلوق لله تعالى, مقارن لاختيار الإنسان له, مـن غـير أن تكـون لـه القـدرة في ذلك الاختيار, ولا في مقارنة الفعل له. ولعلـه أراد بقولـه ***للكسـب***, أن يصحـح الثواب والعقاب, فكان كمن استجار بالنار من الرمضاء. وعلـى أيـة حـال, فقـد أستدل الرجل على مذهبه بالنحو التـالي :

١ ـ إنه سبحانه لما طلب الإيمان من الكافر, فإن كان قد أراده, فـلا بـد مـن وقوعه. لكن الواقع خلافه, فلا بد أنه سبحانه لم يرده, وإن طلبـه. إذ ليـس طلبـه من إرادته في شيء, وإلا لزم غلبة إرادة الكافر لإرادتـه تعـالى.

٢ ـ إنه سبحانه يعلم أن العاصي المتمرد لن يؤمـن بحـال, ومـع ذلـك فقـد طلب منه الإيمان. فلا بد أنه طلبه وهو لا يريده. إذ كيـف يريـد مـا يعلـم سـلفا

بإستحالته ؟ فتبين إذن الغيرية بين الطلب والإرادة. وبموجب هذه الغيرية لم يعد التكليف أمرا ملزما على العبد الإتيان به, وإنما هو نوع من التفضل. وبذلك لا مانع من أن يكلف سبحانه بغير المقدور. أما ترتيبه سبحانه المثوبة للمطيع والعقوبة للعاصي, فقد فسرها بأنه سبحانه يجوز عليه إثابة أشقى الأشقياء ومعاقبة أتقى الأتقياء".[٢٩٣]

لكن القول بالمغايرة بين الإرادة والأمر, لا يقف عند الله وصفاته في دراسات المتكلمين, بل يشمل الإنسان أيضا :

"الجانب الثاني للمسألة تتعلق بالإرادة الإنسانية, من جهة كونها عين الطلب أم الغيرية هي المتحققة. فلقد رأى "الأشعري" أن الإرادة التي هي من مبادئ الفعل الإنساني تتحقق جبرا وقهرا في النفس...ولما كانت طريقته تثبت الجبر الأفعالي, وتقطع الاختيار الإنساني, فلقد سلك علماء الإمامية في ردها مسالك, منها مسلك المحقق المرحوم "النائيني" ـ أعلى الله مقامه ـ[٢٩٤] الذي قال بوجود أمر وراء الإرادة, هو المناط في اختيارية الفعل الإنساني, وقد سماه بالطلب, وعليه فالإرادة غير الطلب".[٢٩٥]

تأويل:

إن أطروحة الانفصال بين الأمر والإرادة تفيد أن الفرد حر في إطار الأمر, يمارس خياراته في مساحة الأوامر والنواهي الإلهية التي تقبل التمرد والعصيان.

---

[٢٩٣] محمد رضا محمد ـ تعليق على رسالة الطلب والإرادة للإمام الخميني ـ ٢٥

[٢٩٤] آية الله العظمى محمد حسين الغروي النائيني ـ فوائد الأصول ص ١٣٠ وما بعد

[٢٩٥] محمد رضا محمد ـ تعليق على رسالة الطلب والإرادة للإمام الخميني ـ ٢٦

لكنه عبد خاضع للإرادة الإلهية التي لا تتحمـــل أيـــة معارضـــة, لكونهـــا تكوينيـــة نافذة في جوهر الأشياء كلـــها.

إذن, لا بد من دراسة ثنائية : ***الحرية/العبوديـــة***.

٣٤ ـ الحرية/العبودية

الحريـة :

"الوجوديون, هم فلاسفة الحرية الذاتيـــة. وأصلـــها في الكوجيتـــو كفعـــل حـــر يتأكد بالشك. والشك سلب, والسلب قـــرار قبـــول أو رفـــض يعـــني اختيـــار أي حرية... ويتجاوز الكوجيتو عند ســـارتر, فيتكلـــم علـــى...إرادة الحريـــة المطلقـــة لديها في الاختيار بين الممكنات المطروحـــات أمامـــها...

ومنذ الستينات, انقلب التفكير الفرنســـي علـــى فلســـفات الوعـــي, ونشـــأت مواقف تلغي دور الذات الفاعلة, التي تخلـــق الـــدلالات والمعـــاني, وتعلـــن مـــوت الإنسان (ميشيل فوكو) لتأكيد خضوعه للإكراهـــات المقيـــدة لحريتـــه. وانتســـبت هذه المواقف إلى البنيوية, التي أحلـــت البنيـــة مكـــان الـــذات, واللاوعـــي مكـــان الوعي. والبنية هي مجموع علاقات تضبط الفكـــر والســـلوك وتفقـــد الأنـــا إرادتـــه بإخضاعه لســـلطانها...

لم يفارق الفكر الفرنسي أصله, وبقيت همومـــه مركـــزة علـــى حريـــة الإنســـان وأفعاله وإمكانياته في ضوء الأنا أفكر ومنـــاهج التفكـــير".[٢٩٦]

---

[٢٩٦] د. وفاء شعبان ـــ ديكارت والفلسفة الفرنسية ـــ السفير ـــ ٩٦/٥/٣١

العبودية :

لا شك أن العبودية لله هي الهدف الأسمى عند شرايع السماء. والسعادة الكاملة تكمن في الخضوع المطلق أمام الله.

"يشكل السجود, الرمز الخارجي والتعبير الجسدي عن العلاقة الحقيقية القائمة بين المخلوق والخالق في الإسلام, إنه إشارة إلى أن العبد قد سلم أمره تسليما كليا ومطلقا إلى ربه, وخضع خضوعا تاما بمشيئته".[٢٩٧]

لكن العبودية تتناقض ـــ حسب بعض المدارس الفلسفية ـــ مع أبسط الحاجات الفطرية الإنسانية, أي الحرية :

"الدين الوضعي بالمنظور الهيغلي, هو ما يتجاوز الطبيعة ويتناقض معها. وهو ما يبدو مفروضا على العقل من خارج, وذلك بعكس العقل العملي ـــ بالمفهوم الكانطي. العقل يعتبر الدين أخلاقية مجردة. وإذا كان العقل العملي فاعلا, فالعقل الوضعي يمثل حالة الانفعال, ويتضمن علاقة السيد بالعبد. فعلاقة الإله والإنسان علاقة العبودية, وليس الحرية...إذا كانت الأخلاقية حرية واستقلالية فالشريعة اتباعية وطاعة"[٢٩٨].

فعلى المثقف العاشق للحرية, أن ينقذ نفسه كما الآخرين من أي حصار يقيد حريته :

"إن مفهوم الحق لدى المثقف الملتزم العاشق للحرية أو المدافع عنها بعقلية البطولة أو الشهادة, قد ظهر قصوره وبانت هشاشته...ولا بد من العمل على صوغ مفهوم جديد للحرية, لا يصدر أصحابه عن دعوى احتكار الحقيقة, ولا

---

[٢٩٧] صادق جلال العظم ـــ نقد الفكر الديني ـــ ٩٠

[٢٩٨] د. جميل قاسم (أستاذ الجامعة البنانية) ـــ العلمانية : المختلف والمؤتلف ـــ السفير ـــ ٩٦/٧/٥

يقوم على تطبيق مثالات هي مجرد هوامات... بعد كل هـــذه التجـــارب, لا نحتـــاج إلى أي منـــاضلين, يستشـــهدون مـــن أجـــل الحريـــة, ولا إلى مثقفـــين ملـــتزمين, يتمترسون وراء شعاراتهم الخاوية, ومطلقاتهم الهشة, بقـــدر مـــا نحتـــاج إلى التحـــرر من أصنامنا الفكرية, والخروج من معســـكراتنا الأيديولوجيـــة".[٢٩٩]

تـأويل:

العبودية للحق المطلق ــ في ضمير العابدين ــ هـــي الطريـــق الوحيـــد *للاقـــتراب* منه. ومن يمارس حريته الشخصية, يحاول *البعد* عن محضر الحق. هـــذا يجعلنـــا أمـــام ثنائية : ***القرب/البعــد.***

٣٥ ــ القرب/البعد

القــرب :

"العَبادة" تفيد معنى "تعبيد" الطريق, أي زفتـــه وجعلـــه آهـــلا للعبـــور. وهـــي تشمل الفكر والعمل, لأنه: "*لا عبـــادة كـــالتفكر*", الفكـــر العـــابد لله, يجـــب أن يتجه نحوه بالانصراف أو الابتعـــاد عـــن غـــيره وتعويـــد القلـــب والضمـــير علـــى الاشتغال بـــه.

ثم إن هناك مناسك وطقوس وأعمال عبادية, التي هي أشـــكال عمليـــة لتحقيـــق هذا القرب إلى المعبود. وهـــي تنقســـم بـــين واجبـــات وفرائـــض محـــددة, وبـــين

[٢٩٩] علي حرب ــ محاكمة غارودي أو نهاية المثقف النخبوي ــ السفير ــ ٩٨/١/٢١

مندوبات ومستحبات لا تعد ولا تحصى, من شأنها أن يوفــر إمكانيــة القــرب مــن الحق في كل لحظة, وفي أي حـــال.

من هذا المنطلق, أي إحساس بالتحرر يعتبر "فجـــورا", أو خروجـا مـن دائـرة "حدود الله". قال تعالى: ((تلك حدود الله فـــلا تعتدوهـــا))[٣٠٠].

البعد :

هذا الجو, قد يدفع عشاق الحرية بالخروج من "هـــذه الدائـرة", ورفـض كـل الالتزامات العقائدية. والبعض الآخـر يتجـاوزون عـن هـذا الحـد, ويرفضـون الاستسلام أمام أي التزام, من أي مصدر كان, بمـا فيـها الالتزامـات الاجتماعيـة. فنرى هنا وهناك فنـــانون ــ في جميـع المجـالات ــ يتحمسـون للخـروج عـن المألوف, لممارسة حريتهم في الإبداع والتجديد, وفئـات يتوقـون للوقـوف بوجـه كل التقاليد والأعراف السائدة, حـتى إذا كـانت لهـا صلـة بالصحـة والنظافـة الشـخصية!

وأهم ما في هذا المجال : رفضهم للديـــن :

"بما أن الدين هو تجسيد لما يعجز الإنسان عن تحقيقه, فيحولـــه إلى إلـه في نـوع من التشبيه والأنسنة لمطلـق الإلهـي (anthropomorphisme). وبمـا أن الإنسـان ينفصل في استلابه عن ذاته, فإن عودة الـذات إلى الـذات تكـون بالانعنـاق مـن الدين. هكـــذا فـإن تحريـر الإنســـان يقـوم علـى عدميـة كـل منحـى ميتـــافيزيقي".[٣٠١]

---

[٣٠٠] البقرة ٢٢٩

[٣٠١] د. جميل قاسم (أستاذ الجامعة البنانية) ــ العلمانية : المختلف والمؤتلف ــ السفير ــ ٩٦/٧/٥

تأويل :

السالكون في درب العبادة, لكي تقتربوا من الله لا بد أن يستحضروا ــ ولو إجمالا ــ حقيقته في قلوبهم وضمائرهم.

لكنهم ينقسمون بين من يصفه بأوصاف, ويرى فيه مواصفات, يحاول أن يتخلق بها, بما يستلزم *تشبيها* بينه وبين الله. وآخر يؤمن بأنه سمو مطلق, وعلو محض, متره عن أي وصف وشرح. فإليكم ثنائية : ***التشبيه/التتريه***.

٣٦ ــ التشبيه/التتريه

التشبيه :

التتريه المطلق, له مخاطره على مستوى فصل علاقة العبودية بين الإنسان وبين الله الذي يعبده :

"يقولون إن العقل الإنساني قاصر عن أن يعرف طبيعة الإله, وعن أن يحيط به, وله إحاطة جزئية. إنه عاجز عن تصوره, وعن التعبير عن طبيعته. وعبر البعض عن هذا الرأي بقولهم عن الله : ((كل ما يخطر ببالك فهو خلاف ذلك)).

هل بإمكاني أن أقيم علاقة جدية بيني وبين هذا الإله الذي تتجاوز طبيعته تجاوزا مطلقا منطقي ومشاعري وأفكاري ومثلي وآمالي ؟... إن وجود مثل هذا الإله وعدمه وجوده سيان بالنسبة لي.

إذا كان الإله لا يوصف ولا يدرك بالنسبة للبشــــر, مــا معــى قولنــا إذا بأنــه (رحيم وأنه عادل)...أليس هناك من شبه علـــى الإطــلاق بــين الرحمــة والعــدل عندما نطلقها على الله, وبين تصورنا الإنساني لهــــاتين الصفتــين ؟".[302]

فلا بد من فرض تشبيه بين الصفات الكماليــة البشــرية وأوصــاف الله, لإقامــة علاقة معــه.

التتريـه :

لكن التشبيه أيضا, له عواقبه ومخــــاطره :

"(وإذ) لا سبيل إلى إدراكه إلا بالتشبيه والتمثيــل... فبإمكــان كــل واحــد أن يتصور الكائن المفارق على شاكلته, وبحسب مــا يوحــي الله بــه مخيالــه, فينســب إليه نسبة ما, ويخلع عليه صفة مــن الصفــات"[303].

إشكالية خلع الصفات البشــرية علــى الله, ومــا يســميه البعــض بأنســنة الله, نقرأها في قصيدة فارسية رائعــة للشــاعر العــارف الإيــراني "المولــوي البلخــي", يتحدث فيها عن راع ساذج مؤمن, كان يفتش عــن الله ليخدمــه ويمشــط شــعره ويرتب أحذيته ! سمع موسى نجواه فغضب عليه وهدده بــالعذاب لتشــبيهه المــاثل للكفر. لكن موسى بدوره عوقب بعتاب إلهي لطــرد عبــد مخلــص مــن بــاب الله ورحمته الواسعة, وأمر بالاعتذار منـــه.

تيار "*المعتزلة*" يمثل دور التتريه المطلق في الفــرق الإســلامية :

---

[302] صادق جلال العظم ــ نقد الفكر الديني ــ ٤٩

[303] علي حرب ــ نقد الحقيقة ــ ١٢٥

"المعتزلة... في حرصها على التتريه والتعالي الإلهي, أكدت المصير الإنساني في العالم, بتأكيدها أن الإنسان صانع قدرة, ومحور الكون الأرضي. وإصرار المعتزلة على التتريه المطلق في علاقة اللامتناهى بالمتناهي, هو الذي جعل المستشرقين يلقبونها ببروتستانت الإسلام, وخاصة البروتستانتية الكالفينية, التي تقيم مسافة مطلقة بين التعالي الإلهي, والفكر الإنساني, بين العناية الإلهية والخلاص البشر, بواسطة العمل في الطبيعة".[٣٠٤]

إن عواقب التشبيه, التي ليست أقل خطورة من مساوئ التتريه, تسقط البعض في دوامة التيه والظلام :

"إننا مرغومون, إما على التشبيه وما يترتب عليه من عواقب, أو على التتريه التام, وما يستتبع من نتائج".[٣٠٥]

تأويل :

القائل بالتشبيه يعتقد بإمكانية العلم بالله, إذ إن الله يتصف بنفس المواصفات التي تنطلق من صميم الروح الإنسانية. في المقابل, أتباع مذهب التتريه يستحيلون معرفة الله للإنسان. هذا ما يقود بنا إلى معالجة ثنائية : ***العلم/الجهل***.

---

[٣٠٤] د. جميل قاسم ــ العلمانية ــ المختلف والمؤتلف ــ السفير .

[٣٠٥] صادق جلال العظم ــ نقد الفكر الديني ــ ٤٩

٣٧ ـ العلم/الجهل

العلم :

الحاجة إلى العلم تعد من أقوى الغرائز البشرية, التي تظهر لدى الإنسان مذ يرى النور, ولا تقف عند حدّ معين. الحواس الظاهرة والباطنة التي تشتغل بالتقاط الصور المحسوسة من الخارج والداخل, قوة الذاكرة التي تعمل لتخزين هذه المحسوسات, قوة الحدس التي تتلاعب وتتصرف في هذه المخزونات, وقوة العقل التي تعمل على تجميعها وانتزاع المفاهيم العامة منها, كلها تخدم الإنسان لاكتساب معرفة موثوقة من نفسه ومن العالم الذي يعتبر جزء منه.

حب الاستطلاع والتروع إلى مزيد من العلم يطغى على بعض الناس, حيث يخصصون حياتهم وكل ما لديهم للمعرفة. وكثير منهم يحبون العلم لأجل العلم, وليس كوسيلة لتحقيق الأغراض الأخرى.

والرأي السائد أن العلم يخص الإنسان والحيوان لأنهما يمتلكان "النفس" التي هي حقيقة مجردة, والعلم لا يشمل الجسم والمادة :

"فما أسخف قول من حكم بأن تلك الصور الجزئية في موادها الخارجية أخيرة مراتب علمه تعالى, وتسمى المادة الكلية المشتملة عليها دفتر الوجود. وكأنه سهى ونسي ما قرأه في الكتب الحكمية أن كل علم وإدراك فهو بضرب من التجريد عن المادة. وهذه الصور مغمورة في المادة, مشوبة بالأعدام والظلمات".[٣٠٦]

---

[٣٠٦] الملا صدرا ـ الأسفار الأربعة ـ الإلهيات

"من المعلوم أن الموجود المادي مركب من مادة وصـــورة. ولا يتصـــور حضـــور الشيء المادي عند نفسه في شيء منـــهما :

ــ أما المادة, فلأنها قوة محضة لا فعلية لها إلا عدم الفعلية، والعلـــم فعـــل محـــض لا قوة فيه. فحضوره عند المادة لا يخلو من أن تنقلب المادة فعـــلا أو ينقلـــب العلـــم قوة وكلاهما محـــال.

ــ وأما الصورة, فإنها لما كانت حقيقة الاتصال القـــابل للأبعـــاد الثلاثـــة يعـــني أن فيها قابلية الانقسام والزوال، مع أن حقيقة الجســـمية هـــي المـــادة لا الصـــورة، فحصول العلم في الصورة يعني أنه قابل للانقسام والزوال, وهـــو أيضـــا محـــال"[٣٠٧].

الجـهل :

لكن, ثمة شكوك في إمكانية تحصيل العلم الصحيح. فمن جهـــة, نـــرى مـــدارس فلسفية وتجريبية, تمحورت على أصالـــة الشـــك, لا تســـمح للشـــخص أن يتيقـــن بالقيمة النظرية لمعلوماته, وتلخص قيمة العلـــوم والمعـــارف في الجـــانب العملـــي, إذ تمكن الإنسان من السيطرة على الطبيعة واستغلال قواهـــا وطاقاتهـــا, ولكـــن تفتقـــر إلى القيمة النظرية, أي التأكد من تطابق نتائجها على الواقـــع الموجـــود.

ومن جهة أخرى ــ وخاصـــة في أوســـاط المتدينـــين ــ الـــذات الإلهيـــة هـــي حقيقة الوجود, وهو مطلق, لا يستوعبه عقل إنســـان ــ أي كـــان ــ. النتيجـــة أن المعرفة الإنسانية تقف عند الظواهر والفنومنات. أما الوجـــود البحـــت, فـــلا ســـبيل إلى معرفتـــه.

---

[٣٠٧] تعليقات حاتم إسماعيل على : "بينات" للمؤلف

وبالرغم من أن "كل شيء يبدو طبيعياً، قـد أسـتغرب مجـهولاً أراه لأول مـرة, فيلفت نظري، كبرنامج جديد يظهر علـى شاشـة الكومبيوتـر, ويطلعـني علـى نتائج تدهشني من براعته ودقته، ولكن سرعان ما أتعـّود عليـه, ويدخـل في إطـار حياتي اليومية الروتينية ، ولا غرابة منـه,

لكن لهذا العالم وجهاً آخر مليئاً بالغرابة والدهشـة، يكفيـني أن أتجـرأ وأتقـدم بخطوة واحدة, وأتجاوز واجهة شيء ما, لأتسلل في عمـق العـالم, حـتى أسـتغرب من أي شيء يحمل في طيّات واجهتـه الطبيعيـة سلسـلة لا تتنـاهى مـن الرمـوز والأسرار، يصعب على اثنين منا (إن لم أقل من المسـتحيل) أن نتّفـق في تفسـيرها. تتشتّت الطرق وتتشعّب المدارس في الإجابـة إلى أسـهل الأسـئلة الـتي تـدور في الذهـن"[٣٠٨].

تـأويل :

التجربة المستمرة وتلقي الصور والمعلومات والتعقل والتفكير فيـها, تفتـح أمـام الإنسان آفاقاً واسعة من زوايا الكون, وتفيقه وتسـبب لـه صحـوة لمـا يجـري في نظام الوجـود.

لكن الإحساس بالعجز عن تلقـي المعرفـة الحقيقيـة تسـبب محـواً للمعـارف ونسياناً لقيمة المعلومات الصورية التي يكتسبها الإنسان. هذا الواقـع, يجعلنـا أمـام ثنائية, هي ثنائية ***الصحو/المحو***, فلندرسها في الخطـوة التاليـة.

---

[٣٠٨] محمد خاقاني (المؤلف) ــ بينات ــ المقدمة

٣٨ ــ الصحو/المحو

الصحو :

المفاهيم التي تستقر عندنا عبر التقاط الصور من العالم الخارج والداخل, أو تلك التي تعبر عن الصفات النفسية والأفعال الصادرة من النفس, تؤلف شبكة متماسكة ترتبط في كيان الأنا والشخصية الفردية : أنا أرى, أنا ألمس, أنا أخاف, أنا أحب, أنا أمشي و... وكأنها قطرات تجري في نهر الأنانية وتتوحد ببعضها. الموطن الذي يستوعب هذه المفاهيم, ونسميه "الذهن", يعتبر إطاراً لشخصية كل واحد منا, ومرآة تتجلى فيها كيان أي فرد منا, ويميزنا عن الآخرين, به نحتفظ بتشخصاتنا, ونحدد مواقفنا في التعامل مع الآخرين. هذا هو وعينا لأنفسنا, وصحوتنا أمام العالم.

المحو :

لكن "الذهن", ليس كل الشخصية الإنسانية. فهناك الكثير من الزاوايا التي تختبئ في النفس, ولا تطفو على السطح, وتظهر في واجهة الذهن, وقد تكون هذه المناطق المبطنة أوسع بكثير من تلك التي ننتبه لها, أو أكثر فاعلية في انتماءاتنا ونزعاتنا, وبما أنها ليست مستحضرة في الذاكرة وغائبة عن الذهن, يمكننا تسميتها بالمحو (مقابل الصحو) أو اللاوعي (مقابل الوعي) :

"منذ الستينات, انقلب التفكير الفرنسي على فلسفات الوعي, ونشأت مواقف تلغي دور الذات الفاعلة, التي تخلق الدلالات والمعاني, وتعلن موت الإنسان (ميشيل فوكو) لتأكيد خضوعه للإكراهات المقيدة لحريته. وانتسبت

هذه المواقف إلى البنيوية, التي أحلــت البنيــة مكــان الــذات, واللاوعــي مكــان الوعــي".[309]

تــأويل :

الوعي هو العنصر المميز لأنانية الشخص, والمحدد لموقفــه تجــاه الآخــر. بالتــالي, هو الكفيل بإقامة النسب والاعتبــارات بيننــا وبــين الآخريــن. وهــذا يســاوي : النسبية التي تتحقق في شبكة النســب والعلاقــات.

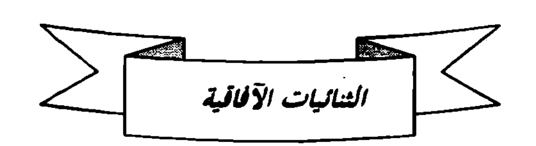
لكن اللاوعي لا يستحضر في الحدود والأطــر, ولا يتقولــب بقوالــب الأفــراد. وبتجاوزه عن هذه الخطوط يمكن اعتباره "***مطلقاً***", يقــابل "***النســبي***".

لإيلاج (***الصحو/المحو***), في (***المطلق/النسبي***) ننتظر, ريثمــا ننتــهي مــن دراســة قائمة الثنائيات الأنفسية والقرآنيــة, ثم نــولج جميعــها في الثنائيــات العامــة, الــتي نبدأها بــ"***المطلق/النســبي***".

---

[309] د. وفاء شعبان ــ ديكارت والفلسفة الفرنسية ــ السفير ــ ٩٦/٥/٣١

الفصل الثاني:



٣٩ ـ المادة/الطاقة
٤٠ ـ القبض/البسط
٤١ ـ الاتصال/الانفصال
٤٢ ـ الثابت/السيال
٤٣ ـ القدم/الحدوث
٤٤ ـ المادي/المجرد
٤٥ ـ الدنيا/الآخرة
٤٦ ـ الغيب/الشهادة
٤٧ ـ الحياة/الموت
٤٨ ـ الخير/الشر
٤٩ ـ الجنة/النار
٥٠ ـ الرحمة/الغضب
٥١ ـ الحق/الباطل
٥٢ ـ النور/الظلمات
٥٣ ـ الوجود/العدم

٣٩ ـ المادة/الطاقة

المادة :

كانت الفيزياء حتى عام ١٩٠٥ قائمة على مبدأين أساسيين, هما مبدأ "حفظ المادة" ومبدأ "حفظ الطاقة", باعتبارهما جوهرين مختلفين في عالم الطبيعة.

والمادة الفيزياوية كانت هي "الجسم" عند الفلاسفة, الذي عرفوه بأنه جوهر يمكن أن يفترض فيه أبعاد ثلاثة.

الطاقة :

وكانت عند الفيزياويين تشمل أنواعاً مختلفة, كالطاقة الحرارية والطاقة الضوئية والطاقة الحركية والطاقة المدّخرة وغيرها.

أما الفلاسفة, فذهب معظمهم إلى عدم اعتبار الطاقة جوهراً مستقلاً عن الجسم (المادة), بل عرضاً من أعراضه, وبالتحديد : عرضاً سموه مقولة "أن يفعل", لأن صدور الأفعال من الجسم صفة من مواصفات الجسم, تختلف بين جسم وآخر.

إلا أننا نرى ميلاً عند صدر المتألهين الشيرازي في ربط هذه الأفعال بـ "القوة" التي تحملها "المادة" الفلسفية, وهي ليست مقولة عرضية, بل هي جوهر إلى جانب جوهر "الصورة", وهما يتشكل جوهر "الجسم".

ورغم تأكيد الفلاسفة على أن التركب بين المادة والصورة تركب "اتحادي" لا "انضمامي", لكن التركب من جوهرين يفرض قبول ثنائية حقيقية في داخل الجسم.

البحث عن المادة جرى في أبحاث أخرى فلسفية عند القدماء في ثنائية : ***الجسم الكثيف/الجسم اللطيف***. حيث كان المقصود بالأول المادة, وبالثاني الطاقة. وقد وقع الخلاف بينهم في ثنائية : ***التخلخل/التكاثف***, وأن الجسم, هل هو "متخلخل" بمعنى أن الطاقة تدخل في الفراغ الواقع بين أجزاء الجسم؟ أم أن الجسم "متكاثف", ويمتنع دخول جسم في جسم آخر؟

وذهب بعض القدماء إلى أن أصل الطاقة هي "النار" التي اعتبروها عنصرا من العناصر الأربعة التي تشكل عالم الطبيعة.

ولأن النار قد تكون رمزاً للطاقة باللغة الحديثة, افترض بعض العلماء المعاصرين أن ثنائية: "***التراب/النار***" في القرآن ترمز إلى ثنائية : "***المادة/الطاقة***, ولذلك أوّلوا الثنائية القرآنية : ***الإنس/الجن*** إلى ثنائية المادة/الطاقة, لأن الإنسان خلق من التراب, والجان خلق من النار.

وقد ناقش المفسرون احتجاج إبليس في الامتناع عن السجود لآدم بحجة أنه من النار والنار خير من الطين, وادعى صدر المتألهين بأنه وجد أربع عشرة مغالطة في الاستدلال الذي أقامه إبليس.

تجدر الإشارة إلى أن ثنائية الإنس/الجن تعتبر من الثنائيات الهامة في نظام الكون, لأنهما المخلوقان الوحيدان اللذان تمتعا بالحرية والاختيار والمسؤولية والتكليف. وقد وصفهما الله تعالى "بالثقلين" : ((سنفرغ لكم أيها الثقلان))[٣١٠]. ولكن, لا مجال هنا للخوض فيها.

---

[٣١٠] الرحمن ٣١ ـــ راجع تفسير القرطبي, وابن كثير وسائر التفاسير

تأويل :

"التخلخل" نوع من الانبساط على مستوى الجسم وخاصة "الجسم اللطيف" أو الطاقة. وفي المقابل, "التكاثف" يبتني على الانقباض بين أجزاء الجسم. وهذ يتطلب دراسة ثنائية : ***القبض/البسط***.

٤٠ ـ القبض/البسط

القبض :

المستجدات العلمية في علم النجوم, أدت إلى الاعتقاد بأن الطبيعة التي تحتضننا, كانت قبل ما يقارب ١٥ ميليار سنة متمركزة في نواة مركزية ثقيلة للغاية, ومنقبضة ومتماسكة للغاية ومختلفة عن الوضع الراهن في كثير من ميزاها, منها : أها لم تكن بعد في زمان محدد ولا مكان محدد.

البسط :

لكن انفجاراً عظيماً سمّوه (big bell) حصل, ولأسباب غير معلومة, وتوسعت أبعاد الكون الحديث, وامتدت في مساحات الزمان والمكان. ونحن الآن, وبعد مرور ١٥ ميليار سنة من الانفجار العظيم الذي كان بمثابة الانطلاقة الأولى لظهور الطبيعة, مازلنا نشاهد مواصلة هذا الانبساط في مجرات تبتعد عنا ملائين سنة ضوئية.

السؤال الذي يطرح نفسه علينا, هو مدى إمكانية انتهاء هذا التوسع في أقطار السماوات. والجواب يكمن في مدى الطاقة الجاذبية المتوفرة لدى المادة

الأولى, فإذا كانت هـــذه الطاقـــة كافيـــة, فســيعقب هـــذا الانبســـاط انكماشـــاً وانقباضاً يضغط على أجزاء الكون المنتشـــرة في الفضـــاء الطلـــق, ويحولهـــا ولمـــرة أخرى إلى نقطة ثقل في اللازمان واللامكان, وهكـــذا تُطـــوى ســـجلّ الســـماوات والأرض في أجل مسمى. وهل هذه الطاقة الجاذبية متوفـــرة أم لا ؟ لا نعـــرف لحـــد الآن .(سيكون لنا تفصيل أكثر حول نظرية الانفجار العظيـــم والانكمـــاش العظيـــم , في الثنائية رقم ٤٣ : القدم/الحـــدوث).

تـــاويل :

حدث الانفجار العظيم أدى إلى انتشار أجـــزاء المـــادة الأولى ***وانفصالـــه***, بعدمـــا كانت حقيقة ***متصلة*** متمركزة في نقطـــة واحـــدة.

وهذا يعني رجوع معادلة ***القبض/البسط***, ومعادلة : ***المـــادة/الطاقـــة*** إلى ثنائيـــة: ***الاتصال/الانفصـــال***.

من ناحية أخرى, من يعتقـــد بأصالـــة الاتصـــال في أجـــزاء الطبيعـــة, يـــرى في هيكلية هذا النظام تركيبة متماسكة *منقبضة*, لا مجال للتخلخـــل فيـــها.

بالمقابل, من ينظر إلى العالم بعين الانفصال, يرى أنه *انبسط* عـــبر تخلـــل أجزائـــه وانفصال ذراته, طيلة حركة تمتد بامتداد الزمن, هـــذا الأمـــر يجعلنـــا أمـــام ثنائيـــة : *الانقباض/ الانبساط*.وهذا دليـــل آخـــر لتـــأويل ثنائيـــة ***الانقبـــاض/الانبســـاط*** إلى معادلة ***الاتصال/الانفصـــال***.

٤١ ــ الانفصال/الاتصال

الانفصـــال :

شغلت مسألة الاتصـــــال والانفصــــال المـــدارس الفلســـفية. إذ إنهـــا, حســـب الفلسفة الأرسطية, تقسم "الكم" الذي هو أحـــــد أعـــراض الجوهـــر الجســـماني إلى المتصل والمنفصل. الكم المنفصل هو العـــــدد. وسمـــــي علمـــاء الرياضيـــات القـــائلين بأصالة الانفصال بـــ : "العدديـــــون" :

"العدديون يذهبون إلى إثبات الانفصال. لأن هناك طفـــرة بـــين العـــدد وتاليـــه (١، ٢، ... ٣). ولأن العدد أمّا فردي وأمّـــا زوجـــي"[٣١١].

نظرية أصالة العدد والانفصال, لا تبقى عند دائـــرة الفلســـفة والرياضيـــات, بـــل تصبح رؤية كونية تفسر كل الأشياء على ضـــوء الانفصـــال :

"هذه الوجهة, هي ما أخذ بها كثير مـــن المناطقـــة القدمـــاء والمحدثـــين وعلمـــاء الحاسوب وبعض البيولوجيين واللسانيين. فـــالجواب إمـــا بنعـــم أو بـــلا, أو بكـــل شيء أو لا شيء, أو أبيض أو أســـود, أو 1 أو 0 . كمـــا أن المســـتويات اللغويـــة عبارة عن وحدات مســـتقلة"[٣١٢].

الاتصـــال :

الكم المتصل, الذي هو النوع الثاني من أنـــواع الكـــم في الفلســـفة الأرســـطية, بدوره ينقسم إلى "القارّ", الذي تستقر أجزائه مع بعضـــها في لحظـــة واحـــدة, وهـــو

---

[٣١١] د. محمد مفتاح ــ التشابه والاختلاف ــ ٢٠

[٣١٢] المنبع السابق

الخط (إذا كان ذا بعد واحد), والسطح (إذا كان ذا بعدين : الطول والعرض), والحجم (إذا كان ذا ثلاثة أبعاد).

وحقيقة الاتصال في عالم الطبيعة تنمّ عن استحالة الطفرة والفراغ :

"أما الهندسة أو الكم المتصل في غير الفضاء وفي الفضاء, فليس فيه قطيعة أو طفرة. وإنما هناك اتصال".[313]

الترعة الهندسية أي تأصيل الاتصال أيضاً تؤدي إلى رؤية شاملة عن العالم, تؤمن بتماسك مراتب الوجود وأجزاء الطبيعة :

يرى "بول لانجون" ـــ أحد علماء الفيزياء ـــ أن الطبيعة برمتها ترتعش بارتعاش ذنب سمكة صغيرة في أعماق البحر, لأن ذبذبة هذه الحركة لا تقف إلا عند الخلاء, ولا خلاء في الطبيعة.

أما النوع الثاني من الكم المتصل المسمّى : "غير القار", الذي لا تستقر أجزائه مع بعضها, فهو "الزمان", الذي يتطلب فيه حدوث كل جزء لاحق زوال الجزء السابق. وسندرسه في ثنائية : الحركة/الثبات.

تأويل :

يتفق الفيزياويون أن الحركة والسيلان التي نقيسها بالزمان هي حصيلة الانفصال والانبساط الذي حصل بعد حدث الانفجار العظيم, وإذ لا معنى للزمان قبل هذا الحدث, فلا يمكن الحديث عن أي تطور مرحلي وتدريجي عن مرحلة ما قبل الانفجار. فتؤول ثنائية: ***الاتصال/الانفصال*** إلى معادلة : ***الثابت/السيال.***

---

[313] المنبع السابق

٤٢ ــ الثابت/السيال

الثـابت :

النزعة السائدة في أوساط المتدينين ــ بشكل عام ــ هي تأصيل الثبات وتهميش الحركة, بإرجاع الحركات إلى عالم الغيب والله, لكون الثبات منتزعاً عن الله, بوصفه أزلياً أبدياً لا يطرأ عليه أي تغير.

هذا الاتجاه يرى ضرورياً, أن يفسر العالم على ضوء الثبات. وذلك يتم عادة بتفسيرين:

١ ــ بنفي الحركة على الإطلاق, والاعتقاد بأنها مجرد صورة خاطئة عن الواقعيات الثابتة في العالم, (كالخطأ الحاصل في الذهن عند مشاهدة الرسوم المتحركة التي نراها متحركة, لكنه بالفعل تعاقب سريع لرسوم ساكنة). المفكر اليوناني "زنون" هو الذي تبنى لأول مرة هذا التفسير.

٢ ــ بتلخيص كل التغيرات التي تحدث في العالم في أعراض المادة, أي الكم والكيف والوضع والمكان. وهي أربعة مقولات, تجري فيها كل التغيرات المادية حسب فلسفة أرسطو والمشائين.

نلاحظ, أن هذا الرأي لا ينكر وجود الحركة, إلا أنها تؤوّل كل الأعراض المتحركة إلى جوهر ثابت, تستحيل عليه التغير. لأن فكرة تغير الجوهر المادي تتعارض مع بقاء الشخصية للشيء (موضوع الحركة) من المبدأ إلى المقصد.

تستنتج الفلسفة المشائية من ثبات الجوهر المادي, أن الجوهر الثابت ليس كفيلاً بتفسير الحركات العرضية. فهذه الحركات لا تنطلق من ذات المادة, بل تملى عليها من الغيب, ومن الإرادة الإلهية والملائكة المدبرات للأمر.

وقد يُستدَل على تهميش الحركة واعتباريتها بالجهـــة العدميـــة الـــتي نلمســـها في عمق معنى الحركـــة :

"الحركة زوال وحدوث باستمرار. والـــزوال عدمـــي.

أو أنها خروج تدريجي من القوة إلى الفعل[٣١٤]. والقـــوة شـــيء لم يتحقـــق بعـــد. والمتحرك يحتاج إلى فاعل يخلـــق المرحلـــة اللاحقـــة للحركـــة بعـــد زوال المرحلـــة السابقة نهائياً"[٣١٥]. فإذا زالت فلا تقدر على خلق المرحلة الـــتي تليـــها. والحاجـــة أمـــر عدمي أيضـــاً.

---

[٣١٤] اكتفى المؤلف بذكر الحركة الصعودية دون الأنواع الأخرى من الترولية والتوسطية لأنه يهدف إلى تتريـــه الوجود المطلق عن كونه طبيعة جسمانية وما نشاهده من الطبيعة الجسمانية هو الحركة الصعودية.

ولبيان مختلف أنواع الحركة نقول : إن الحركة إما طولية أو عرضية والطولية إما صعودية وهي السير والانتقـال إلى الكمال، وحقيقتها التكامل الوجودي للمتحرك ويقابلها السكون وهو عدم السير إلى الكمـــال فالحركـــة وجودية والسكون عدمي، وإما نزولية وهي السير والانتقال من الكمال إلى النقص ويقابلها السكون وهو عدم النقص فهو أمر وجودي لأنه عدم العدم. والحركة الترولية أمر عدمي بعكس الصعودية، فهي خروج من الفعل إلى القوة ، فتعريف الحركة بما ذكره غير شامل للترولية.

كما لا يشمل الحركة التوسطية، وذلك أن الحركة أما توسطية وهي كون الشيء بين المبدأ والمنتهي بحيث لـــو فرض كونه في أي حد من حدود المسافة التي يقطعها بالحركة فهو ليس في حد قبله ولا في حد بعده ، فهو أمر بسيط قار ثابت لا تدرج فيه ولا تجدد، وإما قطعية وهي نفس الحالة المذكورة أخذ فيها نسبتها إلى الحد الـذي قبلها والحد الذي بعدها ، أي لوحظ فيها قوة تبدلت فعلاً وإلى قوة لم تتبدل بعد يريد المحرك أن يبدلها ، وهذه هي التي يحصل فيها التجدد والتبدل. فالحركة التوسطية ثبات لا تجدد فيه فينتقض التعريف بها.

[٣١٥] "تعدد المحرك والمتحرك ضروري وسبب حركة المادة مبدأ وراءها " :محمد باقر الصـــدر ـــ فلســـفتنا – ٣٥٨. وراجع أيضا" : نهاية الحكمة – ١٤٦.

لكن الوجود المطلق ثابت محض. ويتفرع عليه أنه أبـــدي بـــاق بالبقـــاء المطلـــق, لا باستمرار وجوده في أزمنة غير متناهية, بـــل لأنـــه فـــوق الزمـــان. ولا بـــامتداد وجوده في أمكنة غير متناهية، بل لأنه فـــوق المكـــان"[316].

السيال :

حسب القائلين بالحركة, تخضع الـــذوات الماديـــة إلى حركـــة دائمـــة ومســـتمرة وفقاً لقوانين محـــددة...

من وجهة النظر الديالكتيكية, الطبيعة ليست حالة ســـكونية راكـــدة ثابتـــة, بـــل هي حالة من الحركة المستمرة والتغير المستمر، ومـــن التجديـــد والنمـــو الدائمـــين, حيث نجد دوماً شيئاً جديداً ينشأ ويتطور, وشيئاً آخر يمـــوت وينحـــل.عـــبّر لينـــين عن أهمية الصيرورة في هذا النوع من التصور لحقيقـــة الواقـــع المـــادي, فقـــال : إن قلنا أن العالم هو مادة متحركة, أو أن العالم هو حركـــة ماديـــة, لا فـــارق في ذلـــك على الإطـــلاق".[317]

النتيجة التي تتوخاها الفلسفة الديالكتيكية مـــن التركـــيز علـــى ذاتيـــة الحركـــة للمادة, هي تعليل الحركات والتحولات بأنها جميعاً تنطلـــق مـــن ذات المـــادة, مـــن غير أن يكون للغيب (الغير الموجود نهائياً) مدخليـــة في تحريكـــها .

---

[316] راجع : البينة رقم ٢٩ من "بينات", أثر المؤلف

[317] صادق جلال العظم ــ نقد الفكر الديني ــ ١٣٣

تـــأويل :

عرّف أرسطو الحركة بأنها زوال وحـــدوث يتعرضـــان علـــى المـــادة باســـتمرار, وفي مسار الزمن. فالمقولة التي تقبل الحركـــــة في الشـــيء المتحـــرك, تحـــدث شـــيئاً فشيئاً, وفي كل لحظـــة.

وكل ما تستحيل عليه الحركة, كالحقـــائق المجـــردة غـــير المركبـــة مـــن القـــوة والفعل, يعتبر ***قديماً*** كالله والملائكة. أما الجوهر المادي, فرغم ثباتـــه, لكونـــه مركبـــاً من القوة والفعل ***حادث***, يتعرض للكـــون والفســـاد. فحقيقـــة ***الثبـــات/الســـيلان***, تؤول إلى ثنائية : ***القدم/الحـــدوث***.

٤٣ ـــ القدم/الحدوث

القـــدم:

"لقد كان العلماء حتى أواخر القـــرن التاســـع عشـــر يعتقـــدون بقـــدم الكـــون وأزليته. ولذلك, كان معظمهم ملحدين, لا يعتقدون بوجـــود إلـــه خـــالق للكـــون. وكانوا يقولون : إن العالم آلة تدير نفســـها بنفســـها, وبالتـــالي لا يحتـــاج البتـــة إلى سبب فوق الطبيعة لوجـــوده...

الحـــدوث :

لكن, منذ أوائل القرن العشرين, ظهر علمـــــاء أفـــذاذ في الرياضيـــات والفيزيـــاء والفلك, أمثال "آلبرت انيشـــــتاين" (١٨٧٩ - ١٩٥٥), وهـــو عـــالم الرياضيـــات والفلك المشهور, وصاحب نظرية النســـبية العامـــة والخاصـــة, و"نيـــازبور" (١٨٨٥

- ١٩٦٢)، وهو فيزيـائي دنمركـي، ومـن مؤسسـي علـم الفيزيـاء في القـرن العشرين و... وقالوا بخلق العالم، وأن له بدايـة ونهايـة. وبذلـك خـالفوا النظريـة القديمة القائلة بأزلية العـالم...

نتيجة لذلك، ظهرت نظرية (الانفجـار العظيـم) في أواسـط العشـرينات مـن القرن العشرين على يد العالم "فريدمـان" أولاً، ثم العـالم "لوسـتر"، وهـي تفسّـر بداية الكون... وصمدت لحد الآن، وأصبحت مسلّمة من مسـلّمات علـم الفلـك الحديـث...

نظرية "الانفجـار العظيـم"، تفسـر بدايـة الكـون وتقريرهـا. أمّـا نظريـة "الانكماش العظيم"، فـهي نهايـة "الانفجـار العظيـم"، تحـدث عنـه "سـتيفن هوكنج" في كتابه : (تاريخ موجز للزمـن).

ويقول "ساندج" بإمكانية حـدوث انفجـار عظيـم آخـر بعـد الانكمـاش العظيم، رسما نظريته بـ "الكون المتأرجح". وقـد يولّـد الانفجـار الجديـد عالمـاً، يختلف عن كوننا الحالي بقوانينه ونظمـه ومادتـه".[٣١٨]

حسب الفلسفة الإسلامية، الحادث هو الواقع في إطار الزمـان. والزمـان يعتـبر "من ملابسات الجسم وحاصل من حركته، وقد عرفه الفلاسـفة بأنـه كـم متصـل غير قار يعرض للجسم بتوسط الحركة، فهو إذن مقـدار لأمـر غـير قـار وهـو الحركة.

وما دام الزمان لازماً للحركة، والحركة عبارة عن تجدد الأحـوال فـهي لازمـة للتغير، وإن كان التغير أعم، لصدقه على الانتقـال الدفعـي دون الحركـة المختصـة

---

[٣١٨] رحا عبد الحميد عرابي ــ الكون البداية والنهاية ...ــ مجلة الثقافة الإسلامية العدد ٤٧ / ١٩٩٧

بالتغير التدريجي، فالزمان إذن لازم للموجودات عند تحقق وجودهـــا، ومادمنـا قـد فرضنا بداية للموجودات الماهويـة فللزمـان بدايـة لا محالـة، إذ إنـه قبـل خلـق المخلوقات لم تكن حركة, فلم يكن زمان لتلازم الحركة مـع وجـود الفلـك.

ويؤيد هذا المعنى ما ورد عن أمير المؤمنين(ع): "سـبق الأوقـات كونـه والعـدم وجوده" ، وقوله : "الذي لم يسبقه وقت و لم يتقدم عليـه زمـان"، وفي دعـاء ليلـة إحدى وعشرين من شـهر رمضـان : "لا إلـه إلاّ الله مدبـر الأمـور ومصـرف الدهـور".

فتصرف الدهور بيد الله تعالى، والمراد بـالدهر هنـا الزمـان لا الدهـر بـالمعنى الفلسـفي"[٣١٩].

تـأويل :

عندما تدخل الحركة المزيجة بين الزوال والحـدوث في صميـم الكـائن المـادي, يصبح الحدوث عنواناً رئيسياً للمادة؛ بمعنى أن للجوهر المـادي بدايـة زمنيـة ونهايـة زمنية.

افتراض البداية والنهاية الزمنيتين للطبيعة يطـرح فرضيتـين, لا بـد مـن كـون إحداها صحيحة, وهمـا :

١ ـــ تلخيص الوجود في *المادة* والطبيعة. وبناءً عليـه, يسـتلزم افـتراض البدايـة والنهاية له أن يكون قد انطلق من العدم المحض, وينتهي أخـيراً إلى العـدم المحـض.

---

[٣١٩] تعليقات حاتم إسماعيل على : "بينات" للمؤلف

٢ ـــ اعتبار الوجود المادي جزءً من الوجود العام, يبتـــدئ منــه وينتــهي إليــه. وهذا يعني الاعتقاد بوجود **مجرد** مشرف على المادة والطبيعـــة. وهنـــا تظـــهر أمامنـــا ثنائية : ***المادي/المجـــرد***.

٤٤ ـــ المادي/المجرد

المـادي :

المادية الميكانيكية التي رسم نيوتن معالمها في كتابه "المبـــــادئ الرياضيـــة للفلســـفة الطبييعية", تجسدت في مقومات أساسية, مـــن أهمـــها :

المكان المطلق الذي يقول عنه نيوتن : "يبقى المكـــان المطلـــق , بطبيعتـــه وبـــدون علاقة بأي شيء خارج عنه, دوما متشـــاهًا. أمـــا المكـــان النســـي, فـــهو بعـــد أو مقياس متحرك للأمكنة المطلقة, تحدده حواسنا بواسطة موضعـــه مـــن الأجســـام."

الزمان المطلق, ويقول نيوتن في تحديـــده : "ينســـاب الزمـــن المطلـــق, الحقيقـــي والرياضي, بذاته وبطبيعته بتساوٍ وبدون علاقة بأي شـــيء خـــارج عنـــه. ويعـــرف باسم آخر هو الدوام. أما الزمن النســـبي أو الظـــاهري أو الشـــائع, فـــهو مقيـــاس محسوس وخارجي للدوام عن طريق الحركة, والزمن النســـبي هـــو المســـتعمل عامـــة, عوضاً عن الزمن الحقيقي مثل ساعة أو يوم أو شـــهر أو عـــام".

المادة : تتألف جميع الأشياء في الكون من ذرات ماديـــة مفـــردة, بمعـــنى كونهـــا الأجزاء البسيطة التي لا تتجزأ إلى ما هو أبسط منـــها علـــى الإطـــلاق, وكـــل ذرة من هذه الذرات موجودة في نقطة معينة من المكان المطلق, وحادثـــة في لحظـــة مـــن

لحظات الزمان المطلق, وتتصف هذه الجسيمات المادية البسيطة بالخصائص الأولية الرياضية فقط (الحجم, الكتلة, السرعة, القصور الذاتي, إلخ...)".

وبالرغم من أن المادية الميكانيكية سادت التفكير العلمي الحديث قرابة ثلاثة قرون, سيادة شبه تامة, فإن هذا لا يعني أنها لم تجابه الكثير من النقد والتجريح والتحدي من قبل فئات مختلفة من أهل الفكر والنقد. وجاءت أول موجة من النقد الموجه للصورة الكونية الميكانيكية هذه, من جهة اليمين, الذي قال إنها نظرة مادية ملحدة ومتشائمة بالنسبة للإنسان ومصيره النهائي...

ثم جاءت الضربة الحاسمة التي قضت على المادية الساكنة كصورة كونية هامة في العصر الحديث من جهة الوسط, أي من علم الفيزياء نفسه, الذي كان الدعم الأكبر للنظرة الميكانيكية والمنشأ الأصلي لها... وأدت في نهاية الأمر إلى التنازل عنها لصالح نظريات علمية جديدة أكثر شمولاً وديالكتيكية... وجاءت نظرية أينشتاين, لتخلص الفيزياء نهائياً من تصورات الزمن المطلق والوعاء المكاني المطلق, وتبين أن المقادير المكانية والزمانية نسبية إلى مجرى أحداث العالم المادي, ومشتقة منه"[٣٢٠].

وهكذا قامت التيارات العلمانية في القرون الأخيرة باستغلال المستجدات العلمية في عملية "تدهير" العالم, وتلخيص الوجود في المادة التي تنازعت الآراء والمذاهب العلمية في تحديد معناها ورسم معالمها:

"العلمانية...تفيد دلالة التدهير (Secularisation), أي الانتقال من المنظور الطائفي والميتافيزيقي للكون, إلى المنظور الزماني والتاريخي والمجتمعي"[٣٢١].

---

[٣٢٠] صادق جلال العظم ــ نقد الفكر الديني ــ١٢٩ ــ ١٤٤

[٣٢١] د. جميل قاسم (أستاذ الجامعة اللبنانية) ــ العلمانية : المختلف والمؤتلف ــ السفير ــ ٩٦/٧/٥

المجـــرد :

لكن عملية التدهير التي ظهرت مع الحداثة, تقوم علـــى التميـيز بـين عـالمين : عالم الله وعالم الإنسان الذي صار يضطلع في الأزمنة الحديثـــة بمســؤولية خاصــة في العالم وفي التاريخ المتناهي, أمام المطلق واللامتناهي الكـــوني والإلهـــي...

"يقول ديكارت : (أنا مادة وقودها وطبيعتها الفكـــر. وهـــذا الفكـــر ليـــس في أي حاجة إلى مكان أو إلى مادة ملموسة لكي يكـــون... إنّ الأنـــا الـــتي تفكـــر, هي مادة غـــير ملموســـة, ولا تمـــت إلى الجســـد بصلـــة. والجســـد والأنـــا غـــير متشـــابهين)".[322]

"شهد العصر الراهن انقلاباً عظيماً في تفكـــير الغـــرب, لدرجـــة يمكـــن القـــول أنه أدى إلى قلب صورة العالم أمـــام الإنســـان. نســـتطيع تفســـير هـــذا الانقـــلاب العظيم بناءً على ازدواجية ***الروح/الجسم***، ***والمعنى/الشـــكل***, وثنائيـــات أخـــرى (لا نذكرها هنا, لكنها تدخل في حقل البحث شـــيئاً فشـــيئاً).

هاتان الفئتان مـــن المصطلحـــات المزدوجـــة قـــد اعتقـــلا الإنســـان وفكـــره كحائطين موازيين، والمشادّة حول ما هـــو الأصيـــل والأســـاس منـــهما ومـــا هـــو الفرع والهامش وبلا قيمة, قسّمت الفكر الغربي إلى معســـكرين متخـــاصمين ألقـــى كل واحد منهما بظلاله في برهة من التـــاريخ.

[322] ميشيل كايل (عضو في تحرير مجلة الأزمنة المعاصرة الفرنسية) ـــ نقد سارتر لكوجيتو ديكـــارت : أنـــا موجود إذاً أنا أفكر ـــ السفير ـــ ٩٦/٥/٣١

ربما يناقش في اعتبار تاريخ الفكر الغربي منقسماً إلى هذين المعسكرين المتخاصمين, لأن التيارات الفكرية متنوعة جداً, من المستحيل في بدء الأمر تقسيمها إلى كتلتين. لكن هذه القسمة ــ رغم ذلك ــ ضرورة.

قبل الثورة العظمى التي جرى الحديث عنها، كانت الغلبة في فترة غير محددة البداية (والنهاية) للعنصر الأول: *الروح* هي التي تسيطر على الآخر الأقل قيمة, أي : الجسم والشكل. العنصر الأول كحقيقة غير مرئية وغير قابلة للتحديد, يحرّك العنصر الثاني من وراء الستار, ويضفي عليه المعنى. والطرف السافل مقيدّ يتحقق ويتعيّن بفضل العامل الأول.

هذه الازدواجية الحاضرة بقوّة طوال تاريخ فلسفة الغرب, يعبر عنها بثنائية *الفيزياء/الميتافيزيقا* في رسم العلاقة بين الله والإنسان. الحقيقة أَلما ورائية تخلق الطبيعة وتدبّرها، والطبيعة كتاب تستمد ألفاظه معانيها من الله"[٣٢٣].

"والماديون يقولون : إن الفكر مجرد خاصية من خواص المخ، وليس أمراً مجرداً عن المادة. واستدلوا على ذلك بأنه قد ثبت علمياً أن الإنسان في حال التفكير تحدث تغيرات في المخ تتوجه إليه أكبر كمية من الدم, فيحتاج إلى غذاء أكثر, ويطرد المواد الفسفورية بنسبة أكبر على عكس ما يحصل حالة النوم، وهذا إنما يدل على أن التفكير أثر من آثار المادة, فيكون مادياً لا محالة.

لكن كون الشيء مادياً يعني أن له حيزاً و مكاناً، ومن البديهي أن كون العلم مادياً يعني أن له حيزاً، فإذا كان المعلوم موجوداً خارجياً فان مكانه في الخارج، وحصول العلم به يستلزم حلوله في الذهن حال كونه في الخارج وهو مستحيل، كما يلزمه تفكك ذاته لأن ذاته متصلة ومتحدة في الخارج فلو كانت

---

[٣٢٣] من مقال لعامر قيطوري, ترجمه محمد خاقاني (المؤلف) إلى العربية بعنوان : القرآن والنظريات السيمياوية.

الصور العلمية حالة في المادة لزم أن يكون المعلوم منفصـــلاً ومتخلخــلاً في صورتــه الذهنية, لأن محله ـــ وهو المخ بحسب الفــرض ـــ منفصــل ومتخلخــل في أعصابــه ومحالّه، فلا تظهر الصورة العلمية إلاّ على وصف محلها وهـــو الانفصــال مــع أننــا نرى أن الصور العلمية في أذهاننا ليست بذلـــك الوصـــف.

والدليل الثاني أنه لاشك في أننا نتصـــور أشـياء في غايــة الكــبر، ومعلــوم أن حجم المخ لا يتجاوز بضعة سنتيمترات. فلو كان العلــم أثــراً ماديــاً لــزم إحاطــة الصغير بالكبير وهو أمر مستحيل، فلا بد إذن أن يكـــون الدمــاغ مقدمــة وطريقــاً إلى موجود مجرد تحل فيه صور الأشــياء لا نفســها"[٣٢٤].

وهذا يعني أن الوجود لا يختصر في ما يسمى بالمادة, بـــل يشــمل مرتبــة أعلــى تتجرد عن مواصفات المادة كالزمان والمكان والكـــم والوضــع...وتمتــاز بصفــات أخرى كالحياة والقدرة والعلـــم.

ولعل هذا ما اقتضى حرمة فن التصوير حسب بعـــض المذاهـــب الفقهيــة, لأنــه بمثابة تنزيل الحياة إلى المـــادة :

"إن "الحقيقي" في التصور الإسلامي للوجود, ليس هـــو القريـــب مـــن الحـــواس, وإنما ما يتجاوز كل حسية. إنه المتعـــالي الـــذي يمتلـــك وحـــده حقيقـــة وماهيـــة الوجود, ومحركها الأساس (الروح). لذا, فإن وجـــود الصـــورة في الدنيـــا تعريـــف بالحياة (أي بما يملك روحاً), ومنح الاعتبار للجـــامد الـــذي لا يمتلـــك أيـــة فاعليـــة واقعية...إن مهمة التصوير مهمة إلهية مرتبطـــة بعنايـــة الله تعـــالى بتنظيـــم الكـــون

[٣٢٤] تعليقات حاتم إسماعيل على : "بينات" للمؤلف

وتشكيله... في حديث البخاري : قال رسول الله (ص) (إن أصحاب هذه الصور يوم القيامة يعذبون, فيقال لهم أحيوا ما خلقتم)". [٣٢٥]

تأويل :

فكرة التدهير أو الإلحاد, لا تعترف بحقيقة أخرى غير الوجود المادي, أي ***الدنيا***, وهذه تتناقض مع الرؤية الدينية التي ترى أن الدنيا أدنى مرتبة في نظام الوجود المطلق تتحرك لتصل إلى أصلها الذي يسمى : ***الآخرة***. وإليكم ثنائية : ***الدنيا/الآخرة***.

٤٥ ـــ الدنيا/الآخرة

الدنيا :

في رأي المدارس المادية, الدنيا أي النظام الواقع في إطار الزمان والمكان هي الكل أولاً وأخيراً. فهي (كما سبق) ظهرت عبر انفجار عظيم, ثم واصلت وتواصل حركتها لتتفجر مرة ثانية قد تكون نهايتها, أو بداية لعالم مماثل. وربما تكرر هذا الحدث سابقاً, ويتكرر مرات غير متناهية, حسب القائلين بنظرية "الدور والكور".

الآخرة :

أما الآخرة, فهي تقع ـــ على رأي المؤمنين بها ـــ على أنقاض الدنيا. الدنيا تنتهي بزلزال عظيم يدمر الكون, إذ لا بد لهذا الكون أن يتفجر وينهدم,

---

[٣٢٥] فريد الزاهي (باحث مغربي) ـــ مفارقة الصورة بين الإسلام والتاريخ الإسلامي ـــ السفير ٩٧/١/١٠

ليتجاوز آفاقها الضيقة كفرخة تكسر قشر البيض وتنتقل إلى عالم لا يمكن مقارنة أبعاده بفضاء البيض. وحيث أن الله خلق كل هذا العالم ونزّله على أرض الطبيعة, فهكذا هو المنتهى والمرجع لكل الحركات والتحولات. والرجوع إلى الله يقتضي الرجوع إلى المطلق, ويستلزم الخروج من آفاق الزمان والمكان, ويتطلب الاستقرار في عالم آخر يكون شأنه الخلود.

تأويل :

الإنسان, منذ أن يرى النور في *الدنيا*, يتعرف على ما حواليها عبر قنوات تربطه بما يجري في الخارج. هذه القنوات أي الحواس الخمس آليات تساعده على التقاط الصور واستقرارها في الذهن. هكذا تصبح الأشياء المادية *مشهودة* ملموسة لنا, ولكل صورة تخصها وتميزها عن بعضها .

لكن ما يسمى *بالآخرة* ــ عند القائلين بها ــ هو خارج عن نطاق الزمان والمكان, وبالتالي هو ***غائب*** عن حوزة حواسنا ومشهوداتنا, بما يلزمنا دراسة ثنائية : ***الغيب/الشهادة***.

٤٦ ــ *الغيب/الشهادة*

الشهادة :

"الشهادة هو نيل نفس الشيء وعينه, إما بحس ظاهر كما في المحسوسات, أو باطن كما في الوجدانيات, نحو العلم والإرادة والحب والبغض". [٣٢٦]

---

[٣٢٦] العلامة الطباطبائي ــ الميزان ــ ٢ / ٢٦١

الغيـب :

و"الغيب خلاف الشهادة. وينطبق علـى مـا لا يقـع عليـه الحـس، وهـو الله سبحانه وآياته الكبرى الغائبة عن حواسنا ومنها الوحـي... والقـرآن يؤكـد علـى عدم القصر على الحس فقـط, ويحـرض علـى اتبـاع سـليم العقـل وخـالص اللـب".[327]

النزعة المادية ترفض الغيب مطلقاً, وتعتبرها وهمـاً مضلـلاً للجماهـير. وتدعـو الرأي العام إلى "أن لا تتجاهل إلى مـا لا نهايـة طـرح القضايـا الحيويـة المرتبطـة بالإيديولوجية الغيبية الدينية, وما يتفرع عن ذلك مـن مشـكلات تتعلـق بتضليـل الجماهير, عن طريق استخدام الديـن..." [328].

تـأويل :

العالم المشهود, أي العالم المادي هو ما نرتبط بـه ونتعـامل معـه طيلـة *الحيـاة*. لكن الحياة لا تدوم, و*الموت* بالمرصاد. ماذا يحدث عنـد المـوت ؟ وبعـد المـوت ؟ أمور غائبة عنا. وما هي حقيقة الموت ؟ هل هـو نهايـة ؟ أم أنـه نهايـة وبدايـة في نفس الوقت ؟ ثنائية : *الحياة/الموت*, تتكفل بدراسة هـذا الأمـر.

---

[327] العلامة الطباطبائي ـ الميزان ـ ١ / ٤٤

[328] صادق جلال العظم ـ نقد الفكر الديني ـ غلاف الكتاب

٤٧ ــ الحياة/الموت

الحياة :

الخلاف مستمر بين الفلاسفة والمتكلمين ومتخصصي علم الحياة في تحديد المعنى الدقيق لظاهرة الحياة, نظراً لفوارق الموجودات الحية. ومع أن هناك شبه اتفاق على اعتبار القوى الثلاث : الغاذية والمنمية والمولدة في الموجودات الحية الطبيعية, لكن مظاهر من هذه المميزات توجد في الجمادات وحتى الكواكب والنجوم :

"إن حياة النجوم تشبه دورة الحياة للكائنات الحية. فالنجم يولد عندما تتعرض "أمه" ــ وهي سحابه ضخمة مؤلفة من الغازات والغبار الكوني... ــ تتعرض للمخاض, حيث تبدأ السحابة الأم بالانكماش والتقلص, نتيجة للقوى المغناطيسية داخل السحابة الأم... وتحدث اضطرابات في داخلها, تتمكن من تحطيمها أو تجزيئها إلى كتل صغيرة. ومثل هذا التحطيم ــ إن حدث ــ يؤدي إلى ولادة حشد من النجوم... والنجم يستمد حياته من حرق الأيدروجين... وعندما ينفد وقود النجم من الهيدروجين, يأخذ بالانكماش في مراحل حياته النهائية, ويتقلص وينكمش وفي فترة الاحتضار, يتمدد النجم ويحمر ويسمى عندها (عملاقاً أحمر)... ثم ينتهي بالموت".[٣٢٩]

---

[٣٢٩] رجا عبد الحميد عرابي ــ الكون البداية والنهاية ...ــ مجلة الثقافة الإسلامية العدد ٤٧ / ١٩٩٧

المـوت :

لكن الموت ليس أقل حيوية ونشـــاطاً في العـــالم, لأنـــه يعـــانق الحيـــاة دومـــاً, ويترقب ليصل دوره في خطف الموجودات الحية واستلاب الحيـــاة والحركـــة منـــها:

"عبّر الفيلسوف والعالم الإنكلـــيزي المعـــاصر "برترانـــد راســـل" عـــن رأيـــه في تكوين الطبيعة انتهائها, في قطعة أدبية تحـــت عنـــوان (عبـــادة الإنســـان الحـــر)... يشدد فيها أن النهاية الحتمية لجميع الأشياء هي الفنـــــاء والعـــدم. ولا أمـــل لكـــائن بعدها بشيء. إنه من السديم وإلى الســـديم يعـــود... وعندمـــا ســـئل : هـــل يحيـــا الإنسان بعد الموت ؟ قال :... الاعتقاد السائد بأننا نحيا بعـــد المـــوت ـــ يبـــدو لي ـــ بدون أي مرتكز أو أساس علمي. ولا أظن أنه يتســـنى لمثـــل هـــذا الاعتقـــاد أن ينشأ وأن ينتشر, لولا الصدى الانفعالي الذي يحدثه فينا الخـــوف مـــن المـــوت"[٣٣٠].

تـــأويل :

إن غريزة حب البقاء, والدفاع عن الـــذات في مواجهـــة الأخطـــار, بـــلا شـــك أقوى غريزة تنطلق من ذات الكـــائن الحـــي. ويمكـــن القـــول بســـهولة, أن ســـائر الغرائز والميول الطبيعية والنفسية آليات ووسائل لتحقيـــق البقـــاء واســـتمرار الحيـــاة. فالاحتفاظ بالحياة وصيانة الذات هو *الخير* مطلقـــاً, وبالتـــالي كـــل صدمـــة تصيـــب الكائن الحي, وتعرض حياتـــه للخطـــر فـــهو *الشـــر* مطلقـــاً. إذن, علـــى بســـاط ***الحياة/الموت***, تظهر ثنائية أخرى, هي : ***الخـــير/الشـــر***.

---

[٣٣٠] صادق جلال العظم ـــ نقد الفكر الديني ـــ ١٨

٤٨ ــ الخير/الشر

الخير :

"الخير" ــ بشكل عام ــ يطلق على كل أمر ملائم مع اتجاه الإنسان وميوله الأساسية التي ترسم له الخطوط العريضة لحياته وأهدافه. وهو عنوان يشمل الحسنات الأخلاقية, والقيم التي يفضل الفرد ــ مبدئياً ــ أن يعامل بها مع الآخرين, ويتوقع من الآخرين أن يتعاملوا معه على أساسها.

هذه القيم الراسخة في نفس الإنسان, تملي عليه أن يحترمها, إما بتطبيقها في العمل وعلى الأرض, وإن لم يمكن تطبيقها في المفترقات التي تتنازع فيها هذه القيم بعضها البعض, تحتفظ بقوتها على المستوى النظري (على الأقل), حيث نرى أن أكثر الأفراد ظلماً وعدواناً في حق الناس, يبرر ممارساته بعناوين متناغمة مع الخير والعدالة, كالحرية الفردية والخصخصة والضرورات المرحلية و...

الشر :

لكن بعض المفكرين لا يقتنعون بالمحافظة على القيم والأخلاقيات على المستوى النظري, ويعدونها شعارات خاوية ومضللة. الدراسة الميدانية لسلوك المجتمع الإنساني, خاصة في المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية الدولية, تقنعهم بسلطة الشر وجنود الشيطان في الكتلة البشرية :

"سلعية الإنسان تصبح مبررة في بيان التيموسية الجديد الذي أصدره "فوكوياما" في كتابه الموسوم بـ (نهاية التاريخ والإنسان الأخير), حيث التيموسية شعور بالحماسة, كما وصفها سقراط واستعارها فوكوياما, وتدفع

بالإنسان الأخير إلى بناء مجده الحضاري على حساب الآخـر, جاعلـة مـن إنسـان ما بعد التاريخ ذئباً على حساب إنسان ما قبل التاريخ, وتجعـل مـن نهايـة التـاريخ شاهداً على ذئبية الإنسـان..."[331]

ويرى "هربرت ماكيوز" في كتابـه (الإنسـان ذو البعـد الواحـد ص٣٧), أن الحقوق والحريات التي كانت بمثابة عوامل أساسـية في المراحـل الأولى مـن المجتمـع الصناعي, تقل أهميتها وحيويتها في مرحلة أكـثر تقدمـاً, وتفـرغ مـن مضمونهـا التقليـدي ...

يقول فوكوياما : إن حضارة الاسـتهلاك في الغـرب, تقـود النـاس يوميـاً إلى المنافقة مع أنفسهم, وذلك بالكذب علـى أنفسـهم.

في هذه الأجواء, لا يوجد أي معيار للتمييز بين الخـير والشـر :

"الشر, هو كل ما لا يسير سيراً حسناً في الـدول الرأسماليـة وفي الليبراليـة".[332]

ويتغلب على الإنسان عنصر الشـر, ويكـون قـائده إبليـس, الـذي يجـري ببساطة في عروقـه:

"كل إنسان يكرر في النهاية شبهة اللعين الأول (إبليـس), أي يحمـل في باطنـه بذور المعصية... ولكل واحد شيطانه, والأحرى القول كَل واحد يـتردد بـين إلهـه وشيطانه... وقال النبي لاثنين مـن الصحابـة : '*إن الشـيطان يجـري في أحدكمـا مجرى لحمه ودمه*", رواه المـاوردي".[333]

---

[331] تركي علي الربيعوا (باحث سوري) ــ حضارة الخوف علامة فارقة في عصر التقـدم التكنولوجـي ــ السفير ــ ٩٧/١/١٠

[332] جاك دريدا ــ أطياف ماركس ــ ١٣٦

[333] علي حرب ــ نقد الحقيقة ــ ٤٦

تـــأويل :

إذا كانت القوى والتيارات تنقسم في الدنيا بــين جنــود الخــير وجنــود الشــر, حيث تتحمل الفئة الأولى المشاكل والمصائب للدفاع عن القيــم إلى حــد التضحيــة والفداء, وتعمل الفئة الثانية على بـــث الفســاد وزرع الفتنــة والفجــور لتحقيــق مكاسبها, فلا بد من الفصل بينــهما في ســاحة العدالــة الإلهيــة الــتي تتجلــى في الآخرة. هذا الفصل يقتضي ثنائية : *الجنــة/النــار*.

٤٩ ــ الجنة/النار

الجنة :

الأديان السماوية وفي طليعتها الإسلام, تصــر علــى كــون الحيــاة الدنيــا مرحلة مؤقتة يتم فيها اختبار البشر الذيــن هــم أصحــاب المســؤولية الكــبرى في العالم, وحاملوا الأمانة الإلهية بين كل الخلائــق.

هذه الديانات, تبشر الإنسان بأجر عظيــم, ونعمــة إلهيــة خــالدة تتجســد في جنة الخلد, إذا عمل على تحقيق الخير والصــلاح في الدنيــا.

الجنة الموعودة تعتبر نتاجاً حقيقياً, وتجسيداً لما عمــل بــه الإنســان, تقــدم لــه النعم الإلهية واللذات الحقيقية وهي على مراتب مختلفة بــاختلاف درجــة المؤمنــين والصــالحين.

النار :

لكن الأديان السماوية لا تكتفي بالتبشير, بل تنذر الفرد بالسقوط في هاوية النار, إذا أساء بحريته واستغلها في بث الشر والفساد.

وقد خصصت للقرآن سور وآيات كثيرة في تشخيص وترسيم معالم النار (كما الجنة), وعذاب الحريق الذي لا يكتفي بإحراق جلود المعذبين, بل أنها تنطلق من الذات, و((تطّلع على الأفئدة))[٣٣٤].

تأويل :

الجنة مظهر للرحمة الإلهية, التي أراد الله أن يعمها على جميع ما خلقها. لكن الطاغي على أحكامه, والخارج عن طريقه, لم يرد بذاته أن يتنعم بهذه الرحمة الواسعة, فلا يحصد بالنتيجة غير الغضب والانتقام الذي يتمظهر في لهيب النار.

فالجنة والنار تمثلان ثنائية أخروية, هي ثنائية : ***الرحمة/الغضب***.

٥٠ ـ الرحمة/الغضب

الرحمة :

الذات الأحدية الإلهية ـ حسب الرؤية العرفانية ـ تتجلى في صفاته الكمالية الذاتية ثم الفعلية, وهي بدورها مصدر لبزوغ الأفعال وتنزل العوالم منها.

---

[٣٣٤] الهمزة ٧

وتعتبر صفة "الرحمة", الأوسع والأشمل بين الصفات الفعلية, تحتوي في طياتها على كثير من أسماء الله وصفاته. فالخلق والإحياء والرزق والجود والإنعام والإحسان واللطف والإكرام و... كلها مظاهر لرحمته الواسعة التي تشمل كل مراتب الوجود.

الغضب :

لكن الرحمة الإلهية المتجسدة في الجنة, محرّمة على جبهة الكفر والنفاق, وأصحاب البغي والضلال, الذين يشملهم غضب ونقمة ومكر وإضلال, تسلب عنهم طاقاتهم , وتخيب آمالهم وتذهلهم بسيئاتهم.

ما يجدر ذكره, أن الرحمة صفة فعلية تصدر عن الله تعالى, وتتنزل على مراتب الملك والملكوت. والغضب أيضاً, ليس صفة انفعالية كما في الإنسان, لأنه تعالى لا ينفعل بغيره ولا يتأثر بشيء آخر, بل هو النتيجة الطبيعية التي تتحقق بسوء اختيار الفرد وانحرافه عن الطريق الذي كان يجب أن يسلكه.

تأويل :

الجنة مظهر للرحمة الإلهية وأجر مخلد ونعيم ثابت. والثبات لمن يسلك طريق *الحق*, لكن النار بوصفها مظهراً للغضب الإلهي, وحيث أن مهمتها هي الإحراق المتواصل, والتبديل المستمر[٣٣٥], فهي مآل من لا ثبات لهم, وهم جبهة *الباطل*, مما يدعونا إلى دراسة ثنائية : ***الحق/الباطل***.

---

[٣٣٥] وعليه قوله تعالى : ((كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها)). النساء ٥٦

٥١ ـ الحق/الباطل

الحق :

الحق لغة يقابل الباطل، ويطلق على الأمر المقضي الـــذي لا مفـــر منـــه, وعلـــى العدل وعلى المال والملك. ويطلق كثيراً على الموجـــود الثـــابت[٣٣٦]، وأحيانـــاً كثـــيرة على الصحيح مقابل الخطأ. ويطلق في المصطلـــح القـــانوني علـــى الامتيـــازات الـــتي يتمتع بها الفرد أو المجتمع أو الدولة أو الله, فيقال : الحقوق والواجبـــات، بمعـــنى مـــا لك وما عليـــك.

ويمكن أن يجمع الكل المعنى الذي يحدده بأنه : *الواقع الثـــابت*. فـــهو حينئـــذ يقابل الباطل, وهو الأمر المقضي الذي لا مفر منه وهو العـــدل، وهـــو أيضـــاً ثـــابت لا يتغير باختلاف الأنظار والأهـــواء، وفي ذات الوقـــت يخلـــق لبعـــض الأطـــراف ميزات قانونية تسمى بـــالحقوق، ويفـــرض عليـــهم مســـؤوليات خاصـــة تعـــرف بالواجبات. ولعله بهذا المعنى العام كان اسماً مـــن أسمـــاء الله تعـــالى، قـــال الله عـــز وجل: ((ثم ردوا إلى الله مولاهم الحـــق))[٣٣٧].

الباطل :

قال الراغب : "الباطل نقيض الحق, وهـــو مـــا لا ثبـــات لـــه".[٣٣٨] وإذا كانـــا متناقضين, "فهما لا يلتقيـــان".[٣٣٩]

---

[٣٣٦] أقرب الموارد ١ / ٢١٥.

[٣٣٧] الأنعام ٦٢

[٣٣٨] الميزان ١١ /٣٣٣

[٣٣٩] سماحة القائد الإمام الخامنه اى ـــ كيهان العربي ـــ ٩٨/١/٦

والحق والباطل يتصف بهما أولاً الاعتقاد, ثم غيره بعناية مـــــا... والفعـــل يكـــون حقاً, إذا وقع على ما قدّر له مـــن الغايـــة...كشـــرب الـــدواء للصحـــة مثـــلاً... ويكون باطلاً, إذا لم يقع على ما قدر عليه مـــن الغايـــة".[340]

وقد تحدثنا عن نظرة القائلين بتخصيص الحق في فرقة واحـــــدة وشمـــول البطـــلان لسائر الفرق, في إطار مقولة *"الفرقة الناجيـــة"*, الـــتي يدعونـــا بعـــض المثقفـــين, أن نتحرر منه ومن" إمبريالية المعنى الآحادي لكي نتعامل مـــع المســـألة بطريقـــة مختلفـــة, نتجاوز لغة العجز المتبادل, نحو لغـــة الخلـــق والتحـــول المتواصـــل"[341]. ونعالجـــه ـــ بعونه تعالى ـــ في جولة الإخـــــراج.

تـــأويل :

الحق ـــ لغة واصطلاحاً ـــ يدل على الثبـــات, والبـــاطل لا ثبـــات لـــه. ثم إن للوصول إلى الحق طريقاً, لا بد من ســـــلوكه. والاهتـــداء إليـــه بحاجـــة إلى *النـــور*. لكن ستار الكفر والضلال يمنع أصحاب الباطل عن تلقـــــي هـــذا النـــور, فـــهم ((في *ظلمـــات* لا يبصـــرون))[342]. إذن, ثنائيـــة ***الحـــق/البـــاطل*** تصـــب في ثنائيـــــــة: ***النور/الظلمـــات***.

---

[340] الميزان ١١ / ٣٣٥

[341] علي حرب ـــ محاكمة غارودي أو نهاية المثقف النخبوي ـــ السفير ـــ ٩٨/١/٢١

[342] البقرة ١٧

٥٢ ـ النور/الظلمات

النور :

النور هو الظاهر لذاته والمظهر لغيره. هكذا عرّف النور في الفلسفة الإسلامية.

والنور يحتل موقعاً مميزاً في الرؤية العرفانية والفلسفية عند الإسلاميين. يتبين في سورة "النور" في القرآن : "أن الله تعالى نوراً عاما تستنير به السماوات والأرض , فتظهر به في الوجود, بعدما لم تكن ظاهرة فيه. فمن البين أن ظهور شيء بشيء يستدعي كون المظهر ظاهراً بنفسه. والظاهر بذاته المظهر لغيره هو النور. فهو تعالى نور يظهر السماوات والأرض بإشراقه عليها, كما أن الأنوار الحسية تظهر الأجسام الكثيفة للحس بإشراقها عليها. غير أن ظهور الأشياء بالنور الإلهي عين وجودها, وظهور الأجسام الكثيفة بالأنوار الحسية غير أصل وجودها.

ونوراً خاصاً يستنير به المؤمنون, ويهتدون إليه بأعمالهم الصالحة, وهو نور المعرفة الذي يستنير به قلوبهم وأبصارهم فيهتدون به إلى سعادتهم الخالدة... ومثل تعالى هذا النور بمصباح في زجاجة في مشكاة يشتعل من زيت في نهاية الصفاء, فتتلألؤ الزجاجة كأنها كوكب دري فتزيد نورا على نور"[٣٤٣].

الظلمات :

الناس عادة يتصورون أنهم يشعرون بالظلام كما يشعرون بالنور. فالنهار عندهم ساحة لتشعشع النور وأضواء الشمس, أما الليل فهو الفترة التي يخيم

---

[٣٤٣] العلامة الطباطبائي ـ الميزان ـ ١٥ / ١٣٠

الظلام على الأرض. ويرى الفيزياويون, أن الأصل في الطبيعة هو الظلام. والنور خلاف الأصل بمعنى أنه يجب أن يدخل في الفضاء ويحل محل الظلام.

ولكن منطقيّاً, الظلمة تقابل النور تقابل تناقض. فالنور هو الأصيل الذي يمكن اتصافه بأوصاف وجودية وخصائص مادية كالحركة والانكسار وكونه مصدراً لانبثاق ألوان غير متناهية تظهر في عملية تجزئة النور وانكساره. وهو ما خصّ بنفسه جانباً هاماً من الدراسات الفيزياوية والآراء العلمية في تحقيق هوية النور, وهل أنه ذرة ؟ أم موج ؟ أم ذرة تتموج في الفضاء ؟

أما الظلمة فلا تتصف بأية من هذه الأوصاف, ولا جِرم لها, فليست إلا تعبيراً عن الفضاء الفارغ من النور.

تساويل :

تبين أن الفارق الأساس بين النور والظلمة هو كون النور ***وجودياً*** , والظلمة أمراً ***عدمياً***. فهل أن العالم يتركب من وجود وعدم ؟ وإذا كان العدم مجرد مفهوم مختلق, من أين إذن تحقق هذا المفهوم؟

لنلق نظرة على ثنائية : ***الوجود/العدم***.

٥٣ ـ الوجود/العدم

الوجود :

"مفهوم الوجود بديهي معقول بنفس ذاته, لا يحتاج فيه إلى توسيط شيء آخر, فلا معرف له من حد أو رسم, لوجوب كون المعرف أجلى وأظهر

من المعـــرف" [344]. و"لا يســعنا أن نرتــاب في أن هنــاك وجــوداً, ولا أن ننكــر الواقعية مطلقاً, إلا أن نكابر الحق فننكره, أو نبدي الشــك فيــه. وإن يكــن شــيء من ذلك فإنما هو في اللفظ فحســـب" [345].

هذا, ومن أحكام الوجود الإيجابية في الفلسفة الإســلامية, أن مفــهوم الوجــود مشترك معنوي, يحمل على موضوعاتــه بمعــنى واحــد, وأن مفهومــه زائــد علــى الماهية عارض لها, وأنه أصيل والماهية اعتبارية, وأنه حقيقــة واحــدة مشــككة.

العدم :

العدم نقيض الوجود, ولا شيئية لــــه, إذ هــو بطــلان محــض لا ثبــوت لــه, فالثبوت والنفي في معنى الوجود والعدم. ولا تمــايز في الأعــدام, لأن التمــايز فــرع الثبوت والشيئية, ولا ثبوت ولا شــيئية في العــدم.

هذا, ومن أحكامه أنه لا يخبر عنه, لأنه بطلان محض, وإنما عــن شــيء بشــيء, ويستحيل إعادته. وقد عد ابن سينا امتنــاع إعــادة المعــدوم ضروريــاً وهــو مــن الفطريات, لقضاء الفطرة ببطلان شيئية المعدوم, فلا يتصف بالإعــادة. وعمــدة مــا دعا المتكلمين إلى القول بجواز الإعادة, زعمهم أن المعــاد, وهــو ممــا نطقــت بــه الشرائع الحقة من قبيل إعادة المعدوم. ويردّه بأن الموت نــوع اســتكمال, لا انعــدام وزوال[346]

---

[344] العلامة الطباطبائي ــ بداية الحكمة ــ ١١

[345] العلامة الطباطبائي ــ نهاية الحكمة ــ ٤

[346] العلامة الطباطبائي ــ بداية الحكمة ــ ٢٥

تـــأويل :

الصفات التي نسبت إلى العدم ـــ وكلـــــها ســـلبية بـــالطبع ـــ كعـــدم التمـــايز وعدم العلية, ترتبط بالعدم المطلــــق.

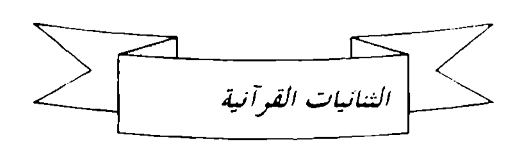
ولكن : ربما يتميز عدم من عدم, بإضافـــة الوهـــم إيـــاه إلى الملكـــات وأقســـام الوجود, فيتميز بذلك عدم من عدم, كعدم البصـــر وعـــدم الســـمع, وعـــدم زيـــد وعدم عمـــرو"[347].

اعتبار العدم النسبي مقابل العدم المطلق كاعتبار الوجود النســـي مقـــابل المطلـــق, يتطلب دراسة ثنائية: ***المطلق/ النسبي***, الـــتي نؤجلـــها إلى بدايـــة الفصـــل الرابـــع, حيث تؤول فيه قوائم الثنائيات الثقافية والمعرفيـــة والشـــعورية والآفاقيـــة والقرآنيـــة كلها إلى "***الثنائيات العامّة***" بدءً من الإطلاق والنسبية. ونباشـــر في الفصـــل القـــادم بالثنائيات القرآنيـــة.

---

[347] المنبع السابق ـــ ٢٦

الفصل الثالث:



٥٤ ــ النص/الاجتهاد

٥٥ ــ قدم القرآن/حدوث القرآن

٥٦ ــ العموم/الخصوص

٥٧ ــ التفسير/التأويل

٥٨ ــ المحكم/المتشابه

٥٩ ــ القرآن/الفرقان

٥٤ ــ النص/الاجتهاد

النص :

التمسك بالنص مقابل الاجتهاد يبتني على قاعدتين :

١ ــ الأولى نظرية عقائدية, تؤكد على رفض الاجتهاد عند وجود نص يحدد حكم الله في الموضوع :

"يكون الاجتهاد "محرماً" في حالتين : الأولى, أن يجتهد ليعارض نصاً, فهذا محرم، للقاعدة الأصولية المشهورة التي تقول "***لا اجتهاد في مقابلة النص***". والثانية : اجتهاد غير المجتهدين, فإن الاجتهاد في حقهم حرام، لأنهم ماداموا ليسوا أهلاً للنظر في الأدلة الشرعية وفهم الأحكام منها، فلن يوصلهم نظرهم في الأدلة إلى حكم الله، بل سيفضي بهم الأمر إلى الضلال. ومن القواعد الشرعية المقررة, أن كل ما أدى إلى الحرام فهو حرام"[٣٤٨].

٢ ــ والثانية تاريخية ثقافية, نتجت عن ضعف البنية العلمية في أوساط أصحاب الفكر والنظر:

"لقد ضعفت همم الفقهاء في القرن الرابع الهجري, فاتهموا أنفسهم والآخرين بالتقصير والعجز عن اللحاق بالمجتهدين السابقين، على الرغم من رسوخهم في العلم والدين. ووصل بهم الأمر إلى الإفتاء بسد باب الاجتهاد وإغلاقه، مؤثرين التقليد والتقيد بالمذاهب , وعدم التجديد, والخوف من "البدعة" و"الضلال" والانحراف. قد يكون وراء هذا الموقف ادعاء الاجتهاد ممن ليسوا أهلاً له, فخشي الفقهاء من عبث هؤلاء الأدعياء وإفسادهم دين الناس

---

[٣٤٨] د. نادية شريف العمري ــ الاجتهاد في الإسلام (أصوله, أحكامه, آفاقه) ــ ١٢٣ و ١٢٤

بالفتاوى الباطلة التي لا تقوم على علم أو فقه، فأفتوا بسد باب الاجتهاد، دفعاً لهذا الفساد, أو درءاً لإمكانية حدوثه.

ونعت "الشوكاني" فتوى سد باب الاجتهاد بأنها "ابتداع في الدين", فقال : إنهم أوجبوا على أنفسهم تقليد المعين, واستروحوا إلى أن باب الاجتهاد قد أنسد, وانقطع التفضل من الله به عباده، ولقنوا العوام الذين هم مشاركون لهم في الجهل بالمعارف العلمية، ودونوا لهم في معرفة مسائل التقليد بأنه لا اجتهاد بعد استقرار المذاهب وانقراض أئمتهم، فضموا إلى بدعتهم بدعة، وسادوا على أنفسهم الجهل".[349]

الاجتهاد :

ولكن, نجد دوماً طيلة التاريخ الإسلامي رجالاً وأصحاب فكر, يؤمنون بضرورة الاجتهاد باعتباره واجباً معترفاً به في الدين, ويعتبرونه أساس "***الحداثة***" في الإسلام :

"الإسلام عن طريق الاجتهاد هو أكبر دين حداثي. لأنه يعطي الفرع شرعية الأصل. وهو يعترف بالزمان والمكان, ويعترف بالتطور, وأن إجماع كل عصر غير ملزم للعصر القادم, وأن الاجتهاد أصل من مصادر التشريع. وهذه روح الحداثة"[350].

ومنهم من يرفض "الحداثة" بوصفها نتاجاً غربياً, ويحل الاجتهاد محلها :

---

[349] نقلا عن المرجع السابق، ص ٢٢١.

[350] حوار مع المفكر المصري حسن الحنفي ــ السفير ــ ٤/٧/٩٦

"كما قال محمد إقبال : الاجتهاد هو روح الحركة في الإسلام. ونحن لدينا "الاجتهاد", وهو الذي أفضّله, ولا أفضل لفظ "الحداثة". أما الحداثة الأوروبية, فقد أتت في ظروف خاصة, وفي فترة خاصة, بعد أن تمتع الغرب بالنهضة الحديثة"[٣٥١].

ومنهم من يرى جوهر الاجتهاد في تفضيل العقل على الشرع :

"ما هي حقيقة الاجتهاد, إن لم يكن ممارسة عقلانية ذات طابع علماني تنويري ؟...العقل هو الوارث للنبوة بعد انقطاع الوحي... الكل مجتهدون, وإذن, معرضون للوقوع في الخطأ...

في تجربة فلاسفة الإسلام, الفلسفة تؤسس الملة والشريعة, أو يغدو العقل حاكماً على النص, بدل أن يكون محكوماً كما هو الشأن عند المعتزلة...

والاختلاف شاهد على ناسوتية الشرائع والعقائد, إلاّ إذا اعتقدنا مع كل فرقة, بأن مذهبها وحده هو الصحيح والمطابق للشريعة والوحي. والتسليم بذلك معناه أن يضع كل واحد نفسه في دائرة الإيمان, ويرمي بالمقابل من يخالفونه...بالبدعة والضلالة أو بالمروق والزندقة...

وحول علاقة التيارين الإسلاميين السني والشيعي بالاجتهاد, قيل :

"إذا كان الاجتهاد قد افتتح في الدائرة السنية, فإنه قد نما وازدهر... غير أنه توقف وسدت أبوابه بعد انحصاره بالمذاهب الأربعة المعروفة في ميدان الفقه... فغلب التقليد على الرأي والاجتهاد...

---

[٣٥١] د. نادية شريف العمري ــ الاجتهاد في الإسلام (أصوله ــ أحكامه ــ آفاقه) ــ ١٢٣ و ١٢٤

أما لدى الشيعة, فالأمر على العكس, إذ الاجتهاد مغلق نظرياً من حيث المبدأ. لأن الأصل عندهم هو تقليد الإمام المعلوم... وعليه, فلا اجتهاد هاهنا من حيث المبدأ... فكما أن الغيبة هي استثناء لذلك الاجتهاد, وهو استثناء... فالشيعة عارضوا الاجتهاد والرأي... ثم انقلبوا بعد ذلك, فأخذوا به وفتحوا بابه ودافعوا عنه, بل تباهوا به على الغير"[٣٥٢].

"وهناك مذاهب و"اجتهادات", في الاجتهادات الفقهية, على ما ذكر في عامة كتب الأصول، وحصيلتها تنتهي بنا إلى أن في المسألة ثلاثة أقوال :

القول الأول : قول المخطئة، وهم الذين يقولون : إن المجتهد يخطئ أو يصيب, ولا إثم عليه.

القول الثاني : قول المصوبة، وهم الذين يقولون : كل مجتهد مصيب، فهم يتفقون مع المخطئة في عدم تأثيم المخطئ.

القول الثالث : المؤثمة، وهم الذين قالوا : المجتهد يخطئ أو يصيب، فهم كالمخطئة في التقسيم، إلا أنهم قالوا : إنه آثم على خطئه"[٣٥٣].

تأويل :

رغم أنه لا يمكن القول بأن كل من يتبنّى النص ولا يؤصّل الاجتهاد في القرآن يعتقد بقدمه, وكل من يقدّم الاجتهاد في تحليلاته للنص القرآني يعتقد بحدوثه, إلاّ أن هناك ترابطاً مبطناً بين تأصيل النص والقول ***بقدمه***, وآخر بين تأصيل الاجتهاد والقول ***بحدوثه***.

---

[٣٥٢] علي حرب ــ نقد الحقيقة ــ ٧٤ ــ٦٣

[٣٥٣] د. نادية شريف العمري ــ الاجتهاد في الإسلام (أصوله ــ أحكامه ــ آفاقه) ــ ١٤٢ و ١٦٣

فمن يرى حدوث القرآن, كأنه يــراه تاريخيــاً قــابلاً للقــراءات والاجتــهادات المتجددة, فالتجدد شأن كل حدث تــاريخي واقــع في إطــار التــاريخ والجغرافيــا, ومن يؤمن بقدمه ويخرجه عن الزمكان, فكأنه يـــتره نصــه *القــديم* عـــن القــراءات المتطورة بتطور الزمان والمكان. بناءً على هذا, نــــدرس ثنائيـــة : ***القــدم/الحــدوث (في القرآن)***, في الخطوة التاليـــة.

٥٥ ــ قدم القرآن/حدوث القرآن

القدم :

"السلفيون بزعامة "أحمد بن حنبل", قالوا إن القــــرآن أزلي غــير مخلــوق. وهــو قول يعني فصل القرآن عن الواقع و التــــاريخ.

- الحــدوث :

في الاتجاه المخالف, "رأى المعتزلة أن القــــرآن مخلــوق. وكــانوا يــهدفون مــن ذلك إلى ربط آياته بالواقع, وسيلانها مع التاريخ. وعارضـــهم في ذلـــك الأشــاعرة.

وفي العصر الحالي تثور نفس الفكــرة وربمــا لنفــس الأهــداف بــين فريقــين, يقول أحدهما بتاريخية القرآن الكريم, بينما يقول الثاني بأزليـــة هـــذه الآيــات.

فهم المسلمون الأوائل مبدأ النســخ في القــرآن (وفي الســنة النبويــة) علــى أن بعض الأحكام في القرآن الكريم ليست مطلقة دائمة بل إنهــا نســبية ومؤقتــة, وقــد دعاهم هذا إلى وقف العمل ببعض الأحكام الــتي لم تنســخ مــن القــرآن ولكنــهم أدركوا أن واقع الحياة ومنطق الأحداث قد تجاوزها فلم يعد مـــن الممكــن تطبيقــها

بعد عصر معين أو بعد واقعات بذاتها (مثل وقف أحكام زواج المتعة بأمر عمر بن الخطاب وإلغاء الرق وأحكام فك الرقبة)... إن وضع نظرية "*واقعية الأحكام*" يعدّ فتحاً عظيماً يدخل به العقل الإسلامي إلى مجال التحديث ويغنيه عن كثير من الجدال العظيم"[٣٥٤].

تساويل :

القول بحدوث القرآن يبقي المجال مفتوحاً لتفسير الآيات القرآنية منسجمة مع خصوص الأحداث التي جرت في عصر التزول وتوحي بتطابق الوحي مع مستجدات الزمان والمكان.

لكن عقيدة قدم القرآن تفرض على أصحابه إخراج المفاهيم القرآنية من تلك الأطر الضيقة التاريخية لتعم الأحداث التي جرت وتجري دوما في ساحات التاريخ والجغرافيا. فلندرس ثنائية : ***العموم/الخصوص.***

٥٦ ـ العموم/الخصوص

التفسير بالعموم :

"إن أسباب التتريل هي ما يمكن أن يقال عنها ـ بلغة القانون المعاصرة ـ الأعمال التحضيرية للقانون... وهي ألزم في تفسير آيات القرآن من لزوم

---

[٣٥٤] محمد سعيد العشماوي (مستشار في القضاء المصري) ـ أفكار من أجل تحديث النظرة إلى الإسلام ـ السفير ـ ٨/٥/٩٧

الأعمال لتفسير النصوص... وقد بدأ تغيير المنهج الصائب في تفســـير القــرآن علــى عهد الخوارج. فهؤلاء الخوارج استعملوا آيـــة : ((ومـــن لم يحكـــم بمـــا أنـــزل الله فأولئك هم الكافرون))[٣٥٥] علـــى عمـــوم ألفاظـــها, لا علـــى خصـــوص أســـباب تتريلها... فأسباب تتريل الآية تفيد أنها مقصورة علـــى بعـــض اليـــهود في المدينـــة... وفي عصور الانحطاط العقلي تبنّى الفقـــه الإســـلامي أســـلوب الخـــوارج في تفســـير آيات القرآن, وصاغها في قاعدة عامة تتأدى في أنـــه ــ في تفســـير هـــذه الآيـــة ــ "***العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص الســـبب***". وهـــذه القـــاعدة الخاطئـــة تـــؤدي إلى تفسير القرآن على غير ما أراد التتريل وإمالته عن معانيـــــه الحقيقيـــة"[٣٥٦].

التفسير بـــالخصوص :

"تفسير الآية على أسباب تتريلها يعـــني ربطـــها بـــالظروف الواقعيـــة والعنـــاصر التاريخية التي اقتضت التتريل. أما تفسير الآية على عمـــــوم ألفاظـــها فيفيـــد فصلـــها عن الواقع وقطعها من التاريخ, واعتبارها أمراً مجـــرداً فـــوق الواقـــع ونصـــاً مطلقـــاً بعيداً عن التاريخ. والفارق بين الاتجاهين يمكن أن يقدم للإســـلام وجـــهين مختلفـــين تماماً, إذ هو ليس مجرد جدال لفظي أو تنظير فلسفي, وإنمـــا هـــو منـــهج كـــامل في فهم القرآن وفي تطبيقه, كما أنه مفتـــاح هـــام لفتـــح بـــاب التحديـــث أو إغلاقـــه تمامـــاً..

[٣٥٥] المائدة ٤٤

[٣٥٦] المصدر السابق

فضلاً عن النتائج الخطيرة التي تنجم عن الفارق بين قاعدتي "*تفسير آيات القرآن على خصوص أسباب التتريل*" أو "*تفسير هذه الآيات على عموم ألفاظها*", فإن الفارق بينهما ثار في الفكر الإسلامي ومازال يثور متخذاً ثوباً فلسفياً ومتشحاً بوشاح جدلي هو : فكرة واقعية وتاريخية آيات القرآن أو أزلية وتجريد هذه الآيات."[357]

تأويل:

إن حصر الآيات القرآنية في خصوص أسباب التتريل ينطلق من فكرة تاريخية القرآن, وعدم تجاوز الآيات من معطيات الأحداث. لكن الاعتقاد بإخراج هذه الآيات من مجرد الأحداث التي عفا عليها الزمن, وتعميمها على كل حدث مشابه في الحاضر والمستقبل, ينطلق من فكرة عدم الاكتفاء بظواهر الآيات, والتعمق فيها لأجل النيل بمعانيها الباطنة المتحررة من قيود التاريخ والجغرافيا. وذلك بقراءة تتجاوز "التفسير", وتتعاطى مع "التأويل".

فيجب تأويل معادلة *العموم/الخصوص* إلى ثنائية : ***التفسير/التأويل***.

[357] المصدر السابق

٥٧ ــ التفسير/التأويل

التفسير:

"التفسير هو بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداليلها", وهو من أقدم الاشتغالات العلمية التي تعهد من المسلمين, فقد شرع تاريخ هذا النوع من البحث والتنقير المسمى بالتفسير من عصر نزول القرآن ...وقد كانت الطبقة الأولى من مفسري المسلمين جماعة من الصحابة...وكان البحث يومئذ لا يتجاوز عن بيان ما يرتبط من الآيات بجهاها الأدبية وشأن الترول وقليل من الاستدلال بآية على آية, وكذلك قليل من التفسير بالروايات المأثورة عن النبي (ص) في القصص ومعارف المبدأ والمعاد وغيرها.

ثم استوجب شيوع البحث الكلامي...ونقل فلسفة يونان...وظهور التصوف...وبقاء جمع من الناس وهم أهل الحديث على التعبد المحض بالظواهر الدينية...أن اختلف الباحثون في التفسير في مسالكهم...ولم يبق بينهم جامع في الرأي والنظر إلا لفظ لا إله إلا الله ومحمد رسول الله(ص), واختلفوا في معنى الأسماء والصفات والأفعال والسماوات وما فيها والأرض وما عليها والقضاء والقدر والجبر والتفويض والثواب والعقاب وفي الموت وفي البرزخ والبعث والجنة والنار, وبالجملة في جميع ما تمسه الحقائق والمعارف الدينية ولو بعض المس, فتفرقوا في البحث عن معاني الآيات, وكل يتحفظ على متن ما اتخذه من المذهب والطريقة"[358].

---

[358] العلامة الطباطبائي ــ الميزان ــ ٢/١

تــــأويل :

نســتعمل مصطلــح "التأويليـــات" في مقـــابل المصطلـــح الأجنـــبي المعــــرب: "هيرمينوتيقـــا". والتأويليـــات, عبـــارة عـــن "النظـــر في وجـــوه تحصيـــل الفـــهم للنصوص"، ويرجع أصلها إلى تفاســـير التـــوراة والإنجيـــل الـــتي وضعـــها رجـــال اللاهوت المسيحي، لاسيما "البروتستانت" منهم، إذ منـــها تـــزود المفكـــر والمـــترجم الألماني "شلايماخر"[٣٥٩]، محاولاً تأســـيس صناعـــة تأويليـــة عامـــة، وجـــاء في أثـــره "دلتاي"[٣٦٠]الذي اجتهد في النهوض بالمنهجيـــة التأويليـــة، مقيمـــاً لهـــا علـــى علـــم التاريخ وجاعلاً منـــها المنهجيـــة الممـــيزة للعلـــوم الإنســـانية. ثم تـــولى "هيدغـــر" و"غادامير" من بعده وضع الأصول الانطولوجية المنهجية، مســـتبدلين بـــالهم المعـــرفي لسلفيهما هما وجوديا صرفـــا"[٣٦١, ٣٦٢].

لكن المنهج التأويلي لم يقف عند قراءة النصـــوص المقدســـة, بـــل تجـــاوز ذلـــك ليشمل دراسة كل الأشياء والأحداث الإنسانية منـــها والطبيعيـــة :

"إن أخص ما يميز النظر التـــأويلي هـــو عنايتـــه بمختلـــف الظواهـــر الإنســـانية، الخطابية منها وغير الخطابية، جاعلا منها جميعا نصوصـــاً تقبـــل القـــراءة والتحليـــل والاستنطاق، ومقابلا بين المنهج المناسب لهذه الظواهـــر الإنســـانية، وهـــو "الفـــهم" وبين المنهج المناسب للظواهر الطبيعية، وهـــو "التفســـير" بمعـــنى أن الأثـــر الإنســـاني يُفهم ولا يُـــــفسّر، في حـــين أن الأثـــر الطبيعـــي يُـــــفسر ولا يُـــــفهم. إلا أن التأويليات ما لبثت أن تعددت اتجاهاتها وتضـــــاربت فيمـــا بينـــها، فمنـــها الاتجـــاه

---

[٣٥٩] SCHLEIERMACHER, F.(1768-1834).

[٣٦٠] DILTHEY, W. (1833 - 1911).

[٣٦١] RICOWUR, P.: Du texte à l'action , pp. 75-100.

[٣٦٢] د. طه عبدالرحمن ــ فقه الفلسفة (الفلسفة والترجمة) ــ ٣٨

المعرفي والاتجاه الوجودي, ومنها الاتجاه التـــأملي اللغـــوي والاتجـــاه التـــأملي غـــير اللغوي, ومنها كذلك الاتجاه المتمسك بمبدأ المعنى في ذاتــــه, والاتجـــاه الـــذي يجعـــل المعنى تبعاً لسياق الفهم وأسلوب الحيــــاة".[٣٦٣]

تـــأويل :

عرفنا أن التأويل هو إرجاع الظواهر القرآنية إلى حقائقـــــها العينيـــة الـــتي تـــترفع عن هذه الظواهر المتكثرة. ولأن التأويل أكـــثر مـــا يســـتعمل في القـــرآن لإرجـــاع "الآيات المحكمة" إلى "الآيات المتشابهة", وفي هذا المجـــــال, خـــص القـــران الله أو الله مـــع الراســـخين للعلـــم بالتـــأويل, فـــهذا يقضـــي بضـــرورة تـــأويل معادلـــــة : ***التفسير/التأويل*** إلى ثنائية : ***المحكم/المتشــــابه***.

٥٨ ــ المحكم/المتشابه

المحكـــم :

"مادة حكم تفيد مهنى كون الشيء بحيث يمنع ورود مــــا يفســـده أو يبعّضـــه أو يخلّ أمره عليه, ومنه الإحكام والتحكيم والحكم بمعــــنى القضـــاء, والحكمـــة بمعـــنى المعرفة التامة والعلم الجازم النافع, والحكمة بفتح الحاء لزمام الفـــرس. ففـــي الجميـــع شيء من المنع والإتقان. وربمـــا قيـــل : إن المـــادة تـــدل علـــى معـــنى المنـــع مـــع الإصـــلاح"[٣٦٤].

---

[٣٦٣] د. طه عبدالرحمن ــ فقه الفلسفة (الفلسفة والترجمة) ــ ٣٨

[٣٦٤] العلامة الطباطبائي ــ الميزان ــ ١٧/٣

المتشابه :

"التشابه توافق أشياء مختلفة, واتحادها في بعض الأوصاف والكيفيات. وقد وصف الله سبحانه جميع القرآن بهذا الوصف حيث قال : ((كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم))[٣٦٥], [٣٦٦].

وقيل : إن لفظة ((المتشابه)) في ((كتاباً متشابهاً مثاني)) بمعنى (يشبه بعضه بعضاً), أي أن هذا الكتاب بأكمله هو من سنخ واحد وأن تمامه يشبه تمامه. وهذا المعنى لـ (المتشابه) هو غير (المتشابه) الذي يأتي في مقابل المحكم في قوله تعالى من سورة آل عمران : ((هو الذي أنزل إليك الكتاب منه آيات محكمات هن أمّ الكتاب وأخر متشابهات))[٣٦٧],[٣٦٨]. ومردّ الاختلاف بينهما أن المحكم هو ما كان معناه واضحاً. أما المتشابه فهو ما كان ليس كذلك ويحتاج إلى التأويل والتفسير. وقال بعضهم إن هذا التأويل يخص الله تعالى باعتبار الواو في الآية الكريمة ((ولا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا))[٣٦٩] للاستئناف لا للعطف. وخالفهم القائلون بضرورة إمكانية فهم القرآن كله لجميع الناس كشرط لبلاغة القرآن:

"من الطبيعي أن يكون المتشابه مما يمكن معرفته, لأنه لا بد أن يقع دلالة, وإلا كان الله عابثاً بمخاطبتنا به, ومن الطبيعي أن يكون التوجيه الطبيعي لآية

---

[٣٦٥] الزمر ٢٣

[٣٦٦] العلامة الطباطبائي ــ الميزان ــ ١٧/٣

[٣٦٧] آل عمران ٧

[٣٦٨] العلامة الطباطبائي ــ الميزان ٣١/٣

[٣٦٩] آل عمران ٧

التأويل عند "القاضي عبد الجبار على العطف لا على الاستئناف , ويكون الراسخون في العلم يعلمون المتشابه , وهم "مع العلم بذلك يقولون آمنا به"[٣٧٠].

ورغم وجود أكثر من ستة عشر رأياً حول ثنائية : ***المحكم/المتشابه*** في القرآن, يذكرها العلامة الطباطبائي في تفسيره : "الميزان"[٣٧١], لينقضها جميعاً ويؤكد على نظريته القائلة بأن المتشابه هو: "أن تكون الآية مع حفظ كونها آية دالة على معنى مريب مردد, لا من جهة اللفظ بحيث يعالجه الطرق المألوفة عند أهل اللسان كإرجاع العام والمطلق إلى المخصص والمقيد ونحو ذلك, بل من جهة كون معناها غير ملائم لمعنى آية أخرى محكمة لا ريب فيه, تبيّن حال المتشابهة"[٣٧٢],

إلا أن جميع هذه الآراء تشترك في اعتبار معنى "المحكم" في الآية : ((كتاب أحكمت آياته...)) ومعنى "المتشابه" في الآية : ((كتاباً متشابهاً)), مختلفاً عن معناهما المقصود في الآية : ((منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات))[٣٧٣], باعتبار أن الآية الأولى تعتبر كل القرآن محكما , والآية الثانية

---

[٣٧٠] نصر حامد أبو زيد ـــ الاتجاه العقلي في التفسير ـــ ١٨٩

[٣٧١] العلامة الطباطبائي ـــ الميزان ـــ ٣ / ٣٠

[٣٧٢] الميزان ـــ ٣/٠٤

[٣٧٣] ((هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب)) ـــ آل عمران ٧

تعتبر كل القرآن متشابهاً, أما الآية الثالثة فتقسم القرآن بين آيـــات محكمـــة وآيـــات متشـــابهة[٣٧٤].

تـــأويل :

الآيات المحكمة ((هن أم الكتاب)), التي تعبر عن حقيقـــة الكتـــاب وأصلـــه. ولا شك في أن أصل الكتاب واحد, لأنه ينبثـــق مـــن الـــذات الأحديـــة جـــل شـــأنها. فحقيقتها حقيقة "جمعية", لكن الآيـــات المتشـــابهة هـــي الـــتي تتـــوزع وتتكـــثر في قراءات مختلفة, بعضها صادقة لكونها مؤولة إلى أصلـــــها, وبعضـــها خاطئـــة تجســـد أهواء الذين في قلوبهم زيغ, ((فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنـــة وابتغـــاء تأويلـــه)).

هذا المعنى يولج معادلة : ***المحكم/المتشابه*** في ثنائية : ***القـــرآن/الفرقـــان***.

٥٩ ـــ القرآن/الفرقان

الفرقـان:

الفرقان من أسماء القرآن يؤكد على مبدأ الانفصـــال والتفـــرق :

---

[٣٧٤] "الإحكام والتشابه من الألفاظ المبينة المفاهيم في اللغة, وقد وصف بهما الكتاب كمـــا في قولـــه تعـــالى ((كتاب أحكمت آياته)) هود ـــ ١ , وقوله تعالى((كتابا متشابها مثاني)) ـــ الزمر ـــ ٢٣ و لم يتصف بهمـــا إلا جملة الكتاب من جهة إتقانه في نظمه وبيانه ومن جهة تشابه نظمه وبيانه في البلوغ إلى غايـــة الإحكـــام والإتقان.

لكن قوله تعالى : ((هو الذي أنزل الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشــــابهات)) لمـــا اشتمل على تقسيم نفس آيات الكتاب إلى المحكمات والمتشابهات, علمنا أن المراد بالإحكام والتشابه هنا غـــير ما يتصف به تمام الكتاب". العلامة الطباطبائي ـــ الميزان ٣/ ٣١

"الفرقان هو الفرق, سميّ به القرآن[٣٧٥] لـــنزول آياتـــه متفرقـــة أو لتميـــيزه الحـــق من الباطل. ويؤيد هذا المعنى إطلاق الفرقان في كلامه تعـــالى علـــى التـــوراة أيضـــا مع نزولها دفعة. قال الراغب في المفـــردات : والفرقـــان أبلـــغ مـــن الفـــرق, لأنـــه يستعمل في الفرق بين الحق والبـــاطل ". [٣٧٦]

و"الفرقان ما يفرق به بين الشيء أو الشيء وهـــو في الآيـــة[٣٧٧] بقرينـــة السـياق وتفريعه على التقوى الفرقان بين الحق والبـــاطل, ســـواء كـــان ذلـــك في الاعتقـــاد بالتفرقة بين الإيمان والكفر وكل هدى وضلال, أو في العمل بـــالتمييز بـــين الطاعـــة والمعصية وكل مـــا يرضـــى الله أو يســـخطه أو في الـــرأي والنظـــر بـــالفصل بـــين الصواب والخطأ. فإن ذلك كله مما تثمره شـــجرة التقـــوى". [٣٧٨]

"والمراد بقوله "يوم الفرقان" [٣٧٩]يوم بدر, كما يشهد بـــه قولـــه : ((يـــوم التقـــى الجمعان))[٣٨٠]. فإن يوم بدر هو اليوم الذي فرق الله فيـــه الحـــق والبـــاطل"[٣٨١].

---

[٣٧٥] ((تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً)) ـــ الفرقان / ١

[٣٧٦] العلامة الطباطبائي ـــ الميزان ـــ ١٥ /١٨٧

[٣٧٧] قال تعالى : ((إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً)) الأنفال/٢٩

[٣٧٨] العلامة الطباطبائي ـــ الميزان ـــ ٩ / ٥٤

[٣٧٩] الأنفال ـــ ٤١

[٣٨٠] الأنفال ـــ ٤١

[٣٨١] العلامة الطباطبائي ـــ الميزان ـــ ٩ / ٩١

القـرآن :

إذا كان "الفرقان" يعني الفرق والفصل, لكن لفظة "القرآن" تؤكـــد علـى مبـدأ الجمع والوصل. يقال: قرأت الماء في الحوض, أي : جمعتـــه فيـه.

وتسمية كتاب الله "قرآنا" تعني اجتمـاع كـل مـا تبـدو متفرقـات: "النـص النبوي القرآني ميزته الاتساع. بل أن إعجازه يكمن في كونه يتسـع معنـاه اتسـاعاً يجعله يجمع المختلفات ويقبل المتعارضات. فنحـن نجـد في هـذا النـص: الناسـخ والمنسوخ والظـاهر والبـاطن والمحكـم والمتشـابه والحقيقـي والمجـازي والمجمـل والمفصل والعام والخاص. كذلك نجد فيـه خطـاب الواقعـي والحلمـي والحسـي والمثال والشاهد والغائب والواحد والكثير والعقل والنقـل والأمـر والنـهي والجـبر والاختيار والتقوى والفجور والإلهي والشيطاني. وليسـت المسـألة مسـألة تعـارض أو تناقض, لأنه ليست هذه الثنائيات بمتضادات إلا عند من ينظـر إلى النـص نظـرة أحادية وحيدة الجانب مسطحة ومقفلـــة"[٣٨٢].

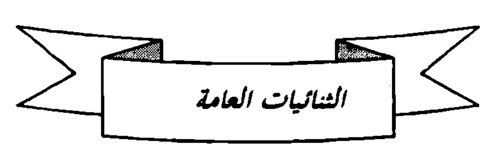
تـــأويل :

"القرآن" بما يمتلك من روح واحـدة وحقيقـة جمعيـة لا يؤطـر بالزمـان والمكـان, ويتجاوز المتغيرات. لكن "الفرقان" لكونــه عـين التفـرق والتكـثر, يتغـير بـاختلاف المتغيرات, فيطرأ عليه النسخ والتقييد والتفصيل والتخصيـص, وتقيـم "نسـب" وروابـط مع الظروف والحالات. فلا بد من ضخّ معادلــة ***القـرآن/الفرقـان*** في ثنائيـة أكـبر منها هي ثنائية : ***المطلق/النسـبي***.

---

[٣٨٢] علي حرب ـــ نقد الحقيقة ـــ ١٩

الفصل الرابع:



٦٠ ــ المطلق/النسبي (المقيد)
٦١ ــ الإنسان/العالم
٦٢ ــ الله/الإنسان
٦٣ ــ الاسم/المسمى
٦٤ ــ الوحدة/الكثرة
٦٥ ــ الوجود/الماهية
٦٦ ــ العلة/المعلول
٦٧ ــ الحقيقة/الاعتبار
٦٨ ــ الظهر/البطن
٦٩ ــ العلم/العشق
٧٠ ــ الوجود/الكمال

٦٠ ـ المطلق/النسبي(المقيد)

المطلق :

١ ـ على صعيد الوجود :

"الوجود مطلق, لأن محدودية الوجود تستلزم أن يكون محاطاً بالعدم, ولا تحقق للعدم خارج الذهن, فلا حد للوجود"[٣٨٣].

٢ ـ على صعيد المعرفة الإنسانية :

القائلون بالإطلاق في تحديد المعرفة الإنسانية هم أصحاب المدرسة الواقعية التي تؤمن بالانطباق الكامل والمطلق للمعارف الصحيحة على مصاديقها. فالصدق والكذب لا يتصفان بالنسبية. القضية الواحدة إما صادقة مطلقاً أو كاذبة مطلقاً. والصدق والكذب هما الإيجاب والسلب, لا منطقة واسطة بينهما بحكم استحالة اجتماع النقيضين وارتفاعهما.

٣ ـ على صعيد الطبيعة :

نظرية الإطلاق في العالم تعني عادةً افتراض صفتين غير متناهيتين له, وهما: الزمان والمكان. وكان نيوتن يصر على إطلاقهما:

"قال نيوتن في تحديد لطبيعة المكان المطلق ما يلي :

(يبقى المكان المطلق بطبيعته وبدون علاقة بأي شيء خارج عنه دوماً متشابهاً وساكناً. أما المكان النسبي فهو بعدٌ أو مقياس متحرك للأمكنة المطلقة تحدده حواسنا بواسطة موضعه من الأجسام)"[٣٨٤].

---

[٣٨٣] محمد خاقاني (المؤلف) ـ بينات ـ البينة رقم ٢

[٣٨٤] The Mathematical Principles ot Natural Philosophy

وتصور نيوتن المكان على أنه وعاء لا متناه توجد في ناحية من أنحائه كمية متناهية من المادة. وقال في تحديده لطبيعة الزمن المطلق ما يلي :

"ينساب الزمن المطلق الحقيقي والرياضي بذاته وبطبيعته بتساو, وبدون علاقة بأي شيء خارج عنه, ويعرف باسم آخر هو (الدوام) (Duration). أما الزمني النسبي أو الظاهري والشائع فهو مقياس محسوس وخارجي للدوام عن طريق الحركة... ومعدل الانسياب الزمان المطلق غير قابل لأي تحول أو تغيير..."[385]

الاقتناع بالزمان المطلق والمكان المطلق يبرر إمكانية إطلاق الطبيعة وتوسعها في أبعاد غير متناهية:

"أعلن فريق من علماء الفلك أن مراقبة الانفجارات التي حدثت في النجوم البعيدة جداً عن مجرتنا في الآونة الأخيرة أكدت أن إيقاع تمدد الكون لم يتبطأ منذ الانفجار الكبير أو (البينغ بانج), وأن الكون مستمر في التمدد إلى ما لا نهاية...و يقدّر عمر الكون ١٥ مليار سنة."[386]

هذا, وللقائلين بإطلاق الطبيعة حجج, أذكر منها ما أوردها في كتاب "*بينات*" :

"رغم إقامة بعض الدلائل الرياضية [387]على استحالة عدم تناهي الطبيعة من خلال استحالة تحقق الخط غير المتناهي, لكني لست متأكداً من صحة هذه

---

[385] صادق جلال العظم ــ نقد الفكر الديني ــ ١٢٩ــ ١٤٥

[386] السفير ــ ١٠/١/٩٨ نقلاً عن (اف ب)

[387] كبرهان التطبيق والبرهان السلمي . راجع : العلامة الطباطبائي ــ نهاية الحكمة – ٢٣٥.

الدلائل[388]، [389]. إذ يبدو أن افتراض الطبيعة الجسمانية محددة, والاعتقاد بفلك الأطلس أو فلك الأفلاك (نهاية عالم الطبيعة), يستلزم تحقق عدم يحيط بها[390].

واحتمال وجود حقائق مجردة وراء فلكِ الأفلاك لا تحل المشكلة[391]، لأن هذه الحقائق (إذا كانت موجودة), فهي مجردة عن المكان, ولا يصح افتراضها في مكان فوق الطبيعة .

---

[388] تعليقات الشيخ مصباح اليزدي على نهاية الحكمة - ٢٣٦.

[389] إن ما أشار به إلى الشيخ مصباح اليزدي في تعليقه على النهاية بقوله ولكني لست متأكداً من صحتها, مبني على مقايسة المقادير الرياضية في انقسامها وعروضها للأجسام المتناهية على العدد الذي لا يصدق إلا على الأمور المحدودة. دون اللامتناهية فإنها لا تكون معروضة للعدد بما هي لا متناهية وهو قياس مع الفارق فلا يفيد بطلان التطبيق والبرهان السلمي المذكورين، لأن المقادير الرياضية ليست لازمة للأجسام وحسب وإنما هي لازمة لمطلق الحقائق المجردة وغيرها وموطنها الوهم الذي يمكنه افتراض المجردات والتعامل معها، دون المقادير العددية. ـــ تعليقات حاتم إسماعيل على : "بينات" للمؤلف

[390] بل لا يستلزم ذلك, كما ذكرنا لأن العدم نفي وسلب محض لا يصح مقايسته بالعالم الجسماني المستلزم للماهيات لأنه لا حركة مكانية للجسم في طرف العالم المفترض لتستلزم وجوداً مكانياً .(حاتم إسماعيل)
في هذه البينة مغالطة ناشئة من الاستدلال على بطلان براهين محدودية المكان بما ثبت من عدم إمكانية تحقق العدم ، وما ثبت سابقاً هو استحالة تحقق العدم المطلق أي ما يقابل الوجود المطلق بينما الحديث هنا عن العدم المكاني الذي يشكل حداً للمكان ، وهو عدم خاص مضاف الى المكان ، وهذا لم يبرهن سابقاً على بطلانه ، بل لا ريب في ثبوتِ وتحققِ العدم الخاص كما اجزم بتحقق عدم وجودي الآن في المريخ مثلاً ٠وعليه لا يبقى دليل على إبطال ما أقيم رياضياً من براهين على استحالة تحقق الخط غير المتناهي.(إبراهيم البدوي)
أقول: العدم الذي يفترضه الناقد المعلق في نهاية عالم الطبيعة يجب أن يفترض عدماً مطلقاً, لأن هذا العدم لا يحدّه وجود مكاني آخر أو طبيعة أخرى. مع الاعتراف بأن ردّي هذا جدليّ لا برهاني, وسأعرب عن موقفي لاحقاً.

[391] لا حاجة إلى مثل هذا الاحتمال بعد فرض وجود النهاية للعالم الجسماني ، فإن السلب سلب لكل هذه الحقائق إلا حقيقة واحدة وهي محض الوجود وصرفه وهي خارجة عن محل الكلام ، ولا محذور في إحاطة

فحتى الآن, يمكنني افتراض الطبيعة غير متناهية في أبعادهـــا المكانيـــة[٣٩٢].

هذا بالنسبة لإمكانية افتراض الطبيعـــة مطلقـــة في مكانهـــا, وغـــير متناهيـــة في أبعادها. أما بالنسبة إلى إمكانية افـــتراض كونهـــا مطلقـــة في الزمـــان, "فـــهناك آراء تجريبية, تفترض بداية زمنية لعالم الطبيعة, وتحدّد الســـنوات المتناهيـــة الـــتي مضـــت على عمر الأرض والشمس والكـــرات والمجـــرات . وآراء أخـــرى كلاميـــة, تصـــرّ على حدوث الطبيعة زمنياً, بحجة استحالة تعـــدد القدمـــاء[٣٩٣].

إلا أني أتريث الآن في قبول بداية زمنية لمجموعة الطبيعـــة، لأنهـــا تســـتلزم فـــرض زمن مستقل عن الطبيعة، ابتدأت الطبيعة في لحظة منـــها، ولا يمكنـــني فـــهم زمـــان مستقل عن حركة الأجرام الطبيعيـــة[٣٩٤].

كما أن هناك آراء تجريبية, تؤكد علـــى نهايـــة زمنيـــة لعـــالم الطبيعـــة, وتتنبّـــأ بحدوث انفجارات ضخمة تهـــزّ جميـــع أركـــان الطبيعـــة بذرّاتهـــا ومجرّاتهـــا. وآراء أخرى فلسفية, تفسّر الحركة بأنها خروج الشيء من القوة إلى الفعل. فـــلا بـــد مـــن نهاية زمنية للطبيعة, تحدث عند انتهاء قواها, وتبدّلها إلى الفعليـــة المحضّـــة.

غيرها بالعدم المفترض لأنه عدم نسبي وليس العدم المطلق ليلزم المحذور . ـــ تعليقات حاتم إسمـــاعيل علـــى : "بينات" للمؤلف

[٣٩٢] أقصد بالافتراض أن البينات السابقة لا تفرض عليّ اتخاذ موقف حاسم من تنـــاهي الطبيعـــة في المكـــان والزمان أو عدم تناهيها .

[٣٩٣] صدر المتألهين الشيرازي ـــ الحكمة المتعالية ـــ ٣/١٥٢.

[٣٩٤] "إن ما توهمته طائفة ... أن بين الباري تعالى وبين أول العالم عدماً موهوماً أزلياً ممتداً بتماديه الوهمـــي في جهة الأزل إلى نهاية ومنتهياً في جهة الأبد عند حدوث أول العالم ، فمـــن أكـــاذيب أوهامـــهم الظلمانيـــة وتلاعبيها". ملا محسن فيض الكاشاني ـــ أصول المعارف – ١٢٠.

لكنها لا تقنعني. فبإمكاني افتراض تلك الهزّات العالميـــة نهايــة لمرحلــة, وبدايــة لمرحلة طبيعية ثانية متشابهة للمرحلة الســابقة. وبإمكــاني أيضــاً افــتراض قــوىً في الطبيعة, تتبدل إلى الفعل باستمرار, إلا أنها غـــير متناهيــة[395], فــلا تنتـــهي حركــة العــالم"[396].

النسبي (المقيـد) :

١ ــ على صعيد الطبيعــة :

أبطل "انيشتاين" فكرة الزمان المطلق والمكـــان المطلـــق :

"جاءت نظرية انيشتاين لتخلص الفيزياء نهائيـــاً مـــن تصـــورات الزمـــن المطلـــق والوعاء المكاني المطلق وتبـــين أن المقـــادير المكانيـــة والزمانيـــة نســـبية إلى مجـــرى أحداث العالم المادي ومشتقة منـــه."[397]

وإذ لم يعد بالإمكان تبنّي فكرة إطلاق الطبيعة في زمانها ومكانها, فـــلا بـــد مـــن افتراض نهاية زمنية لتمدد الكون الذي ابتدأ منذ لحظـــة الانفجـــار العظيـــم :

"إن بعض العلماء يعتقدون أن وجود ما يســـمى بالمـــادة غـــير المرئيـــة أو المـــادة السوداء في الكون يزيد بشكل كبير من كثافة هذا الكون ويمنـــع امتـــداده (بشـــكل

---

[395] " الجسم يقبل حركات غير متناهية, عن قوة غير متناهية" ــ الملا صدرا الشيرازي ــ الشواهد الربوبية ــ ١/٤٥

[396] محمد خاقاني (المؤلف) ــ بينات

[397] صادق جلال العظم ــ نقد الفكر الديني ــ ١٢٩ــ ١٤٥

غير متناه), بل ويساعد ــ على العكس من ذلك ــ على انكماشه بحيث ينتهي أخيراً بالدمار الكامل."[398]

في نفس الوقت, حاول الفلاسفة المسلمون أن يبطلوا احتمال عدم تناهي الطبيعة من جهة الزمان والمكان. وأوردوا حججاً أهمها ثلاثة ذكرها صدر المتألهين(قده)، وهي برهان المسامتة والبرهان السلّمي وبرهان التطبيق[399].

---

[398] السفير ٩٨/١/١٠ نقلاً عن (اف ب)

[399] "أما برهان المسامتة فحاصله : أنه لو كانت الأبعاد غير متناهية لاستحالت الحركة الدائرية. لأنا إذا فرضنا خطاً غير متناه وكرة خرج من مركزها خط موازٍ لذلك الخط, ثم تحركت الكرة حتى سامت الخط الخارج من مركزها الخط الغير المتناهي, وجب التقاؤهما بنقطة تبدأ بها المسامتة, وهو محال ، إذ ليس من نقطة في الخط الغير المتناهي إلا وفوقها نقطة مقابلة للمسامتة. فلا تحصل زاوية بالتقائهما إلا وحصل فيها زاوية أخرى مع النقطة الأخرى، وهكذا إلى غير النهاية. فيستحيل وجود نقطة هي بداية المسامتة, وهو خلف, لأن الحركة حادثة لابد لها من بداية.

وأما البرهان السلمي فحاصله : أنه لو كانت الأبعاد غير متناهية لجاز أن يخرج امتدادان عن مبدأ واحد كساقي مثلث، ولا يزال البعد يتزايد إلى غير النهاية فيكون مقدار الانفراج غير متناه أيضاً, وقد فرض محصوراً بين حاصرين وهو خلف، فالأبعاد متناهية.

وإما برهان التطبيق فحاصله : أنا لو فرضنا بعد (أ ، ب) غير متناه من الطرفين أو أحدهما وعلى التقديرين يفرض حد (ج) مثلاً وحد آخر (د) فيكون (ج ، ب) غير المتناهي من طرف (ب) أزيد من (د ، ب) غير المتناهي من طرف (ب) بمقدار (ج ، د). فإذا فرضنا انطباق نقطة (ج) على نقطة (د), فإما أن يمتدا إلى غير النهاية, فيكون الزائد مثل الناقص وهو مستحيل, أو يقصر (د، ب) فيكون متناهياً عن (ج ، ب) بمقدار (ج ، د) المتناهي. فيكون المجموع وهو (ج ، ب) متناهيا من جهة (ب), وهو المطلوب.

ويؤيد ذلك, بل يدل عليه الأحاديث الكثيرة الواردة عن أهل البيت(ع) ومفادها أنه تعالى خلق الأشياء من لاشيء، أو لم يخلقها من أصول أزلية ولا من أوائل أبدية، وأنه خلق المكان وكان الله ولا مكان, مما يعني ضرورة بداية للمكان وهو معنى التناهي". ــ تعليقات حاتم إسماعيل على : "بينات" للمؤلف

٢ ـــ على صعيد المعرفة الإنســـانية :

"تقوم المدرسة النسبية على الفكــــرة القائلـــة بأنـــه لا يوجـــد في الوجـــود أمـــر مطلق، وإنما كل ما فيه نسبي، فالحقيقة عندهم هي مزيج من الواقــــع والــــذات. فــلا يمكن أن تفصل الحقيقة الموضوعية في التفكير عن الناحيـــــة الذاتيـــة للإنســـان. لهـــذا تختلف الحقيقة باختلاف الأنظار، فقد يكون الشــــيء الواحــد هـــو حقيقـــة عنـــد شخص وهو بطلان عند الآخر، ولا تنافي بين هذين أمريـــن عنـــد النســـبيين.

وقد حمل لواء النسبية الفيلسوف عمــــانوئيل كـــانت. و لم ينكـــر الواقـــع كمـــا أنكره السوفسطائيون والمثاليون بل اعترف به، ولكنه أنكر إمكانيـــــة أن نصـــل إليـــه على حقيقته كما هو دون أن تتدخل نوازعنا وأحاسيســـنا في تصويـــره، ولكـــن بمـــا أن الإنسان لا طريق له لبلوغ الواقع إلا قواه المدركة, فقد صار هـــــذا الواقـــع أمـــراً نسبياً بالتبع من الناحية العملية. وبذلك خالف المدرســـــة الواقعيـــة"[400].

والنسبية قد تنتقل من تفسير الواقع إلى تفسير الدين, وتـــــبرر اختـــلاف التفاســـير عن النصوص الدينية, لأنها تنطلق من الفـــهم النســـبي:

"الضرر والخسارة يلحقان بجوهر الدين, عندما يتصــــور الإنســـان ـــ أيّـــا كـــان ـــ أن تصوراته عن الدين هي الدين بعينـــه... إحـــدى أعظـــم مشـــكلات مجتمـــع المتدينين, هي أنه يؤمن من جهة بحقائق مطلقة ومتســـــامية ومقدســـة, ومـــن جهـــة أخرى, وبوصفه موجوداً تعتبر النسبية في عقله وحياته أمراً جدياً, يـــــرى كـــل هـــذا في نطاق عقله وروحه النسبيين...إن معرفـــــة الإنســـان ووعيـــه نســـبيان وقـــابلان

---

[400] إبراهيم البدوي ـــ الحق بين الوسائل والأهداف

للخطأ... وإن نسبية معتقداتنا ووعينا تكون أشدّ وأكثر جدية في عصر غياب المعصوم"[٤٠١].

٣ ـ على صعيد الثقافة :

"يرجع الفضل إلى المدرسة الانتشارية في طرح فكرة وتنوع الثقافات والنسبية الثقافية التي أصبحت منذ ذلك الحين من أهم المفهومات الرئيسية في الفكر الأنثروبولوجي وتطوره سواء في الولايات المتحدة الأمريكية أو خارجها. وقد لاقى هذا المصطلح رواجاً وقبولاً, خاصة في عصر كانت فكرة النسبية عند انيشتاين في العلوم الطبيعية قد حازت الاهتمام النظري والاستخدام العملي...

الثقافة ظاهرة نسبية, بمعنى لا يجب عند نظرنا إلى ثقافات الشعوب في هذا الإطار أن نحكم عليها بالخطأ أو الصواب أو القبول أو الرفض... الأنثروبولوجيون ــ نظرياً على الأقل ــ لا يفضلون ثقافة على أخرى, وإنما يجدون في كل الثقافات مظهراً أو وسيلة عملية لحل مشكلات الإنسان في بيئة معينة وزمن محدد" [٤٠٢].

تأويل :

النسبية تعني الإقرار بنظام الاحتمالات التي لا يمكن التنبؤ القطعي بها, لأنها تنفي وجود نواميس حتمية الوقوع في العالم.

---

[٤٠١] السيد محمد خاتمي رئيس الجمهورية الإسلامية ــ محاضرة "التدين في عالم اليوم ــ السفير ٩٦/١٢/٥

[٤٠٢] د. حسين فهيم ــ قصة الأنثروبولوجيا ــ ١٦٣

هذا على صعيد الطبيعة والكون. أما على صعيد المعرفة والثقافة, فالنزوع نحو الحقائق المطلقة ينطلق من افتراض *عالم* مستقل عن الإنسان وأفكاره وآرائه وأهوائه, لكن النسبية تنبثق من "***الأنسنة***", أي مركزية *الإنسان* وجعله محوراً أصيلاً في نظام الكون. النسبية تسمح للفرد الاقتناع بما يراه حقاً, دون أي حاجة إلى انطباق آرائه على أية معايير خارج الذهن. وهذا يقضي الولوج في ثنائية أخرى, هي : ***الإنسان/العالم***.

٦١ ـ الإنسان/العالم

العالم :

وأقصد به الوجود العيني خارج دائرة الإنسان: هذا العالم العيني هو الأساس في الفلسفات اليونانية والإسلامية والشرقية. وليس الإنسان هو محور الكون ومحور المعرفة البشرية, إنما الغاية القصوى هي : "صيرورة الإنسان عالماً عقلياً يضاهي العالم العيني"[٤٠٣].

و"العين" هو ما به يتعين الشيء :

"يعرف الفارابي (العين) بأنه ما (لا يمكن أن يقع به تشابه بين اثنين أصلاً)... في الأنطولوجيا الأفلاطونية يقال الكائن على ما هو عين ذاته, أي على ما به الشيء هو هو. وفي الفلسفة الإسلامية أيضاً يعرف الكائن من خلال

---

[٤٠٣] العلامة الطباطبائي ـ بداية الحكمة ـ المقدمة

عينيته, وعينيته هي هويته ووحدته, إذ بالعين يتماهى الشـــيء ونفســه مماهــة تامــة ويغاير سواه مغايرة كليــة".[٤٠٤]

الإنســان:

في المقابل, هناك نزعة تدعو إلى جعـــل الإنســـان محــوراً للكــون وللدراســات والبحوث الإنسانية, لأن التركيز على العالم الخارج جعـــل الإنســـان تحــت وطــأة الشعور بــالاغتراب:

"العلم في نموه وتطوره تحول إلى الوجود الخارجي, وجعل مـــن جميــع الظواهــر موضوعات له, حتى بلغ بذاك الإنســـان, فصــارت أفكــاره وســلوكه وانفعالاتــه وعواطفه وسائر تحركاته موضوعات للعلم يخضعــها لدراســته وتجاربــه, ممــا دفــع بالإنسان تحت وطأة مادية العلم للشعور بالاغتراب وللبحث عـــن حقيقــة الوجــود عبر اللون والخــط...

لقد انطلقت الرومانسية بترعتها كردة فعل عميقة, محاولةً إعـــادة الفــرد مركــزاً للعالم ومحوراً له, على أساس أن الإنسان هو الذي يعقل ويفـــهم الظواهــر ويشــكل المعارف. فله هذه الأحقية. والرومانسية حين تفصل مـــا بــين الإنســان والوجــود الخارجي إنما تريد إعادة صياغة المعادلة من جديد، معادلة يعود منـــها الإنســان هــو المكتشف للوجود...فيصار عندها إلى الإنساني الداخلـــي العميــق, بعــد أن تحــول العالم إلى الوجود الخارجي بكل رحابته وتنوع موجوداتـــه, ليجعــل مــن الإنســان قزماً أمام عملاق الكون الآلي مركز اهتمـــام العلــم."[٤٠٥]

---

[٤٠٤] علي حرب ــ نقد الحقيقة ــ ١٢٣

[٤٠٥] طارق هزيمة ــ صراع العقل والقلب ــ مجلة البلاد ــ العدد ٣٣٧

تـــأويل:

دراسة علاقة الإنسان بالكون والعالم الخارج عـــن دائـــرة الفـــرد لا تكتمـــل, إلا بالبحث عن علاقة الإنسان بالله, باعتبـــاره الوجـــود المطلـــق, فلننظـــر إلى ثنائيـــة : ***الله/الإنســـان***.

٦٢ ــ *الله/الإنسان*

الله :

"التوحيد هو الذي يعتبر الله أساس الوجود ومناطه. فـــالله الأحـــد هـــو الكـــائن الأكبر الذي يجسد الحق والحقيقـــة.

مع كون وحدانية الله عمومية تشـــمل الموجـــودات وتحيطـــها فـــإن اللامتنـــاهي يبقى *خارج* العالم الذي يبدعه من العدم. من هنـــا طـــابع الانفصـــام سمـــة الأديـــان التوحيدية الوضعية قاطبة." ...كفى في تأكيد الإســـلام الوحدانيـــة ونفـــي التعـــدد والوساطة, أن يضفي على الوحدانية صفـــة مطلقـــة ولكونـــه توحيـــداً مطلقـــاً, لا أقانيم (كما في المسيحية) ولا توحيد قومـــي (كمـــا في اليهوديـــة وفكـــرة الشـــعب المختار). فإن الإسلام في ما يتعدى ثنائيتـــه الخاصـــة, يتمـــيز بجدليـــة وأنطولوجيـــة قوامها القضاء (الجبر) والقدر (الاختيـــار)".[٤٠٦]

---

[٤٠٦] جميل قاسم ــ العلمانية : المختلف والمؤتلف

الإنسان :

"كان الإنسان من قبل ديكارت مجرد كائن مخلوق ينتظر الدينونة كما في الشكل اللاهوتي والنمط النبوي, أو كان مجرد مرتبة من مراتب الوجود تطمح إلى الصعود والترقي عبر المعرفة والتصفية كما في الشكل الفلسفي والنمط العرفاني. مع ديكارت تنقلب الآية لمصلحة الإنسان الذي يغدو هو المحور والمرجع واللاعب الأساسي على المسرح.

صحيح أنه في الفلسفات السابقة على ديكارت نجد أن الإنسان يتفكر ويعقل يعرف ويعمل ويتغير ويتحول بفعل المعرفة والممارسة, كما يتجلى ذلك بشكل خاص في التصوف, حيث بوسع الفيلسوف أو العارف أن يجتاز المراتب صُعُداً للاتحاد بالكائن الأسمى أو الحق الأعلى. غير أنه قبل ديكارت كان وجود الإنسان يفسّر برده إلى سبب يقع خارجه ويتعالى عليه، نسبته إلى الإنسان نسبة علة إلى معلول أو خالق إلى مخلوق. مع ديكارت يبنى الوجود ويتعين من خلال الخبرة المباشرة للفكر... ومن هنا لم يعد ينظر إلى الأشياء والكائنات بوصفها آيات تدل على القدرة وتحمل تواقيعها, بل أصبح ينظر إليها بوصفها موضوعات, ينبغي للذات العارفة أن تخضعها للدرس والتحصيل...

لا أتجاهل أن ديكارت يعالج مشكلة الله في (التأملات)...وبالفعل فإن ديكارت يخصص (التأمل الثالث) لإثبات وجود الله...غير أن وجود الله بحسب الكوجيتو يترتب على وجود الإنسان, وليس العكس. من هنا فإن براهين ديكارت على وجود الله هي ذات مفعول رجعي...إنها تمثل عودة إلى الله بعد انتهاكه"[٤٠٧].

---

[٤٠٧] علي حرب ــ الفكر الفلسفي الحديث هو قراءة في الكوجيتو ــ السفير ــ ٩٦/٥/٣١

و"يقصد أركون (بالحركة الإنسانية) أو (الفلسفة الإنسانية) ذلك الموقف الذي يحترم الإنسان ويعتبره مركز الكون ومحور القيم.

وهو يفرق بذلك بين (المركزية الإنسانية) و(المركزية اللاهوتية). فالثانية هي التي سيطرت حسب أركون طيلة العصور الوسطى, ولا تزال تسيطر حتى الآن على قطاعات واسعة من المجتمعات العربية الإسلامية. ويربط أركون أيضاً بين النزعة الإنسانية وازدهار العقلانية وتراجع التعصب الديني. ففي القرون الوسطى كان التركيز يتم على الله فقط, وما كان يجوز الاهتمام بالإنسان إلاّ من خلال علاقته بالله أو عبادته له. ثم تم الانتقال بعد عصر النهضة في أوروبا إلى التركيز على الإنسان والاهتمام به كقيمة بحد ذاتها (النزعة الإنسانية)."[٤٠٨]

"إن الإنساني بديهي قبلي, إذ لا يسبق تصوره في الذهن تصور آخر, بل هو الذي يجعل التصور والحكم أمراً ممكناً. في حين أن الإلهي اعتباري بعدي, إذ هو يستنبط على نحو بعدي, ويحتاج إلى النظر والتدبر. والاعتباري لا يتحقق بذاته بل بغيره. فالإنساني هو أصلي في الذهن. وأما الإلهي فيتحقق عن طريق العقل والعلم...وعليه فالناسوت هو الذي يؤسس اللاهوت.

وذهب هيدجر إلى أن الوجود هو مسألة قد تم تناسيها في الفكر الحديث...ابتداءً من ديكارت ...أخذت مقولات الوجود الحقيقية والذات تترابط وتتشابك, مؤلّفة ما يمكن تسميته ثالوث الفلسفة. مع ديكارت...تبنى المعرفة على خطاب الإنسان لا على كلام الله. وتمحي الأسباب الماورائية لصالح الأسباب الفاعلة...وإذا كانت فلسفة ديكارت قد افتتحت الحداثة بظهور

---

[٤٠٨] حبيب معلوف ــ نقد كتاب: نزعة الإنسية في الفكر العربي لمحمد أركون

صورة الإنسان/الذات, وطغيانها على صـــورة الله/الـــذات, فـــإن الذاتـــين أصبحتـــا موضعاً للتشكيك, و لم تعودا من بداهـــات الفكـــر"[409].

هذا, وللحداثويين الذين يؤلهـــون الإنســـان الحديـــث ويجعلونـــه محـــور الكـــون حجج, يستمدونها من بسط سلطة الإنســـان وتصرفـــه في شـــؤون الخـــالق وأمـــور الخلائـــق:

"أعلن الباحث الأميركي ريتشارد سيد عزمـــه علـــى إنشـــاء عيـــادة متخصصـــة لاستنساخ أطفال لمساعدة الأزواج العاجزين عن الإنجـــاب... يـــأتي هـــذا الإعـــلان على الرغم من تأكيد الرئيس الأميركي بيل كلنتون علـــى تـــأييده لإصـــدار قـــانون يحظر إجراء تجارب على استنساخ البشـــر لمـــدة خمـــس سـنوات. وجـــاء إعـــلان كلينتون إثر ولادة النعجة دوللي التي استنسخت في اسكتلندا عبر أخـــــذ خليـــة مـــن نعجة بالغة وإدخال صفاقها الوراثية في بويضة نعجـــــة أخـــرى"[410].

تـــأويل:

الفلسفة في عصر الحداثة جعلت الإنســـان محـــوراً للكـــون, ذا حقيقـــة مســـتقلة يمكنه الانطلاق من نفسه, ويبحث عن الحقيقة الـــتي تتجلـــى في نفســـه أكـــثر مـــن غيره, بعد ما كانت المدارس القديمة تجعله كغيره من الخلائـــق آيـــة للـــذات المتعاليـــة و"*اسمًا*" لها, نناقشها في ثنائية : ***الاســـم/المســـمى***.

---

[409] علي حرب ـــ نقد الحقيقة ـــ ٨٩ ـــ ١٠٢ ـــ ١٣٦

[410] السفير ـــ ٩٨/١/٨ نقلاً عن (ا ف ب ، أ ب)

٦٣ ــ الاسم/المسمى

الاسم:

"الاسم بحسب اللغة ما يدل به على الشيء, سواء أفاد مع ذلك معنى وصفياً, كاللفظ الذي يشار به إلى الشيء لدلالته على معنى موجود فيه، أو لم يفد إلا الإشارة إلى الذات كزيد وعمرو وخاصة المرتجل من الإعلام".[٤١١]

وقد وقع الخلاف في تحديد علاقة الاسم بالمسمى, وبرزت مدرستان فكريتان:

ــ الاسم هو المسمى.

أتباع هذا الرأي يركزون على المسمى, ولا الاسم (phenomena) عندهم إلا أداة للتذكير بالمسمى(nomena), وهم معظم أصحاب الفلسفة الكلاسيكية.

المسمى:

ــ الاسم غير المسمى.

هذا التيار الموسوم في الغرب بالاسمية (nominalism), يؤصل الاسم ويرى له كياناً مستقلاً عن المسمى, ويؤوّل كل التيارات الفكرية والخلافات المعرفية إلى المشادة في الأسماء:

"في الواقع إن مصطلحات الوحدة والتطابق والمساواة والثبات والتساوق وسواها من المفهومات التي تتمثل لها العين الوجودية في الخطاب الكلاسيكي,

---

[٤١١] العلامة الطباطبائي ــ الميزان ــ ٨ / ٣٥٩

إنما ترد إلى الوقائع اللفظية أي إلى الاســـم, لا إلى المســـمى. إذ لا عـــين إلاّ للاســـم لأن الاسم وحده يحتفظ بهويته وثباته وتعاطفـــه. وأمـــا الرســـوم مثـــلاً إنمـــا تعـــود للاسم قبل المسمى أي لهذه الواقعة اللغوية... لا إلى الكائن العيـــني. ذلـــك أنـــه مـــا إن نفكر في اكتناه ماهية هذا الكائن, حـــتى يـــبدأ الاختـــلاف الأنطولوجـــي بـــين الشيء وذاته. لأنه لا يمكن تشكيل جملة نحوية أو عبـــارة منطقيـــة إلا بإســـناد شـــيء إلى شيء, أو حمل شيء على شيء, أي بـــالجمع بـــين تصوريـــن مختلفـــين وكـــأنّ وحدة الشيء لا يتحقق إلاّ على المستوى الأسمـــي المحـــض. وأمـــا علـــى المســـتوى النحوي أو المنطقي, فلا يستقيم قول ذو معنى إلاّ بفصـــل و وصـــل"[٤١٢].

ومن يميل من أبناء المدرسة الإسلامية إلى موقف التغاير بـــين الاســـم والمســـمى, قد يجد في الحديث التالي عن الإمام الصادق (ع) دعمـــاً لرأيـــه:

"الله مشتق من إله، وإله يقتضي مألوهاً، والاســـم غـــير المســـمى. فمـــن عبـــد الاسم دون المعنى فقد كفر و لم يعبد شيئاً. ومن عبد الاســـم والمعـــنى فقـــد أشـــرك وعبد الاثنين. ومن عبد المعنى دون الاسم فذلـــك التوحيـــد".

على هذا الأساس, "ليس بأيدينا على الحقيقة مـــن الحـــق تعـــالى إلا أسمـــاؤه, ولا يعقل منه غيرها. وبهـــذه النســـبة سميناه معروفـــاً ومعلومـــاً ومذكـــوراً ومســـبحاً وممجداً, وسمينا أنفسنا عارفين عالمين ذاكريـــن مســـبحين ممجديـــن. ولهـــذا لا يقـــع التسبيح والتقديس إلا على الاسم. قال تعالى ((ســـبح اســـم ربـــك الأعلـــى))[٤١٣], و((تبارك اســـم ربـــك ذي الجـــلال والإكـــرام))[٤١٤]. والاســـم ليـــس إلا علامـــة

---

[٤١٢] علي حرب ـــ نقد الحقيقة ـــ ١٢٤

[٤١٣] الأعلى ١

[٤١٤] الرحمن ٧٨

للمسمى يعرف به عند الغيبة, ولولا الغيب ما احتيج إلى الاسم. فإذا حضر المسمى غاب الاسم, إذ الإشارة تنتفي في الحضرة, فكيف العبارة؟!"[415]

تـأويل :

الجزم باستقلالية الاسم عن المسمى وافتراض كيان موضوعي له, يأخذ طابعا *تكثيريا* في تفسيرنا لعالم الوجود. والإيمان بأن الكائنات كلها آيات أو أسماء لخالق الكون يقضي في هذه الأجواء بقبول موجودات غير متناهية سوى الله. فالوجود المطلق له وجود, والمخلوق المقيد له موجودية أخرى.

خلافاً لجعل الاسم عين المسمى أو مظهراً غير مستقل عن المسمى, الذي يرتسم بطابع *توحيدي* يدمج آيات الكون بمبدعه ومصوره, دون أية *كثرة* حقيقية. وندرس هذا الأمر في معادلة : ***الوحدة/الكثرة***.

٦٤ ـ الوحدة/الكثرة

الوحدة :

الرؤية العرفانية تؤمن بوحدة الوجود والموجود, وترى الكثرات كلها حجباً لا بد من خرقها للنيل من حقيقة الحق جل وعلا. العالم عند العرفاء "*خيال في خيال*"[416], و"*ليس في الدار غيره ديار*".

---

[415] حسن بن حمزة بن محمد الشيرازي (الشرف البلاسي) ـ رسالتان في الحكمة المتعالية

[416] محيي الدين بن العربي

الكثرة :

لكن الرؤية الفلسفية تصر بشكل عام على وجود كثرة حقيقية وتباين أصيل بين الواجب والممكن, وبين الممكنات نفسها :

"إن الموجود الخارجي إما أن يكون مستنداً في وجوده إلى علة, أو لا. والثاني هو الواجب بالذات, والأول هو الواجب بالغير. و فرض كونه واجباً بالذات يعني استغنائه عن العلة وهو خلف، فلا يمكن أن يكون المعلول واجب الوجود بالذات، كما أن المعدوم إن أمكن زوال العدم عنه فهو ممكن الوجود وإلا فهو ممتنع الوجود، أي أن المفهوم إذا نسب إلى الوجود فإما أن يكون الوجود ضرورياً له فهو الواجب, وإما أن لا يكون الوجود والعدم ضرورياً له فهو الممكن"[417].

ويرى الاتصال الذاتي بين الموجودات والوحدة الحقيقية فيها باطلاً لا شك فيه :

"لو كانت مظاهر الوجود متصلة اتصالاً ذاتياً لا انفصال فيه، لزم اتحاد الأذهان لأنها من جملة مظاهر الوجود وهو ضروري البطلان، ثم إن الذهن الذي يفترض الماهيات هل له ماهية أو لا ؟ فإن لم يكن له ماهية لزم أن يكون وجوداً محضاً والوجود المحض مطلق وهو الله فيكون الذهن مساوياً لله ــ تعالى عن ذلك علواً كبيراً ــ . وإن كان له ماهية لزم أن يكون الذهن أمراً اعتبارياً, فلا

---

[417] تعليقات حاتم إسماعيل على : "بينات" للمؤلف

معنى للافتراضات الذهنية حينئذ ولا حقيقة لها ولا واقع, وهو نحو من أنحاء السفسطة، فيبطل بذلك كل شيء في الوجود وكذلك العلم"[٤١٨].

فلا اتحاد بين الموجودات, إلا في كونها موجودة والباقي كله خلاف في خلاف:

"مما لا جدال فيه أن الإسلام طرح نفسه كعقيدة توحيدية. وبهذا فهو يختلف عن المذاهب الثنوية... لذا فإن التعارض الذي مثّله إبليس, يقتصر برأي عبد الكبير الخطيبي على المستوى الخلقي والإنساني ولا يشمل الطبيعة والكون. (ولكن), ما دلالة تأسيس التوحيد على التعارض بين الله والخلق و... وأخيراً بين الإلهي والشيطاني ؟... ألا يُدخل ذلك عنصر التضاد إلى الوجود الحق ؟

ثم هل يمكن الفصل بين مستويات الوجود وآفاقه ومراتبه؟ فإذا كانت المعارضة تطال مُوجد الخلائق وتبدو عصياناً للأمر الإلهي, فلا معنى لهذا سوى أن الثنائية تتسلل إلى الكون, وأن الاختلاف يحرك التاريخ. نعم ثمة وحدة ولكنها وحدة وجود... والوحدة بهذا المعنى هي وحدة أضداد. ودليله أن الله (أي الحق) لا يعقل من دون الخلق, وأن التاريخ لم يفتتح إلاّ بالمعارضة...

إذا كان عالم الإله يتصف بالوحدة والبساطة والثبات والمماهاة التامة فإن عالم الإنسان لا يمكن أن ينتج إلاّ التعدد والتعقيد والتغيير والاختلاف".[٤١٩]

---

[٤١٨] المصدر السابق

[٤١٩] علي حرب ـــ نقد الحقيقة ـــ ٦٥

تـــأويل :

الرؤية الكونية التي تؤصل الخلافات بين الخلائق, تنطلــق مــن "*الماهيـات*" الــتي تقيم حدوداً تفصل بين الأشياء. لكن النزعة التوحيدية تنفــي أيــة فواصــل حقيقيــة بينها, وتعتبر "*الوجود*" العام المنبسط علــى أرجــاء العــالم هــو الأصيــل والواقــع الحق. هذه هي ثنائية : ***الوجود/الماهيـــة***.

٦٥ ـــ الوجود/الماهية

الماهيـة :

"الماهية مصدر صناعي مأخوذ من كلمــة "مــا هــو؟", وتســتعمل في الفلســفة بمعنى اسم المصدر مجرداً عن معــنى الحــدث ليقبــل الحمــل علــى الــذات، ولهــا اصطلاحان خاص وعام. أما الخاص فهو يقال في جواب مــا هــو، وهــي تســتعمل في الموجودات القابلة للمعرفة الذهنية. ومــن هنــا يقــال بــأن الوجــود المحــض أو واجب الوجود لا ماهية له، فيستحيل معرفته ويقتضي كونــه مجــهولاً مطلقــاً.

وأما الاصطلاح العام فهو ما به الشيء هــو هــو. وهــذا الاصطــلاح شــامل للذات المقدسة, فيقال إن ماهيته تعالى إنيته أي وجــوده، والمقصــود في المقــام هــو الاصطلاح الأول. والبحث عنه ليس بحثا عــن الماهيــة بــالحمل الــذاتي الأولي, أي ليس عن مفهوم الماهية، و إنما عــن الماهيــة بــالحمل الشــائع الصنــاعي, أي عــن مصاديقها. فالبحث إذن عن المفاهيم الماهوية وليس عن مفــهوم الماهيــة.

والماهية هي ما به الشيء هو هـو. والماهيـات مثـار الكـثرة بـالذات. وهـي منقسمة إلى جواهر وأعراض متباينة عن بعضـها البعـض"[٤٢٠].

الوجـود :

إن حيثية الوجود هي حيثية التحقق, ولا يمكن الحديـث عـن الوجـود إلا أنـه موجود. "وهل حيثية الماهية هي التي تحكي عن الواقع الخـارجي بـالذات مـن دون واسطة، أو أن حيثية الوجود هي التي تحكـي عنـه فأيـهما اخترنـا يعـني نقـول بأصالته واعتبارية الآخـر.

ولا معنى للقول بأصالتهما معاً, لأن معنى ذلك أن كـل موجـود خـارجي لـه حيثيتان في الخارج, وهو مركب منهما, مع أنه قـد فـرض بسـيطاً وهـو خلـف. كما لا يمكن القول باعتباريتهما معاً, لفـرض أن القضيـة المسـئول عنـها سـهل البسيطة تحكي عن واقع خارجي، فلا بد أن يكون لها ما بـإزاء في الخـارج، وهـذا هو الأصيـل.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن الظاهر أن البحث في أصالـة الوجـود قـد أثـاره الفلاسفة المسلمون من الفارابي ومن بعده. وأما فلاسـفة اليونـان فـالمنقول عنـهم أهم كانوا يقولون بأصالة الماهية، وقد أخـذ الوجوديـون هـذا الكـلام وعممـوه على سائر الفلسفات التي سبقتهم, وأطلقوا عليها اسم فلسـفة الماهيـات مـن دون الالتفات إلى الفلاسفة المسـلمين.

---

[٤٢٠] تعليقات الشيخ حاتم إسماعيل على : "بينات" للمؤلف

وعلى كل حال, فقد ذهـب أكـثرهم إلى القـول بأصالـة الوجـود، ونسـب القول بأصالة الماهية إلى الإشـراقيين."[421]

"والذهن يفترض الماهيات بتقطيع مظاهر الوجود (المتصلـة ذاتيـاً عـبر وحـدة الوجود), وفرض ثغور وحدود على كـل منـها.

وإذ لا كثرة في الوجود المطلق , ولا انفصال بـين مظـاهر الوجـود، فـالوجود هو الأصيل, والماهيات أمور اعتباريـة لا أصالـة لهـا في الخـارج[422], والتعـاريف الماهوية كلها سلوب ونواقـص[423].

تساويل :

إن الماهية تتحقق على أرض الواقع بالوجود, ويتفـق علـى هـذا كلتـا الفئتـان الوجودية والماهوية. والذي يحققه ويثبّت موجوديتـه هـو السـبب أو العلـة, ممـا يقتضي التعاطي مع معادلة ***العلة/المعلول*** في الخطـوة التاليـة.

---

[421] المصدر السابق

[422] يفهم من هذه القضية والقضية التي قبلها مقابلة الأصالة بالاعتبار بمعنى الافتراض الوهمي وتقـدم عـدم إرادتهم الاعتبار بهذا المعنى ، إذ بناء عليه تصبح الماهية أمر وهمـي افـتراضي لا يصـح أن تكـون حـدوداً للموجودات، وللزم من ذلك اتحاد سائر الموجودات المتشخصة في الخارج اتحاداً ذاتياً فلا يمكن التمييز بينـهما وهو باطل بالضرورة، بل الماهية أمر حقيقي ينتزعه العقل من الواقع الخارجي ، وهذا ما يصح كونها حـدود الموجودات، وبها أمكن التفريق بين الموجود الواجب والممكن . ولذلك يصح حمل الوجود عليها حملاً حقيقيـاً فيقال مثلاً زيد موجود والإنسان موجود ، وهذا ما يفسر أيضاً اختلاف الموجودات في الخارج مع اتحادهـا في نسبة الوجود إليها فإن اختلافها إنما هو بماهياتها التي تنال الوجود الواحد. ـــ تعليقات حاتم إسمـاعيل علـى بينات (للمؤلف)

[423] محمد خاقاني (المؤلف) ـــ بينات ـــ البينة ٣٧

العلة :

"إن الماهية في حد ذاتها لا موجودة ولا معدومة, فهي متساوية النسبة إلى الوجود والعدم, فهي في رجحان أحد الجانبين لها محتاجة غيرها الخارج من ذاتها. وأما ترجّح أحد الجانبين لا لمرجح من ذاتها ولا من غيرها فالعقل الصريح يحيله... فهذا الوجود المتوقف عليه نسميه "علة", والشيء الذي يتوقف عليه "معلولاً" له.

المعلول :

يتبين مما تقدم أن كل ممكن فهو معلول, وأن العلية والمعلولية رابطة وجودية بين المعلول وعلته, وأن هذه الرابطة دائرة بين وجود المعلول ووجود العلة, وإن كان التوقف والحاجة والفقر ربما تُنسب إلى الماهية. فمستقر الحاجة والفقر بالأصالة هو وجود المعلول, وماهيته محتاجة بتبعه"[٤٢٤].

هذا إذا قبلنا بعلاقة العلية والمعلولية كرابطة ذاتية ووجودية بين الشيء وسببه, وكعلاقة تربط جميع أجزاء الوجود بعضها بالبعض, بتبنّي هذه الرابطة كأحد الأصول البديهية بحكم العقل.

لكننا نواجه أحياناً نزعات فكرية تشك في تحقق هذه العلاقة :

ـ مرة بين مخلوقات العالم, بحجة أن "لا مؤثر في الوجود إلا الله", وهي مقولة "الأشاعرة",

[٤٢٤] العلامة الطباطبائي ـ نهاية الحكمة ـ ١٣/٢

ـــ ومرة بين جميع الوجودات, بحجة أن هذا الأصل لا حقيقة له خارج الذهن, وهو وليد حالة نفسية يسمونها بتداعي المعاني, ويرتبط باعتياد الفرد على رؤية شيئين مـــرات مختلفة في جوار بعضهما. وهذه مقولة ديويد هيوم الانكليزي, التي انتمى إليـــها بعـــض علماء فيزياء النسبية, لفشلهم في التنبؤ ببعض الأحداث في تفـــاعلات نظـــام الـــذرات والجسيمات.

تـــأويل :

إن حاجة المعلول إلى العلة عند القائلين بها تتفرع مـــن كـــون المعلـــول ذا ماهيـــة متساوية النسبة بين الوجود والعدم. وحيث أن علاقة الوجود بالماهيـــــة هـــي علاقـــة أمر حقيقي بأمر اعتباري, يلزمنا هذا الأمر تأويلها إلى ثنائيـــة : ***الحقيقـــة/الاعتبـــار***.

٦٧ ــ الحقيقة/الاعتبار

الحقيقـة :

البرهان العقلي لا يؤدي واجبه في إبراز الحقيقـــة إلاّ بمزاولـــة الحقـــائق والابتعـــاد عن الاعتباريات، لأن البرهان من شأنه أن يوّلـــد النتيجـــة مـــن رحـــم المقدمـــات. وحيث لا علاقة توليدية بين قضيتـــين اعتبـــاريتين, ولا بـــين أمـــر حقيقـــي وآخـــر اعتباري, فيلزم إبعاد الاعتبار عن فلك الحقيقـــــة.

وحيث أن الوجوب والحرمـــة اعتبـــار والتكليـــف اعتبـــار, فـــلا مجـــال للفقـــه والأصول ولا للفقيه والأصولي أن يفكّر في الحقيقة بما هــــي حقيقـــة.

وبما أن الخـــير والشـــر اعتبـــار, والقيـــم الأخلاقيـــة والروحيـــة اعتبـــارات في اعتبارات, فلابد من تجريد الحقيقة مـــن كـــل معـــاني الكمـــال والجمـــال والحـــبّ النابض والشعور الصادق, لأن : "*حبّ الشيء يعمـــي ويصـــمّ*".

الحقيقة ــ هكذا ــ تتلخص في : ماذا يوجد وماذا لا يوجد, وتخلـــو مـــن كـــل مسئولية فردية أو اجتماعية. وهي بعيدة عن أجواء مفعمـــة بالمســـئولية ومـــا يجـــب فعله وما يحرم ارتكابـــه.

الاعتبـــار :

"إن اصطلاح الاعتباري في الفلسفة مشترك لفظي يطلق علـــى عـــدة معـــان,

أحدها : المعقولات الثانية الفلسفية بما فيها مفـــهوم الوجـــود فإنـــه يقـــال عنـــها إنها اعتباريـــة،

والثاني : المفاهيم الحقوقية والأخلاقية فإنها اعتبارية بـــــاصطلاح آخـــر،

والثالث : المفاهيم التي ليس لهـــا مصـــداق في الخـــارج ولا في الذهـــن, و إنمـــا تؤلفها القوة المخيلة وهي الوهميـــات،

الرابع : الاعتباري في مقابل الأصيل, وهو المقصود في المقـــام، وهـــو دائـــر بـــين الوجـــود والماهيـــة. فيقـــال أيـــهما الأصيـــل؟ الوجـــود أو الماهيـــة؟ ويقابلـــــه الاعتبـــاري"[٤٢٥].

---

[٤٢٥] تعليقات حاتم إسماعيل على : "بينات" للمولف

"يقول الفيلسوف صدر الدين الشيرازي بأن (وجود الشـــيء وماهيتـه متحـدان ذاتاً متغايران اعتباراً) ومآل هذا القول أن العلـــم بالشـــيء هـــو اعتبـــاري ومبـــاين لوجوده. ذلك أن...الذاتي لا يعلم.. إنما تعلـــم الماهيـــة, والماهيـــة اعتباريـــة, فـــلا يعلم إذن إلاّ الاعتباري, والاعتباري لا يتحقق بذاتـــه, بـــل يقـــوم بغـــيره وينســـب إليه...فلم تعد الحقيقة تطابق الحكم مع الموضوع القـــائم خـــارج الذهـــن ولا هـــو تواطؤ الشرح أو التفسير مع المعنى الأزلي القائم في الـــذات...بـــل الحقيقـــة شـــكل من أشكال ممارسة الإنسان لذاته، وثمرة تأولـــه لوجـــوده."[٤٢٦]

تـــاويل :

إذا كان العلم بالشيء يتعلق بماهية الشيء, وهي اعتبـــار يـــة وليســـت أصيلـــة, فهذا العلم لا يرشدنا إلا إلى جانب من جوانـــب الشـــيء, ومظـــهر مـــن مظـــاهره. فالشيء ظاهر لنا في مظاهره, وباطن عنا في حقيقته, ممـــا يفـــرض علينـــا التفكـــير في ثنائية : ***الظهر/البطـــن***.

٦٨ ـــ *الظهر/البطن*

الظـهر :

حقيقة الوجود التي هي الحقيقة كلها تظهر أشد أنـــواع الظـــهور:

---

[٤٢٦] علي حرب ـــ نقد الحقيقة ـــ ٦٦ ـــ ٥٩

"يبدو الوجود ممتنعاً على البرهنة بمعايير المنطق الصرف. إذ الوجود هو ما يوجد ولا يحتاج إلى دليل فكل حدّ له يفترض تمثله... ولعل هذا الإشكال أن يكون المسوّغ الذي سوغ القول ببداهة الوجود واعتباره أظهر وأجلى من أن يعرف كما ذهب إلى ذلك الفيلسوف الشيرازي ومن سار على نهجه."[427]

"إن الانخراط في الحياة اليومية يعني في ذاته رفض الاعتراف باختفاء ما هو منحجب. ولاشك أنه توجد كذلك في الحياة اليومية الغاز وأشياء غير واضحة وما هو غير أكيد وما يحتمل الشك, لكن كل هذه المسائل التي لا تنبثق عن أي قلق ليست سوى معابر ووسائط ضمن حركة الحياة اليومية الجارية وبالتالي فهي غير أساسية... الميل المنغلق نحو ما هو يومي والإعراض عن السر يسيران جنباً إلى جنب."[428]

والتركيز على "الظهر" في النظرة إلى القرآن يؤول إلى مذهب يسمى : "الظاهرية" : ويقصد بها حصر الاهتمام بظواهر الألفاظ القرآنية, وأخذِ النصوص بحرفيتها ومعانيها الأولية :

"القراءة الحرفية هي قراءة أهل الظاهر وعلم المتمسكين بحرفية النص الممسكين عن التفسير والتأويل. وأهل الظاهر يرون أن لا وجه في النص إلا الوجه الظاهر, وأن اللفظ لا يحتمل إلاّ معنى واحداً.

فالمعنى على هذا الرأي ظاهر بذاته, ولا يحتاج إلى شرح وتبيان. والنص بحسب هذه النظرة تفيض على المراد, والمعنى صريح والقول محكم والقصد جليّ واضح"[429].

---

[427] علي حرب ــ نقد الحقيقة ــ ١١٠

[428] مارتن هيدغر ــ التقنية / الحقيقة / الوجود ــ ٣٣ ــ ٩٧

[429] علي حرب ــ نقد الحقيقة ــ ٩

"جاء في الحديث : "على رأس أمتي كل مائة عام رجل يجدد في الدين".
لكن في الاتجاه الأعم, بعض المرتبطين بالدين يحوّلون الدين إلى قواعد ثابتة, لأنهم يقرءونه قراءة حرفية, وبالتالي يجمّدونه ويسيئون بذلك إلى الحياة وإلى الدين"[430].

البطن :

على الصعيد العام, الميل نحو ما هو يومي لا يروق لفطرة الكثيرين ممن يعشقون لكل ما هو جديد, ويبذلون كل الجهد لمعرفة أسرار الكون, وخبايا الوجود المفعمة بالألغاز في عالم الذرات ودنيا المجرات. إن بداهة أصل الوجود لا تقنعهم بما عرفوه من واقع الوجود, بل كل معرفة جديدة تجلب لهم مجموعة من أسئلة جديدة تؤكد لهم بأن ما هو باطن في حقيقة الأمر ليس أقل شأناً مما ظهر للإنسان لحد الآن.

أما "***الباطنية***" على صعيد القرآن, فتختلف قراءته عن قراءة أصحاب الظاهر:

"إذا كان المعنى في القراءة الحرفية يظهر على سطح الخطاب, فهو في القراءة الثانية كالدرة لا يطفو على السطح, بل يغور في العمق, ولا بد من الغوص على قاع النص للاهتداء إليه واستخراجه"[431].

---

[430] محمود أمين العالم ــ في حوار مع السفير ــ ٩٨/٦/٨

[431] علي حرب ــ نقد الحقيقة ــ ٩

"كثير من الفقهاء يقولون إن القرآن والدين يبحثان بشكل عام عن المقاصد. ومقاصد الدين هي الخير والمحبة والشرف والكرامة والتقدم. وبالتالي علينا أن لا نأخذ النصوص بحرفيتها, وإنما بمقاصدها الكبيرة وبالتالي ستتغير الظروف"[٤٣٢].

"إن ألفاظ القرآن الكريم لا تحظى بتعريف جامع لمعنى اللفظ, مانع من أي تداخل في فهمه. بهذا أصبح كلٌ يفسر ألفاظ القرآن حسب فهمه وتقديره وثقافته وأحياناً حسب ما يراه صالحاً. فلفظ الشريعة في القرآن الكريم يعني المنهج أو الطريق أو السبيل...((لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً))[٤٣٣]. لكن اللفظ تطور مع التاريخ, حتى أصبح الآن يفيد معنى الفقه. ففهم معنى لفظ الشريعة طبقاً لوقت التنزيل, يعني اعتبارها منهج الله والطريق إليه. أما فهمه وفقاً لتطوره التاريخي, فيؤدي إلى اعتبار الفقه ـــ وهو آراء الناس ـــ شريعة, واعتبار الشريعة ديناً, وهذا تُضفي العصمة والقداسة على آراء الفقهاء, وتصير هي الشريعة, لا تجوز معارضتها أو مخالفتها, وإلا كان في ذلك شرك وتجديف!!

وعلى الرغم من مضي أكثر من أربعة عشر قرناً على بداية الإسلام, فإن العقل الإسلامي لم يضع منها منهاجاً واضحاً محدداً لتعريف ألفاظ القرآن الكريم أو لتفسير آياته... إن أول أسباب تحديث العقل الإسلامي أن يبدأ بتعريف ألفاظ القرآن بنحو جامع مانع يقوم على أساس معنى اللفظ وقت التنزيل"[٤٣٤].

---

[٤٣٢] محمود أمين العالم ـــ في حوار مع السفير ـــ ٩٨/٦/٨

[٤٣٣] المائدة ٤ ـــ ٤٥

[٤٣٤] محمد سعيد العشماوي (مستشار في القضاء المصري) ـــ أفكار من أجل تحديث النظرة إلى الإسلام ـــ السفير ـــ ٩٧/٥/٨

تساويل :

التروع نحو معرفة الحقيقة وأسرارها وبطونها يعتبر غاية الفلاسفة والحكماء, فهم يرون العلم الغاية الأسمى للإنسان, والعنصر الأساس في تكوين شخصيته. بالعقل يصل الإنسان إلى ذروة الحكمة, والحكمة صيرورة الإنسان عالماً عقلياً يضاهي العالم العيني.

أما السلوك العرفاني فلا يقف عند حد المعرفة, إذ أي خير يكمن في أن يتعرف الإنسان على الحق دون أن يصل إليه ويفنى في ذاته؟ غاية العارف هي الوصول وليس العلم فقط. والوصال يتطلب العشق, إليكم ثنائية : ***العلم/العشق***.

٦٩ ـ العلم/العشق

العلم :

العلم أمنية الكثير من العلماء والحكماء والباحثون والفقهاء. يرتضون به ويسكنون إليه, وكأنه إله يعبدونه, ويخضعون كل الأحاسيس والعواطف والغرائز في خدمته. ومن جملة ما يجب أن يكون في خدمة العلم وتحقيق المعرفة, الإنسان:

" نحن أتباع الدليل حيث ما مال نميل"

العشق :

الوصول إلى الحق بأمس الحاجة إلى التضحية والفداء, ويتطلب طاقة تعبّد هذا الطريق الوعر والمفعم بالأخطار والمزالق. لا جدوى في معرفة لا تترافق مع

الفناء في المحبوب. فالمعرفة آلة ليس إلاّ, ومقولة : المعرفة لأجل المعرفة هي شرك لا بد من الاجتناب عنه حتى عند نيتشه :

"(المعرفة للمعرفة) : هذا آخر شرك تنصبه الأخلاق, به يقع المرء مرة أخرى فريستها".[435]

تأويل :

العلم ينظر إلى ما هم متحقق وموجود, بما هو موجود , وكما هو موجود. يقتنع بمعرفة الواقع كما يكون وحيث يكون, ضاراً كان أو نافعاً, وحلواً كان أو مريراً. أما العشق, فلا ينسجم إلا مع الكمال, ولا يلتذّ إلا بالجمال, فاللذة هي الأساس, والابتهاج هو الذروة في معبد العشق. فالثنائية الأسمى تقع بين : ***الوجود/الكمال***.

٧٠ ـــ الوجود/الكمال

إن نظرة شاملة إلى جميع الثنائيات التي بحثناها وعالجنا شؤونها وشجونها لحد الآن , كافلة بإثبات أن ازدواجية : ***الوجود/الكمال*** هي النبع الذي تتدفق منه جميعها, وتنبثق عنه كلها, كأنه أصل شجرة الخلاف بين جميع الكائنات, ومفترق الطرق في تفريع كل التيارات والآراء والطرائق والمذاهب والمسالك.

---

[435] فريدرش نيتشه ـــ ما وراء الخير والشر ـــ ١٠٣

فالواقعيون يقبلون ما هو موجود لأنه موجود, ***والمثـــاليون*** يرفضـــون الخضـــوع أمام ***الواقع*** الموجود, إذا لم يكن متناغماً مع الكمـــال. ويفضلـــون الامتثـــال لعـــالم ***المثال*** الذي يتجسد فيه الكمال والجمال, حتى إذا كـــان بعيـــداً كـــل البعـــد عـــن العالم المحسوس والواقع المعـــاش.

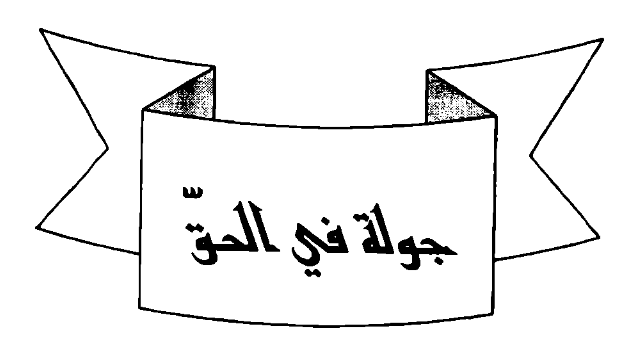
وهكذا, في ثنائية الدنيا والآخرة : حيـــث ***الدنيـــا وجـــود والآخـــرة كمـــال.*** ***العلم*** دراسة الوجود , ***والديـــن*** تحقيـــق الكمـــال. ***الظلمـــة*** مخيمـــة علـــى العـــالم الموجود, ***والنور*** غاية تجسد الكمال المنشود. ***الجبر*** واقـــع يعـــترفون بـــه, ***والاختيـــار*** قيمة ينجذبون نحوها. ***النسبية*** عنوان عام يشـــمل كـــل صغـــير وكبـــير, ***الإطـــلاق*** حقيقة سامية لا سعادة إلا في احتضانها والمثـــول أمامـــها.

تـــأويل :

لكن هذه الازدواجية التي تولّد جميع الثنائيـــات وتحقـــق كـــل الخلافـــات ومنـــه تنبعث كل الفروع وفيه تتجذر كل الشقوق, تســـتهلك بدورهـــا في ذات لا كـــثرة فيها وحقيقة لا تعدد فيـــها.

هو "***الوتر***" الذي منه ينبثق كل "***شفع***". هو ***الأحـــد*** الـــذي يتـــترل منـــه كـــل ***الآحاد*** والكثرات. هو "***الحقّ***" الذي يندمج فيـــه الوجـــود بالكمـــال, ويتحـــد فيـــه ***الظهور بالبطون***, يشتمل على ***الدنيـــا والآخـــرة***, ويتســـع لكـــل مراتـــب ***النـــور والظلمـــات***.

هو ***الحق*** الذي تؤول إليه جميع ***الثنائيات*** , وتستهلك فيـــه ***كـــل الازدواجيـــات***.
هذا هو ***الحق*** الذي نؤمن بحقيقتـــه.


جولة في الحقّ

تمهيد للتشرف إلى حضرة الحق

استمع الآن نداء ربــــك :

((إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقـــــدس طـــوى)) [٤٣٦] .

هنا, في وادي "الحق" المقدس وفي رحاب التوحيد, وانتبــــه كيــف يوحـــي بـــــ "**طي**" الثنائيات و"**خلع**" الكثرات كلـــــها.

وتدبر في الآية الشريفة, لتعرف كيف يمكن طـــــي الخلافـــات :

((يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرســـول وأولى الأمـــر منكـــم فـــإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنـــون بـــالله واليـــوم الآخـــر ذلك خير وأحسن تـــأويلا)). [٤٣٧]

في الآية الشريفة رموز وإشـــارات :

١ ــ طاعة أولى الأمر جعلت شرطا لطاعة الرســـول, وطاعتــه أســاس لطاعـــة الله, مما يلوح بنظام التأويل وجعل الدوائر الصغرى في الدوائـــــر الكـــبرى.

٢ ــ لو كان المقصود بالرجوع إلى الله والرسول ينحصـــــر في مراجعـــة القـــرآن وحده أو الحديث وحده, فهما يتحملان وجوهاً وتفاســـير كثـــيرة تكـــون بدورهـــا مصدر خلافات جديدة, إلا أن الجمع بـــين الله والرســـول في الآيـــة بـــواو الجمـــع, يلمح إلى ضرورة الرجوع إلى الله (بالاستكمال نحوه) من خــــلال الرســـول (مظـــهر الإنسان الكامل) في سلوك فكري عملي, من شـــأنه رفـــع الثنائيـــات والخلافـــات.

---

[٤٣٦] طه ٢٠ / ١٢

[٤٣٧] النساء ٤ / ٥٩

من هنا يمكن استنطاق الآية الشريفة وقراءة "ردّ " الخلافـــات الصغـــيرة (الثنائيـــات التفصيلية) إلى الثنائيات الكـــبرى[٤٣٨].

ولا شك أن ثنائية : ***الله/الرسول (الوجود المطلـــق/الإنســـان الكـــامل***, مظـــهر مشيته المطلقة) أعظم ثنائية في الوجود, وبما أن هذه الثنائية ليســـت ثنائيـــة عرضيـــة, بمعنى كون الإنسان في رتبة الله, بـــل عبـــداً فانيـــا مســـتهلكا في ذات الله, فـــهكذا تتحقق التوحيد في قوس الصعـــود (التطلـــع إلى الأعلـــى) وتدعـــو إلى الاشـــتراك, و تتجلى التكثير في قوس الترول, وتـــبرر وجـــود خلافـــات لا تعـــد ولا تحصـــى في الإنسان والكـــون.

٣ ـــ هذا "***الرد***" يتم بمنهجية (التأويل) المصرح بهـــا في الآيـــة الكريمـــة, أو بمـــا سميته بنظام الدوائر, أو نظام الحجـــب :

نظام ***الدوائر***, التي هي نظام "***الحجب***" في العرفان الإســـلامي يفيـــد أن الدائـــرة الصغيرة في حجابٍ وغفلةٍ عن الدائرة الكبيرة الـــتي تقـــع في قلبـــها. لكـــن الدائـــرة

---

[٤٣٨] يقترب "مارتن هيدغر" نوعا ما إلى هذه الفكرة عندما يقول : "في الفلسفة... يتم الإبقاء على المناقضات, وعند الحاجة نذهب إلى حدّ شحذها, في محاولة للجمع بين ما يتناقض ـــ ومن ثم بين ما لا يقبـــل الوحـــدة والتركيب ـــ داخل وحدة أكثر اتّساعاً, وتسمى هذه الطريقة بالجدل الديالكتيك". مارتن هيدغر/التقنيـــة ـــ الحقيقة ـــ الوجود /٩٢

لكن, إذا كان المقصود "بجعل المتناقضين داخل وحدة أكثر اتساعا" محاولة عقلانية لتفسير الأشياء, فتبقـــى هذه المحاولة مجرد تعمّل ذهني لا يدعمه الواقع, أما إذا كان المقصود به رفع التناقض حقيقة في الدوائر الكـــبرى, ـــ ونحن نرى هذا ـــ فتتوسع دوائر التناقضات واحدة تلو الأخرى ولا تنحلّ إلاّ بالولوج في حقيقة (لا خيال) تمتاز بوحدة حقة حقيقية تستوعب لجميع المختلفات والمتنوعات ((إنه بكل شيء عليم ... إنه بكـــل شـــيء محيط ... إنه على كل شيء قدير ...)) , ((وقل جاء الحق وزهق الباطل , إن الباطل كان زهوقاً)). الإســـراء ٨١

الكبيرة تحتضنها وتعيها مثلمـــا تحتضـــن الأم طفلـــها ((في ظلمـــات ثـــلاث))[٤٣٩], وتحس كل لحظة بوجودها رغم غفلة الطفـــل عنـــها.

جولة في "الحق"

ليس من الأدب في ((*الواد المقدس طوى*)) الإصغـــــاء إلى أحـــاديث الآخريـــن . القول الفصل ومدار الوصل هنا للحق جـــل جلالـــه :

((سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهـــم أنـــه الحـــق أولم يكـــف بربك انه على كل شيء شـــــهيد)). [٤٤٠]

وفيها إشـــارات :

١ ـــ إن في ذكر "***سنريهم***" بصيغـــــة الجمـــع لا الإفـــراد, ثم في تقـــديم الآفـــاق (التي تكون فيها الثنائيات اكـــثر تباينـــا وتزاحمـــاً), والوصـــول إلى الأنفـــس (الـــتي تتوحد الثنائيات فيها وتتمحور حول الأنـــــا والشـــخصية الإنســـانية), ثم الالتفـــات من صيغة الجمع إلى صيغة الإفراد (*أنـــه*) في "الحـــق" : إشـــارات لطيفـــة إلى عـــدم إمكانية حسم الخلافات إلاّ في رحاب الحـــــق.

---

[٤٣٩] الزمر ٦

[٤٤٠] فصلت ٤١ / ٥٣

٢ ـ كما أن في العدول من صيغة المتكلم (("*سنريهم*" الدال على الظهور عند المخاطب)) إلى صيغة الغياب (("*أنه*" الدال على الخفاء والبطون)) إشارة إلى انطواء الوحدة الحقة في كل الكثرات التي تملأ نظام الكون.

٣ ـ الجملة الأخيرة في الآية تفيد أنه قد لا يكون ضرورياً أن يعتني كل الناس بوحدة الحق وظهورها في عمق المختلفات, لأنه هو شاهد على هذا وفي شهادته كفاية لبيان كل الحق.

"الحق": نبرةً ولغةً واصطلاحاً

"*الحق*" من أسماء الله جلّ جلاله. لهذه اللفظة ميزاتها وخصائصها من حيث التركيبة الحرفية والصوتية. منها أن الحاء والقاف كلاهما من الحروف المقطعة في فواتح السور. وكلاهما من الأحرف المستعلية, حيث الطنطنة فخمة والذبذبة مرتفعة متعالية, مما يجسّد ظهوراً قاطعاً لمسمّى هذا الاسم, وحضوراً صارماً في كل مراتب الوجود من ذروته إلى حضيضه. ولا يخفى أثر "الشدّة" في حرف القاف التي تسبب قطع اللفظة للتأكيد على قطعية تحقق الحق, مثلما نلمسه في : ((الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة))[٤٤١], التي تعطي انطباعاً عفوياً عن قطعية القيامة وتحققها.

بالفعل هذه النبرة الخاصة جعلت الاسم مرآة صافية لإظهار صورة مسمّاه، فاقترب الاسم من المسمّى, وتشابه الظهر بالبطن.

رق الزجاج ورقت الخمر　　　فتشابها وتشاكل الأمر

[٤٤١] الحاقة ١-٢

الحق في القرآن

وردت لفظة "*الحق*" بصيغة المعرفة في القرآن ١٠٤ مـــرة ولفظـــة "**حـــق**" نكـــرة أو بصيغة الفعل الماضي ٣٦ مرة، كمـــا وردت "**حقـــت**" ٧ مـــرات، و"**الحاقـــة**" ٣ مرات و "**حقيق**" مرة واحـــدة.

ما وصف بالحق أو اقترن بالحق في القـــرآن:

- الله عز وجل :- ذلك بأن الله هو الحـــق / الحـــج ٦
- القرآن :- وهو الحق مصدقاً لما معـــهم / البقـــرة ٩١
- قول الله :-ويوم يقول كن فيكون قوله الحق ولـــه الملـــك/الأنعـــام٧٣
- وعد الله :- إن وعدك الحـــق / هـــود ٤٥
- يوم القيامة :- ذلك اليوم الحـــق / النبـــأ ٣٩
- الوزن :- والوزن يومئذ الحـــق / الأعـــراف ٨
- الضلالة :-فريقاً هدى وفريقاً حقت عليـــهم الضلالـــة/الأعـــراف٣٠
- العذاب :- وكثير حق عليه العـــذاب/ الحـــج ١٨
- القول (بمعنى العذاب): ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكـــن حـــق القـــول عني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعـــين / الســـجدة ١٣
- الكلمة (بمعنى العذاب): إن الذين حقت عليـــهم كلمـــة ربـــك لا يؤمنـــون /يونـــس ٩٦
- العقاب : إن كل إلا كذب الرسل فحـــق عقـــاب / ص ١٤

- اليقين : فنزل عن حميم وتصلية جحيم إن هـذا لهـو حـق اليقـين/ الواقعـة ٩٥
- تخاصم أهل النار: إن ذلك لحق تخاصم أهـل النـار / ص ٦٤
- القصص : إن هذا لهو القصص الحـق / آل عمـران ٦٢
- الدين : هو الذي أرسل رسوله بالهدى وديـن الحـق/ التوبـة ٣٣

أما الأفعال المقترنة بالحق فـهي :

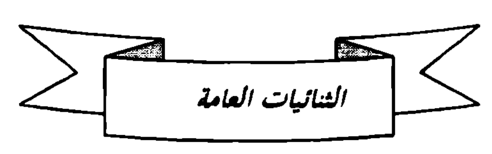
- النزول : ويرى الذين أوتوا العلم الذي انـزل إليـك مـن ربـك هـو الحق/ سـبأ ٦
- الوقوع : فوقع الحق وبطل ما كـانوا يعملـون / الأعـراف ١١٨
- التحقيق : ويريد الله أن يحق الحق بكلماتـه ويقطـع دابـر الكـافرين / الأنفـال ٧
- اللبس والكتمان: ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحـق وأنتـم تعلمـون/ البقـرة ٤٢
- التبين : من بعد ما تبين لهم الحـق / البقـرة ١٠٩
- القصص : يقص الحق وهو خير الفـاصلين / الأنعـام ٥٧
- القول : ذلكم تولكم بأفواهكم والله يقـول الحـق / الأحـزاب ٤
- المجيء : قل جاء الحق وزهـق البـاطل إن البـاطل كـان زهوقـا أ الإسـراء ٨١

- عدم الاستحياء منه: فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كـــان يـؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحـــق / الأحـزاب ٥٣
- التوفي : فيومئذ يوفيهم الله دينهم الحـــق / النـور ٢٥
- الاختلاف فيه : فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيــه مــن الحـــق بإذنــه/ البقـرة ٢١٣
- عدم الإغناء منه: إن الظن لا يغنى من الحق شــيئاً / يونــس ٣٦
- الحصحصة : قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنـــا راودتــه عنــه نفسه / يوســف ٥١
- الإتيان :وآت ذي القربى حقه والمسكين وابــن الســبيل/الإســراء٢٦
- الكره له : بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحـــق كـــارهون/المؤمنـــون ٧٠

ما يقابل الحق ويغـــايره:

- الباطل : قل جاء الحق وزهق البـــاطل ان البـــاطل كـــان زهوقـــا / الإســـراء ٨١
- الأسطورة : وهما يستغيثان الله وتلك آمن إن وعد الله حق فيقـــول مـــا هذا إلاّ أساطير الأولين / الأحقـــاف ١٧
- الظن : إن الظن لا يغني من الحق شـــيئاً / النجـــم ٢٨
- الضلالة : فماذا بعد الحق إلاّ الضـــلال / يونـــس ٣٢

الوصل الأول:



٧١ ــ الوجود/الكمال

٧٢ ــ العلم/العشق

٧٣ــ الظهر/البطن

٧٤ــ الحقيقة/الاعتبار

٧٥ ــ العلة/المعلول

٧٦ ــ الوجود/الماهية

٧٧ــ الوحدة/الكثرة

٧٨ ــ الاسم/المسمى

٧٩ــ الله/الإنسان

٨٠ ــ الإنسان/العالم

٨١ ــ المطلق/النسبي

٧١ ــ الوجود/الكمال

الحق مجمع البحرين في كل الثنائيات, ومن أبرزها ثنائيـــة: ***الوجـــود/الكمـــال***.

إن التدقيق في المعنى اللغوي للحـــق يعطـــي دلالـــة كـــبرى في تشـــابك معـــنى الوجود بالكمال. فللكلمة معنيان متلازمـــــان :

١ ــ *الوجود* : حق الأمر يحقّ : صــــار حقــاً وثبــت. وفي التـــتريل : ((حـــق عليهم القول))[٤٤٢], أي ثبـــت.

تقول حققت الأمر إذا كنت على يقين منه. والحق مـــن أسمـــاء الله عـــز وجـــل. وقيل من صفاته. قال ابن الأثير : هو الموجـــود حقيقـــة. المتحقـــق وجـــوده وإلهيتـــه والحق صدق الحديث وتحقق عنده الخبر أي صح وحقـــق قولـــه أي صدّقـــه.

والحق : اليقين بعد الشك. والحاقة الساعة والقيامـــة سميـــت حاقـــة لأنهـــا تحـــقّ كل إنسان من خير أو شر قال ذلك الزجاج (لسان العـــرب) وجئتـــه مـــن حـــاق الشتاء : أي في وســـطه.

٢ ــ *الوجوب* : "حق الأمر يحق: وجب. و((حقـــت كلمـــة العـــذاب)) : أي وجبت وفي الحديث: أنه أعطى كل ذي حق حقه. وفي الحديـــث : ليلـــة الضيـــف حق فمن أصبح بفنائه ضيف فـــهو عليـــه ديـــن. وأحققتـــه إحقاقـــاً أي أوجبتـــه. و((حقيق عليّ أن لا أقول على الله إلاّ الحق)), ومعناه: واجـــب علـــيّ تـــرك القـــوة على الله إلاّ بـــالحق"[٤٤٣].

---

[٤٤٢] الأحقاف ١٨

[٤٤٣] ابن منظور ــ لسان العرب

ألف : الآيات التي تركز على تحقق الحق وثباته:

- ـــ ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك / الأنعام ٧٣ (وفيها إشارة إلى تحقق الأشياء بقوله النابع من إرادته).
- ـــ فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون / الأعراف ١١٨ (وهي صريحة في وقوع وتحقق الحق).
- ـــ إن وعدك الحق / هود ٤٥.
- ـــ ذلك اليوم الحق / النبأ ٣٩.
- ـــ ليعلموا إن وعد الله حق وإن الساعة لا ريب فيها / الكهف ٢١ (أي لا ريب في تحققها).
- ـــ إن كل الاّ كذّب الرسل فحقّ عقاب / ص ١٤ (أي تحقق عقابي).
- ـــ الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة / الحاقة ١ ـــ ٣

ب ـــ الآيات التي تركز على الحق كقيمة :

- ـــ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون / البقرة ٤٢
- ـــ ولا تقولوا على الله إلاّ الحق / النساء ١٧١
- ـــ قل الله يهدي الحق أ فمن يهدي الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلاّ أن يهدى / يونس ٣٥
- ـــ ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا الحق / المائدة ٨٣

هذه الآية تجعل الحق مصدراً للشعور العاطفي والقيمة الوجدانية.

وكذلك : ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمر فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون / الحديد ١٦.

ج ــ الآيات التي تربط الواقع بالقيمة في كلمة (الحق):

- ــ يقص الحق وهو خير الفاصلين / الأنعام ٥٧ (حيث تؤكد على عدم كون القصص القرآنية أساطير وأوهاما بل هي حقائق تصدر عن خير الفاصلين وهذه قيمة).
- ــ والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون / الأعراف ٨ (حيث لا تعطي للباطل وزنا وهذا ما يمثل واقعية الحق. أما قيمتها وتتمثل بالفلاح في ذيل الآية الشريفة).
- ــ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون / التوبة ٣٣ (حيث ربط الحق الهداية بصفتها قيمة ثم أعربت عن إظهار الرسول على الدين كله بصفته واضحا سيتحقق ولو كره المشركون).

د: الآيات التي تعطي للحق معنى الوجوب الاعتباري والحقوقي:

- ــ وفي أموالهم حق للسائل والمحروم / الذاريات ١٩
- ــ يقتلون النبيين بغير حق / آل عمران ٢٢
- ــ قالوا تالله لقد علمت مالنا في بناتك من حق / هود ٧٩
- ــ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق / الحج ٤٠

- ــ والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحـــروم / المعــارج ٢٤
- ــ حقيق علي أن لا أقول على الله إلا الحق / الأعـــراف ٥ (مـــن خطــاب موسى لفرعــون)
- ــ كلوا من ثمرة إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصـــاده ولا تســرفوا /الأنعــام ٤١
- ــ وآت ذي القربى حقه والمسكين وابن الســبيل / الإســراء ٢٦

اتحاد الوجود بالكمـــال :

إن فلسفتنا الإسلامية تؤمن ***باتحاد الوجود بالكمال***. مدرســـة الحكمــة المتعاليــة تركز على التوحيد الصفاتي. ومن هذا المنطلـــق, تؤمـــن بكـــون صفــات الكمــال صفات ذاتية للوجود. ثم إن مقارنـــة مبــدأ : "الــذاتي لا يعلــل" بــأصل وحــدة الوجود الواجب الذي لا علة له تفيد بأن صفـــات الكمـــال هـــي عـــين الوجــود. ***فالوجود هو الكمال, والكمـــال هـــو الوجـــود***, لا فــرق بينــهما إلا في دائــرة الاعتبــار:

"ذكر صدر المتألهين الشيرازي في كتابـــه الأســفار ماهيـــة الســعادة الحقيقيـــة, فقال : إن الوجود هو الخـــير والســـعادة, والشـــعور بـــالوجود هـــو أيضـــا خـــير وسعادة, لكن الوجودات متفاضلـــة متفاوتـــة بالكمـــال والنقــص. فكلمـــا كـــان الوجود أتم, كان خلوصه عن العدم أكــثر, والســـعادة فيـــه أوفـــر, وكلمـــا كـــان أنقص, كانت مخالطته بالشر والشقاوة أكثر. وأكمــــل الموجــودات وأشــرفها هـــو الحق الأول ويليه المفارقـــات العقليـــة وبعدهـــا النفــوس, وأدون الموجـــودات هـــي الهيولى الأولى والزمان والحركة ثم الصور الجســـمية ثم الطبـــائع ثم النفـــوس"[٤٤٤].

---

[٤٤٤] د. طراد حمادة ــ في ماهية الحب والعشق ــ مجلة العالم ــ ٦ / ١٢ / ٨٦

والوجود كمال, أولا وأخيرا. ثمة خلاف بين الموجودات في استيعابهم للكمال وكل ما له علاقة بالكمال كالعلم والإرادة والحياة والإحساس, إلا أن هذا لا يعني تخصيص هذه القيم ببعض المراتب دون البعض الآخر. الوجود علم وحياة وقدرة وإرادة حتى في أسفل مراتبه حيث الجسم والطبيعة.

توجد محاولات وأبحاث لضخ الذكاء في هيكلية المادة عبر التقنية الحديثة:

"إن المعلوماتية تركز على الذكاء بحيث تتخطى مرحلة تنفيذ الأوامر إلى مرحلة المساهمة في صنعها إن لم يكن صنعها كليا. باختصار لم تتجه الابتكارات إلى السعي لإيجاد حواسيب تفهم وتشعر وتستنتج وتتخذ القرار على صورة الإنسان، أي أنها في طور الانتقال من معاونة الإنسان عبر خدمته إلى معاونته عبر مشاركته في التفكير إن لم يكن التفكير مكانه"[٤٤٥].

لكن الواقع يتجاوز هذا الحد, إذ إن الجسم عندي يمتلك بالفعل كل مواصفات الكمال, ومنها العلم والإرادة والحياة بغض النظر عن أجهزة التقنية الحديثة.

ومع أن الملا صدرا يرفض القول بتحقق العلم في عالم الطبيعة, لكن الحق مع الإمام الخميني (ره) حيث قال : "فكل مراتب الوجود مقام العلم والقدرة والإرادة وغيرها من الأسماء والصفات, بل كل المراتب من أسماء الحق"[٤٤٦].

كيف يعقل اتصاف الجسم بالعلم وسائر أوصاف الكمال؟ أذكر لكم البينة رقم ٤٩ في كتابي "***بينات***" في هذا المجال:

---

[٤٤٥] أحمد زين الدين ــ هواجس وتطلعات ... ــ السفير ــ ٩٨/١٢/٣٠

[٤٤٦] الإمام الخميني ــ مصباح الهداية ــ ٧٧

" *الجسم عالم بنفسه* :

أ ــ العلم الحضوري ليس إلا حضور المعلوم عند العالم[٤٤٧].

ب – الشيء المادي حاضر عند نفسه, وليس خارجا عن ذاته. وأوصافه أيضا حاضرة عند ذاته.

ج – فهو عالم بنفسه وأوصافه ، وكذلك عالم بالوجود المطلق, بمقدار سعته, لحضوره عند الشيء المادي[٤٤٨], وعالم بسائر الأجسام, بمقدار ما يتأثر

---

[٤٤٧] لا ريب أن العلم من الحقائق الوجودية بدليل الفرق بين العالم والجاهل فإنه بديهي حيث أن صفة العلم التي يتمتع بها العالم يفقدها الجاهل، وحقيقته انكشاف المعلوم وحضوره عند العالم.

وقد وقع الخلاف بين الماديين والإلهيين في أن العلم هل هو موجود مادي ناتج عن حركة أعصاب الدماغ، أو انه كائن مجرد خارج عن العالم المادي.

وأهم إيراد على الماديين هو انه لو كان العلم ماديا لزم منه أن يكون الجبل الذي نراه مثلا في الخارج منعكسا بحجمه وأبعاده في المخ وهو مستحيل لاستحالة انطباع الكبير في الصغير.

وما دام العلم مجردا عن المادة فلا بد من اتحاده مع العالم لأن حضور المعلوم عبارة عن وجوده، مما يعني أنه تام في فعليته لا قوة فيه، وهو يقتضي أن يكون العالم تام الفعلية أيضا خاليا من القوة. ــ تعليقات حاتم إسماعيل على : "بينات" للمؤلف

أقول : كون الجسم عاريا عن العلم يساوي خلوه عن الله لأن الله علم مطلق وخلو الجسم عن الله يساوي خلوه عن الوجود المطلق الحاضر في كل زمان ومكان : ((فأينما تولوا فثم وجه الله)) البقرة ١١٥. و(ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه) : الإمام علي (ع) .

والمادية كفر وإلحاد, ليس لتركيزها على الجسم, بل لتفسيرها الجسم بماهيات وحدود سلبية وإرجاع كمالات الجسم (كالعلم) إلى نواقصه (كالتأثر والانفعال المادي) .

[٤٤٨] "الأجسام لما كانت بمنزلة ظلال للوجودات الغيبية من النفوس والعقول ، ولها نحو اتصال بها لقيوميتها إياها ، وتلك الموجودات عالمة بذواتها ومعلومة لها لأن وجوداتها لأنفسها، فللأجسام أيضا من هذه الجهة علم وشعور بقدر اتصالها بها وبحسب وجوداتها : ((إن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم))

بها. وبما أن عملية الأخذ والعطاء قائمة باستمرار بين كل الأجسام والمواد في الطبيعة, فكل جسم يعرف كل الأجسام من خلال هذه التأثرات, وإن كان العلم عند الجسم ضعيفا جدا مقارنة بعلم الإنسان والحيوان"[٤٤٩].

إن فكرة التأكيد على أصالة المقولات الجمالية إلى جانب المقولات العقلية التي تعبر عن حقيقة الوجود, لم تتوقف عند الفلسفة الإسلامية, بل برزت في صميم النظريات الفلسفية الحديثة:

"النظرية الحديثة الكوانتية والنسبية والاحتمالية قد وضعت النظريات القائلة بالمطابقة بين الذهن والعين موضع النقد... وقد أحدثت هذه النظرية المضادة للعقل نقلة علومية جديدة في مجال المعقولية أعادت الاعتبار للامعقول كبعد من أبعاد العقل... وصار للمقولات الإستيتكية كالجميل والسامي والساحر والمقدس والعجيب كأنماط رمزية للروح أهمية موازية لمقولات العقل كالزمان والمكان والكم والكيف إلخ... ولمبادئ (العقل) كمبدأ الهوية ومبدأ عدم التناقض"[٤٥٠].

كما أن الفرويدية تقرن الوعي باللاوعي والعقل باللاعقل والواقع بالرغبة والواقعية باللاواقعية (السوريالية).

(٤٤/١٧) . فتبين أن العلم والشعور إنما يكون بقدر الوجود ". الملا محسن فيض الكاشاني ـــ أصول المعارف ـ٢١.

[٤٤٩] محمد خاقاني (المؤلف) ـــ بينات ـــ ١٨٠

[٤٥٠] جميل قاسم ـــ نقد كتاب (نظرية العقل) لجورج طرابيشي ـــ السفير ـــ ٩٧/٦/٢٧

٧٢ ـــ العلم/العشق

"ما هو العشـــق؟ :

"عشق الشيءِ تعلق القلب فيه, وهو إفراط الحب, ويكـــــون في عفـــاف كمـــا في غيره, وإذا كان الحب في اللغة اسم لصفاء المودة لأن العرب تقــــول لصفـــاء بيـــاض الأسنان ونضارتها حبب الأسنان, فهو في الحياة يقوم على التجربـــــة الحيـــة والمعانـــاة الوجدانية الشخصية المباشرة, لكنه في معناه الميتافيزيقي اندفـــاع نحـــو الخـــير الكلـــي وعشق وانجذاب للمحـــــرك الأول"[٤٥١].

وإذا كان العقل الفلسفي يتعارض ـــ على ما يبـــدو ـــ مـــع العشـــق , إلا أن :

"فلاسفة اليونان كانوا أول من بحث عن حقيقـــة العشـــق وماهيتـــه وأنواعـــه... وغاية الحب عند أفلاطون هي حب الجمال الذي يعــــني عنـــده الخـــير الحقيقـــي... وعند أرسطو يعني الحب العشق الذي يجذب الموجـــودات كلـــها إلى المحـــرك الـــذي لا يتحرك إلى المبدأ الأول. يقول في كتاب الطبيعـــــة : "وتحريكـــه (الموجـــود الأول) إنما يكون عن طريق أنه معشوق ومعقول. فالأشياء المحركة علـــى هـــذه الجبهـــة إنمـــا تحرك من غير أن تتحرك, وفي المبادئ الأولى المعشـــــوق والمعقـــول والمفضـــول هـــم شيء واحد وما هو حسن نشتهيه ونشتاقه لأننا نـــراه حســـنا. والأول نختـــاره لأننـــا نراه حسنا ونشتهيه لأننا نعقله وليس أننا نعقله لأننا نشـــتهيه, وابتـــداء العشـــق إنمـــا هو ما يعقله من العلـــة الأولى"[٤٥٢].

[٤٥١] د. طراد حمادة ـــ في ماهية الحب والعشق ـــ مجلة العالم ـــ ٦ / ١٢ / ٨٦

[٤٥٢] المصدر السابق

و"*الحق*" أساس الوحدة بين الوجود الصرف وبـين العشـق والعاطفـة حسـب القـرآن.

فـ "*الدمع*" الذي هو تعبير صادق عن تدفق العاطفة وهيجـان العشـق, أسـند في الآية التالية إلى "*معرفة*" تنطلق مـن "*الحـق*":

((ترى أعينهم تفيض من *الدمع* مما *عرفوا* مـن *الحـق*)). [٤٥٣]

٧٣ـ الظهر/البطن

١ ـ على صعيد الوجـود :

الوجود هو الظهور, فالوجود المطلق ظهور مطلق, وبه وعلـى ضوئـه يتمظـهر كل وجود مقيـد:

"قال مولانا أبو عبد الله الحسين عليـه الصـلاة والسـلام في دعـاء (عرفـة) : (ألغيرك من الظهور ما ليس لـك ؟). صـدق ولي الله.

وقال الشيخ الكبير محي الدين: "العالم غيب ما ظـهر قـط والحـق ظـاهر مـا غاب قـط..." [٤٥٤]

لكن الظهور المطلق يوجـب البطـون المطلـق, إذ لا ضـد للوجـود المطلـق, والأشياء تعرف بأضدادها. و كل ما يعرفه الإنسان هـو مـا اسـتقرت صورتـه في

---

[٤٥٣] المائدة ٥ / ٨٣

[٤٥٤] الإمام الخميني ـ مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية ـ ٦٥

الذهن, والصورة الذهنية هي الماهية التي تدل على حد الشـــيء, ولا حـد للوجـود المطلق, فلا يستقر في الذهن, وهذا يعني البطـون المطلـق.

"هذه الحقيقة الغيبية لا تنظر نظر لطـف أو قـهر, ولا تتوجـه تـوج رحمـة أو غضب إلى العوالم الغيبيـة، والشـهودية، مـن الروحـانيين القـاطنين في الحضـرة الملكوت والملائكة المقربين الساكنين في عـالم الجـبروت، بـل هـي بذاتهـا، بـلا توسط شيء، لا تنظر إلى الأسماء والصفات ولا تتجلى في صـورة أو مـرآة، غيـب مصون من الظهور، مستور غير مكشـوف عـن وجهـها حجـاب النـور، فـهو الباطن المطلق والغيب الغير المبدأ للمشـتق.

والبطون والغيب اللذان نسبناهما إلى هذه الحقيقة الغيبية ليسـا مقـابلين للظـهور الذي من الصفات في مقام "الوحدانيـة " والحضـرة الجمعيـة، ولا "البـاطن" هـو الذي كان من الأسماء الإلهية الذي هو من أمهات الأسمـاء الحقيقيـة. فـإن البطـون الذي من الأوصاف القدسية و"الباطن" الذي مـن الأسمـاء الربوبيـة، كـل واحـد منها التجلي بذلك المقام، وهما متأخران عن تلك الحضرة. بـل التعبـير بمثـل هـذه الأوصاف والأسماء لضيق المجال في المقال. فالحقيقة التي قلب الأوليـاء عـن التوجـه إليها محروم، كيف يمكن أن يعبر عنها بما كان من مقولة المفهوم ؟ ونعـم مـا قيـل:

ألا إن ثوبا خيط من نسج تسعة — و عشرين حرفا من معاليه قاصر

فاللفظ قاصر، والمتكلم أبكم، والسامع أصـم.

هذه الحقيقة الغيبية غير مربوطة بـالخلق، متباينـة الحقيقـة عنـهم، ولا سـنخية بينها وبينهم أصلا ولا اشتراك أبـدا"[٤٥٥].

---

[٤٥٥] المصدر السابق

وكلمة "**هو**" المشيرة إلى تلك الحقيقة الغيبية تعتبر أشرف من جميع الأسماء الإلهية التي تعبر عن ظهور الكمالات في معرفة الإنسان:

"إنك إذا قلت : هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام, فلفظ "**هو**" بمترلة الذات, وغيره من الأسماء بمترلة الصفات. والذات أشرف من الصفات. فلفظ "هو" أشرف من جميع الأسماء"[456].

في التراوح بين ذلك الظهور وهذا البطون, تتفرق الطرق, وتتشعب المذاهب بين الفلاسفة والمتكلمين والعرفاء:

الرؤية الفلسفية تركز على جانب البطون , وتفتش عن دلائل وبراهين, لإثبات الصانع, للكشف عن المجهول. والرؤية العرفانية , بالعكس منها, تصر على ظهور الله واستيعابه لكل الوجود الذي ليس إلا وجود الواحد القهار:

"اعلم أيها الأخ الأغر أن الحكماء الشامخين والفلاسفة المعظمين لما كان نظرهم إلى الكثرة وحفظ مراتب الوجود من عوالم الغيب والشهود وترتيب الأسباب والمسببات والعوالم الصاعدات والنازلات لاجرم يحق لهم أن يقولوا بصدور العقل المجرد أولا ثم النفس إلى أخيرة مراتب الكثرات ... أما العرفاء الشامخون والأولياء المهاجرون لما كان نظرهم إلى الوحدة وعدم شهود الكثرة لم ينظروا إلى تعنيات العوالم ملكها أو ملكوتها ناسوتها أو جبروتها. ويرون أن تعينات الوجود المطلق المعبر عنها ب (الماهيات) و(العوالم) أية عوالم كانت اعتبار وخيال. لذا قيل العالم عند الأحرار خيال في خيال"[457].[458]

---

[456] صدر المتألهين ــ شرح أصول الكافي ــ كتاب العقل والجهل ــ ٢٦٦

[457] محيي الدين بن عربي ــ فصوص الحكم ــ ١٦٣

[458] الإمام الخميني ــ مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية ــ ٦٥

كون الحق ظهورا مطلقا وبطونا محضا في آن واحد, يفيـــد أن ســلوك الإنســان نحو الكمال المطلق يجب أن يبتدئ بالله الأظــهر مــن كــل شــيء, وينتــهي إلى الله الأخفى من كل شيء, هــذا هــو الصــراط المســتقيم, والســعي والحركــة في أي مسار آخر توزع في السبل وتفرق في الطرق وابتعاد عــن التماســك والتوحيــد.

هذا السعي له بداية ونهاية, له مقدمة ونتيجة, هو استدلال ينقــل الإنســان مــن مرحلة إلى مرحلة, وفي نفس الوقت, هو عرفــان وشــهود لا يعــدل عــن مســار التوحيد الصرف, إذ إن "النهايات هي الرجــوع إلى البدايــات", و((كمــا بدأكــم تعــودون))[٤٥٩].

من الطبيعي أن من لا يتذوق لا يتفهم لهذه الوحــدة, يشــبه برهــان الصديقــين في الوصول من الذات إلى الذات بـــ "دورة منطقية بلا نهايــة تضــاهي لعبــة المرايــا التي تنكسر الأولى في الثانيــة ":

يتعرض "جاك بيرك" لهذا الأمــر في قراءتــه للقــرآن بعنــوان "الحقيقــة تؤكــد نفسها كتوكيد", ويذكر الآيات التي تستشهد بــالحق علــى نفســه، منــها الآيــة ٢٣ من سورة الذاريات : ((فورب الســماء والأرض إنــه لحــق مثــل مــا أنكــم تنطقون)). أو الآية ١٨ من سورة آل عمران : ((شــهد الله أنــه لا إلــه إلا هــو))، أو الآية ٢٥ من سورة النور ((والله هو الحق المبــين))، ويقــول :

"يبدو أن الله يفعل في هذا الســياق بالطريقــة العكســية لليونــاني "ابيمينيــد". فبعد أن وضع هذا الفيلســوف في مقدمــة القيــاس الكــبرى أن جميــع الكريتيــين كذابون، أضاف في المقدمة الصغرى أنه هو نفســه كريــتي. وبالتــالي فقــد مــهد لدورة منطقية بلا نهاية تضاهي لعبة المرايا الــتي تنكســر الأولى في الثانيــة ".

---

[٤٥٩] الأعراف ٢٩

إن نظرته إلى هذه الآيات تبين عدم استيعابه لبرهان الصديقين ــ أي برهان إثبات الواجب بذاته عن طريق ذاته : (يا من دل على ذاته بذاته)، وللقيمة التي يمثلها هذا البرهان في الثقافة الإسلامية، سواء في فلسفة ابن سينا وتقريره الخاص لهذا البرهان أو التفسير العرفاني له.

إن معرفة الله تعالى عن طريق آثاره في مجرى برهان "الإن" (من المسببات إلى السبب) نافع لمن ابتدأ بالسلوك إليه. أما العارف الذي ارتفع عنه حجاب الثنائية بين الله وخلقه، فقد يشبه الكثرات الموجودة في العالم "بلعبة المرايا" التي تتكسر الأولى في الثانية، وينشد:

كل ما في الكون وهم أو خيال　　　أو عكوس في المرايا أو ظلال

لكنه لا يرى في هذه اللعبة الحقيقية أية دورة منطقية بلا نهاية حسب تعبير جاك بيرك"[٤٦٠].

نواصل الحديث في انجرار الظهور نحو البطون من زاوية أخرى:

"إن انكشاف الموجود من حيث هو كذلك هو في ذاته وفي الوقت نفسه اختفاء الموجود في كليته...إن التفكير في الوجود خالصا وبحد ذاته يقتضي منا أن نغض الطرف عن الوجود الذي تم التفكير فيه طويلا ...ويتطلب التخلي عن الوجود كأساس للموجود... بذا لا يعود الكائن يقرأ في عزلته وانغلاقه بل يرى في انفتاحه وعلاقاته ولا تقرأ العين في وحدتها وبساطتها أو في جوهريتها وتواطؤها بل تنحل إلى أعراضها"[٤٦١].

---

[٤٦٠] د. محمد خاقاني (المؤلف) ــ نقد كتاب إعادة القرآن لجاك بيرك ــ المنطلق ــ العدد....

[٤٦١] علي حرب ــ نقد الحقيقة

إذا قصدنا بالظهور "ظهور الشيء لنا" فالوجود العيني يصبح باطنا غائبا عنا, وما يظهر لنا هو رسمه في أذهاننا, ورسم الشيء في أذهاننا ليس هو ذات الشيء وإنما تجل من تجلياته ومظهر من مظاهره, فيصح لنا أن نقول أنه لا مجال لـ "الهوهوية", لأن في قاعدة الهوهوية يقصد بالهو الأول رسم الشيء في الذهن, وبالهو الثاني ذاته في الخارج, ونحن نعرف أن ما يتحقق في الخارج هو "الهو" وليس "الهوهو", ونحن عندما نتجاوز عن الهو في الذهن ونتجاوز عن المبتدأ لا نصل مرة أخرى إلى نفس الشيء, بل إلى تترلاته وتجلياته, وهي أسماؤه: ((قل هو الله أحد)). لكن الثنائية الواقعة بين الوجود العيني والذهني ترتفع عند الكشف والشهود , ويتحد فيه الظاهر بالمظهر كما في نظام المرايا.

إن اتحاد الظهور بالبطون يتجلى في نظام المرايا. فرغم أن المرئي بحد ذاته هو الرائي, لكن انعكاس الصورة (انقلابه يمينا وشمالا) من جهة, وتظاهر الصورة وكأنها بعد المرآة والرائي قبل المرآة يسببان انشغال الرائي عن المرئي الذي هو نفسه.

وفي الكتاب المقدس عند المسيحيين إشارات تفسر علاقة الطبيعة بما وراء الطبيعة وتشبهها بنظام الصور والمرايا:

تناول كاتب الرسالة للعبرانيين العلة وظهوراتها بالمفهوم الفلسفي عندما قال: "ولأن الشريعة ظل الخيرات الآتية، لا جوهر الحقائق ذاتها..."، وقال أيضا : "هؤلاء يخدمون صورة وظلا لما في السماوات. فحين أراد موسى أن ينصب الخيمة أوحى إليه الله قال : انظر واعمل كل شئ على المثال الذي أريتك إياه على الجبل"[٤٦٢].

---

[٤٦٢] (عب ١٠ : ١ ، ٨ : ٥)

هل فهم الرسول بولس أن المرآة لا استقلال لها في تصويـــر صـــورة الرائـــي ممـــا يؤكد على عبوديتها فنراه يقول : "... وما نراه اليوم هو صــــورة باهتـــة في مـــرآة ، وأما في ذلك اليوم فسنرى وجها لوجه. واليـــوم أعـــرف بعـــض المعرفـــة، وأمـــا في ذلك اليوم فستكون معرفتي كاملـــة كمعرفـــة الله لي ".[٤٦٣] [٤٦٤]

ولنظام المرايا ذكر خفي في القرآن, في الآية الشريفة : ((قـــال إنـــه صـــرح ممـــرد من قوارير))[٤٦٥], لكني أرى أن التعبير عن الأشـــياء والكائنـــات بـــ ***"آيـــات الله"*** أدق من كونها "مرايا الحق", لأن المرآة وإن لم تكن مقصـــودة منظـــورة عنـــد مـــن ينظر بها إلى الصورة المرئية, لكن لها وجودا مســـتقلا[٤٦٦], يمكـــن أن يكـــون منظـــورا فيه, بخلاف الآية, فإنها لا شأن لها إلا الإشارة إلى واقعـــها وحقيقتـــها.

ملاحظـــات :

ــ في الآية : ((يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيـــم))[٤٦٧] التفـــات مـــن الغـــائب إلى المتكلم, مما يلوح بإرجاع البطون إلى الظهور, ويشـــير إلى حقيقـــة ســـيميائية في الخطاب القرآني, تتجلى في كسر القـــالب التقليـــدي الـــذي يفصـــل بـــين المتكلـــم والغائب والمخاطب, في ما يتعلق بحقيقة الحق جـــل شـــأنه.

ــ وفي الدعاء : "يا رب الأعلان والأسرار" تركيز علـــى الجمـــع بـــين الظـــهور والبطـــون.

---

[٤٦٣] (١ قور ١٣ : ١٢)

[٤٦٤] تعليقات جمال توفيق على "بينات" للمؤلف

[٤٦٥] النمل ٤٤

[٤٦٦] إلا إذا قصدنا بالمرآة لا الزجاجة التي تعكس الضوء, بل الصورة المرئية المتصورة فيها, لأنها حقيقة هي المرآة أي أداة الرؤية, والمرئي حقيقة ليس هو الصورة المتجلية, بل صاحبها ومصدرها.

[٤٦٧] النمل ٩

٢ ـ على صعيد القــرآن :

إن أحد أبرز مجالات الظهر/البطن, هــو في رحــاب القــرآن, حيــث أن هــذه الثنائية تؤدي إلى نزعتين : الظاهرية/الباطنيــــة :

فالمتمسك بحجية ظواهر الألفاظ, لا يبحــث عــن المعــاني المختبئــة والمضــامين المستورة في كتاب الله, ويرى القرآن كتابــا *"عربيــا"* واضــح الدلالــة في أهدافــه ومقاصده. وإذا كان لا بد من شرح وتوضيح, فهذا لا يعدو *تفســيرا* لبيــان معــاني الألفاظ من خلال مقارنة بعضها بالبعض, مــن منطلــق أن القــرآن يفســر بعضــه بعضــا.

بالعكس من الذي يتبنى البطون, ويرى ظواهر الألفاظ مجرد قشور تحمل في طياها حقائق مختلفة. والقيمة الأساسية لا تكمن في الظاهر, إن على صعيد الوجود, أو في رحاب النص القرآني.

لكن مدرسة "أمر بين أمرين" في نفس الوقت الذي تؤكد على أن السعي في التجاوز عن الظاهر وخرق الحجب للتسلل في أعماق الباطن هو الجوهر الأســاس في حركــة الإنسان الاستكمالية, ولا بد له من متابعة هذا السلوك الذي يتوج بالفنــاء في الــذات الإلهية, لكنها ترفض أبدا هتك قداسة الظاهر الذي يعتبر قشرا من شأنه المحافظة على لب الباطن. فالظهر والبطن وبطن البطن كلها مظاهر لحقيقة واحدة, والنسبة بينها تشكيكية من أعلى عليين إلى أسفل السافلين. والوجود برمته خير ومن أعلاه إلى أســفله كمــال وكله ساحة ظهور الله جل جلاله : ((هو الذي في السماء إله وفي الأرض إله))[٤٦٨]. هذا يفرض علينا تقديس الظاهر والباطن ولو بدرجات مختلفة, ويتنافى مع اعتبار الحق حكــرا لشخص دون آخر:

---

[٤٦٨] الزخرف ٨٤

"لا ينبغي أن يظن أن القراءة الـتي تتوجـه إلى روح النـص وتدعـي النفـاذ إلى عمقه واستخلاص جوهره هي نقيض القراءة الحرفيـة, وإن كـانت تطـرح نفسـها كذلك... فالقراءة الباحثة عن جواهر المعاني هـي كـالقراءة الحرفيـة تبحـث عـن معنى وحيد يحتمله كل منطوق ولا يحتمل غـيره...نعـم إن القـراءة الحرفيـة تـرى بأن اللفظ يدل بظاهره على المعنى المراد...في حـين أن القـراءة المقابلـة تـرى بـأن المعنى الخفي باطن يختبئ في قاع النـص...والقـراءة لا تخـرج مـن مأزقـها إلا إذا توقفنا عن النظر إلى النص بوصفه أحادي المعنى وإلى القـراءة بوصفـها تتطـابق مـع النص".[469]

٣ ـ *على صعيد الإنسان الكـامل :*

في هذا الإطار, تنبعث من ثنائية ***الظهر/البطن*** معادلة : ***النبـوة/الولايـة*** :

"الحقيقة الغيبية المقدسة عن تعينات الأسماء والصفات أرادت أن تخرج مـن كتم العماء, وأحبت أن ترى نفسها في مرائي الأسماء والصفات. فتجلت على الاسم الأعظم الذي يستجمع فيه كل الأسماء والأوصاف, وتمظهرت في الحقيقة المحمدية التي تعم جميع مراتب المخلوقات والظهورات. هذا التقابل بين حضرة الغيب وحضرة الكون الجـامع, أدى بدوره إلى ظهور بقية الأسماء والصفات واحدة تلو أخرى، فبرز الغيب المغيب مـرة في الاسم "***الظاهر***", وتحقق في سلسلة الأنبياء, وأخرى في الاسم "***الباطن***", وتجلـى في سلسلة الأولياء.

هكذا أصبحت ***النبوة*** ساحة لظهور الأشياء, لا في النبوة التشريعية التي من شـأنها إظهار ما في الغيب بسرد الوحي والألفاظ فحسب, بل وأيضا في النبوة التكوينية التي من شأنها إظهار ما في باطن هذا العالم من الحقائق والأسرار. وهكذا أصبحت ***الولاية*** ساحة

---

[469] علي حرب ـ نقد الحقيقة ـ ١٦

لبطون الأشياء. إذ إن لكل شيء ظهرا ولظهره بطنا, مثل القرآن الذي هـــو نســخة صادقة عن كل مراتب الوجود, وبالأحرى كل مراتب الظهور. والنسخة طبق الأصـــل. فأصبح للقرآن ظهر, ولظهره بطن, ولبطنه بطن إلى سبعين بطنا. فـــأصبحت النبــوة في عالمي التكوين والتشريع مجلى الظهور, والولاية موطن البطون. وتسنى لنا أن نقول: "*إن الولاية سر النبوة وباطنها*".

وإذا كان يتحتم على *النبوة* في عالم الناسوت أن تنتشر في آفاق الجغرافيا, وتتوزع في أعماق التاريخ بدء من أبينا آدم عليه السلام , الذي ابتدأ به سير الإنسان في ســـكة الزمان, مرورا بالأنبياء والمرسلين الذين أخذوا بيد البشرية, وساروا بها على درب الهداية خطوة خطوة, ومهدوا الأرواح والأنفس لأعظم حدث ومنعطف في تاريخ الإنســـانية, تمثل في نزول القرآن على قلب خاتم الأنبياء، فكذلك تحتم على *الولاية* أن تنتشر في عالم الناسوت بين فترات التاريخ, بدء من الولاية العلوية, ومرورا بالحجج الطـــاهرة الذيـــن فسروا القرآن وحققوا محكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه ومطلقه ومقيده, وقدمـــوا في سلوكهم وتعاملهم تفسيرا حيا له, وفجروا في القرآن اثنتي عشرة عينا حتى يعلـــم كـــل أناس مشربهم, ويتهيأوا لأعظم حدث يتحقق به القسط الذي نادى به جميــــع الأنبيــــاء والمرسلين.

وإذا كان *محمد* (ص) خاتم الأنبياء, وبه اكتمل الدين في التنظير للشريعة الأسمـــى وبروز مظاهره, وتمت النعمة الإلهية على صعيد النظر والفكر والأيديولوجيـــا, فســميه والملقب بلقبه: *الحجة بن الحسن* (عج) خاتم الأولياء, وبه يكتمـــل الديـــن في تطبيـــق الشريعة الحقة وبروز أسرارها وكنوزها عبر العدالة الإلهية العالمية"[٤٧٠].

---

[٤٧٠] محمد خاقاني (المؤلف) ــ قراءة في علل غيبة الإمام المهدي (عج) ــ مقال مقدم إلى مؤتمر "اليوم الموعود بلبنان

"فدائرة الولاية هي باطن دائرة النبوة. وهي في كامل التماثل مع دائرة النبـوة, لأن النبوة من جانبها ليست غير ظاهر هذه الولاية ... وكما أن دائرة النبوة قد وجـــدت كمالها وتمامها في خاتم الأنبياء، كذلك دائرة الولاية تجد مقامها في خاتم الأولياء".[٤٧١]

٧٤ـ *الحقيقة/الاعتبار*

يقع تحت ثنائية ***الحقيقة/الاعتبار*** أنواع مختلفة مـــن مصاديقــها:

منها : ثنائية ***التكوين/التشـــريع*** :

الوجوب التشريعي نابع من الوجوب التكويـــني : حيـــث أن الله وجـــود مطلـــق فهو واجب مطلق وليس فيه جهة إمكانيـــة فيجـــب عليـــه العـــدل والهـــدى : ((إن علينا للهدى وإن لنا للآخرة والأولى))[٤٧٢]. الآية تجمـــع بـــين الوجـــوب التشـــريعي في الجزء الأول والوجوب التكويني في الجزء الأخـــير. الوجـــوب الاعتبـــاري ينطلـــق من الوجود الحقيقي, والواو بينهما للعطف بين الحقيقـــة والاعتبـــار.

ومما يقع تحت معادلة ***التكويـــن/التشـــريع***: ثنائيـــة ***الحقيقـــي/الإنشـــائي*** الـــتي افترضـــها المحقـــق الخراســـاني في توجيـــه حقيقـــة الأوامـــر الامتحانيـــة والأوامـــر الاعتذارية, فقال إن للطلب فـــرداً حقيقيـــا وفـــردا إنشـــائيا, وكذلـــك لـــلإرادة. فاطلب والإرادة الحقيقيان لله تعالى لا يتخلفـــان في أمـــر الكـــافر بالإيمـــان, والـــذي يتخلف أو يتمرد علي الكافر هو الطلب الإنشـــائي والإرادة الإنشـــائية.

---

[٤٧١] هانري كوربان ــ الشيعة الإثنى عشرية ــ ترجمة د. ذوقانِ قرقوط ــ مكتبة مدبولي ــ القاهرة ص٢٨٧

[٤٧٢] الليل ١٢-١٣

لكن الإمام الخميني(ره) طوى هذا الثنائية بقوله : "لا معنى محصل للإرادة الإنشائية, بل لا معنى للوجود الإنشائي والاعتباري للحقائق المتحققة كأسماء والأرض والإنسان. نعم, يعتبر العقلاء أمورا لا حقيقة لها كالزوجية والملكية وسائر الاعتباريات. فليس للإرادة والطلب فرد حقيقي وفرد إنشائي"[٤٧٣].

ثمة نوع آخر من الحقيقة والإنشاء, وهو في نشأة الوجود اللفظي والكتبي وعالم اللغة والخطاب.وهو يظهر في ثنائية : ***الخبر/الإنشاء***.

ويجدر بالذكر أن معظم الجمل الإنشائية (التي تهدف إلى ما يجب أن يكون وما يجب أو يستحسن أن لا يكون وهي اعتبارات ليست إلا, كانت بالأصل أخبارا (تروي الحقائق), كالدعاء وصيغ العقود. وقد أسهبت البحث عنها في رسالتي في الماجستير بعنوان : "***دراسة في الجمل الخبرية والإنشائية***", حيث درست العلاقات بينهما من زاوية ستة علوم, هي: البلاغة, الفقه, أصول الفقه, الحقوق, المنطق, والفلسفة, يمكن الرجوع إليها[٤٧٤].

الممارسة العقلية في التعاريف المنطقية عرضة لاشتباك الحقائق بالاعتبارات. من المفترض أن تكون حدود الأشياء راسمة لحقائقها, والرسوم مبينة لنسبها واعتباراتها, ولكن:

"الحد لا يحد بل يرسم، والذاتي لا يعرف بذاته بل بعوارضه. وإذا كان الرسم يتألف من العوارض فتأويل ذلك أن الرسوم إنما هي اعتبارات الذات ونسبها وإضافاتها أي اعتبار الشيء لا بحسب ذاته بل نسبة إلى غيره وقياسا على سواه من الأشياء... وحمل العاقل على الإنسان لا يفيد أن الإنسان عاقل

---

[٤٧٣] الإمام الخميني ــ رسالة الطلب والإرادة ــ دار المحجة البيضاء ــ ٦١

[٤٧٤] محمد خاقاني (المؤلف) ــ دراسة في الجمل الخبرية والإنشائية

بذاته بل يفيد أنه عاقل قياسا على الحيوان. فليس العقل مقوما من مقومات الإنسان ... والأحرى أن العقل إمكان إنساني تماما كالجنون. والعقلاء من بني الإنسان ليسوا أكثر من الحمقى ((وأكثرهم لا يعقلون))."[٤٧٥]

ملاحظات:

ــ الآية الشريفة: ((الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق))[٤٧٦] توحي بانتزاع الاعتبار(القيمة الأخلاقية الكامنة في كلمة "حق") عن الحقيقة.

ــ (تحقيق القول) في الآية الكريمة: ((لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين)) [٤٧٧]يعني احتساب القول حقيقة لا اعتبارا, مع أن القول حسب الوضع الأولي وضع للفظ الاعتباري. وهكذا : (تحقيق الكلمة) في الآية: ((يريد الله أن يحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين)),[٤٧٨]و((أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار)).[٤٧٩]

– ثنائية: ***الدنيا/الآخرة*** أيضا توحي بنوع من العلاقة بين الحقيقة والاعتبار, لأن الدنيا هي دار الاعتبارات كالملكية والزوجية والرئاسة والعقود والمقررات الاجتماعية, وهي تزول بزوال الدنيا لتبقى بعدها الملكية الحقيقية المذكورة في الكريمة: ((لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار))[٤٨٠].

---

[٤٧٥] علي حرب ــ نقد الحقيقة ــ ١٢٠

[٤٧٦] الحج ٤٠

[٤٧٧] يس ٧٠

[٤٧٨] الأنفال ٧٠

[٤٧٩] الزمر ١٩

[٤٨٠] غافر ١٦

ـ تندمج (*الكلمة التكوينية*) (*بالكلمة التشـريعية*) في: (إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته))[481]. هو كلمة الله التكوينية, ووهبت له كلمة الله التشريعية عندما تكلم في المهد صبيا: ((قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا))[482].

٧٥ ـ العلة/المعلول

تلتقي مدرسة "*امر بين امرين*" بما نال بشرفه صدر المتألهين (ره) في أواخر عمره, وهو *إرجاع "العلية" إلى "التشأن"* :

"فإذا ثبت تناهي سلسلة الوجودات من العلل والمعلولات إلى حقيقة واحدة, ظهر أن لجميع الموجودات أصلا واحدا, ذاته بذاته فياض للموجودات, وبحقيقته محقق للحقائق, وبسطوع نوره منور للسماوات والأرض. فهو الحقيقة والباقي شؤونه, وهو الذات وغيره أسماؤه ونعوته, وهو والأصل وما سواه أطواره وفروعه : ((كل شيء هالك إلا وجهه, لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار)), وفي الأسماء الإلهية : "يا هو ! يا من لا هو إلا هو !"[483].

وعلى ضوء هذا, تميل منهجية "*امر بين امرين*" إلى طي ثنائية *الواجب/الممكن* : "فلا واجب غيره, ولا ممكن سواه" :

---

[481] النساء ١٧١

[482] مريم ٣٠

[483] صدر المتألهين ـ الشواهد الربوبية ـ ١/٥٠

"وإنما ظهر الممكن من جهة سلب العدمية عن الوجود الإلهي, فهو واجب بالغير, أعني أن كل ما في الإمكان لا بد أن يظهره الحق تعالى في الوجود, فهو في نفس الأمر واجب إلا أنه بغيره لا بنفسه, بل هو واجب بنفسه باعتبار أحدية الجمع, إذ الأعيان الثابتة هي معلومات الذات, والمعلوم مع العلم في الذات , وعلمه تعالى ليس مغايرا لذاته, فليس إلا هو, فإذن *لا واجب غيره, ولا ممكن سواه*, فإن الوجود الواجبي الإلهي قدر شامل لجميع الموجودات والأعيان كلها"[٤٨٤].

٧٦ ـ *الوجود/الماهية*

أصر ابن سينا وأتباعه من المشائين في الفلسفة الإسلامية على ***أصالة الوجود*** واعتبارية الماهية, وأكد السهروردي شيخ الإشراق على ***أصالة الماهية*** واعتبارية الوجود, وافترض الوجود من المعقولات الثانية الفلسفية.

وذهب المحقق الدواني إلى أن الأصالة في الله للوجود, وفي المخلوقات للماهية.

وخالفه صدر المتألهين الشيرازي ـ رحمه الله ـ مؤكدا أن الأصالة للوجود في الله وفي جميع الموجودات.

لكن هذه الثنائية أيضا في ساحة التوحيد. لأن الماهيات التي هي السلوب والنقائص (في ما يسمى بعالم الكون), لا يمكن أن تكون أصيلة. أما الوجود,

---

[٤٨٤] حسن بن حمزة الشيرازي ـ رسالتان في الحكمة المتعالية والفكر الروحي ـ ٦٧

فليس إلا وجود واحد هو الوجود المطلق, بناء على مذهب وحدة الوجود الشخصية التي مال إليها صدر المتألهين في أواخر عمره, وإليها يميل عرفاؤنا العظام. وحيث لا نعترف بوجود غير وجود الحق, ينتفي البحث عن أصالة الوجود أو أصالة الماهية في غير الله. وليس في الدار غيره ديار.

وليست الماهيات سوى ظهورات الوجود الحق, والوجود ظاهر بذاته في ظهوراته, فانظر! كيف تنمحي هذه الثنائية في سطوة الحق جل وعلا الذي هو الظاهر وهو المظهر! :

"الأعيان الثابتة هي معلومات الذات, والمعلوم مع العلم في الذات, وعلمه تعالى ليس مغايرا لذاته, فليس إلا هو, فإذن لا واجب غيره ولا ممكن سواه. فإن الوجود الواجبي الإلهي قدر شامل لجميع أشتات الموجودات والأعيان كلها"[٤٨٥].

٧٧ــ الوحدة/الكثرة

(الله/العالم)

الوجود بحد ذاته وبصرافته وقبل اعتبار أي تقسيم يطرأ عليه حقيقة مطلقة, وإطلاقها تقتضي وحدتها:

---

[٤٨٥] حسن بن حمزة بن محمد الشيرازي (الشرف البلاسي) ــ رسالتان في الحكمة المتعالية

"الوجود المطلق واحـــد[486]".

- فرض الثاني للوجود[487] يستلزم تركـــب كـــل واحـــد منـــهما مـــن جهـــة مشتركة بينهما (هي الاشتراك في الوجود), وجهة أخرى يمتـــاز بهـــا كـــل واحـــد عـــن الآخر[488].

---

[486] إن الشيء لا يخلو من أن يكون إما ماهية أو وجودا ، لأن المراد بالماهية غير الوجود، إذ الماهية من حيـــث هي لا موجودة ولا معدومة فيمكن اتصافها بالوجود ، فيكون الوجود سببا للماهية لفـــرض تقدمـــه عليـــه، ومعلوم أن التقدم والتأخر إنما يكون بالوجود، ولاشيء غير الوجود متقدم عليه، فما كان غير الماهيـــة فـــهو الوجود لا غير ، فصرف حقيقة الوجود أمر بسيط لا تركيب فيه أصلا لفرض خلوه عن الماهية.

ثم أن صرف حقيقة الشيء لا يمكن أن تتقدم أو تتكثر، وفرض صرف حقيقة الوجـــود يعـــني الوجـــود الأتم والأشد فيه ، فلا يمكن فرض الإثنينية فيه، لأن تفاوت الموجودات المحضة إنما يكون بالأتمية والأشدية، فلو فرض وجودان بسيطان فإما أن يتساويا في التمامية والشدة فلا مائز بينهما حينئذ وينقلبان وجودا واحدا وقد فرضـــا اثنين ، وإما أن يكون أحدهما أتم وأشد فيكون علة وسببا للآخر لا محالة لأن كل ناقص معلول محتاج إلى التام. (تعليقات حاتم إسماعيل على بينات للمؤلف)

[487] لأنه قد فرض مطلقا ولا متناهيا ففرض الثاني له يوجب أن يكون كل منهما متناهيا من بعض الجـــــهات ليصبح اعتبار الغيرية بينهما فيقال هذا غير ذاك، وهذا لا يتم إلا بتميز كل المتعددين عن الآخر، والتميز يعـــني أن لا يوجد أحدهما حيث يوجد الآخر وهو معنى المحدودية والتناهي وقد فرض لا متناهيا وهـــو خلـــف. ـــ المصدر السابق

[488] لا يخلو أمر مواجهة الامتياز هذه من أن تكون تمام الحقيقة في أحدهما فتكون جهة الوجـــود المشـــتركة بينهما خارجة عن حقيقة الآخر وهو مستحيل، لأن حقيقة الوجود هي نفس الوجود وليست شيئا آخـــر، أو تكون جزء حقيقته فيلزم التركيب، والتركيب يعني حاجته إلى أجزائه وهو نحو تقييد مع أنه فرض مطلقا وهـــو خلف، كما أن الجزء الآخر إما أن يكون عين الوجود أو غيره، والأول يعني عدم المغايرة لعدم المائز بينـــهما حينئذ، وأما الثاني فلابد أن يكون ذلك الغير هو الماهية وهي بذاتها لا تتصف بالوجود ولا بالعدم ، مما يعـــني تطرق العدم إليه و أحاطته به وهو مستحيل كما تقدم ، بالإضافة إلى أن الوجود أمر بسيط لا يتصور التركيب فيه أصلا ، وتقدم أيضا أن فرض الثاني للوجود البسيط يعني أن أحدهما معلول لا محالة. ـــ المصدر السابق

كذلك يستلزم تحقق عدم يفصل بينهما .

- يستحيل التركب للوجود المطلق[489], كما يستحيل تحقق العدم.

- فلا ثاني للوجود ، كما أنه لا غير للوجود"[490].

والأصالة كلها للوجود, الذي أصر العرفاء في مختلف الأديان والمذاهب بطرقهم الكشفية على وحدته. وأقام بعض الفلاسفة الحكماء من أتباع الطريقة المحمدية (ص) براهين رصينة لإثبات وحدته الشخصية, منهم صائن الدين بن تركة[491], وصدر المتألهين الشيرازي[492]. وهذا يعني أن الماهيات التي هي مثار الكثرة بالذات لا كيان لها, ولا أصالة لها. فهي إذا كانت ليست إلا نسب وإضافات للوجود وشؤونه ومظاهره.

"وإذا لم يكن الحق مع الشاعر حيث قال :

كل ما في الكون وهم أو خيال

لكن الحق يشاطره في الشطر الثاني حيث قال :

أو عكوس في المرايا أو ظلال

فالكثرات عكوس في المرايا, لاحظ لها إلا تمثيل صاحب الصورة. والوجود الحقيقي واحد لا غير. و"ليس في الدار غيره ديار"[493].

---

[489] لما تقدم من أن التركيب يعني حاجة المركب إلى أجزائه ، وكل محتاج معلول لافتقاره إلى سبب يرفع هذه الحاجة ضرورة تقدم الجزء على الكل. ـــ المصدر السابق

[490] محمد خاقاني (المؤلف) ـــ بينات

[491] ابن تركة ـــ تمهيد القواعد

[492] صدر الدين محمد الشيرازي ـــ الشواهد الربوبية

[493] محمد خاقاني (المؤلف) ـــ بينات

العلامة طباطبائي في مسار وحدة الوجود الشخصية يقدم تفسيرا رائعا عن سورة "التكاثر" نعرضه للإفادة:

يقول : "إن تكاثركم (طلب الكثرة ورؤيتها) قد جعلكم في غفلة عن رؤية جمال الحق والوحدة المطلقة, وصرفكم عنها, حتى هويتم في المقابر. كلا ستعلمون قريبا, ثم كلا ستعلمون بأن الأمر ليس كذلك بأن للكثرات حقيقة وحكاية عن الأصالة. فلو علمتم علم اليقين (ووقفتم على حقيقة الأمر), لرأيتم كل كثرة جحيما ونارا. ثم ستعرفون النار بحقيقة اليقين. ثم لتسألن عن النعيم الذي هو الولاية وطريق القرب بين العبد والمولى ولتسألن إلى أي حد خرجتم من حجاب الكثرة, وكم خطوتم في وادي التوحيد"[٤٩٤].

أقول : وحينئذ يمكن أن تكون الآية ((حتى زرتم المقابر)) إشارة إلى زيارة الماهيات والتوغل في الحدود والسلوب. لأن الماهيات هي المقابر التي تحصر حصص الأشياء من الوجود بنوع من الاعتبار.

الاقتراب من الرؤية التوحيدية عن العالم مرت بمراحل مختلفة في الفلسفة الإسلامية, أذكرها باختصار, نقلا عن مقالتي التي قدمتها إلى مؤتمر "العرفان عند الإمام الخميني"[٤٩٥]:

"إن تفسير عالم الوجود ورسم خارطته في الذهن وتحديد معالمه والتنقيب عن أسراره واكتشاف نسبه وعلاقته، مر بمراحل عديدة في مسار الفلسفة والكلام والعرفان. بغض النظر عن الخلافات الجزئية التي لا تعد ولا تحصى بين تيارات الفكر الإسلامي, نكتفي في هذه العجالة بالتركيز على ثلاثة منها :

---

[٤٩٤] العلامة الطهراني ــ الشمس الساطعة.....

[٤٩٥] محمد خاقاني (المؤلف) : "تقويم الطبيعة في عرفان الإمام الخميني وفلسفة صدر المتألهين"

١ــ فلسفة المشــائين :

استقر رأي المشائين التابعين لمذهب أرسطو (ويمثلهم شيخ فلاسفة الإسلام الشــيخ الرئيس ابن سينا) على القواعد التالية :

١ ــ الوجود أصيل والماهية اعتبارية.

٢ ــ الوجود بسيط والتركب في الوجود مستحيل.

٣ ــ الكلي الطبيعي لا يوجد في الخارج.

٤ ــ فالموجودات حقائق بسيطة متباينة بتمام الذات. حتى المعلول مباين ذاتيا عــن الحقيقة التي يتحدر منها. والمشركات تنبثق من الماهية التي لا أصالة لها. لا أمر مقــولا بالتشكيك، لا الوجود ولا الماهية. هذه رؤية تؤصل الكثرات وترفض الوحدة بينهما.

٢ ــ فلسفة الإشــراقيين:

الطائفة الإشراقية المتمثلة بالشيخ شهاب الدين السهروردي "شيخ الإشراق" شــكلت منظومتها المعرفية على الأسس التالية :

١ــ الماهيات أصيلة, والوجود مجرد مفهوم اعتباري, وهو من المعقــولات الثانيــة الفلسفية.

٢ــ الماهيات مقولة بالتشكيك, والماهية لواحدة لها مصــاديق تختلــف في الشــدة والضعف.

٣ــ الكلي الطبيعي موجود بوجود أفراده التي تختلف في الشدة والضعف.

٤ــ فإذن: المعلولات رقائق من حقائق عللها وأسبابها.

هذا الاتجاه حاول تأصيل الاتحاد بين الموجودات عبر مقولة التشكيك وعلاقة *الحقيقة والرقيقة* بين العلة والمعلول. لكنه فشل في تجربته, لإصراره على أصالة الماهيات, إذ الماهيات مثار الكثرة بالذات, وتنتهي إلى أجناس عالية متباينة بتمام ذواها.

٣ ـ فلسفة الحكمة المتعالية:

ظهر صدر المتألهين الشيرازي في القرن الحادي عشر, وبرع في استخلاص ما هو حق في مواقف المذهبين, ومهر في الدمج بين الجوانب الإيجابية منها، فاستقرت منظومته المعرفية على الأركان التالية :

١ـ الوجود أصيل والماهية اعتبارية, كما رأى المشاؤون.

٢ـ الكلي الطبيعي موجود بوجود أفراده, كما رأى الإشراقيون.

٣ـ التشكيك حق خلافا للمشائين, لكنه عارض للوجود ولا الماهية, خلافا للإشراقيين.

٤ـ فإذن : المعلولات في وجودها (لا في ماهياها الاعتبارية) رقائق لحقائق عللها وأسباها.

قد نجح صدر المتألهين نسبيا في تأصيل الوحدة والاشتراك والمسانخة الحقيقية بين الموجودات في عنوان "الوجود *المشكك*". لكنه استدرك في أواخر عمره خللا جسيما في طيات منظومته الفلسفية, وهو أن الاعتقاد بالتشكيك في مراتب الوجود يجعل الكثرة كالوحدة, ويؤصل الخلاف بمقدار الوفاق, فصحح مساره, وقال في آخر ما كتبه (الشواهد الربوبية) بأن الوجود واحد لا تعتريه الكثرة, ولا مراتب كثيرة للوجود, وإنما التشكيك في مظاهر الوجود وليس في مراتب الوجود:

"إن لجميع الموجودات أصلا واحدا , ذاته بذاته فياض للموجودات فهو الحقيقة والباقي شؤونه , وهو الذات وغيره أسماؤه ونعوته, وهو الأصل , وما سواه أطواره

وفروعه ((كل شيء هالك إلا وجهه, لمن الملك اليوم؟ لله الواحـــد القـــهار))[٤٩٦]. وفي الأسماء الإلهية : ((يا هو ! يا من لا هو إلا هو))[٤٩٧]...

إن صدر المتألهين هو أول من أيقن باتحاد العالم بالمعلوم . النفس الإنسانية التي يراهـــا جسمانية الحدوث وروحانية البقاء، في نشآتها المتطورة تتحد بالصور العلمية المتلائمة مع كل مرتبة، وعلى رأسها مرتبة العقل. فهي عندما تدرك مفهوما معقولا تتحد بذلـــك المعقول. وبما أن كل الصور المعقولة مخزونة في العقل الفعال، فالنفس في رأيـــه تتحـــد بالعقل الفعال في حركة تدريجية, وتتوسع حقيقتها تبعا لهذا الاتحاد.

ولكي يفند اعتراض ابن سينا بأن الاتحاد التدريجي بين النفس والعقل الفعال يوجـــب أن يكون العقل الفعال مركبا حتى يتم الاتحاد مع كل جزء في لحظة ما, ويتبعـــه اتحـــاد آخر، يقرر إجابته الرائعة بالتفريق بين الوحدة الإطلاقية والوحدة العددية:

فالعقل الفعال ***واحد بالإطلاق***, فينطوي في طياته جميع المفاهيم المعقولة. لكن هـــذه العقول العرضية رغم انطوائها في العقل الفعال تتميز عن بعضها البعض, لأن كل واحـــد منها ***واحد بالعدد*** مقابل الآخر. ثم كل من هذه الصور المعقولة لها وحدة إطلاقية تغطي جميع مصاديقها كمفهوم الإنسان المشتمل على زيد وعمرو.وهذا لا يمنع من أن يكـــون زيد واحدا بالعدد مقابل عمرو, ومتميز عنه في مشخصاته الفردية رغم شمول الإنســـانية لهما.

هذا التفسير الرائع القائم على التمييز بين الوحدة الإطلاقية والوحدة العددية, يحـــل إشكاليات كبيرة في الرؤية الفلسفية كالربط بين الوحدة والكثرة والثابت والقديم ووحدة الوجود التشكيكية"[٤٩٨] .

---

[٤٩٦] غافر ١٦

[٤٩٧] صدر المتألهين ـــ الشواهد الربوبية ـــ ١ / ٥٠

[٤٩٨] محمد خاقاني (المؤلف) ـــ تقويم الطبيعة في عرفان الإمام الخميني وفلسفة صدر المتألهين

وإذا كانت الوحدة الإطلاقية للعقل الفعال تغطي جميع صور المعقولات, فوحدة الحق الإطلاقية تعم جميع الحقائق وجميع الاعتبارات وتتجلى في الكثرات:

"واختلاف العين عن ذاتها لا يفقدها وحدتها بل هو بالتحديد ما يكسبها هويتها المميزة لها... فالعين واحدة ولكنها (انتماء متبادل مختلف) على قول هيدغر... وهذا القول يستدعي إلي الذهن قول ابن عربي: (بالواحد تجتمع الأشياء وبه تتفرق)".[499]

والوحدة بلا تجلٍ في المظاهر "كنز مخفي" أو "عماء" :

"الهوهو "عماء" كما يحدس ابن عربي, والهوية الصرفة "تشابه فارغ" كما يرى هيدغر...نعم إن العين واحدة كما قال صاحب (فصوص الحكم) لكنها ذات نسب وإضافات وصفات, وتتجلى في صورة مختلفة. كذلك فالعين وحدة وواحدة عند صاحب (الوجود والزمان) ولكنها تنجلي وتظهر في الاختلافات"[500].

وكما يقول "عبد الرحمن الأنصاري في مشارق أنوار القلوب:

"كلي الذات... تناسب ذاته جميع الذوات، فيكون كلها وتكون كله".[501]

و"هل يعني هذا أن ليس هناك حقيقة، أو أن الحقيقة متعددة، ولكل متكلم أو لكل مقال حقيقته ؟ أبداً. إن الحقيقة واحدة لكنها متعددة الأبعاد : مادية وروحية وفنية ورمزية ونفسية واجتماعية ، لأنها ليست إلاّ خطاب الإنسان عن الواقع. ولأنها واحدة ــ متعددة ليس من الممكن الإمساك بها واستيعابها بنظرة واحدة أو أحادية، اللهم إلاّ إذا آمنا بالحدس المباشر والنبوئي.

---

[499] علي حرب ــ نقد الحقيقة ــ ١٢٦ ــ ١٢٧

[500] المصدر السابق

[501] نقلاً عن : المصدر السابق ــ ١٩

ويخطئ من يضع الحقيقة الروحية نقيضاً أو بديلاً للحقيقة العلمية لأنه من يخلط بـين الواقع الروحي والواقع الطبيعي لأنه يفقد عندئذ كل قدرة على الرؤية السليمة والتمييز.

ويخطئ أيضاً من يعتقد أن العقل ينفي التباين والتناقض، لأنه يقلص الواقع الحـيّ إلى واقع ميت مجرد، أي إلى مفهوم، والعقل غير المفهوم. انّ الحقيقـة تسـتوعب الوهـم وتتجاوزه كما أن العقل يستوعب العبث واللامعقول ويدركه"[502].

إرجاع الكثرات إلى الوحدة في نشأة الوجود الذهني والعلم الحصولي:

إن قناعتي بأن الوجود واحد والكثرات شؤونه ومظاهره, لا تبقى في دائرة الوجـود العيني, بل تعم المفاهيم والمعقولات والتصورات والتصديقات المخزونة عندي, وتدفعـني نحو القول بأن في التصورات بديهياً واحداً والباقي شؤونه, وفي التصديقـات بديـهياً واحداً, والباقي مظاهره, وحتى المحالات منها مستحيل واحد , والباقي أذنابه! :

"بل إن إيمان المؤلف بقيمة الكشف عن الحقيقـة للوصـول إليـها, يضـع علـى عاتقه أن يبدأ سلوكه بالاعتماد على أساس متين ورصين, يجده في مـا يسـمى بـأم القضايا أو أبده المعارف البشرية, ولا يعتبره أبـده "البديـهيات", بـل : التصديـق البديهي "الوحيد", الذي لا يطرأ عليـه أي شـك وأي خلـل (فـهو غـني عـن الاستدلال), وهو مبـدأ "*استحالة اجتماع وارتفاع النقيضين*": المشـير إلى الوجود الذي لا يجتمع مع أي عـدم, ولا يشـوبه أي نقـص ، ولا يرتفـع لصـالح أي عدم وأي نقـص .

---

[502] د . برهان غليون ــ اغتيال العقل ــ ٢٥٠

وإنما قلت : "التصديق البديهي الوحيد..", لأن ساير ما يسمّى بالتصديقات البديهية ليست عندي بديهية, بل هي نظرية اكتسابية تكسب البداهة من هذا الأصل, إيماناً مني بأنه لا يوجد أكثر من تصديق بديهي واحد, هو الأصل المذكور أعلاه[٥٠٣]. كما أني أؤمن بأنه لا يوجد أكثر من مستحيل واحد, هو: استحالة التناقض . ثم في رجوع المستحيل الوحيد إلى البديهي الوحيد , وعلاقة هذه الاستحالة بتلك البداهة رموز وأسرار, تتطلب سردها مجالاً آخر"[٥٠٤].

ملاحظات :

ــ ثنائية ***الشفع/الوتر*** من تبعات ثنائية ***الواحد/الكثير***. وما سر تقديم الشفع على الوتر في الآية الكريمة: ((والشفع والوتر))[٥٠٥] ؟

يجيب ابن عربي : "الاثنين هي أول مراتب العدد في الشفع. والثلاثة هي أول مراتب العدد في الوتر[٥٠٦], وإذا كان الواحد هو أصل العدد ولكنه ليس عدداً, فإن الاثنين هي أول مراتب العدد. ولكن الاثنين وحدها لا تنتج أي كثرة, وتبدأ الكثرة الحقيقية مع العدد ثلاثة, الذي هو أول مراتب العدد الوتري.

---

[٥٠٣] قد يقال إن استعمال "بينات" بصيغة الجمع في السورة ٣/٩٧ ((فيه آيات بينات)) يفيد تحقق أكثر من بينة واحدة , أو بديهي واحد. لكني أرى إنها جاءت صفة لـ (آياتَ) التي تعني (الإشارات) , ولا شأن لها إلا الإشارة, مما يعني أن البينة تكسب البيان والوضوح مما تشير إليه, والمشار إليه هو الواحد.ــ بينات

[٥٠٤] محمد خاقاني (المؤلف) ــ بينات

[٥٠٥] الفجر ٣

[٥٠٦] الفتوحات المكية ــ٢ / ٢١٥

والثلاثة هي التي تنتج عنها الكثرة لا في العدد وحده, بل في كل حقائق الوجود"[507].

ــ ويندرج أيضاً في معادلة ***الوحدة/الكثرة*** ثنائية أخرى هي : ***البساطة/التركب***:

"كل صفة سلبية, سواءً كانت سلبيةً مباشرةً (مثل الجهل أو الفقر), أو إيجابيةً مستلزمةً لصفة سلبية (مثل التركب المستلزم للحاجة, أو الامتداد القابل للقسمة, والمستعدّ لانفصال الأجزاء, أو التناهي, أو تبدل الوجود), لا تنسجم مع حقيقة الوجود الإطلاقية"[508].

ــ وتندرج في ها ثنائية : ***العلم الإجمالي/الكشف التفصيلي*** في البحث عن علم الله تعالى بالموجودات. وقد ذهب أعاظم حكمائنا, ومنهم الإمام الخميني إلى أن : "العلم الذي هو عين ذاته تعالى هو كشف تفصيلي في عين البساطة والوحدة, حقيقته حقيقة الوجود الصرف الجامع لكل وجود بنحو الوحدة. والكشف التام المتعلق بتبع كشفه عن الأشياء إنما هو كشف عن الوجود بما هو وجود بالذات, وجهات الشرور والنقائص الراجعة إلى الأعدام , لا يمكن أن يتعلق بذاتها العلم بالذات, لنقص فيها لا في العلم, وإنما يتعلق العلم بها على جهة التبعية وبالعرض, كما أن الإرادة أيضا متعلقة بها كذلك"[509].

---

[507] نقلاً عن نصر حامد أبو زيد ــ فلسفة التأويل ــ ١٧٣

[508] محمد خاقاني (المؤلف) ــ بينات ــ البينة ٢٤

[509] الإمام الخميني ــ رسالة الطلب والإرادة ــ ٥٠

ـ ثنائية : ***النزول/الصعود***, وهكــــذا: ***البــدء/العــود*** ترجعـان إلى معادلــة : ***الوحدة/الكثرة***, إذ إن الكثرة هي تنزل الوحــدة وتكثرهــا, والكــثرات تبــدأ مــن الوحدة وترجع إليــها.

ـ قاعدة : "*بسيط الحقيقة كل الأشياء وليـس بشــيء منــها*", الــتي أسســها أرسطو وشرحها صدر المتألهين الشيرازي وأدى حقها لأول مــرة, هــي مــن أهــم الأسس الفلسفية التي ترفع شائبة التناقض بين الوحدة والكــثرة في حقيقــة الوجــود الإطلاقية. وأضيف إليها أن ***بسيط الحقيقة كل الصفات الكماليــة وليــس بشــيء منـها*** :

"إن الأسماء المذكورة(العليم, القدير, الحــي,...) وردت بصيغــة المشــتق, فلــم أقل إن الوجود المطلق ثبــات أو علــم أو قــدرة, (مــع أن المبالغــة الموجــودة في المصدر الجامد أشد من الصيغة الفاعلية وحتى صيغــة المبالغــة. فالتــأكيد في : زيــد عدول, أشد من زيد عادل, وفي : زيــد عــدل يضــاعف التــأكيد), لأن قولنــا : "القادر" يسمح للذات المتصفة بهذا الاســم أن يتصــف في نفــس الوقــت بســائر الصفات. أما "القدرة" ـ بصيغة الجامد ـ فهي تغاير صفة العلــم والحيــاة وســائر الصفات. وإذا كان "أرسطو" قال : "***بسيط الحقيقة كل الأشــياء, وليــس بشــيء منها***" , فإني أرى أن : "***بسيط الحقيقة كــل الصفــات الكماليــة وليــس بشــيء منها***" . لأن صفات الحقيقية البسيطة تتوسط بينها وبين الأشياء. وقــد يشــير الإمــام علي (ع) إلى هذا , في قوله : " كمال توحيده نفي الصفــات عنــه, لشــهادة كــل موصوف على أنه غير الصفة, وشهادة كل صفة على أنهــا غــير الموصــوف"[٥١٠].

[٥١٠] محمد خاقاني (المؤلف) ـ بينات

ـــ الكثرة المحضة (غير المتناهية) هي الحصيلة الطبيعيـــة للوحـــدة المحضـــة, كمـــا أن شدة الظهور تسبّب شدة الخفاء والبطـــون.

ـــ قول الإمام جعفر الصادق (ع) : "*إن لنا مـــع الله حـــالات نحـــن فيـــها هـــو وهو فيها نحن إلاّ أنه هو هو ونحن نحن*" هـــو مـــن ألطـــف الأقـــوال الجامعـــة بـــين مقامي الوحدة والكـــثرة.

ـــ قال الله تعالى : ((لقد كفر الذيـــن قـــالوا أن الله ثـــالث ثلاثـــة))[٥١١]. وقـــال صدر المتألهين : "لو قالوا : إن الله ثالث اثنين, لمـــا كفـــروا".

لا شك في شمول الله لجميع الأشياء : ((ما يكـــون مـــن نجـــوى ثلاثـــة إلاّ هـــو رابعهم ولا خمســـه إلاّ هـــو سادســـهم ولا أدنى مـــن ذلـــك ولا أكـــثر إلا هـــو معهم))[٥١٢], إلا أن جعل الله ثالث ثلاثـــة تقضـــي كـــون الوحـــدة الإلهيـــة وحـــدة عددية إلى جانب سائر الآحاد, بدل الوحـــدة الإطلاقيـــة.

ـــ بعض فواتح السور القرآنية ليست إلاّ حرفـــاً واحـــداً مثـــل (ن) و(ق)، وقـــد ترمز إلى البساطة المحضة، لكن البعض الآخر مركـــب أمـــا مـــن حرفـــين (طـــه ـــ يس) أو أكثر (ألم ـــ المـــر ـــ كـــهيعص) للإشـــارة إلى تجلـــي الكـــثرات وبـــروز المركبـات.

---

[٥١١] المائدة ـــ ٧٣

[٥١٢] المجادلة ٧

إن لله عز وجل أسماء شرّف الإنسان بتعليمه إياها : ((وعلّم آدم الأسماء كلها)).[٥١٣]

في إطلاق "الأسماء" بصيغة المعرفة تصريح بكون جميعها معروفة معلومة عند الإنسان, مجبولة في فطرته الإلهية أي شخص كان, ولو لم يكن مؤمناً بالله, وذلك لامتزاج الفطرة الإنسانية بها لأنها فطرة الله. وقد يكون أقرب إلى الصواب أن نؤمن بحصر الفطرة الإنسانية بها لما في مصطلح الامتزاج من شائبة شرك وثنائية.

هذه "الأسماء الحسنى" تارة تسمى بالقيم الإلهية التي تتبناها شرايع السماء, وأخرى بالقيم الإسلامية التي تبلورت في الشريعة الحقة المحمدية، وأنا لا أرتاب في تسميتها "بالقيم الإنسانية"، لقناعتي بعدم امتزاج فطرة الإنسان من "القيم الإلهية وغير الإلهية" وعدم تركبها من "القيم واللاقيم", ولقناعتي بأن القيم الإنسانية هي أسماء الله "التي ملأت أركان كل شيء",[٥١٤] وهي نور وجه ربنا الذي أشرقت به السماوات والأرض.

فالعالم من أعلى درجات جبروته إلى أسفل دركات ناسوته حقيقية واحدة صدرت بإرادته الواحدة الأزلية الأبدية, وما من صغيرة ولا كبيرة في سماواته السبع وفي الأرضين السبع (والتي هي متناهية في الطول غير متناهية في العرض),

---

[٥١٣] البقرة ٣١

[٥١٤] دعاء كميل

إلا و يُظهر واحداً أو أكثر من أسمائه الحسنى ويضمر فيه سائر الأسماء كلها. بل الأجدر في رأي العارف المتأله أن كل شيء هو اسم الله (لا أنه يظهر اسم الله).

والأسماء كثيرة, بل أنها مطلقة غير متناهية, لأنها تتترّل من ذات مطلقة غير متناهية, إذ : ((كل يعمل على شاكلته))[515]. وهي مظاهر رحمانيته المطلقة : ((وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها))[516]. وهي كلماته التي لا نفاد لها ((ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله))[517].

إلا أنها ليست متساوية في الشرف والقيمة. وهي أشعة ساطعة من النور المطلق الذي هو حضرة الغيب المطلق, و((الله نور السموات والأرض))[518]. فهي ((نور على نور))[519]. والنور الذي يتجلى من المشكاة أقل نورانية وأضعف حرارة من تلك التي تبرز في الزجاجة أو المصباح.

وبالتفاضل في هذه الأسماء, تتميز عوالم المجردات وحقائق الكون وتختلف الأشياء قيمة.وشرفاً تبعاً للقيمة التي يمثلها كل واحد منها.

قد يكون دعاء السحر الشريف خير ما يمثل الافتراق والاشتراك وبكل ما له حظ من الوجود في مدى تجسيد كل من الأسماء الإلهية, إذ إن كل فقرة من فقرات هذا الدعاء الشريف تشمل ثلاث عبارات، تركز الأولى على الاختلاف والتفاضل بين الأشياء والاستعانة بالأبهى والأنفذ والأقوم دون غيرها (اللهم أني

---

[515] الإسراء ٨٤

[516] إبراهيم ٣٤

[517] لقمان ٢٧

[518] النور ٣٥

[519] النور ٣٥

أسألك من بهائك بأبهاه) وسرعان ما تستدرك العبارة الثانية أنّ الاستعانة بالأبهى دون البهيّ لا تنوي تخصيص الأسماء الإلهية بالمدارج العليا دون المراتب السفلى، إذ تقول (وكل بهائك بهيّ).

فالجملة الأولى نابعة من النظرة التكثيرية بتفضيل البعض عن البعض الآخر عبر صيغ التفضيل المستعملة في فقرات الدعاء، أما الجملة الثانية فتنجم عن نظرة توحيدية تنظر إلى حضرة الوجود كحقيقة واحدة بوحدة حقيقية لا تخضع للتفضيل والتمييز.

يصطلح العارف الفاني في ذات الله الإمام الخميني (قده) النظرة الأولى بالنظرة اليسرى التي تجسد الكثرات (الظلمات لا الظلمة), والنظرة الثانية بالنظرة باليمنى التي تجسّد الوحدة (النور لا الأنوار). ويطالب بالنظر إلى العينين اليسرى واليمنى, كيلا لا يغفل الحكيم المكثّر عن حقيقة الوحدة, ولا يفوت من السالك الموحد تظاهر الكثرات. وهذا سرّ الحاجة إلى عينين اثنتين في التطلع إلى الأشياء المادية لمعرفة أحجامها وأبعادها وفواصلها.

وهذا سر انتهاء دور الشريعة الموسوية التي مالت إلى الدنيا في طقوسها وسلوكها لغلبة سلطان الكثرة عليها, وسرّ نسخ الشريعة العيسوية التي انعطفت إلى الآخرة في زهدها ورهبانيتها لغلبة سلطان الوحدة عليها، حيث نسخت بشريعة محمدية جمعت بين النظرتين اليسرى واليمنى والجمع بين الكثرة والوحدة.

ويجب الانتباه إلى أن تقديم التكثير (في الجملة الأولى) على التوحيد (في الجملة الثانية) ليس لتفضيل التكثير على التوحيد بل الأمر على العكس وإنما هو انطلاق من عالم الناسوت والكثرات والتقرب إلى عالم الجبروت والوحدة, كما نشاهد كيف يلفت القرآن نظر العربي الجاهلي إلى إبله الذي يعيش معه في

حياته اليومية, ثم يستدرجه إلى أعماق السماوات عندمـــا يقــول: ((أفــلا ينظــرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت))[٥٢٠]. والإنســـان المتحضــر أيضــاً مخاطب بهذه الآية مثل ذلك البدوي الجاهلي, وإن بشـــكل آخــر.

وربما هو سرّ الترتيب في الآية الشريفة ((وجعل الظلمـــات والنــور))[٥٢١].

ولكن ما هو سرّ الجملة الثالثة: (اللهم إني أسألك ببـــهائك كلــه) ؟!

نرى أن النظرة التوحيدية التي تجلت في الجملــة الثانيــة وقعــت بعــرض الرؤيــة التكثيرية المتمثلة بالجملة الأولى. فـــالخطوة الثانيــة مــن شــأنها أن ترســخ فكــرة التوحيد إلى جانب التكثير وتجسد النـــور إلى جــانب الظلمــات وفي عرضــها, وإذا بك تقف على عتبة المرحلة الثالثــة لتحلــق بــك في أجــواء تتجــاوز كــل هــذه التعارضات والتقابلات, وتفتح أمـــام عيــني قلبــك سمــاءً لا تختلــف عــن الأرض وأرضاً لا تبتعد عن السماء, وتكشف النقاب عـــن وحــدة لا تعــارض الكــثرة ولا تقع في عرضها بل تحتضنها وتتوحد بهـــا.

السالك المبتدئ في المرحلة الأولى ليس عليه إلاّ تمييز الحق عـــن البــاطل والثمــين عن الغث والماء عن الزبد. ويفرق بين الأسمــاء و لا يتوســل إلا بالأسمــاء الحســنى: ((ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها))[٥٢٢]. (اللـــهم إني أســألك مــن بهــائك بأبهــاه). هذه الأسماء من شأنها أن تكون فوقه مرتبة حـــتى تكــون وســائط بينــه وبــين الله, وبها تتم الشفاعة والتوسل, ولا أحد بـــين مرتبــة الإنســـان وبــين الله إلاّ الإنســـان الكامل والأنوار القدسية وشـــجرة العصمـــة والطــهارة. والتوســل بغــيرهم كفــر وشرك لأنه توسل واستشفاع بمـــا هــو دون الإنســان رتبــة, كــالذين يقولــون

---

[٥٢٠] الغاشية ١٧-١٨

[٥٢١] الأنعام ١

[٥٢٢] الأعراف ١٨٠

((هؤلاء شفعاؤنا عنـــد الله مـــا نعبدهـــم إلا ليقربونـــا إلى الله زلفـــى))[٥٢٣]. وهـــل يصلح الشجر والحجـــر والصنـــم والشـــمس والقمـــر وغيرهـــا الـــتي ســـخّرها الله للإنسان أن تكون واسطة تدفع بـــه نحـــو الكمـــال الأفضـــل ؟ أم أنها تســـقطه في صميم النار ؟ وتجلب له الخزي والعـــار ؟ !

لكن العارف الواصل الذي يواصل سيره في آفاق المرحلة الثانيـــة (وكـــل بهـــائك بهي) ويتجذر فيه التوحيد شيئاً فشيئاً عندمـــا يتجـــاوز مرحلـــة التوحيـــد الواقـــع في عرض التكثير, ويتشرف بالدخول إلى أعتاب المرحلـــة الثالثـــة يحـــق لـــه أن يتوســـل بحضرة الوجود برمته ويقول (اللهم إني أسألك ببـــهائك كلـــه).

ولك أن تسأل أن الجملة الثالثة تتعارض مع الآية الشـــريفة الـــتي تحـــدد التوســـل بالأسماء الحسنى (دون سائر الأسماء) : ((ولله الأسمـــاء الحســـنى فـــادعوه بهـــا))[٥٢٤], وهذا يستلزم التمييز والتكثـــير.

والجواب بما مرّ : من أن توحيد المرحلة الثالثة يحتضـــن جميـــع مظـــاهر التكثـــير, ولا يسقط عن التوحيد. تدبّر في ما يذكـــره الله تعـــالى في صفـــة نفســـه في قولـــه ((الله نور السموات والأرض))[٥٢٥], لتجد أن مظـــاهر الوجـــود كافـــة تســـتهلك في وحدانية نوره تعالى, كما أن ضوء الشمس له صبغة واحـــدة تنطـــوي في طيّاتهـــا أو في تترلاتها أنواع من الألوان لا تعدّ ولا تحصـــى.

وهكذا تحصر الآية الشريفة السؤال بالأسمـــاء الحســـنى, وهـــم شـــجرة النبـــوة و الولاية وعلى رأسهم الخلافة المحمدية (ص) والولايـــة العلويـــة.

---

[٥٢٣] الزمر ٣

[٥٢٤] الأعراف ١٨٠

[٥٢٥] النور ٣٥

ولكن بعد أن عرفت أن حقيقة الإنسان الكـــامل ليســت منحصــرة في زمـــان دون زمان, ولا في مكان دون مكان, بل هي حقيقـــــة ســارية جاريـــة في مراتـــب الوجود من البدو إلى الختـــم, وبعــد أن عرفــت أن نســبة الإنســان الكــامل إلى السماوات والأرضين نسبة الروح إلى الجســـد, و(لــولاك لمــا خلقــت الأفــلاك)، حينئذ يزول عنك شبهة التعارض فتقول (اللهم إني أســألك ببـــهائك كلـــه).

هذه كانت الإطلالة الأولى في التوحيد بين الواقـــع (مراتـــب الكـــون والطبيعـــة) والمثال (الإنسان الكامل). فابق معي إن كنت مـــن أصحـــاب الطريـــق, لندعـــو الله باسمه (الحق), ونتوسل بشرف هذا الاسم المبارك, عســـى أن نتحقّـق عـبر نـــافذة (الحق) من ***مثالية الواقع وواقعية المثال*** في هــــذا التحقيـــق.

وفي قائمة الأسماء الحسنى يتصدر ***الاسم الأعظم***. "مـــا معـــنى الاســـم الأعظـــم؟ شا ع بين الناس أنه اسم لفظـــي مـــن أسمـــاء الله ســبحانه وتعـــالى إذا دعـــي بـــه استجيب, ولا يشذّ من أثره شيء. غير أنهم لمّا لم يجـــدوا هـــذه الخاصـــة في شـــيء من الأسماء الحسنى المعروفة ولا في لفظة الجلالة, اعتقدوا أنـــه مؤلـــف مـــن حـــروف مجهولة تأليفاً مجهولاً لنا, لو عثرنا عليه أخضعنا لإرادتنـــا كـــل شـــيء... والبحـــث الحقيقي عن العلة والمعلول وخواصها يدفع ذلك كله. فـــإن التأثـــير الحقيقـــي يـــدور مدار وجود الأشياء في قوته وضعفه والمسانخة بين المؤثر والمتـــأثر، والاســـم اللفظـــي إذا اعتبر من جهة خصوص لفظة كـــان مجموعـــة أصـــوات مســـموعة هـــي مـــن الكيفيات العرضية، وإذا اعتبر من جهة معناه المتصور كـــان صـــورة ذهنيـــة لا أثـــر لها من حيث نفسها في شيء البتة، ومن المستحيل أن يكون صـــوت أوجدنـــاه مـــن طريق الحنجرة أو صورة خيالية نصورها في ذهننـــا بحيـــث يقـــهر بوجـــوده وجـــود كلّ شيء، ويتصرف فيما نريده على مـــا نريـــده فيقلـــب الســـماء أرضـــاً والأرض سماءً ويحول الدنيا إلى الآخرة وبالعكس وهكذا، وهو في نفســـه معلـــول لإرادتنـــا.

والأسماء الإلهية واسمه الأعظم خاصة, وإن كـــانت مؤثــرة في الكـــون ووســـائط وأسباباً لنزول الفيض من الذات المتعالية في هذا العالم المشـــهود, لكنـــها إنمـــا تؤثـــر بحقائقها لا بالألفاظ الدالة في لغة كذا عليها، ولا بمعانيـــها المفهومـــة مـــن ألفاظـــها المتصورة في الأذهان. ومعنى ذلك أن الله سبحانه هو الفـــاعل الموجـــد لكـــل شـــيء بما له من الصفة الكريمة المناسبة له التي يحويها الاســـم المناســـب، لا تأثـــير اللفـــظ أو صورة مفهومة في الذهن أو حقيقة أخرى غير الـــذات المتعاليـــة.

بالرجوع إلى علاقة الاسم بالمسمى, نرى أن الآيـــات الـــتي تعلـــق التســـبيح إلى أسماء الله نحو: ((سبح اسم ربك الأعلى))[٥٢٦], يبدو وكأنهـــا مرحليـــة تـــؤدي أخـــيراً إلى تسبيح المسمى مباشرة: ((وسبحوه بكـــرة وأصيـــلاً))[٥٢٧], فـــترجع الأسمـــاء إلى مسماها وأصلها ومصدرهـــا.

هذه هي حقائق الأسماء التي لها السلطان ولها الأصالـــة. أمـــا الأسمـــاء الاعتباريـــة التي لا تستهلك في المسمى ولا تتمحض فيـــه: ((إن هـــي أسمـــاء سميتموهـــا أنتـــم وآباؤكم, ما أنزل الله بها من ســـلطان))[٥٢٨].

وعندما نعتـــبر الأسمـــاء مظـــاهر تتوحـــد في المســـمى, نركّـــز علـــى التشـــابه والاشـــتراك:

"اعرف حقائق الأمور بالتشابه. فإن الحـــق واحـــد, ولا يســـتفزنك الأسمـــاء وإن اختلفـــت"[٥٢٩].

---

[٥٢٦] الأعلى ١

[٥٢٧] الأحزاب ٤٢

[٥٢٨] النجم ٢٣

[٥٢٩] أبو حيان توحيدي ـــ المقابسات ـــ المقابسة ٢٦

٧٩ــ الله/الإنسان

كيف نتصور علاقة الإنسان بالله في منهجية "*أمر بــــين أمريــــن*"؟ :

"حقيقة ذات النفس الإنسانية قائمة بذاتها ليست بعـــــرض ولا جســـم, ولا هـــي متحيزة, ولا تحل المكان والجهة, ولا هـــي متصلـــة بـــالبدن ولا منفصلـــة عنـــه, ولا هي داخلة في أجسام العالم والبدن, ولا خارجة عنـــه. وهـــذه كلـــها صفـــات ذات الله تعالى وتقـــدس, ولا توجـــب المثليـــة, لأن الاشـــتراك في الســـلوب لا يوجـــب الاشتراك في الماهية, لأن كل مـــاهيتين مختلفتـــين بســـيطتين لا بـــد وأن يشـــتركا في سلب كل ما عداهما عنهما. وأما الصفات فقد خلقـــت فيـــه عالمـــة مريـــدة قـــادرة سميعة بصيرة متكلمة, والله تعالى كذلـــــك"[٥٣٠].

هذا في ما يتعلق بعالم الصفات. أما الأفعال فهي تابعـــــة للصفـــات :

"إن تصرفنا في عالمنا أعني أبداننا يشبه تصرف الحـــق تعـــالى في العـــالم الأكـــبر, وهي مثلـــه"[٥٣١].

و علاقة الإنسان بربه تتراوح بين *التشـــبيه والتتريـــه*:

"يقوم تصور الإنسان عند ابن عربي علـــى بعديـــن متعـــارضين، أو لنقـــل يقـــوم على ثنائية يمكن التعبير عنها بطرق مختلفة. فهو من حيـــــث حقيقتـــه وباطنـــه علـــى الصورة الإلهية وتابع لحقائق الأسماء الإلهية التي توجهت علــــى إيجـــاد العـــالم. وهـــو من هذه الزاوية خليفة لله ومثيل له وموجود أول وإنسان كامل. وهـــــو مـــن حيـــث

---

[٥٣٠] حسن بن حمزة بن محمد الشيرازي (الشرف البلاسي) ــ رسالتان في الحكمة المتعالية ــ ٥٨

[٥٣١] المصدر السابق ــ ٥٩

طبيعته الجسيمة العنصرية على صورة الكون وطابع لحقائقه, وهو من هذه الزاوية مخالف لله وند له وإنسان حيوان... وإذا شئنا أن نضع الموازاة في شكل معادلة رياضية فلا بد أن تكون على الصورة التالية:

الله // الإنسان // العالم

بمعنى أن الإنسان لابد أن يتوسط طرفي المعادلة لأنه يعدّ "برزخاً جامعاً للطرفين"[٥٣٢]. "فالعالم بالإنسان على صورة الحق والإنسان ـ دون العالم ـ على صورة الحق. والعالم ـ دون الإنسان ـ ليس على الكمال في صورة الحق"[٥٣٣] "[٥٣٤].

فالإنسان أقرب إلى الله من العالم, هذا ما يؤيده "الكتاب المقدس"أيضاً:

قال الرسول بولس: " ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله"[٥٣٥].

وهل العلاقة بين هذين البعدين المتعارضين تقوم دائماً على مثل هذا التنافر ؟ كلا. هكذا يجيب الأب الدكتور مونس:

"فليس العالم بكل مراتبه إلاّ مجالي ومظاهر لحقائق الألوهية. وهذه الحقائق توجد متفرقة في العالم ولكنها تجد مجلاها الأكمل الجمعي في الإنسان... فجمع

---

[٥٣٢] محيي الدين بن عربي ـ عقلة المستوفز ـ ٤٢

[٥٣٣] محيي الدين بن عربي ـ الفتوحات المكية ـ ٣٤٣/٣

[٥٣٤] نصر حامد أبو زيد ـ فلسفة التأويل ـ ١٦١ ـ١٥٣

[٥٣٥] " (رو ٨ : ٣٩)

الإنسان بين حقائق الألوهة وحقائق الكون, وهنا يزول التعارض. لأن الكون نفسه ليس إلاّ ظهور الأسماء الإلهية من حالة البطون".

ثم يذهب الأب مونس في التقريب بين الإنسان وبين الله إلى أبعد من هذا, لدرجةٍ يبرر عملية تأليه الإنسان أو أنسنة الله! :

"العصرنة الحقيقية هي تأليه الإنسان، هي أنسنة الله في المجتمعات."[٥٣٦]

"لا مناص من أنسنة الوحي الإلهي على يد الإنسان لأن هذا الأخير يدرك الله على صورته ومثاله وبحسب ما يوحي به مخياله. هذا على مستوى أول ثم يلي ذلك مستوى آخر أخص يتم فيه تأميم الله بحسب الأقوام... كما جرى مثلاً تهويده على يد العبرانيين أو أغرقته مع اليونان أو تعريبه في لغة العرب. ولا نستكرن ذلك, إذ الحق كما يراه أهل العرفان يظهر في كل شيء بمقدار قابلية هذا الشيء أي بمقتضى طبيعته وماهيته... وهذا يصح على البشر أنفسهم. من هنا أنسنة الله على يد الإنسان."[٥٣٧]

للتعليق على هذا الموقف, أكتفي بالقول بأن افتراض أن يكون فهم الإنسان عن الله فهماً بشرياً متناسباً مع سعة إدراك الشخص أمر مقبول, يؤيده الحديث المروي من الإمام جعفر الصادق (ع) : "لعل النملة ترى أن لله زبانيتين"[٥٣٨]. كذلك نقبل تصور الإنسان عن الله يتنزل على قلب البشر حسب سعته. قال تعالى : ((أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها))[٥٣٩].

---

[٥٣٦] الأب الدكتور مونس ــ ندوة الدير والعصرنة ــ السفير ــ ٩٨/٥/٢٢

[٥٣٧] منى دياب ــ كوجيتو ديكارت متجدد صوفي موحّد ــ السفير ــ ٩٦/٥/٣١

[٥٣٨] الإمام الخميني ــ مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية

[٥٣٩] الرعد ١٧

لكننا نتحفظ عن عبارة أنسنة الله, لأننا أمرنا أن نجعل كل وصف نصف به الله وتستشم منه رائحة التشبيه مقروناً بتتريهه عن كل ما يحيط به عقل البشر: ((سبحان الله عما يصفون))[540].

٨٠ ـ الإنسان/العالم

نجد في العرفان الإسلامي تماثلاً شبه تام بين الإنسان والعالم:

"(في رأي ابن عربي), العالم إنسان كبير والإنسان علم صغير. العالم إنسان متفوق الأجزاء, والإنسان عالم مجتمع الأجزاء. وإذا كان العالم والإنسان كلاهما يمثلان ظهور الألوهة في جمعيتها كما تتجلى في الاسم (الله)"[541]

وهل أن كون الإنسان عالماً "صغيراً" يحط من شأنه مقابل العالم الذي هو الإنسان "الكبير"؟ لا أتصور. لأن عالماً أكبر من العالم الكبير يكون مطوياً في طيات هذا الإنسان الصغير :

أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر؟

"إذا كان الكون يحيط بالإنسان, فإن في داخل الإنسان أعمق وأعظم من الكون...

[540] الصافات ١٥٩

[541] نصر حامد أبو زيد ـ فلسفة التأويل ـ ١٥٩

وإذا كان في الكون شمس وقمر ونجوم, فإن في العقل الإنساني أفكار تلمع وتبهر. وإذا كان في الأكوان قوانين دقيقة فإن العقل أدق وأروع. وإذا كان علماء الفلك يرون في دقته وحكمته دليلاً على عظمة الله فإن تكوين الإنسان أكبر دليل على عظمة الخالق. وإذا كان النظر إلى السماء يجعل الإنسان يشعر بضآلته فإن التأمل في نفسه يجعله يشعر بعبقريته"[٥٤٢].

وحيث أن الآخرة هي حقيقة الدنيا وهدفها ومرساها, نرى أن معادلة ***الصغير/الكبير*** بين الإنسان والعالم تنعكس تماماً في الدار العقبى. وإذا كان الإنسان عالما كبيراً منطوياً, والعالم إنسانا كبيراً متسعاً في الدنيا, تنقلب المعادلة في الآخرة لصالح الإنسان, لتصبح السماوات الواسعة منطوية: ((والسموات مطويات بيمينه))[٥٤٣], ((ويوم نطوي السماء كطي السجل للكتب))[٥٤٤], وتصبح السماوات المطوية في داخل الإنسان, "منشورة" في يوم "النشر" : ((وبرزوا لله الواحد القهار))[٥٤٥], و((يوم تبلى السرائر))[٥٤٦].

في منطق "***امر بين امرين***", تتلاشى الثنائية بين الإنسان والعالم, وبين الداخل والخارج. إذا كنا نتصور أننا ننظر إلى حوالينا لنرى ما هو في الخارج, لكننا في هذا المشهد الجديد, نرى أنفسنا في مرآة الخارج. الذي ينظر إلى الجبل

---

[٥٤٢] محمد جواد مغنية ــ مذاهب فلسفية ــ ٢٨

[٥٤٣] الزمر ٦٧

[٥٤٤] الأنبياء ١٠٤

[٥٤٥] إبراهيم ٤٨

[٥٤٦] الطارق ٩

يرى نفسه في مرآة الجبل, فبمقدار عدد المشاهدين لمنظر الجبل تكـــون لدينـــا صـــور متعددة عن واقع الجبل, وإن كان الجبل في نفس الأمر واقعـــاً واحـــداً.

في هذه الأجواء, لا يسعى الفنان أن يشاهد بدقـــة ولطافـــة المشـــاهد الخلابـــة في آفاق الخارج, بمقدار ما يسعى أن يبلور في فنه ما يحس بـــه في داخلـــه:

"الفن ليس نقل العالم الخارجي, بـــل الداخلـــي".[٥٤٧]

سنقدّم مزيداً من الإيضاح في الحديث عـــن وحـــدة الواقعيـــة والمثاليـــة. نكتفـــي هنا بالتأكيد على أن الإنسان ليس مجرد مراقب يرصد الطبيعة عـــن بعيـــد, بـــل هـــو مشارك يساهم في تحقيق الطبيعة عندمـــا يراهـــا , ويفســـرها علـــى ضـــوء رؤيتـــها والخلفيات التي تؤثر في رؤيته لهـــا:

"إن الإنسان إذ يقرأ معاني الأشياء أو يقرأ فيـــها فإنـــه...يُعـــير الأشـــياء أسمـــاءه ويخلع عليها أوصافه... وكما أن يقرأ في كتاب العالم يقـــرأ نوعـــاً مـــا معانيـــه... فالأحرى القول أن النص مرآة يتمرأى فيه قارئه على صـــورة مـــن الصـــور...مـــن هنا تختلف قراءة النص الواحد مع كل قراءة وبين قارئ وآخـــر، بـــل تختلـــف عنـــد القارئ نفسه بحسب أحواله وأطـــواره ...

إن الحقيقة الفلسفية هي نسيج من الاســـتعارات والتشـــبيهات (يفـــهم التشـــبيه هنا بالمعنى الأناسي الإنتروبولوجي للفظ لا بمعناه البلاغـــي. نعـــني بمـــا هـــو أنســـنة الإنسان للأشياء وخلع أوصافه عليها. وفي أي حال ثمة علاقة بـــين المعنيـــين فنحـــن إذ نشبه الرجل مثلاً بالأسد لشجاعته إنما نخلع الشجاعة الـــتي هـــي مـــيزة إنســـانية على غير الإنســـان".[٥٤٨]

---

[٥٤٧] الفنان علي شمس ــ السفير ــ ٩٨/٥/٢٠

[٥٤٨] علي حرب ــ نقد الحقيقة ــ ٥ ــ ٢٠

"احتلت الوجودية في فرنسا كامل المساحة الثقافية وبقيت أمينة للكوجيتو الديكارتي. فالأنا أفكر أصل كل تفكير ويخص الإنسان وحده كذات تعي ذاتها. و(أنا) للوجوديين لم تعد (أنا) مجردة, بل انطلقوا من فكرة وحدة الحياة ليتكلموا على الذات في وضع أو الفكر في جسم أو الوعي لواقع معاش"[٥٤٩].

وهذه نظرية تجد لها دعماً في تفسير تقدمه لنا الفيزياء النسبية الحديثة:

"القول بحاجة الضوء إلى وعي ليظهر خواصه، يقودنا إلى الاعتراف بأن الوعي الذي يتفاعل مع الضوء، يحتاج بدوره إلى الضوء وإلى غيره لكي يتلمس خصائصه الذاتية.

وفي هذا يقول بوهر: "إننا لا نستطيع أن نعزو الوجود الحقيقي المستقل، بالمفهوم الفيزيائي المعتاد، إلى الظاهرة المرصودة، ولا إلى القائم بالرصد أيضاً، ذلك أن عالمنا الذي نعيش فيه لا يتألف من "أشياء"، بل من علائق وتفاعلات، وأن الخصائص ليست من طبيعة ما يتمظهر على أنه "شيء"، بل من طبيعة الترابطات التي تتوسع في شبكة منسوجة بإحكام لتشمل الكون كله.

وفي هذا يقول هايزنبرغ: "إن العلوم الطبيعية لا تقوم بمجرد وصف وتفسير الطبيعة، بل هي جزء من ذلك التفاعل بيننا وبين الطبيعة". ويقول أيضاً: "إن ما نرصده ليس الطبيعة في ذاتها، بل الطبيعة كما تتبدى لطرائقنا في استجوابها". وبناءاً على ذلك فقد قدمت الفيزياء الكوانتية مفهوم ***المشارك***، لكي يحل محل مفهوم الراصد أو المراقب. وهناك بوادر منذ الآن، على ضرورة تضمين ***الوعي الإنساني*** في أي وصف فيزيائي للعالم."[٥٥٠]

---

[٥٤٩] د. وفاء شعبان ـــ ديكارت والفلسفة الفرنسية ـــ السفير ـــ ٩٦/٥/٣١

[٥٥٠] فراس السواح ـــ دين الإنسان ـــ ٣٥٤

تطلعنا الفيزياء الحديثة على أمر في غاية الغرابة، وهو أننا لا نستطيع رصد شيء في العالم الصغري دون أن نعمل بذلك على إحداث تغيير فيه، فالمراقب وموضوع مراقبته يتداخلان، وهما في حالة اعتماد متبادل لا تنفصم عراه. وبتعبير آخر، فإن ما نحصل عليه من خلال فعل المراقبة، ليس معلومات موضوعية عن "العالم الخارجي"، بل معلومات عن تداخلنا وتفاعلنا مع هذا "العالم الخارجي". وهذا ما يدعوه الفيزيائيون بالتكاملية **Complementarit** والتكاملية، مفهوم طوره نيلز بوهر، أصلاً، من أجل تفسير الطبيعة المزدوجة للضوء، فقد رأى بوهر أن الخصيصة الموجية للضوء والخصيصة الحبيبية ضروريتان رغم تعارضهما من أجل فهم ظاهرة الضوء، لأن هاتين الخصيصتين ليستا في الواقع خصيصتين للضوء، بل إنهم خصيصتان لتداخلنا مع ظاهرة الضوء؛ فنحن نستطيع أن ندفع الضوء إلى إظهار هذه الخصيصة أو تلك، باختيار التجربة المناسبة. فإذا أردنا إظهار خصيصة الموجية قمنا بإجراء تجربة الشقين، وإذا أردنا إظهار الخصيصة الجسيمية أجرينا تجربة أينشتاين في الأثر الكهرضوئي. وهذا يعني، أن المراقب الواعي هو صلة الوصل بين مظهري الضوء، وأنه بدون الوعي يبقى الضوء بدون خصائص محددة.[٥٥١]

وتتجذر فكرة المماثلة بين الإنسان وما في الكون — حتى البهائم — في "الكتاب المقدس", لتقترب من "مماثلة تامة" دون أي تفضيل, يصعب علينا قبولها:

---

[٥٥١] فراس السواح — دين الإنسان — ٣٥٤

مصير بني البشر والبهيمة واحد فكما يموت الإنسان تموت هي ، ولهما نسمة حياة واحدة. وما للإنسان فضل على البهيمة ، لأن كليهما باطل . كلاهما يصيران إلى مكان واحد"[552].

٨١ ــ *المطلق/النسبي*

للإطلاق والنسبية عدة أشكال, ويمكن أن تدرس هذه الثنائية من زوايا مختلفة:

١ ــ على الصعيد الفلسفي:

من منطلق نظام "*الحجب*" وقاعدة "*الحقيقة والرقيقة*", يمكن اعتبار أي أمر حق وواقعي نسبياً, باعتباره تجلياً لحقيقة أشرف تكمن وراءه.

على هذا الأساس, العالم المحسوس مطلق باعتبار ذاته, ونسبّي باعتبار العالم المعقول الكامن في باطنه. والطبيعة قد تكون مطلقة أي غير متناهية في أبعادها الزمنية والمكانية, إلا أنها نسبية غير متناهية وغير مطلقة مقارنة بعوالم التجرد. فهي عندما نفترضها مطلقة نقصد أنها قد لا تنتهي عند سقف محدد في مكان معين, لكن نفس الإطلاق وعدم التناهي في المكان يسبب لها التقيد, إذ المطلق في المكان مطلق في الفقر والحاجة. هذا الواقع يتضح أكثر في البينة ٢٢ من كتابي : "*بينات*" :

---

[552] " (جا ٣ : ١٩ - ٢٢)

هل يساوي عدم تناهي الطبيعة في المكان إطلاقـــها في الوجـــود ؟

- أفترض أن الطبيعة غير متناهية في أبعادهـــا المكانيـــة.

- ولكن هل الامتداد في الطــــول والعــرض والعمــق يعتــبر أمــراً إيجابيــاً ــ وبالأحرى ــ صفةً وجوديةً ؟ بـــالتحقيق لا.

لأن اتصاف الجسم بالمكان نابع عن انتشار أجزائـــه في أمكنـــة مختلفـــة، وهـــذه صفة سلبية من عدة جوانـــب :

أولاً : لأنها تستلزم تركّب الجسم من أجزاء يحتاج إليها. والحاجـــة فقـــر، فـــهو سلبي.

ثانياً : تعرقل المعرفة الحضورية بـــين جســـمين، لأن احتـــلال المكـــان يمنـــع أي جسم أن يستقر في جسم آخـــر.

ثالثـــاً : انتشـــار أجـــزاء الجســـم في الأمكنـــة المختلفـــة يعرّضـــه للانقســـام والاضمحلال, بتفكك أجزائها, وإمكانية الانفصال بـــين هـــذه الأجـــزاء الكثـــيرة, نظراً لتداخل الأشياء بعضها في البعض الآخر إثر حركـــة المـــادة وتبدلاتهـــا.

- النتيجة أنه: كلما كـــانت أبعـــاد الشـــيء المـــادي أطـــول, كـــان اتّصافـــها بالصفات السلبية الثلاث المذكورة أكثر. فعدم تناهي الطبيعـــة في أقطارهـــا يســـبّب لها حاجة غير متناهية, ويعرّضها لإمكانية التفكك بنحو غـــير متنـــاه. وهـــذا ليـــس إطلاقاً في الوجود بل يغايره بوضـــوح. والطبيعـــة المطلقـــة في أقطارهـــا وأبعادهـــا مطلقة في حاجاتها ونقائصها. الفقر المطلـــق مطلـــق, لكنـــه مطلـــق في الفقـــر لا في الغـــنى! "[٥٥٣].

---

[٥٥٣] محمد خاقاني (المؤلف) ــ بينات

هذا, وإن اعتبار الشيء المادي نسبياً من حيث انغلاقه في زمان مـــا ومكـــان مـــا لا يتناف مع كون الطبيعة كلها في اللامكان واللازمـــان, لأنـــه لا يمكـــن القـــول إن الطبيعة كلها في أي منطقـــة تقـــع, وفي أي زمـــان تحصـــل, لأن الزمـــان والمكـــان يحصلان داخل الطبيعة ولا يحيطان بهـــا.

من ناحية أخرى, الفلســـفة الواقعيـــة (ومنـــها الفلســـفة الإســـلامية في تيارهـــا المشائي) تؤمن بالمفاهيم الثابتة والمطلقة, وترفـــض مبـــدأ نســـبية الحقـــائق. العقـــل يستخدم المنطق كآلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عـــن الخطـــأ في الفكـــر. ويفتـــش عن التصورات والتصديقات الحقة. والتصور الحـــق هـــو مـــا تتحـــد فيـــه ماهيـــة الوجود الذهني بالوجود العيني اتحاداً تاماً, وإن كانا مختلفـــين مـــن حيـــث وجودهمـــا (فالوجود العيني يترتب عليه الآثار بخلاف الوجـــود الذهـــني).

ومما يدّل على أن التفكير الفلسفي يبحث دومـــاً عـــن العلـــم الصحيـــح المطلـــق (لا النسبي) المتطابق مع جوهر الواقع الخارجي, تقـــويم الفلســـفة والمنطـــق لأنـــواع التعريـــف :

أكمل أنواع التعاريف هو الحدّ التام الذي يكشف عـــن كـــل ذاتيـــات المعـــرّف, وينال العلم المطلق للمعلوم الخـــارجي، كمـــا أن أضعـــف أنواعـــها هـــو التعريـــف بالمثال الذي يكشف فقط عن جانب من جوانب الشيء يشـــترك فيـــه مـــع المشـــبه به في إطار وجه الشـــبه.

لكن مدرسة الحكمة المتعالية التي بناها صـــدر المتـــألهين في الفلســـفة الإســـلامية تبتعد عن الرؤية الإطلاقية, وتقترب من الرؤية النسبية التي تتناغم أكـــثر مـــع بعـــض مبادئ هذه المدرسة, وهـــي:

١ ـ *أصالة الوجود*, لأن الرؤية الإطلاقية المشائية تفسر الإدراك المطلق للأشياء من خلال الاتحاد الماهوي بين الوجود العيني والوجود الذهني. وعندما تصبح الماهية اعتبارية في الحكمة المتعالية, تتلاشى أساس التوحيد بين الوجودين العيني والذهني.

٢ ـ *تشكيك الوجود*, فإن رؤية الوجود أمراً مشككاً, أي واحداً ذا مراتب مختلفة في الشدة والضعف, توصّل مراتب الوجود بعضها بالبعض الآخر, وهذا يتعارض مع الانطباق المطلق بين العين والذهن, عبر الماهيات. لأن الماهيات حدود, والأصل في الحدود أن لا تلتقي مع بعضها, حيث أن الماهيات مثار الكثرة بالذات, وانفصالها عن بعضها حقيقي, ولأن الماهيات تؤدي بالنهاية إلى أجناس بينها تباين بتمام الذات.

٣ ـ *وحدة الوجود الشخصية*, وهذا الأصل يتجاوز في تأصيل الوحدة الحقيقية عن الأصل المذكور آنفاً, ويجري التشكيك في مظاهر الوجود, لا في مراتب الوجود.

٤ ـ *الحركة الجوهرية*, فإنها تؤكد على سيلان الحقائق المادية بكل ذواتها, وليس فقط في أعراضها وأشكالها, ومن الطبيعي أن الصورة التي نلتقطها من الشيء المتحرك, عندما تصل إلى النفس تتجرد, لتتوحد بالنفس (حسب صدر المتألهين), وعندما تتجرد تصبح ثابتة, ولا تتطابق مع حركية الشيء المتحرك بجوهره في الخارج.

هذه المبادئ توضح أن مدرسة الحكمة المتعالية تبتعد عن فكرة أن تصوراتنا الذهنية تنطبق على ما بإزائها في الخارج انطباقا مطلقا, وهي وإن تعتبر نفسها

مذهبا واقعيا, إلا أنها ترفض "*الواقعية الساذجة*" , وتميل إلى "*الواقعية المتشابكة*".

٢ ـ على الصعيد التجريبي :

مستجدات الفيزياء الكوانتية (الكمومية) والنسبية تدعم القول بنسبية معارفنا حول المادة في مقياس الموجودات المتناهية في الصغر (الذرات) والكبر (المجرات), مع أنها لا يرفض صحة انطباق مبادئ الرؤية الإطلاقية في المقاييس المألوفة للإنسان, بمعنى الإطلاق والنسبية كلاهما صحيح, ولكن كل في دائرته وحوزته:

"إننا لا نعرف شيئا بالفعل عن حالة الجسيم بين منطقة التجهيز ومنطقة القياس، كما أننا لا نعرف عن مكان هبوطه على اللوح الحساس، كل ما نستطيع القيام به هو حساب احتمالات متتابعة عن مكان الهبوط. أما فيما بين المنطقتين فلا يوجد لدينا جسيم مؤكد في حالة الحركة. ومن الناحية الرياضية، لا يوجد جسيم على الإطلاق. وعليه فإننا لا نستطيع وصف حالة الجسيم بمفاهيم محددة ذات طبيعة متعارضة، لأنه لا يوجد في مكان محدد، وفي الوقت نفسه غير غائب تماما، وهو لا يغير موضعه، وفي الوقت نفسه لا يبقى في مكان ثابت. إن ما يتغير هنا هو النمط الاحتمالي.

وبكلمات الفيزيائي روبرت أوبنهايمر: "لو تساءلنا مثلا، هل يبقى موضع الإلكترون على حاله ؟ كان الجواب بالنفي. ولو تساءلنا : هل يتغير موضع الإلكترون بمرور الزمن ؟ كان الجواب بالنفي. ولو تساءلنا : هل هو في حالة

سكون ؟ كان الجواب بالنفي. ولو تساءلنا : هـــل هـــو في حالـــة حركـــة ؟ كـــان الجواب بـــالنفي"[554].

٣ ــ على الصعيد العرفـــاني :

التقويم الذي درسناه في مدرسة الفلسفة المشـــائية عـــن التركـــيز علـــى المفـــاهيم الثابتة والحدود الماهوية المطلقة ينقلب عكســـا في العرفـــان:

يصور العالم في العرفان بأنه *خيال في خيال* لأن الوجـــود واحـــد. ومعرفتنـــا بمـــا نسميه بالأشياء تقتصر على مـــا هـــو ظـــاهر منـــها, إذ لا تكـــثر إلا في مظـــاهر الوجود الواحد. وعندما ينكشف الباطن بالممارســـة ومواصلـــة الفـــهم أو الكشـــف يصبح ظاهرا لنا. لكن لكل ظهر بطنا فمعرفة الظاهر معرفـــة نســـبية بـــالنظر إلى مـــا يكمن في طياته. كلما ينكشف بطن نواجه بطنا آخر. أما البطـــــن الأخـــير فســـيبقى بطنا وكنزا مخفيا للأبد, لا يقدر على كشفه أحد ولو نـــــال مقـــام ((ثم دنـــا فتـــدلى فكان قاب قوسين أو أدنى))[555]. فصاحب هذا المقـــام يتحســـر علـــى هـــذا بقولـــه "إلهي! ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حـــق عبـــادتك".

٤ ــ على الصعيد القـــرآني :

وفي القرآن تصريح بأن ما يعلمه الناس من حقيقة الأشـــياء هـــو الظـــاهر منـــها : ((يعلمون ظاهرا من الحيـــاة الدنيـــا وهـــم عـــن الآخـــرة هـــم غـــافلون))[556]. إن الأسلوب الأمثل في منهجية القرآن هو أسلوب التمثيـــــل, الـــذي يعتـــبره الفلاســـفة المشـــاؤون أضعـــف أنـــواع المعرفـــة! ((ويضـــرب الله الأمثـــال للنـــاس لعلـــــهم

---

[554] فراس السواح ــ دين الإنسان ــ ٣٤٩

[555] النجم ٨-٩

[556] الروم ٧

يتذكرون))[557]. والمثال الأبرز والأنصع لهذا هو آية النور التي تتلألأ في وسط القرآن كما تتلألأ الشمس في وسط السماء: ((مثل نوره كمشكوة فيها مصباح...))[558].

إذن, النظرة الفلسفية تهدف إلى تحديد مطلق للأشياء. لكن النظرة العرفانية والقرآنية فيها نكهة نسبية فهمنا للواقع, لأن بين المثل وما يمثّله (في ضرب الأمثال), وإن كان هناك وجوه شبه, إلا أنها مقترنة بفوارق, لأن اجتماع المثلين مستحيل.

لكن *"النسبية"* المدعومة بالقرآن والعرفان, لا تتنافى ومبدأ *"الإطلاق"* في جوهر الوجود, وفي حقيقة الإنسان: "لعل الأمانة المعروضة على السماوات والأرض والجبال التي أبين أن يحملنها ويحمله الإنسان الظلوم الجهول هي هذا *المقام الإطلاقي* فإن السماوات والأرضين وما فيهن محدودات *مقيدات* حتى الأرواح الكلية. ومن شأن المقيد أن يأبى عن الحقيقة الإطلاقية. والأمانة هي ظل الله المطلق وظل المطلق مطلق يأبى كل متعين عن حملها. وأما الإنسان بمقام الظلومية التي هي التجاوز عن قاطبة الحدودات والتخطي عن كافة التعينات واللامقامي المشار إليه بقبوله تعالى شأنه على ما قيل: ((يا أهل يثرب لا مقام لكم))[559], والجهولية التي هي الفناء عن الفناء قابل لحملها. فحملتها بحقيقتها الإطلاقية حين وصوله إلى مقام ((قاب قوسين)), وتفكر في قوله تعالى ((أو أدنى))ـ النجم /٩ـ, وأطف السراج فقد طلع الصبح"[560].

---

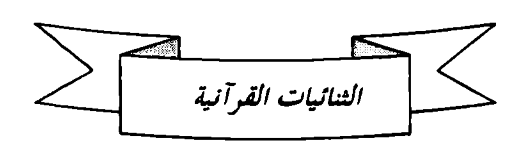
[557] إبراهيم ٢٥/١٤

[558] النور ٣٥

[559] الأحزاب ٣

[560] الإمام الخميني ـ مصباح الهداية ـ ٥٦

الوصل الثاني:



٨٢ ــ القرآن/الفرقان
٨٣ ــ المحكم/المتشابه
٨٤ــ التفسير/التأويل
٨٥ ــ العموم/الخصوص
٨٦ ــ قدم القرآن/حدوث القرآن
٨٧ ــ النص/الاجتهاد

٨٢ ـــ القرآن/الفرقان

إن تسمية الوحي الإلهي "بالفرقـان", اشـتركت بـين كتـابين سمـاويين, همـا التوراة, التي وصفت بالفرقان في الآية الكريمـة: ((ولقـد آتينـا موسـى وهـارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقـين))[٥٦٢], والقـرآن الـذي يصـف نفسـه بالفرقـان: ((تبارك الذي نزل الفرقان علـى عبـده ليكـون للعـالمين نذيـرا))[٥٦٣], وخصـت سورة "الفرقان" من بين السور القرآنية للتأكيد على هذا الاسـم ومـا يحملـه مـن دلالات.

لكن التسـمية "بـالقرآن" انحصـرت بكتـاب المسـلمين دون سـائر الكتـب السـماوية.

وإذا كان الفرقان يبرز معنى الفـرق والفصـل, فـالقرآن يفيـد معـنى الجمـع والوصل. يقول العرب: "قرأت الماء في الحـوض" , أي : جمعتـه.

وإذا كانت الكتب السماوية تشترك في التفصيـل بـين الحـق والبـاطل, وتميـيز الغث عن الثمين, لكن القـرآن منفـرد بـالجمع بـين ثنائيـات عديـدة, ركـز المختصون في علوم القرآن على بعضها, وهي : الجمع بين فصاحـة اللفـظ وبلاغـة المعنى, وإيصال الفصاحة والبلاغة معا إلى ذروة الإعجـاز. والجمـع بـين منطلبـات السعادة في الدنيا والآخرة, عبر إقامـة التـوازن بـين دنيويـة الشـريعة الموسـوية وأخروية الطريقة العيسوية, الذي عبر عنه الحديث المـروي مـن رسـول الله (ص),

---

[٥٦٢] الأنبياء ٤٨

[٥٦٣] الفرقان ١

والذي مضمونه أن أخي موسى كان ينظر بالعين السيرى, وأخي عيسى كان ينظر بالعين اليمنى, وأنا أنظر بالعينين.

"التركيز على أن البيان القرآني يعجز الإنسان عن تحديه نظرا للصرف والنحو وتفاعيل وحداته الغوية التي يتفرد بها, كلها مدعاة للفكر ومرسخة للإيمان، ولكن جميع هذه الأبحاث تبتني على أن "الله يتكلم", و"الإنسان يتكلم" ، لكن "الله يتكلم أفضل وأجود". إن افتراض التكلم لله أمر مقبول. ولكن التغافل عن نفي التوحيد للأسطرة وأنسنة الله يخبئ البعد الكتبي للقرآن, لدرجة يمكن الإدعاء بجرأة أن الدراسات الإسلامية لم تخطو خطوات تذكر في تبيين القرآن بوصفه " قرآنا ". إن اتصافه بالقرآن هو ما يتفرد به القرآن (دون سائر الكتب السماوية). القرآن يصف التوراة بجميع أوصافه "كالكتاب" و " الذكر" و "الضياء" و "الهدى" و "تفصيل لكل شيء، إلا صفة واحدة , هي : "القرآن". النقد الذي نوجهه إلى مجمل الدراسات الألسنية القرآنية طوال تاريخها هي أنها لم تخرج عن الكلام والقول الشخصي. حسب هذه الدراسة لم ينتبه أحد بشكل جدي إلى سبب كون هذا الكتاب السماوي قرآنا.

لا نقصد أنه لم يتطرق أحد إلى وجوه التمايز بين القرآن والتوراة, لكننا لا نرى أحدا يسير في اتجاه تحديد صفة "قرآن" كظاهرة ألسنية. معظم الكتب المؤلفة لدراسة " القرآن" أو "الوحي" تسند لفظة القرآن إلى "قرأ"، لكن البحث القرآني يجب أن لا يتلخص في تحديد مصدر الاشتقاق. ولو كان التنبه "للقراءة" في ذكر عنوان " القرآن" كافيا، وجب تسمية التوراة والكتب السماوية الأخرى " بالقرآن", لأنها تقرأ أيضا كالقرآن.

هذه الدراسة تدعي أن القرآن يختلف عن الأساليب المحصورة للغة وخاصة القول والكلام الشفهي: فالقرآن نزل لتحقيق علاقة الله بالإنسان. إذا أخذنا

بعين الاعتبار أن القرآن كتاب، نــرى أن الوحــي القــرآني يتصــف " بالكتــاب " و"القرآن" كلما يجري الكلام عن علاقة الإنسان بالله. هناك آيــات كثــيرة تذكــر: ((إنا أنزلناه قرآنا عربيا)) و((نزلنا عليك الكتاب))[٥٦٤]. المهم هنا أنــه كلمــا يجــري ذكر عن الله تعالى يوصف الوحي بالكتاب أو القــرآن وليــس "بــالقول". والقــرآن يرفض التكلم لله إلا وحيا أو مــن وراء الحجــاب أو بإرســال رســول (الشــورى ٥١). القرآن دقيق جدا في نفي التكلم عن الله, وصريــح في انتســاب "القــوَل" إلى غير الله, إلى ((رسول كريم))[٥٦٥]. هذا الرسول الكــريم هــو نــبي الإســلام المكــرم بالضرورة وليس أمين الوحي، لأن القرآن يسند كــل "الأقــوال" إلى أمــر واحــد : "قل", الذي يأمر به النــبي (ص).

هذا، وإن الرسول لم يخاطب مباشرة كالنبي موســى (ع). القــرآن يصــرح أن الله كلم موسى وأجابه موسى, ثم طلب منــه شــيئا اســتجيب لــه (طــه). وهــذا يجري في قالب حوار يســميه القــرآن بــالتكليم (النســاء ١٦٤). لكــن الوحــي القرآني مختلف تماما. هنا يكون الرســول مــأمورا بــالقراءة, ولا يشــترك في حــوار (طبعا هذا الرأي يخص بدء نزول الوحي إلى موســى، ولا نمتلــك دليــلا لاســتمرار هذا الوضــع).

هذا الأسلوب القرآني مخول لرفــض أســطرة الله وأنســنته. فــالله مــتره عــن التكلم، ويجب اعتمــاد القــرآن كتابــا لا قــولا في العلاقــة مــع الله. إذن ، مــن الضروري تفسير القرآن بوصفه كتابــا (أو لغــة مكتوبــة). وهــذه الحقيقــة غــير حاضرة في الدراسات الألسنية التي قام بهــا المســلمون أو المستشــرقون"[٥٦٦].

---

[٥٦٤] يوسف ٢ ، النمل ٨٩

[٥٦٥] التكوير ١٩

[٥٦٦] من مقال لعامر قيطوري ترجمه محمد خاقاني (المؤلف) إلى العربية بعنوان : القرآن والنظريات السيميائية

ملاحظات :

ثنائية: ***الجمع/الفرق***, المعبر عنها ***بالقرآن/الفرقان*** , تجد تفسيرها الأنسب في إرجاع الفرقان إلى القرآن وتأويل الفرق إلى الجمع. وذلك في الآية الكريمة: ((وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا))[٥٦٧], مما يلوح بأن التفريق والتجزئة حالة تطرأ على الحقيقة الجامعة لإظهارها وبسطها وإخراجها من حالة "***الانطواء***" و"العماء".

وفي هذا تكمن أيضا ثنائية : ***الإحكام/التفصيل***, التي تقتضي دراسة ثلاثة أسماء:

١ ــ "***الحكيم***" , وهو اسم مشترك بين الله ((وكان الله عليما حكيما))[٥٦٨], وبين القرآن: ((يس والقرآن الحكيم))[٥٦٩], وهو اسم يقتضي الوحدة الحقيقية التي يتصف بها حقيقة الله, وكذلك كلام الله المتجذر في ذاته الواحدة.

٢ ــ "***المحكم***" , وهو اسم سميت به آيات القرآن: ((منه آيات محكمات هن أم الكتاب))[٥٧٠], و((كتاب أحكمت آياته))[٥٧١]. هذا الاسم برزخ بين اسم الحكيم المتأصل في الوحدة, وبين اسم "المفصل" المعبر عن الكثرة.وآيات القرآنية

---

[٥٦٧] الأسراء ١٠٦

[٥٦٨] الفتح ٤

[٥٦٩] يس ١-٢

[٥٧٠] آل عمران ٧

[٥٧١] هود ١

وصفت بالإحكام,لأنها رغم كونها كثيرة, لكنـــها يفســر بعضــها بعضــا, وهــي تتمتع بروح واحـــدة,

٣ ــ "*المفصل*" , وهو اسم للآيات في مرتبة متأخرة عـــن الإحكـــام: ((كتـــاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبـــير))[٥٧٢] , و((كتـــاب فصلـــت آياتـــه قرآنا عربيا لقوم يعلمون))[٥٧٣]. والآيات وصفـــت بهـــا, لأنهـــا تكـــثرت في تاريخيـــة النزول وبتكثر الأحداث والوقـــائع.

وتندرج أيضا في هذا الإطار ثنائية : ***الإنزال/التنزيل,*** حيث يعـــبر الإنـــزال عـــن النزول دفعة واحدة بلا حاجة إلى الانتشار في وقت طويـــل مـــن الزمـــن, ولا يمـــت بصلة إلى التكثر الواقع في قوالب الألفاظ, بـــل يتمحـــض في روح القـــرآن وحقيقـــة الواحدة: ((إنا أنزلناه في ليلة القدر))[٥٧٤]. لكن التنزيل هو الـــنزول المتـــدرج المنتشـــر في لحظات الزمان والتاريخ: ((إنا نحن نزلنا عليك القـــرآن تـــنزيلا))[٥٧٥].

وإذا كان التنزيل يعبر عن "الفرقان", فـــالإنزال يتمظـــهر في "القـــرآن" : ((إنـــا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلـــون))[٥٧٦].

هكذا, تكون تعابـــير : ***القـــرآن, الإحكـــام, والإنـــزال*** إشـــارة إلى الحقيقـــة الجمعية لروح القرآن في عالم التجرد, والألفـــاظ : ***الفرقـــان, التفصيـــل, والتـــنزيل*** مفاهيم تدل تجسيد القرآن وتنزيله إلى مســـتوى الطبيعـــة, ليصبـــح القـــرآن نســـخة مكتوبة عن عالم الوجود بمختلف مراتبه من أعلى عليـــين إلى أســـفل الســـافلين.

---

[٥٧٢] هود ١

[٥٧٣] فصلت ٣

[٥٧٤] القدر ١

[٥٧٥] الإنسان ٢٣

[٥٧٦] يوسف٢

ـــ قيل إن الخطاب القرآني يشمل "خطاب الواقعي والحلمـــي والحســي والمثــالي والشاهد والغائب والواحـــد والكثــير والعقــل والنقــل والأمــر والنــهي والجــبر والاختيار والتقوى والفجور والإلهي والشيطاني. وليســت المســألة مســألة تعــارض أو تناقض لأنه ليست هذه الثنائيات بمتضادات إلا عند مــن ينظــر إلى النــص نظــرة أحادية وحيدة الجانب مسطحة ومقفلـــة"[٥٧٧].

أقول : إن توحيد هذه الثنائيات, وارتفـــاع التضــاد بينــها في المراتــب العاليــة للوجود, لا يتنافى مع القول بالصدام والتنــافر وحــرب واقعيــة بينــها في مراتــب الكثرة, فالحرب بين حزب الله وحزب الشياطين واقعيـــة تتطلــب التضحيــة وبــذل الدماء : ((يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليـــهم))[٥٧٨], والحــرب بــين الإلهي والشيطاني وبين النفس اللوامة والنفس الأمارة بالســـوء حقيقيــة علــى هــذا المستوى من النفس الإنسانية. ولكـــن, بارتفــاع النفــس الإنســانية وارتقائــها إلى مستوى النفس المطمئنة تنتهي الحرب باستسلام الشــيطان. في حديــث عــن النــبي الأكرم (ص) : "إن شيطاني أسلم بيـــدي".

ـــ القرآن لكونه ينطوي على الفرقـــان والتفصيـــل, فـــهو "*حمـــال أوجـــه*"[٥٧٩]. ومعاني القرآن غير محددة وغير مغلقة ومفتوحـــة علــى القــراءات الجديــدة. حــتى أسلوب قراءة القرآن ليس مقفلا. على هذا الأساس وضع رمـــوز الكتابــة كالنقــاط

---

[٥٧٧] علي حرب ـــ نقد الحقيقة ـــ ١٩

[٥٧٨] التوبة ٧٣

[٥٧٩] " لا تحاجوا القوم بالقرآن, فإن القرآن حمال أوجه" ـــ الحديث

والفواصل والأقواس لا يصح في القرآن إلا كتفسير شــــخصي. الآيــة الشــريفة ((لا أقسم بيوم القيامة))[٥٨٠], يمكن قراءتها: ((لا. أقسم)) ويمكــن أيضــا ((لا أقســم)).

والقرآن يقول : ((لكل جعلنا منكــم شــرعة ومنــهاجا))[٥٨١]. الشــريعة تعــني المنهج أو الطريق أو الســبيل.

٨٣ ــ المحكم/المتشابه

قلنا إن رأي العلامة الطباطبائي الذي ذكرنــاه في الفصــل الأول مــن الكتــاب, ينقض ١٦ رأيا من أقوال علماء القرآن حول المحكــم والمتشــابه.

لكن جميع هذه الآراء تشترك في اعتبــار معــنى "المحكــم" في الآيــة : ((كتــاب أحكمت آياته...)) ومعنى "المتشابه" في الآيــة : ((كتابــا متشــابها)), مختلفــا عــن معناهما المقصود في الآيــــة : ((منــه آيــات محكمــات هــن أم الكتــاب وأخــر متشابهات))[٥٨٢], باعتبار أن الآية الأولى تعتبر كل القــرآن محكمــا , والآيــة الثانيــة

---

[٥٨٠] القيامة ١

[٥٨١] المائدة ٤ ر٥

[٥٨٢] ((هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب)) ــ آل عمران (٧)

تعتبر كل القرآن متشابها, أما الآية الثالثة فتقسم القرآن بين آيـــات محكمـــة وآيـــات متشـــابهة[٥٨٣].

أريد أن أناقش هذا الرأي المتفق عليــه, وادعـــي أن للمحكـــم معـــنى واحـــد في الآية الأولى والثالثة, كما أن للمتشابه معنى واحـــد في الآيـــة الثانيـــة والثالثـــة. أمـــا الوجه في تقسيم القرآن بين المحكمات والمتشـــابهات في الآيـــة الثالثـــة, فـــيرجع مـــن زاوية *"أمر بين أمرين"* ومن منطلق هذه الأطروحة إلى أنـــــه : ***يمكـــن اعتبـــار كـــل القرآن متشابها في ظهره ومحكما في بطنـــــه.***

توضيحه : أن القـــرآن نـــزل مـــن عنـــد الله, وتـــترل علـــى قلـــب الرســـول الأكرم(ص), ليتترل من ثم على قلب وليه خليفته وســـاير أوليائـــه ويبلـــغ إلى جميـــع خلقه. فترول القرآن ليس بدرجة واحدة. ويمكن أن يكـــون المقصـــود مـــن انقســـام القرآن بين المحكم والمتشابه ***انقساما طوليا*** بـــين مراتـــب الظـــهر والبطـــن فللقـــرآن ظهر ولظهره بطن إلى سبعين بطنـــا, لا ***انقســـاما عرضيـــا*** بـــين الآيـــات المتكـــثرة والمنتشرة في لحظات التتريل التدريجي وفي مسار الزمان, مثـــل انقســـام العـــالم بـــين ***الأمر/الخلق*** في الآية الشريفة : ((ألا لـــه الخلـــق والأمـــر))[٥٨٤], الـــذي هـــو أيضـــا انقسام طـــولي.

---

[٥٨٣] "الإحكام والتشابه من الألفاظ المبينة المفاهيم في اللغة, وقد وصف هما الكتاب كما في قوله تعالى ((كتاب أحكمت آياته)) هود ـــ ١ , وقوله تعالى((كتابا متشابها مثاني)) ـــ الزمر ـــ ٢٣ و لم يتصف هما إلا جملة الكتاب من جهة إتقانه في نظمه وبيانه ومن جهة تشابه نظمه وبيانه في البلوغ إلى غاية الإحكام والإتقان.

لكن قوله تعالى : ((هو الذي أنزل الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات)) لما اشتمل على تقسيم نفس آيات الكتاب إلى المحكمات والمتشابهات, علمنا أن المراد بالإحكام والتشابه هنا غير ما يتصف به تمام الكتاب". العلامة الطباطبائي ـــ الميزان ٣/ ٣١

[٥٨٤] الأعراف ٥٤

ومما يؤيد هذه الفكرة : ورود النزول في الآية الثالثة بلفظة "*الإنزال*" المفيدة للمراتب الطولية التي ليست بحاجة إلى مرور الزمان, دون لفظة "*التنزيل*" التي تدل على النزول التدريجي وتدل على الكثرة العرضية بين آيات القرآن.

على هذا الأساس, تنقسم الآيات القرآنية بين الآيات المحكمة التي تشمل كل القرآن في بطن من بطونه, والآيات المتشابهة التي تشمل كل القرآن في ظهره. واستعمال لفظة "*من*" التبعيضية في الآية : ((منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات)) يشير إلى التبعيض في المراتب الطولية دون العرضية.

قبول هذا الرأي ينتج أن المقصود "بالمتشابه" في الآية ((وأخر متشابهات)) هو "المفصل" في الآية الكريمة : ((كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير))[٥٨٥]. ويكون الفارق بين "المتشابه" و"المفصل" اعتباريا, ويصبح "التفصيل" أي التكثير العرضي في الآيات القرآنية أرضية لوقوع "التشابه" فيها. ويقوم الذين في قلوبهم زيغ بتجزئة هذه الآيات المتكثرة عرضيا, على غرار : ((الذين جعلوا القرآن عضين))[٥٨٦], ويتناسون أن هذا التكثر العرضي هو بمثابة جسد لروح واحدة لا تتكثر, ويتناسون أن القرآن "*يفسر بعضه بعضا*" ويدعون ما يرونه منطبقا مع أهوائهم محكما, وما هو غير منطبق وغير ملائم متشابها, ويؤولونها بما يتناسب وأهواءهم, وهذا هو معنى ابتغاء الفتنة.

ومما يقوي هذا الوجه, أن ((آيات محكمات)) اتصفت بأنها ((هن أم الكتاب)), وفي نفس الوقت, الآية الكريمة : ((وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم))[٥٨٧] تصف كل القرآن بأنه : ((في أم الكتاب)), مما يعني أن ((أم

---

[٥٨٥] هود ١

[٥٨٦] الحجر ٩١

[٥٨٧] الزخرف ٤/٤٣

الكتاب)) هو كل القرآن وليس بعضه, ولكن في أصله ومنبعه أي في المراتب العالية. والآية الأخرى : ((يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب))[٥٨٨] أيضا يصف أم الكتاب في مرتبة تشمل : ***المحو/الإثبات***.

نلاحظ أن اعتماد "من" للتبعيض العرضي كما هو مألوف ومتفق عليه بين المفسرين يؤدي إلى جدلية تحديد الآيات المحكمة والمتشابهة. لأن القرآن لم يفرز متشابهاته عن محكماته, وهكذا السنة والروايات, فبقي الجدل مفتوحا بين التيارات الفكرية على مختلف أصعدة العلوم الإسلامية في أن كل حزب اعتبر الآيات التي تتناغم مع أفكاره آيات محكمة, والآيات الأخرى التي لا تنسجم مع هذه الأفكار متشابهة يجب تأويلها على خلاف الظاهر وإرجاعها إلى المحكمات:

"لقد وجد المعتزلة في "المحكم والمتشابه" ـــ هذه المشكلة القديمة ـــ منفذا لإرساء ضوابط للتأويل. وإذا كان القرآن نفسه قد سكت عن تحديد المحكم والمتشابه, وإن أشار إلى ضرورة رد المتشابه إلى المحكم, فإن المعتزلة اعتبروا كل ما يدعم وجهة نظرهم محكما يدل بظاهره, وكل ما يخالف هذه الوجهة اعتبروه متشابها يجوز, بل يحق لهم تأويله. وبذلك نقلوا الخلافات العقلية إلى القرآن على أساس وجود المحكم والمتشابه فيه. وكان من الطبيعي أن يلجأ خصوم المعتزلة لنفس السلاح, فيعتبروا ما يدعم وجهة نظرهم محكما, وما يدعم وجهة نظر المعتزلة متشابها"[٥٨٩].

والجدل لا يزال قائما وسيبقى هكذا مهما أكد الأشاعرة على ضرورة اعتماد حجية ظواهر ألفاظ القرآن, ومنها الآية الصريحة في تحقيق رؤية

---

[٥٨٨] الرعد ١٣/٣٩

[٥٨٩] نصر حامد أبو زيد ـــ الاتجاه العقلي في التفسير ـــ ١٦٤

الآية الكريمة : ((لا تدركه الأبصار)) آيـــة محكمـــة, والآيـــة ((إلى ربهـــا نـــاظرة)) متشابهة يجب تأويلها في ضوء هذه الآيـــة !

ونتذكر, كم كان فيلسوف الشـــرق "صـــدر المتـــألهين" يعـــاني مـــن خصومـــه القشريين وهم: "جماعة غاربي الفهم, تعمش عيونه عن أنـــوار الحكمـــة وأســـرارها, تكلّ بصائرهم كأبصار الخفافيش عن أضواء المعرفـــة وآثارهـــا, يـــرون التعمـــق في الأمورالربانية والتدبر في الآيات السبحانية بدعة, ومخالفـــة أوضـــاع جماهـــير الخلـــق من الهمج الرعاع ضلالة وخدعة, كأنهم الحنابلـــة مـــن كتـــب الحديـــث, المتشـــابه عندهم الواجب والممكن والقـــديم والحديـــث"[٥٩٠].

لا يخفى أن المشهور في المحكـــم بأنـــه "ناســـخه وحلالـــه وحرامـــه, وحـــدوده وفرائضه, وما يؤمن به ويعمـــل بـــه" أمـــا المتشـــابهات فـــهي "منســـوخه , ومقدمه ومؤخره, وأمثاله وأقسامه وما يؤمن بـــه ولا يعمـــل بـــه"[٥٩١], يلـــوح بـــأن اعتبار كل القرآن متشابها في ظهره يستلزم عدم العمـــل بـــأي حكـــم مـــن أحكـــام القرآن الظـــاهرة,

فنجيب : أن تحديد الآيات المتشابهة بمـــا يجـــب أن يؤمـــن بهـــا ولا يعمـــل بهـــا يصلح لبعض الآيات المتشابهة كالآيات المنسوخة التي تحتـــوي علـــى حكـــم عملـــي نسخ بآية أخرى, ولا يـــصلح لما اتفـــق عليه من اعتبار آيـــات الصفـــات الإلهيـــة

---

[٥٩٠] صدر المتألهين ـــ الأسفار ـــ ٥/١

[٥٩١] الطبري ـــ التفسير ـــ ١٧٥/٦

كالآية ((الرحمن على العرش استوى))[٥٩٣] متشابهة, لأنها لا تشتمل على حكم عملي.

فنقول: إن كل الآيات متشابهة (سواء تلك التي تشمل حكما عمليا أو وصفا) في ظهرها, واتباعها (إذا كان حكما) أو الاعتقاد بها (إذا كان وصفا) ناشئ من زيغ القلب إلا إذا أرجعت إلى بطونها. فالقرآن بظهره لفظ, ولكن لا بد من "العبور" من "العبارة" واللفظ بغية الوصول إلى المعنى والبطن. حتى الآيات المنادية بوجوب أداء الصلاة متشابهة لا بد من إرجاعها إلى بطونها, لأن التوقف عند ظاهر اللفظ وتأدية صلاة بالمعنى الحرفي, دون أن تكون هذه الصلاة أداة لتحقيق القرب إلى الله, لا جدوى فيه. قال الله تعالى : ((وأقم الصلوة لذكري))[٥٩٤]. أوليس العمل يكتسب قيمته من باطنه وعمقه الذي هو النية الكامنة في نفس الفاعل؟ "*إنما لكل امرئ ما نوى*". والذي يتوقف عند حدود الظاهر هو من مصاديق الظالمين, ((وننزل من القرآن من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا))[٥٩٥], بمعنى أن التوقف عند ظاهر القرآن وعدم إرجاعه إلى باطنه ناتج عن زيغ القلوب, لأن الزيغ يقابل الرسوخ في العلم حسب الآية: "والزيغ هو الميل عن الاستقامة, ويلزمه اضطراب القلب وقلقه ... والرسوخ هو أشد الثبات"[٥٩٦]. والزيغ بمعنى التزلزل متحقق بوضوح في الآراء المضطربة في مختلف المذاهب التي تدعي اعتبار الآيات الداعمة لها محكمات والآيات الأخرى متشابهات.

---

[٥٩٣] طه ٥

[٥٩٤] طه ١٤

[٥٩٥] الإسراء ٨٢

[٥٩٦] الميزان ٢٧/٣

طبعا, لا نقصد سلب الحجية عن الظاهر أو سلب القداسة عن الظاهر, بل نريد التأكيد على أن الظهر يكتسب قدسيته من البطن, والنسبة بينهما نسبة القشر إلى اللب, و((إنما يتذكر أولوا الألباب))[٥٩٧].

٨٤ــ التفسير/التأويل

التأويل كان هو التفسير بدون فرق بينهما في الصدر الأول من الإسلام :

"مما يؤكد أن التفرقة بين التفسير والتأويل تفرقة اصطلاحية متأخرة أن الطبري ــ مثلا ــ يسمى تفسيره (جامع البيان عن تأويل أي القرآن)... ولعل في ذلك ما يسمح لنا أن نتجاوز التفرقة الاصطلاحية المتأخرة بين التفسير والتأويل, ونعود إلى الأصل وهو التوحيد بينهما على أساس من الأديان بأن المفسر ــ في علاقته بالنص ــ لا يستطيع تجاهل البعد التاريخي الذي يفصله عن زمن النص ولا يستطيع من ثم أن يحل نفسه في الماضي وصولا إلى موضوعية مطلقة في فهم النص, وليس معنى ذلك أن ذاتية المفسر تلغي الوجود الموضوعي للنص ويخضعه إخضاعا كاملا لينطق بما تشاء. فمثل هذا التصور يعد من جانبنا ــ ترجيحا للذاتية على الموضوعية وإلغاء للوجود التاريخي للنص لحساب المفسر. وهو ما تأباه رؤيتنا لعلاقة التفاعل الجدلية بين المفسر والنص".[٥٩٨]

---

[٥٩٧] الزمر ٩

[٥٩٨] نصر حامد أبو زيد ــ فلسفة التأويل ــ ١٣

وبعدما افترق التأويل عن التفسير في آراء المتأخرين, برز أقوال مختلفة حول ثنائية : ***التفسير/التأويل***, يذكر بعضها العلامة الطباطبائي كما يلي :

- ــ المراد بالتأويل هو المعنى المخالف لظاهر اللفظ.
- ــ التأويل معنى من معاني الآية لا يعلمه إلا الله مع عدم كونه خلاف ظاهر اللفظ.
- ــ التفسير أعم من التأويل, وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها, وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل.
- ــ التفسير بيان معنى اللفظ الذي لا يحتمل إلا وجها واحدا, والتأويل تشخيص أحد محتملات اللفظ بالدليل استنباطا.
- ــ التفسير بيان دليل المراد, والتأويل بيان حقيقة المراد.
- ــ التفسير بيان المعنى الظاهر من اللفظ, والتأويل بيان المعنى المشكل.
- ــ التفسير يتعلق بالرواية , والتأويل يتعلق بالدراية.
- ــ التفسير يتعلق بالاتباع والسماع, والتأويل يتعلق بالنظر والاستنباط.

ثم يضيف : "لا يصح الركون إلى شيء من هذه الأقوال وما ينشعب منها,... لأن المراد بالتأويل ليس مفهوما من المفاهيم تدل عليه الآية سواء كان مخالفا لظاهرها أو موافقا, بل هو من قبيل الأمور الخارجية, ولا كل أمر خارجي حتى يكون المصداق الخارجي للخبر تأويلا له, بل أمر خارجي مخصوص, نسبته إلى الكلام نسبة الممثل إلى المثل (بفتحتين) ***والباطن إلى الظاهر***"[٥٩٩].

---

[٥٩٩] العلامة الطباطبائي ــ الميزان ــ ٣ / ٤٦ ــ دار الكتب الإسلامية ــ طهران ــ ١٣٧٢

وهذا يعني أن ثنائية ***التفسير/التأويل*** تؤول إلى ثنائيـــة ***الذهـــن/العـــين (الوجـــود اللفظي/الوجود العيني)***, باعتبار, وثنائية ***الظهر/البطن*** باعتبـــار آخـــر.

وإرجاعها إلى ثنائية الظهر/البطن ينسجم مع ما ذهبنا إليه مـــن أن كـــل القـــرآن متشابه بظاهره, ولا بد مـــن تأويلـــه إلى باطنـــه. وينســـجم مـــع علاقـــة ثنائيـــة ***المحكم/المتشابه*** بأمر التأويل في الآيـــة ٢٣ مـــن ســـورة الزمـــر الـــتي درســـناها في البحث الســـابق.

هذا, وقد ظهر مذهب التأويل بأشكال مختلفـــة طـــوال تـــاريخ الفكـــر, منـــها بعض المدارس الفكرية المعـــاصرة كـــالمذهب التفكيكـــي الـــذي يلتقـــي في بعـــض جوانبه مع منهجية التـــأويل:

"(يجب) أن يتعاطى الناقد مع تراثه بصورة حـــرة بحيـــث يجـــيز لنفســـه مســـائلة الأصل وتفكيكه لإعادة تركيبه من جديـــــد".[٦٠٠]

هذا المذهب يمتاز بأمر إيجابي هو عدم الاقتناع بحـــدود الظـــاهر. فقـــد قـــال الله تعالى : ((يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهـــم عـــن الآخـــرة هـــم غـــافلون))[٦٠١]. وينسجم مع ما يسمى بخرق الحجب في الرؤيـــة العرفانيـــة.

إلا أن الذي يدعو إلى التحفظ أمام هذا المذهب, هـــو احتمـــال هتـــك قداســـة الظاهر ومخالفته بحجة التجاوز عنه, من قبيل ما يشاهد عنـــد بعـــض الصوفيـــة مـــن ترك ظاهر الشريعة وإهمال أوامرها بغية الوصول إلى بـــاطن الطريقـــة.

ثم إن إرجاع المتشابه إلى المحكم (الـــذي يســـاوي عنـــدي إرجـــاع الظـــهر إلى البطن), والذي يتم بالتأويل, يقضي بكون الظاهر جســـرا يجـــب اجتيـــازه للوصـــول

---

[٦٠٠] علي حرب ــ المطلوب إعلان جديد لحقوق الإنسان في الإسلام ــ السفير ــ ٩٦/٩/٦

[٦٠١] الروم ٧

إلى الباطن, بمعنى أن الظاهر "مجاز", والباطن حقيقة, وهو بدوره أيضا مجاز للوصول إلى بطن آخر وهكذا... مما يؤوّل ثنائية *التفسير/التأويل* إلى ثنائية : *الحقيقة/المجاز* :

"مفهوم المحكم والمتشابه يتساوى مع مفهوم اللغة الحقيقية واللغة المجازية, وبالتالي يصبح التأويل في المتشابهات هو الوسيلة لرفع غموضها بردها إلى المحكم, ويصبح *المجاز* هو الأداة الرئيسية لعملية التأويل هذه"[٦٠٢].

٨٥ ـ *العموم/الخصوص*

يذكر العلامة الطباطبائي روايات متضاربة حول وقعة بدر والآيات التي قيل إنها نزلت حولها, ثم يضيف :

"ليتبصر الباحث المتأمل أن ما ذكروه من أسباب النزول كلها أو جلّها نظرية, بمعنى أنهم يروون غالباً الحوادث التاريخية ثم يشفّعونها بما يقبل الانطباق عليها من الآيات الكريمة فيعدونها أسباب النزول, وربما أدى ذلك إلى تجزئة آية واحدة أو آيات ذات سياق واحد ثم نسبة كل جزء إلى تنزيل واحد مستقل, وإن أوجب ذلك اختلال نظم الآيات وبطلان سياقها. وهذا أحد أسباب الوهن في نوع الروايات الواردة في أسباب النزول"[٦٠٣].

---

[٦٠٢] نصر حامد أبو زيد ـ الاتجاه العقلي في التفسير ـ ١٨٣

[٦٠٣] العلامة الطباطبائي ـ الميزان ـ ٤ / ٧٦

هذا الرأي ينطلق من مبدأ خلود القرآن والوعد الإلهي بحفظـــه وصونــه عــن أي تحريف ــ ((إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحـــافظون))[٦٠٤] ــ , وســـريان مفعولـــه إلى الأبد, دون الكتب السماوية الأخـــرى الـــتي نســـخت لاحقـــا لتقيدهـــا بظـــروف تخطاها الزمـــان.

إلى جانب هذا الموقف القاضي بـــإطلاق القـــرآن وثبـــات مفعولـــه, والموقـــف المعارض الذي يؤكد على أن "عموم فهمنا من القرآن فـــهم خـــاطئ لابتعـــاده عـــن فهم أسباب النزول"[٦٠٥], يميل منطق *أمر بين أمريـــن* إلى أن القـــرآن المصـــون مـــن أي تغير والمتصف بالخلود هو يؤكد على أرضيته التاريخيـــة بقبولـــه لمبـــدأ النســـخ . قال تعالى ((ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منـــها أو مثلـــها))[٦٠٦].

فالرجوع إلى "أرضية" القرآن و"تاريخيته" التي تتضـــح عـــبر *"أســـباب الـــنزول"* هي المنطلق لسموه في آفاق الإطلاق والتحرر مـــن متغـــيرات التـــاريخ والجغرافيـــا. هذا هو واقع الإنسان الذي يبدأ حياتـــه العلميـــة بالمحسوســـات المتغـــيرة ليصـــل إلى المعقولات الثابتـــة, وبالمعلومـــات الجزئيـــة لينـــال بالمعـــارف الكليـــة في حركتـــه الاستكمالية من متغيرات الأرض إلى ثوابـــت الســـماء.

---

[٦٠٤] الحجر ٩

[٦٠٥] محمد سعيد العشماوي (مستشار في القضاء المصري) ــ أفكار من أجل تحديث النظرة إلى الإســـلام ــ السفير ــ ٩٧/٥/٨

[٦٠٦] البقرة ١٠٦

القرآن حادث (وقال به أهل الحديث),لقوله تعالى: ((ما يأتيهم مـــن ذكـــر مـــن ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبـــون))[٦٠٧].

وهو قديم (وقال به المعتزلة) لأن معارفه مستمدة مـــن العلـــم الأزلي الإلهـــي.

وبين ذلك الحدوث وهذا القدم يقف منطق "أمر بـــين أمريـــن", ليقـــول مقالـــه في المحكم/المتشابه, وهو أن القرآن حـــادث بظـــاهره, وقـــديم في باطنـــه. فظـــاهره ألفاظ موضوع من قبل البشر, وباطنه حقيقة وحيدة عبر عنـــها الله تعـــالى بالضمـــير (الهاء) في الآية الشريفة : ((إنا أنزلناه في ليلـــة القـــدر))[٦٠٨].

لكن الشيعة ما خاضت في تفاصيل هـــذا الموضـــوع لتبتعـــد عـــن المحـــن الـــتي حصلت, وتتبرأ عن الدماء الـــتي ســـفكت بـــين المذاهـــب الإســـلامية وللأســـف الشـــديد:

"إن تاريخ البحث عن قدم القرآن وحدوثه, ومـــا جـــرى علـــى الفريقـــين مـــن المحن, يشهد بأن التشدد فيه لم يكن بهدف إحقاق الحـــق وإزاحـــة الشـــكوك. بـــل استغلت كل طائفة تلك المسألة للتنكيل بخصومها. فلأجـــل ذلـــك نـــرى أن أئمـــة أهل البيت (عليهم السلام) منعوا أصحابهم عـــن الخـــوض في تلـــك المســـألة. فقـــد سأل الريان بن الصلت الإمام الرضا(ع), وقال له : ما تقـــول في القـــرآن؟ فقـــال : "كلام الله لا تتجاوزوه ولا تطلبوا الهدى في غـــيره فتضلـــوا""[٦٠٩].

---

[٦٠٧] الأنبياء ٢

[٦٠٨] القدر ١

[٦٠٩] جعفر السبحاني ــ بحوث في الملل والنحل ــ ٢٦٨/٢

٨٧ ـ *النص/الاجتهاد*

إذا كان الاجتهاد يعني دراسة فكرية فردية أو اجتماعية عبر أصل الشورى لمعالجة موضوع لا حكم شرعياً مصرحاً به في القرآن وسائر الأدلة الشرعية فيه, فيقع هذا ***الاجتهاد*** مقابل ***النص*** دون شك.

لكن الأمر الذي يتيح لنا المجال للحديث عن الجمع بين النص والاجتهاد من منطلق "***أمر بين أمرين***", هو أنه :

ثمة روايات تؤكد على أنه ما من أمر وله حكم في الفقه الإسلامي, مما يعني أن النص القرآني والروائي لم يدع أي فراغ ولم يسكت عن أي أمر سيبتلى به المجتمع البشري. وهذا معنى خلود القرآن والشريعة المحمدية(ص). وهذا معنى أن "*حلال محمد حلال إلى يوم القيامة, وحرامه حرام إلى يوم القيامة*".

غاية الأمر أن الحكم في الثوابت والأصول صريح في النص القرآني والروائي, وهو مختبئ في التفاصيل والفروع اختباء النتيجة في مقدمات القياس. ولا الاجتهاد إلا إظهار هذا الحكم الموجود بالفعل والمكنون حسب الظاهر, وليس إلا تفصيلاً لأمر مجمل, ويعبر عن هذا في علم أصول الفقه برد الفروع إلى الأصول في تعريف الاجتهاد.

والاجتهاد في هذه القراءة لا يقابل النص, بل يشمله! والدليل على هذا أن : هناك أحكاماً فقهية وردت في نص القرآن, ويبدو أنها لا مجال للاجتهاد فيها, (كحد السرقة أو حرمة بعض المعاملات المصرفية غير المنطبقة على موازين الاقتصاد الإسلامي), لكننا حتى في هذه القضايا نحتاج دوماً إلى إعمال الاجتهاد للبت بأن الظروف الراهنة هل هي مؤهلة لتطبيق هذه "***الأحكام الأولية***" ؟ أم

أن هذه الظروف تقتضي ولو بشكل مؤقت بتنفيذ "***الأحكام الثانوية***" (كالأحوال الطارئة في بدايات انتصار الثورة الإسلامية مثلا)؟

من هنا اقتضى الواقع تشكيل "مجمع تشخيص مصلحة النظام" في الجمهورية الإسلامية في إيران للبت في النزاعات المستحدثة بين مجلس الشورى الإسلامي الذي يصر بحكم وظيفته على حل المشاكل الاجتماعية الطارئة من جانب, ومجلس المحافظة على الدستور الذي يصر بحكم وظيفته على عدم الابتعاد عن ثوابت الشرع الملحوظة في الأحكام الأولية.

وتأكيد الإمام الخميني على اعتبار الأحكام الثانوية من صميم الإسلام ولا أمورا أجنبية عنه, يشجعنا على قبول أن ***الاجتهاد لا يقابل النص,*** بل يحتضنه أو يتفاعل معه.

هذا, وإن مبدأ التفاعل بين النص والاجتهاد لا ينحصر فقط في تفضيل إحدى كفتي الأحكام الأولية والثانوية على الآخر, بل يشمل صرف الأحكام الأولية المنصوص عليها أيضا, لأنها ليست أكثر ثباتا من أصول الدين وعلى رأسها التوحيد, أليس الاجتهاد هو المنطلق الأساس في الاعتراف بالتوحيد, ولا يمكن الإيمان بالله إلا من خلال الاجتهاد والقناعة الشخصية؟ في حين أننا لا نجد أمرا أكثر وضوحا وحضورا من مقولة التوحيد في نص القرآن؟

في هذه القراءة يعتبر الاجتهاد والشورى أمرا له دوره وفاعليته في الوصول إلى حقيقة التوحيد, ولا نقصد طبعا عقد الشورى لإصدار الأمر بأن يكون الخالق واحدا أو اثنين, بل من جهة إعمال العقل والاجتهاد لكشف أسرار التوحيد ورموزه من منطلق : "*اضربوا بعض الرأي ببعض, يتولد من الصواب*" ـ الحديث. ومن هنا تركيز الإمام الخميني(ر.ه) على عدم إمكانية الهضم الكامل للنص من منطلق :"*إنما يعرف القرآن من خوطب به*" ـ الحديث.

وقد التفت بعض المفكرين إلى تفاعل النص مع الاجتهاد, مثلما يلي:

"أبو زيد يؤكد على أن النص القرآني محوري في الحضارة العربية الإسلامية بدرجة يمكن معها القول : إنها حضارة نص...لكن يلح على أن "هذا لا يعني أن النص وحده هو الذي أنشأ حضارة وعلوماً وفنوناً، بل الذي أنشأها هو جدل الإنسان مع الواقع من جهة وحواره مع النص من جهة أخرى""[٦١٠].

إن قبول مبدأ التفاعل بين النص والاجتهاد يدخلنا في فضاء عميق يتطلب إعادة قراءة كثير من المفاهيم التي اعتدنا عليها, ومنها حقيقة التزول التي يبدو أنها حقيقة مستمرة مواكبة مع تطورات الإنسان.

هذه المواكبة متفق عليها في تجدد الوحي الإلهي المتبلور في الكتب السماوية, ولكن الأمر الذي يدعو إلى التأمل هو ***فرضية استمرارية نزول الوحي بعد انقطاع النبوة*** بمجيء خاتم الأنبياء (ص).

وأميل إلى القول بأن ***انقطاع النبوة لا يعني بالضرورة انتهاء التزول***: نحن مؤمنون بأن القرآن هو آخر كتاب سماوي دون شك نزل من عند الله تعالى على قلب رسوله(ص), وتبلور في ألفاظ وآيات وسور لا مجال لأي تغير فيها حتى من قبل النبي الأكرم. قال تعالى: ((ولو تقول علينا بعض الأقاويل, لأخذنا من باليمين, ثم لقطعنا منه الوتين, فما منكم من أحد عنه حاجزين))[٦١١].

لكن هذا القرآن, رغم ثبات ألفاظه وكلماته فهو "***حمال أوجه***" ويتحمل عدداً غير محدود من المعاني ,لأنه يستوعب عددا من الحقائق لا تعد ولا تحصى: ((لو كان ما الأرض من شجرة أقلام, والبحر يمده سبعة أبحر ما نفدت كلمات

---

[٦١٠] د. حميد النيفر ــ نصر حامد أبو زيد ومعضلة ق . ر . أ ــ السفير

[٦١١] الحاقة ٤٤ ــ ٤٧

الله))[٦١٢]. فتفاعل العقل البشري مع القرآن واستنطاقه المستمر المواكب مع ارتقاء الإنسان هو ما أعتبره نزولا مستمراً للقرآن. وإذا كان الوحي انقطع على صعيد الألفاظ والكلمات بنزول القرآن على قلب النبي (ص), لكن كل فهم جديد من حقائق القرآن واكتشاف أسراره ورموزه طوال الزمان, نزول حقيقي من قلب الرسول إلى قلوب الناس (بواسطة أوليائه) عليهم السلام.

ثم إن القول بكون القرآن نسخة مكتوبة عن حقيقة الإنسان, ووحدة القرآن والإنسان التي تتجلى في كلمة الإمام علي (ع) : "***أنا القرآن الناطق***", يستلزم الاعتراف بتجدد واستمرار نزول القرآن في قلوب من يتدبر فيه بنحو منسجم مع تطور النفس الإنسانية وارتقائها التدريجي.

ومما يؤيد هذا الرأي اعتقاد عرفائنا بسريان النبوة في جميع مراتب الوجود[٦١٣]. ولا يختص هذا بالنبوة التكوينية, بل يشمل النبوة التشريعية من خلال استمرار الاجتهاد. وسنوافي القارئ الكريم بمزيد من التوضيح في البحث عن ثنائية : ***العقل/الشرع*** إن شاء الله تعالى.

من هذا المنطلق, نرى أن القرآن قابل للنقد العلمي بمختلف أنواعه (كالنقد البلاغي), بل نشجّع على كل دراسة تتطلب النقد العلمي والموضوعي, إيماناً منا بصمود القرآن أمام كل التساؤلات والإشكاليات. ونرى أن القرآن نفسه دعا إلى هذا الأمر عندما قال : ((قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين))[٦١٤]. ولذا لا

---

[٦١٢] لقمان ٢٧

[٦١٣] راجع : الإمام الخميني (ره) ــ مصباح الهداية ــ ٦

[٦١٤] البقرة ١١١

نجـــد مـــبرراً لتحفـــظ مفكريـــن كمؤلفـــي كتـــاب "طريقـــة التحليـــل البلاغـــي والتفسير"[٦١٥] الذين لجأوا إلى نقد السنة بدل القرآن, وقـــالوا في تـــبريره :

"العلوم القرآنية علوم تختص بالإسلام, وتعمل من داخـــل العقيـــدة الـــتي تُقـــدّس النص القرآني إلى أقصى الدرجات, وهي عقيدة لا معـــادل لهـــا عنـــد المســـيحيين في حقل الدراسات الخاصة بالكتاب المقدس. وقد عـــبر عـــن ذلـــك ا.ت.ولـــش (A. T. Welch) في نهاية مقاله الطويل : "القـــرآن" في : "دائـــرة المعـــارف الإســـلامية". قال : "يأبى المسلمون المعاصرون (لاعتقادهم بقـــدم القـــرآن وإعجـــازه اعتقـــادا لا تحفّظ فيه), قبول مناهج النقد التاريخي والنقد الأدبي الـــتي قدّمـــت فوائـــد جمـــة في دراسة كتب غير كتابهم. ويمكن للمسيحيين أن يدركوا هـــذا الأمـــر إلى حـــد مـــا, لأن تطور عقيدة قدم القرآن وإعجازه, مـــوازٍ لتطـــور القـــول بـــالتثليث, ولأن دور المسيح ـــ لا الكتاب المقدس في العقيدة المسيحية هـــو أقـــرب مـــا يكـــون إلى دور القرآن في المعتقد الإسلامي. لذلك كانت الصعوبة الـــتي يعـــاني منـــها المســـلمون في اعتماد النظرة النقدية إلى القرآن قابلة للمقارنة بالصعوبة التي يعاني منـــها كثـــير مـــن المسيحيين في قبول الآراء النقدية الـــتي تتنـــاول حيـــاة المســـيح (وتتعلـــق بولادتـــه وقيامته مثـــلا)".

وهكذا يمكن إدراك الأسباب التي حدتنا في هـــذا التحليـــل البلاغـــي الأول علـــى عدم اختيار النص القرآني بعينـــه"[٦١٦].

---

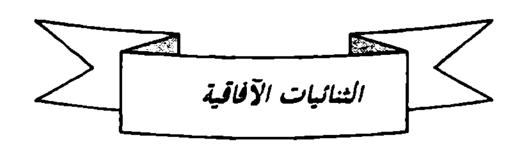
[٦١٥] مجموعة كتّاب ـــ طريقة التحليل البلاغي والتفسير ـــ المقدمة

[٦١٦] رولان مينيه/لويس بوزيه/نائلة فاروقي/أهيف سنّو ـــ طريقة التحليل البلاغي والتفسير ـــ ٢٨

هذا, ومن الدراسات النقدية عن القرآن, تلك الـــتي قـــام بهـــا جـــاك بـــيرك في كتابه عادة قراءة القرآن", وقد عالجته نقده نقده هـــذا في مقـــال بعنـــوان"نقـــد لكتـــاب إعادة قراءة القـــرآن"[٦١٧].

[٦١٧] نشر في المنطلق ــ عدد......

الوصل الثالث:



٨٨ ــ الوجود/العدم
٨٩ ــ النور/الظلمات
٩٠ ــ الحق/الباطل
٩١ ــ الرحمة/الغضب
٩٢ ــ الجنة/النار
٩٣ ــ الخير/الشر
٩٤ ــ الحياة/الموت
٩٥ ــ الغيب/الشهادة
٩٦ ــ الدنيا/الآخرة
٩٧ ــ المادي/المجرد
٩٨ ــ الحدوث/القدم
٩٩ ــ الثابت/السيال
١٠٠ ــ الاتصال/الانفصال
١٠١ ــ القبض/البسط
١٠٢ ــ المادة/الطاقة

٨٨ ـــ *الوجود/العدم*

داخل دائرة ثنائية ***الوجود/العدم***,هما متناقضـــان, صـــدق كـــل منـــهما يســـبب كذب الآخر. هذا ما يدلي به المنطـــق الصـــوري في تفســـير التنـــاقض, ويفيـــد أن هذه الثنائية أشد الثنائيات تنافراً, إذ يســـــتحيل اجتماعـــهما وارتفاعـــهما في نفـــس الوقـــت.

لكن عندما ننظر إليهما من فوق, نـــرى أن هـــذه الازدواجيـــة أيضـــاً تســـتهلك بقهر الوجود الذي يستوعب العدم, كأن عظمة الوجـــود تبلـــع العـــدم. لا عـــدم في الخارج. والعدم المتحقق في الذهـــن عـــدم بـــالحمل الأولي لا بـــالحمل الشـــائع. إنّ تصور العدم بحاجة إلى وعاء من الوجـــــود يســـتقر فيـــه فـــهو موجـــود في وعـــاء موجود, ولا يمكن الفرار من حكومة حضـــرة الوجـــود !

هذا من جانب الوجود, وأما من جـــانب العـــدم, فـــنرى أن إطـــلاق الوجـــود بعينه يساوي عدم وجوده ـــ أي عدم ظـــــهوره ـــ في الذهـــن .

فالوجود يهضم العدم في داخله, وهو بعينه ولإطلاقـــــه يســـبب انعـــدام تصـــوره في الذهن. وهذا : "***أمر بين أمرين***", وإن لم يكن "***منزلـــــة بـــين المـــنزلتين***" , كمـــا ذهب إليها المعتزلـــة.

٨٩ ـ النور/الظلمات

النور هو الظاهر لنفسه والمظهر لغيره من المظلمات, كما أن الوجود هو الظاهر لنفسه والمظهر لغيره من الماهيات. فالوجود والنور أمر واحد. إطلاق الوجود يساوي عدم حصوله في الذهن, وإطلاق النور يسبب خفائه المطلق, ويعبر عنه "بالكتر المخفي" و"الغيب المغيب" و"عنقاء المغرب" و"العماء".

إن الاعتراف بكون الوجود نوراً برمته, ومن أعلاه إلى أسفله, يعتبر من متطلبات قبول مبدأ "التشكيك في مراتب الوجود", فكيف إذا ذهبنا إلى أبعد من هذا, وقلنا بالتشكيك في مراتب الظهور؟ :

"الوجود كله نور وحياة عندنا لما عرفت أنه أظهر الأشياء, والإشراقيون وحكماء الفرس وافقونا في المفارقات والنفوس والأنوار العرضية التي يدركها ابصر كأنوار الكواكب والشهر والسرج دون الطبائع والأجرام. ولو لم يكن الطبيعة في أصلها نوراً لما وجدت بين النفس والجرم. فكل ظلمة في العالم هو الهيولى, وهي أصل الدنيا ومنبع شرورها, وبما هي في أصلها من عالم النور قبلت جميع الصور النورية للمناسبة, فانتفت ظلمتها بنور صورها"[٦١٨],

وإذا كانت نسبة السماء إلى الأرض نسبة النور إلى الظلمات, لكن الظلمات ظلمات بالنظر إلى نفسها, وهي بالذات أنوار بالنظر إلى ظهور الله فيها. قال تعالى : ((وأشرقت الارض بنور ربها))[٦١٩], وقال : ((الله نور السموات

---

[٦١٨] صدر المتألهين ـ الشواهد الربوبية ـ ١ / ١٤٨

[٦١٩] الزمر ٦٩

والارض))[٦٢٠]. فإذن, مراتب الظلمات المتداخلة هي بالذات مراتب النور المتداخلة: ويتضح هذا عند مقارنة الآية الكريمة: ((ظلمات بعضها فوق بعض))[٦٢١] بالآية الكريمة: ((نور على نور))[٦٢٢].

وكذلك يتضح عند مقارنة الآية : ((الله نور السموات والأرض)) بالآية : ((ألم تر إلى ربك كيف مد الظل؟))[٦٢٣]. فالسماوات والأرض هما نور الله ومظهر نورانيته, وبعينهما ظل له، يمتد من أعلى مراتب الوجود إلى أسفله مراتبه. فالنور يستوعب الظلمة ويهضمها في طياته:

"إن الإنسان بحسب خلقته على نور الفطرة, وهو نور إجمالي يقبل التفصيل. وأما بالنسبة إلى المعارف الحقة والأعمال الصالحة تفصيلاً فهو في ظلمة بعد, لعدم تبين أمره, والنور والظلمة بهذا المعنى لا يتنافيان ولا يمتنع اجتماعهما، والمؤمن بإيمانه يخرج من هذه الظلمة إلى نور المعارف والطاعات تفصيلاً. والكافر بكفره يخرج من نور الفطرة إلى ظلمات الكفر والمعاصي التفصيلية".[٦٢٤]

إن ***استيعاب النور للظلمات*** وهضمها يعطي لها أهلية "الجعل", ولكن لا بالذات, بل بالعرض أي بتبع الوجود. وللتوضيح نقول : إن الظلمة تقابل النور تقابل تناقض بمعنى أنها أمر عدمي, أي مفهوم يعبر عن عدم تحقق النور. وحيث أن (*العدم لا يعلل*), فلا تقع العلاقة العلية والسببية بين الظلمة وغيرها,

---

[٦٢٠] النور ٣٥

[٦٢١] النور ٤٠

[٦٢٢] النور ٣٥

[٦٢٣] الفرقان ٤٥

[٦٢٤] العلامة الطباطبائي ــ الميزان ــ ٢ / ٣٦٤

ويستحيل جعلها وخلقها. وإذ (*لا تمايز في الأعدام*), فيجب أن يكون هذا المفهوم واحدا (كنقيضه : الوجود).

إلاّ أن مجيء هذه اللفظة بصيغة الجمع (الظلمات) في القرآن, يدل على استعمالها كأمر نسبي (مقابل الذاتي), وحينئذ تصبح مجعولة بالعرض (لا بالذات), كمثال : وصف الظل (الظلمة) بالامتداد وصف بالعرض, تابع لأمرين: امتداد النور الذي أحاط بالظل, وانتهاءه عند الوصول إلى ما يسمى بالظل.

إن امتداد النور في ظلمات الطبيعة أمر محقق, لا ينحصر في إطار الفلسفة الإسلامية, بل يشهد به الكتاب المقدس أيضاً :

يقول النبي داود (ع) : "أين أذهب وروحك هناك ؟ وأين أهرب من وجهك ؟ إن تسلقت السماء فأنت فيها، وإن نزلت إلى عالم الأموات فأنت هناك. إن اتخذت أجنحة السَّحر وسكنت في أقاصي اليم، فهناك أيضاً يدك تهديني ويمينك تمسكني. تأمر الظلام فينجلي، والليل فيصبح نوراً. لديك لا يظلم الظلام، والليل يضئ كالنهار. فالظلام عندك كالنور"[٦٢٥].

حتى الرؤية العلمانية التي تتوهم استقلال العالم الطبيعي عن المصدر الغيبي, باتت تعترف بتحقق "النور" و"الهدى" في الطبيعة :

"العلمانية لا تعارض الدين ولا تدعي أن لا نور ولا هدى إلاّ بها. ولكنها تقول إن النور و الهدى موجودان في العالم الطبيعي الذي يعمل مستقلاً عن أية عوامل أو قوى خارجية".[٦٢٦]

---

[٦٢٥] (مز ١٣٩ : ٧ - ١٢)

[٦٢٦] دائرة المعارف الأمريكية ــ طبعة عام ١٩٩٤ ــ السفير ــ ٩٧/١٢/٣

ملاحظـات :

يندرج في ثنائية ***النـــور/الظلمـــات*** ثنائيــات أخـــرى نحـــو : *الظـــل/الحـــرور*, *والدفء/البرودة*, *والليل/النـــهار*, *والبيـــاض/الســـواد* في قائمـــة الألـــوان (ومنـــها *الأبيض/الأسود*, *والعربي/الأعجمي*), *والشـــروق/الغـــروب* : ((قـــال رب المشـــرق والمغرب وما بينهما))[627], *والنـــور/الظـــل* اللذيـــن التقيـــا في الآيتـــين : ((الله نـــور السـموات والأرض)), و ((ألم تـــر إلى ربـــك كيـــف مـــد الظـــل)), وثنائيـــة *الفلق/الشـفق*.

٩٠ــ الحق/الباطل

إذا كان الحق والباطل لا يجتمعان في فضاء الكثرة, ويتعارضـــان طيلـــة التـــاريخ, لكن الحق في فضـــاء الوحـــدة يســتوعب البـــاطل, ((فيدمغـــه))[628] أي يهضمـــه ويشـمله :

"الشيء الموجود في الخارج ***حق*** من جهة أنـــه موجـــود كمـــا أعتقـــد كوجـــود الحق تعالى. والشيء غير الموجود وقد اعتقد له الوجـــود ***بـــاطل***. وكـــذا لـــو كـــان موجوداً لكن قدر له من خواص الوجود ما ليس لـــه كتقديـــر الاســتقلال والبقـــاء

[627] في ((ما بينهما)) إشارة إلى تعادل الشرق والغرب, ونفس الإشارة موجودة في الآية الشريفة ((لا شرقية ولا غربية)).

[628] ((بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق)), الأنبياء ١٨

للوجود الممكن. فالموجود الممكن ***باطل*** من جهة عدم الاستقلال أو البقاء المقدر له وإن كان ***حقًا*** من جهة أصل الوجود قال:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل"[629]

"وقوله تعالى: ((كذلك يضرب الله الحق والباطل))[630] : أي يثبت الله الحق والباطل. فالمراد بالضرب والله أعلم نوع من التثبيت من قبيل قولنا ضربت الخيمة... ومن هنا يظهر أن قول المفسرين: إن في الجملة حذفاً أو مجازاً والتقدير كذلك يضرب الله مثل الحق والباطل في غير محله...وكون ثبوت الحق نظير ثبوت الزبد وكون ثبوت الباطل نظير ثبوت الزبد".[631]

فالباطل متعلق الوجود بالحق كتعلق الزبد بالماء, وهذا ما قصدته من أن ***الحق يستوعب الباطل*** ويشمله. "وليس المراد بنفي التعارض ارتفاع التنازع والتراحم من بين الأشياء في عالمنا المشهود, فإنما هو دار التنازع والتزاحم, لا يرى فيه إلا نار يخمدها ماء, وماء تفنيها نار, وأرض يأكلها نبات, ونبات يأكله حيوان, ثم الحيوان يأكل بعضه بعضاً, ثم الأرض يأكل الجميع. بل المراد أن هذه الأشياء , على ما بينها من الافتراس والانتهاش تتعاون في تحصيل الأغراض الإلهية, ويتسبب بعضها ببعض للوصول إلى مقاصدها النوعية...مثل كفتي الميزان, فإنهما في تعارضهما وتصارعهما يطيعان من بيده لسان الميزان لتقدير الوزن"[632].

---

[629] العلامة الطباطبائي ــ الميزان ــ ٣٦٨/١١

[630] الرعد ١٧/١٣

[631] المصدر السابق ــ ٣٧٠/١١

[632] المصدر السابق ــ ٣٧٣/١١

ومما يدل على عدم كون الباطل جبهة مستقلة عن جبهـــة الحـــق قولـــه تعـــالى: ((إن الباطل كان زهوقاً))[٦٣٣], و لم يقل ســـيصبح زهوقـــاً.

ولأن الحق يشمل كل الوجود وكل مراتب الظهور, فـــــهو مقـــول بالتشـــكيك, ولذا يقبل التدريج في الخروج مـــن عمـــق البطـــون إلى فضـــاء الظـــهور. إلى هـــذا التدريج تشير الآية الشريفة : ((ويريـــد الله أن يحـــق الحـــق بكلماتـــه))[٦٣٤]. والمـــراد بإحقاق الحق إظهاره وإثباته بترتيب آثـــاره عليـــه.

والحق هو الانفتاح المطلق أمام الكون, إذ به ظـــــهر الكـــون, وتحقـــق الخلائـــق, وفي نفس الوقت يقف بوجه الباطل : ((بل نقـــذف بـــالحق علـــى البـــاطل فيدمغـــه فإذا هو زاهق))[٦٣٥]. والشرائع السماوية الـــتي اشـــتبكت واصطدمـــت وخـــاضت في كثير من المعارك ووصفت طوال التاريخ مـــن قبـــل البعـــض بأنهـــا لا تنفتـــح أمـــام الواقع ولا ترضخ لمسارات السلطة, تنزلت من عند الله المنفتـــح أمـــام كـــل الوجـــود وكل النـــاس.

وتندرج في ثنائية *الحـــق/البـــاطل* ثنائيـــة: *الصـــواب/الخطـــأ* , ليغطـــي الحـــق والصواب كل الأخطـــاء :

"في الحقيقة لا يوجد في الكون خطأ. بل كل فكر أصلـــي وإدراك حقيقـــي إنمـــا هو صواب قد طبّق على مورد خطـــأ. يقـــول الشـــاعر الإيـــراني مـــا ترجمتـــه : لا نعترض على كلام أي إنسان فقلم الصنع لم يخط شـــيئاً خطـــأً"[٦٣٦].

---

[٦٣٣] الإسراء ٨١

[٦٣٤] الأنفال ٧

[٦٣٥] الأنبياء ١٨

[٦٣٦] العلامة الطباطبائي ـــ أسس الفلسفة ـــ ١/٢٦٣ ـــ دار التعارف

ولأن الحق مطلق فهو شامل للوجود كله, وليس لأي موجود مقيد أن يدعي احتكار الحق, "فإن وجوه الفهم لا تنحصر ولا تحصى, ومعارف الحق لا تتقيد ولا تحوى, لأن الحق أوسع من أن يحيط به عقل وحد, وأعظم من أن يحصره عقد دون عقد"[٦٣٧].

و"شرط الحق اقتناع صاحبه أنه أقل حقيقة مما ينبغي"[٦٣٨].

في هذا الإطار يأتي أيضا ثنائية : ***الثقل/الخفة***, لأن القرآن ينسب "***الوزن***" إلى "الحق".

"الأقرب أن يكون المراد بقوله (والوزن يومئذ الحق) أن الوزن الذي يوزن به الأعمال يومئذ انما هو الحق...والحسنات مشتملة على الحق فلها ثقل كما أن السيئات ليست إلاّ باطلة فلا ثقل لها".[٦٣٩]

ولكل أحد موازين كثيرة من جهة اختلاف الحق الذي يوزن به باختلاف الأعمال. فالحق في الصلاة وهو حق الصورة غير الحق في الزكاة . هذا الاختلاف تؤيده صيغة الجمع في "الموازين" في قوله ((فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية. وأما من خفت موازينه فأمه هاوية))[٦٤٠].

---

[٦٣٧] صدر المتألهين ــ الأسفار ــ ١٠/١

[٦٣٨] علي حرب ــ نقد الحقيقة ــ ١١١

[٦٣٩] العلامة الطباطبائي ــ الميزان ــ ٨ /٥

[٦٤٠] القارعة ٦

٩١ ـ الرحمة/الغضب

الرحمة والغضب متعارضان في فضاء الكثرة, لا يمكن اجتماعهما. وصراط الذين أنعم الله عليهم وشملتهم الرحمة والرضوان غير سبيل المغضوب عليهم والضالين.

لكن الرحمة في معناها العميق وفي عالم التوحيد تشمل الغضب وتحتضن النار ولهيبها وزفيرها: ((ورحمتي وسعت كل شيء))[٦٤١]. وفي هذا سر ابتداء السور القرآنية بالبسملة المشتملة للرحمة الإلهية بوجهيها الرحمانية والرحيمية, حتى تلك التي تخاطب الكافرين.

٩٢ ـ الجنة/النار

الجنة والنار هما أعلى مظاهر بلورة الرحمة والغضب الإلهيين. لكن النسبة بينهما ليست عرضية, بل هي طولية. فالجنة تشرف على النار وتطل عليها. وهذا يفيد ***استيعاب الجنة للنار***.

ومن أدلة هذه العلاقة الطولية أن :

ـ مراتب الجنة سميت في القرآن ***بالدرجات*** التي تعنى الارتقاء , ويقال للعبد في الجنة : "إقرأ وارق", لكن مراتب النار سميت ***بالدركات*** التي تفيد معنى

---

[٦٤١] الأعراف ١٥٦

السقوط والانحطاط. ومن هذا الباب تسمية النار "بالهاوية", وسقوط المجرمين إلى النار عند العبور من الصراط.

ـ إطلال الإنسان الكامل على الجنة والنار. ومن فضائل مولانا الإمام علي بن أبي طالب (ع) أنه قسيم الجنة والنار.

ـ العلاقة الطولية تبرر إمكانية تحقق "النور" و"البركة" في النار:

ـ ((فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها))[٦٤٢]: قال القرطبي: "كانت النار نورا, وإنما ذكره بلفظ النار لأن موسى حسبه نوراً. "أي فلما جاء موسى ظن أنه نار وهي نور. قال ابن جريج : النار حجاب من الحجب, وهي سبعة حجب: حجاب العزة, حجاب الملك, حجاب السلطان, حجاب النار, حجاب النور, حجاب الغمام, وحجاب الماء"[٦٤٣].

ـ ((فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون))[٦٤٤].

على أي حال النار من النور والنور يساوق الوجود والكمال. وإلى هذا يشير قولنا : "النار حقّ".

والنار وإن كانت تتعلق بالآخرة حيث أنها دار الحساب والعقاب لا العمل والاختبار, لكن لها وجهاً دنيوياً لابتعادها عن الرحمة الإلهية مقارنة بالجنة, وهذا ما يصحح إمكانية التغير والتبدل فيها:

---

[٦٤٢] النمل ٨

[٦٤٣] تفسير القرطبي

[٦٤٤] القصص ٢٩

ـ لقوله تعالى : ((كلما نضجت جلودهـــم بدلنـــاهم جلـــودا غيرهـــا ليذوقـــوا العـــذاب))[٦٤٥],

ـ ولاستمرار الخلافات فيها فهناك مشـــادة بـــين المســـتكبرين والمســـتضعفين في جهنم : ((قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددنـــاكم عـــن الهـــدى بعـــد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين.وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بـــل مكـــر الليـــل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامـــة لمـــا رأوا العـــذاب))[٦٤٦], كما أن إبليس يتبرأ من الكفار ويلقي اللوم عليـــهم بكفرهـــم.

ملاحظـات :

تندرج في ***الجنة/النار*** ثنائية ***اللذة/الألم***, وثنائية ***الثـــواب/العقـــاب***.

والعذب/الملح : ((وهو الذي مرج البحرين هـــذا عـــذب فـــرات وهـــذا ملـــح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجـــراً محجـــوراً))[٦٤٧]. ويلاحـــظ أن وجـــود الـــبرزخ يدل على التضاد ولا التنـــاقض (مـــرج أي خلـــط), ***ممـــا*** يفيـــد أن العذوبـــة أمـــر تشكيكي ذو مراتب, وكل مرتبة من العذوبـــة ترافـــق قـــدراً مـــن الملوحـــة, أي أن العذوبة تستوعب الملوحة, والبرزخ "***أمر بـــين أمريـــن***".

---

[٦٤٥] النساء ٥٦

[٦٤٦] سبأ ٣٢ ـ٣٣

[٦٤٧] الفرقان ٢٥/٥٣

المذهب الثنوي يتوهم أن الخير والشر كلاهمـــا أمـــران أصيـــلان ومتحققـــان في أرض الواقع, فلا بد من افـــتراض منبعـــين متضـــادين لهمـــا, فاعتـــبر الزرادشـــتية "*اهورامزدا*" إله الخير , و"*اهريمن*" إله الشر, مهما يخوضـــان معركـــة حقيقيـــة تمتـــد طيلة التاريخ, على أمل أن تتغلب قوى الخير على جنود الشـــر في نهايـــة المطـــاف.

ومذهب التوحيد ينسف هذا الوهم بإرجاع جميع الخلائـــق إلى مصـــدر واحـــد. ((هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شـــيء عليـــم))[٦٤٨]. وهـــذا لا يعـــني أن الشر من حيث هو شر ينســـب إلى الله : ((ومـــا أصـــابكم مـــن مصيبـــة فبمـــا كسبت أيديكم ويعفو عن كثير))[٦٤٩]. فالآيـــة تنســـب الخـــير إلى الله وتنزهـــه عـــن الشر. بل لأن الشر من حيث هو موجود ليس بشر. فالآية الشـــريفة : ((قـــل كـــل من عند الله))[٦٥٠], والآية : ((ما أصاب من مصيبة إلا بـــإذن الله ومـــن يؤمـــن بـــالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم))[٦٥١] تنسب الكل إلى الله دون تفريـــق, لأنهـــا تنظـــر إلى الشر لا بصفته شراً بل بصفته أمر متحققاً وكل متحقق فيه حـــظ مـــن الحـــق.

فما يصدر من الشيطان أو من النفس الأمارة بالسوء مـــن الشـــرور والوســـاوس يدخل الإنسان في معركة حامية لا بـــد منـــها للاســـتقواء والاســـتكمال الـــذي لا يتحقق إلا بالتضاد,وكلها برعاية الله الذي مهّل الشيطان والكفـــر لتحقيـــق أرضيـــة يتبلور فيها اختيار الإنسان وتخرج قواه المكنونة إلى ســـاحة الفعـــل.

---

[٦٤٨] الحديد ٣

[٦٤٩] الشورى ٣٠

[٦٥٠] النساء ٧٨

[٦٥١] التغابن ١١

والله تعالى خالق الشيطان والملك, وملهم الفجـــور والتقـــوى لنفـــس الإنســـان. والفجور والتقوى رغم تعارضهما العميق وصراعـــــهما العنيـــف لكنـــهما تنطلقـــان من عمق النفس الإنسانية وليستا أمرين يعرضان علــــى النفـــس مـــن الخـــارج , إلى هذا تشير الآية (فألهمها فجورها وتقواها) بإضافتهما مباشـــــرة إلى الضمـــير الراجـــع إلى النفـــس.

ولتحقيق هذا الاختبار للإنسان بوصفه خليفـــــة لله, كـــان لا بـــد مـــن إعطـــاء هامش مناورة له يتراوح بين الخير اللامتناهي والشـــر اللامتنـــاهي أي بمقـــدار ســـعة العالم كله. قال تعالى : ((لقد خلقنـــا الإنســـان في أحســـن تقـــويم, ثم رددنـــاه إلى أسفل ســـافلين))[٦٥٢].

ورغم اعتيادنا على انتساب الفضائل لإنسانية الإنســـــان دون الرذائـــل, واعتبـــار أن "بالفضائل يصير الإنسان إنساناً"كما قال ابن رشد, لكـــن لغـــة القـــرآن صريحـــة في أن الإنسان إنسان ســـواء أكـــان في ذروة الخـــير أو في حضيـــض الشـــر. ومـــن الطريف أن الآيات القرآنية التي تنسب الشر في أســـفل دركاتـــه إلى الإنســـان, هـــي بذاتها وفي قراءة ثانية تنسب الخير في أعلـــى درجاتـــه إليـــه : قـــال تعـــالى : ((إنـــا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فـــأبين أن يحملنـــها وأشـــفقن منـــها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا))[٦٥٣]. الظلم والجـــهل همـــا أكـــثر الصفـــات شراً وفساداً في المعايير الأخلاقية, لكن الإمـــام الخميـــني(ره) يعتـــبر الآيـــة الشـــريفة أجمل تعريف وتمجيد للإنســـان:

---

[٦٥٢] التين ٤– ٥

[٦٥٣] الأحزاب ٧٢

"لعل الأمانة المعروضة على السماوات والأرض والجبال الـتي أبـين عـن حملـها وحملها الإنسان الظلوم الجهول, هـي هـذا ***المقـام الإطلاقـي***. فـإن السـماوات والأرضين وما فيهن محدودات مقيدات, حتى الأرواح الكليـة. ومـن شـأن المقيـد أن يأبى عن الحقيقة الإطلاقية. والأمانة هي ظل الله المطلـق, وظـل المطلـق مطلـق, يأبى كل متعين عن حملها. وأما الإنسان بمقام الظلوميـة الـتي هـي التجـاوز عـن قاطبة الحدودات والتخطي عن كافة التعينـات, واللامقـامي المشـار إليـه بقولـه تعالى شأنه على ما قيل : ((يا أهل يثرب لا مقام لكـم))[٦٥٤], والجهوليـة الـتي هـي الفناء عن الفناء قابل لحملها, فحملها بحقيقته الإطلاقيـة حـين وصولـه إلى مقـام قاب قوسين , وتفكر في قولـه : ((أو أدنى))[٦٥٥], وأطـف السـراج , فقـد طلـع الصبـح"[٦٥٦].

ملاحظـات :

تتعلق بمعادلة ***الخير/الشر*** ثنائيـات, منـها : ***الحسـنة/السـيئة*** : ((ولا تسـتوي الحسنة ولا السيئة))[٦٥٧]. و: ***الولاية/العداوة*** ((ادفع بالتي هـي أحسـن فـإذا الـذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميـم))[٦٥٨].

---

[٦٥٤] الأحزاب ١٣

[٦٥٥] النجم ٩

[٦٥٦] الإمام الخميني ــ مصباح الهداية ــ ١١٩

[٦٥٧] فصلت ٣٤

[٦٥٨] فصلت ٣٤

وأيضاً : الوجوب/الحرمة, الحسن/القبح, الإلهام/الوسوسة, التولي/التبري, الحب/البغض, العدل/الظلم, الهداية/الضلالة, الفجور/التقوى, الربح/الخسارة, الإنذار/التبشير. وبين الأسماء الإلهية : يا *آمر يا ناهي*, و يا *ضار يا نافع*.

٩٤ ـــ *الحياة/الموت*

الموت في عالم التكثير يقابل الحياة وكذا العكس. هذه دائرة الظن والحسبان, فيظن المرء موته إبادة لحياته. ولكن في عالم التوحيد, *يلتقي الموت بالحياة*.: ((ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون))[٦٥٩]. والحديث الشريف : "*موتوا قبل أن تموتوا*" صريح في تحقق الموت (الإرادي العرفاني) في صميم الحياة.

وحيث أن الحياة تستقر على العلم فالميت الذاهب من هذا العالم, والمتحرر من قيود الدنيا هو أكثر علماً وبالتالي أوسع حياة من الحي: "*الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا*" ـــ الحديث. هذا واقع لا يقلص من واقعية استهزاء من يفتقر إلى عين لشهود الحقائق, كالكاتب الذي يذكر الفقرة التالية من كتاب "حكمة الإشراق" للسهروردي:

[٦٥٩] آل عمران ١٦٩

"وكما أن النائم ونحوه إذا انتبه فـارق العـالم المثـالي دون حركـة, و لم يجده على جهة منه, فكذا من مات عن هذا العالم, يشـاهد عـالم النـور دون حركـة, وهو هنـاك".[659]

ثم يعلق مسـتهزئاً :

"هكذا يريدنا السهروردي أن نميت أنفسنا عن هـذا العـالم, فـالعين لا تـرى, والأذن لا تسمع...ليتاح لنا عندئذ أن نشاهد عـالم النـور !"[660]

ملاحظـة :

تندرج في ثنائية ***الحياة/الموت*** معادلة : ***البقـاء/الفنـاء*** :

ما الذي يبقى في العالم؟ وما الذي يفنى ويـزول؟ في الوهلـة الأولى يبـدو أنهـا ازدواجية حقيقية, وحسب تعبير العلامة الطباطبـائي : "هـذه الموجـودات يشـتمل كل منهما على جزء ثابت غير زائل سيعود إليه ببطلان ما هـو بـاطل منـها" :

على هامش الآية الشريفة : ((أنزل من السـماء مـاء فسـالت أوديـة بقدرهـا فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النـار ابتغـاء حليـة أو متـاع زبـد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهـب جفـاء وأمـا مـا ينفـع الناس فيمكـث في الأرض كذلـك يضـرب الله الأمثـال))[661], يقـول العلامـة الطباطبـائي :

---

[659] شهاب الدين السهروردي ـ حكمة الإشراق ـ ٢٤١

[660] زكي محمود ـ المعقول واللامعقول ـ ٤١٩

[661] الرعد ١٧

"إن تفرّق هذه الرحمة السماوية في أودية العالم وتقدرها بالأقدار المقارنة لها لا ينفك عن أخباث وفضولات تعلوها وتظهر منها, غير أنها باطلة أي زائلة غير ثابتة بخلاف تلك الرحمة النازلة المتقدرة بالأقدار, فإنها باقية ثابتة أي حقة. ومن ذلك ينقسم ما في الوجود إلى حق وهو الثابت الباقي وباطل وهو الزائل غير الثابت.

والحق من الله سبحانه, والباطل ليس إليه وإن كان بإذنه قال تعالى : ((الحق من ربك))[٦٦٣]. وقال ((وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا))[٦٦٤]. فهذه الموجودات يشتمل كل منها على جزء ثابت غير زائل سيعود إليه ببطلان ما هو باطل منها كما قال : ((ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلاّ بالحق وأجل مسمى))[٦٦٥], وقال : ((ويحق الله الحق بكلماته))[٦٦٦], وقال : ((إن الباطل كان زهوقا)).[٦٦٧] قال في المجمع : "الزهوق هو الهلاك والبطلان. يقال زهقت نفسه إذا خرجت مكانها خرجت إلى الهلاك". وفي الآية دلالة على أن الباطل لا دوام له كما قال تعالى في موضع آخر : ((ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار))[٦٦٨].[٦٦٩]

التفريق بين الأمر الباقي والأمر الفاني في الأشياء أمر واقع في فضاء الكثرة وعالم الاعتبار. لكن افتراض كل شيء مركب من جزء ثابت وجزء آخر باطل

---

[٦٦٣] آل عمران ٦٠

[٦٦٤] ص ٣٨/٢٧

[٦٦٥] الأحقاف ٣

[٦٦٦] يونس ٨٢

[٦٦٧] أسرى ٨١

[٦٦٨] إبراهيم ٢٦

[٦٦٩] العلامة الطباطبائي ــ الميزان ــ ١٣ / ١٧٧

لا يخلو من مسامحة في عالم الوحدة وفي منـــهج ***أمـــر بـــين أمريـــن***", لأن الآيـــات المذكورة صريحة في عدم طروّ أي شيء بـــاطل في خلـــق الســـماوات والأرض ومـــا بينهما, وصريحة في أن الباطل "كان زهوقاً" لا أنه ســـيصبح زهوقـــاً.

وأما الانتهاء التدريجي "للزبـــد" المذكـــور في الآيـــة : ((أمـــا الزبـــد فيذهـــب جفاء)), فينبغي فيه تذكر أن الشيء الـــذي يوجـــد الآن ويفـــنى في زمـــان آخـــر, انتسابه إلى زمان وجوده انتساب حقيقي. أما انتسابه إلى زمـــان آخـــر, فـــهو أمـــر اعتباري, لا حقيقة لـــه في نفـــس الأمـــر, ممـــا يفيـــد نســـبية الفنـــاء واعتباريتـــه و"استيعاب البقاء لـــه" :

وللتوضيح أذكر جزءً من البينة رقم ٤٤ من كتـــابي : "***بينـــات***" :

"فرض الموجود أمراً ممكناً بالإمكان الذاتي يتحمل العـــدم تـــارة والوجـــود تـــارة أخرى أو موجوداً هنا ومعدوماً هناك في الحقيقة "لعبـــة" ذهنيـــة"[٦٧٠].

فكما نلعب بتصوراتنا عندما نمزج بين صفـــرة الذهـــب وحجـــم الجبـــل لخلـــق صورة وهمية هي "جبل ذهبي"، فكذلـــك نلعب عندمـــا نقيـــم علاقـــة بـــين شـــيء مادي وزمانٍ غير زمانه ونحمله صفة العدم بانتسابه إلى زمان شـــيء آخـــر، وصفـــة الوجود بانتسابه إلى زمان نفسه[٦٧١]. ونحن نعرف أن زمـــان الشـــيء وليـــد لحركـــة

---

[٦٧٠] وإن كان لها أساس في الخارج . فما من لعبة إلا ولها أساس جدّيّ تنطلق منه. وما من وهـــم واختـــراع وإبداع ومثال إلا ويمثل جانباً من الواقع والوجود . وما لا حظ له من الوجود لا يتحقق وعالم الوهم والخيـــال أيضاً جزء من ساحة الوجود , الذي "لا يمكن الفرار من حكومته" .

[٦٧١] كلعبة الشطرنج التي تحتل فيها قطعة مكان قطعة أخرى. هذه صفة الحياة الدنيا التي تتقيد بحدود الزمـــان والمكان. قال تعالى : ((إنما الحيوة الدنيا لعب ولهو)) محمد(ص) ـــ ٣٦.

نفس ذلك الشيء. وليس الزمان ظرفاً مستقلاً يقع فيــــه الشــيء المــادي[٦٧٢]، حـــتى نخرجه ونضعه في ظرف آخر. وكذلـــك المكـــان"[٦٧٣],[٦٧٤].

إن منطق *"امر بين امرين"* يؤكد على أنـــه ليـــس هنـــاك أشـــياء تفـــنى وأشـــياء أخرى تبقى, بل نفس ما هو هالك فان في ذات الله, بـــاق أيضـــاً ببقـــاء الله. يقـــول العلامة الطباطبائي ذيل الآية الشـــريفة : ((خـــالدين فيـــها مـــادامت الســـماوات والأرض))[٦٧٥] :

"قال الراغب في المفردات : الخلود هو تـــبري الشـــيء مـــن اعـــتراض الفســـاد وبقاؤه على الحالة التي هو عليها. وكل مـــا يتبطـــأ عنـــه التغيـــير والفســـاد يصفـــه العرب بالخلود... وقوله ((مادامت السماوات والأرض)) نوع مـــن التقيـــد لتـــأكيد الخلود. والمعنى : دائمين فيها دوام السماوات والأرض...ويشـــكل الأمـــر في الآيـــة

---

[٦٧٢] كما كان يقول به نيوتن, وأبطله أينشتين.

[٦٧٣] لا تظن أن هذا القول يوجب افتراض ما خلقه الله لعبة وهو مرفوض بالآيات التالية في سورة الأنبياء:

((وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين. لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فـــاعلين. بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون)).

فالله لم يلعب بخلقه للسماء والأرض ــ تعالى عن ذلك ــ , بل نحن نلعب عندما نتصورها ممكنات ذاتيـــة (مستقلة عن الله في إمكانها),ونفترض وجوها أثراً من "الغير" عليها, فالله ليس غيراً لأنه : "داخل في الأشياء لا بممازجة, وخارج عنها لا بمزايلة", وهو مطلق يملأ المقيد من الداخل, ويحيط به من الخارج.

واعلم أن هذه اللعبة تدنّس الإنسان, وتشغلها بما سوى الله. فقد روى "الطبرسي" عن الإمام جعفر بـــن محمد الصادق (ع),في تفسير الآية الكريمة : ((وسقاهم ربهم شراباً طهوراً))/الدهر/٢٣ : "أي يطهرهم عـــن كل شيء سوى الله . إذ لا طاهر من تدنس بشيء من الأكوان ..." .(نقلاً عن: آية الله حسن زاده الآملـــي ــ انسان در عرف عرفان ــ ٩٢).

[٦٧٤] محمد خاقاني (المؤلف) ــ بينات ــ البينة ٤٤

[٦٧٥] هود ١١ / ١٠٧

من جهة تحديد الخلود المؤبد بمدة دوام السماوات والأرض وما بينهما إلاّ بالحق وأجل مسمى[٦٧٦]... والذي يحسم الإشكال أنه تعالى يذكر في كلامه أن في الآخرة أرضاً وسماوات وإن كانت غير ما في الدنيا بوجه. قال تعالى : ((يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار))[٦٧٧].

وتحديد بقاء الجنة والنار وأهلهما بمدة دوام السماوات والأرض إنما هو من جهة أن السماوات والأرض مطلقاً, ومن حيث أنهما سماوات وأرض مؤبدة غير فانية وإنما تفني هذه السماوات والأرض التي في هذه الدنيا على النظام المشهود". [٦٧٨]

مزيد من التأكيد على أن *الفاني بحسب ذاته هو الباقي ببقاء الله* نراه في كلام الإمام علي (ع) في تفسير الآية ((إنا لله وإنا إليه راجعون))[٦٧٩] : ((إنا لله)) إقرار على أنفسنا بالملك، و((إنا إليه راجعون)) إقرار على أنفسنا بالهلك.[٦٨٠] وفي كلامه عليه السلام تصوير ثنائية ***النزول/الصعود بالملك/الهلك***.

[٦٧٦] الأحقاف ٣

[٦٧٧] إبراهيم ٤٨

[٦٧٨] العلامة الطباطبائي ــ الميزان ــ ١١ / ٢٤

[٦٧٩] ١٥٦/٢

[٦٨٠] السيد عباس نور الدين ــ سفر إلى الملكوت ــ ١٠١

٩٥ ـــ *الغيب/الشهادة*

يتطرق المستشرق "جاك بيرك" في كتابه "إعادة قراءة القرآن"[٦٨١] لبعض المضامين القرآنية و "تفسير بعض المفاهيم الأساسية" منها : "*الغيب*" . وينتهي إلى أن الغيب قد يكون بمعنى "الماورائي" عندما يستعمل مع "الشهادة" ، و "ملكية الله للغيب والحضور" تتسع تقريباً الما بعد والعالم السفلي، لكن المابعد يجاوز الميتافيزيقيا، ولا يمكن أن نضغطهما في علاقة ثنائية، لأنهما في حال استخدامهما المنفصل يتضمن الواحد الآخر.

نحن نقدره على وقوفه عند هذا الأصل العرفاني في القرآن، الذي يقضي بعدم الفصل بين الطبيعة والمابعد، وأن الغيب حاضر في ساحة الوجود بحذافيره.

بل نذهب إلى أبعد من هذا ونقول : ليس فقط أن كلا منهما يحتضن الآخر، بل أن أي شيء في العالم يعتبر غيباً وشهادة في نفس الوقت من زاويتين مختلفتين : نعتبر الجسم من عالم الشهادة باعتبار أنه مشهود لنا، لكنه في نفس الوقت غائب عن نفسه، إذ ليست أجزاءه الواقعة في مراتب مختلفة من المكان والزمان عارفة بعضها بالبعض.

ونعتبر الروح في عالم الغيب، لأنها غائبة عنا، لكنها مشهودة لنفسها، لكونها حقيقة مجردة كينونتها من العلم والشهود.

فيما يلي نرى تجاوب العلامة الطباطبائي مع النسبية في معادلة ***الغيب/الشهادة*** في كل شيء سوى الباري تعالى الذي هو غيب مطلق, لكنه في نفس الوقت شهود مطلق :

---

[٦٨١] محمد خاقاني (المؤلف) ــ نقد كتاب إعادة قراءة القرآن ــ مجلة المنطلق

"وأمّا الأشياء بعد تلبّسها بلباس التحقّق والوجـود ونزولهـا مـن منزلهـا بـالحد والقدر فالذي في داخل حدودهـا وأقدارهـا يرجـع بالحقيقـة إلى مـا في خزائـن الغيب ويرجع إلى الغيب المطلق. وأما هي مع ما لها من الحـد والقـدر فـهي الّـتي من شأنها أن يقع عليها شهودنا ويتعلّق بها علمنا. فعند مـا نعلـم بهـا تصـير مـن الشهادة وعند ما نجهل بها تصير غيبـاً، ومـن الحـريّ أن نسـميها عندمـا تصـير مجهولة لنا غيباً نسبياً, لأنّ هذا الوصـف الـذي يطرؤهـا عندئـذ وصـف نسـبيّ يختلف بالنسب والإضافات, كما أن ما في الدار مثـلاً مـن الشـهادة بالنسـبة إلى من فيها، ومن قبيل الغيب بالنسـبة إلي مـن هـو في خارجـها، وكـذا الأضـواء والألوان المحسوسة بحاسة البصر من الشـهادة بالنسـبة إلى البصـر, ومـن الغيـب بالنسبة إلى حاسّة السمع، والمسموعات التيّ ينالهـا السـمع شـهادة بالنسـبة إليـه وغيب بالنسبة إلى البصر، ومحسوساتهما جميعـاً مـن الشـهادة إلى الإنسـان الـذي يملكها في بدنه ومن الغيب بالنسبة إلى غيره مـن الأناسـيّ".[٦٨٢]

٩٦ ــ *الدنيا/الآخرة*

رؤيتنا التوحيدية التي تنطلق من مبدأ "*امر بين امريـن*", ترمـي إلى الجمـع بـين متطلبات السعادة في الدنيا والآخرة, عـبر إقامـة التـوازن بـين دنيويـة الشـريعة الموسوية وأخروية الطريقة العيسـوية.

---

[٦٨٢] العلامة الطباطبائي ــ الميزان ٧/ ١٢٨

وقد عبّر عن هذا التوازن حديث مـــروي مـــن رســـول الله (ص), مضمونـــه أن أخي موسى كان ينظر بالعين اليسرى, وأخي عيسى كـــان ينظـــر بـــالعين اليمـــنى, وأنا أنظر بالعينين. والحديث في الوقت الذي يركـــز علـــى ضـــرورة التوحيـــد بـــين الدنيا والآخرة, يفضل الآخرة على الدنيا عبر تخصيص الآخـــرة بـــالعين اليمـــنى الـــتي تعبر عن اليمن والبركة, لكونها غاية, والدنيـــا وســـيلة.

فالإسلام المعتدل يدعو إلى النظر بـــالعينين بـــالعين اليمـــنى إلى الآخـــرة وبـــالعين اليسرى إلى الدنيا. لكن الصورتان يجب أن تتوحدا في الأبصـــار, وإلى هـــذا *"الأمـــر بين أمرين"* تلوّح ضرورة تركيز العينـــين كلتيـــهما علـــى أي جســـم لرؤيتـــه مـــن زاويتين مختلفتين وبشفافية أدقّ. ومن لا يمكنه إعمال هـــذا التوحيـــد فـــهو ***أحـــول*** غير قادر على جمع الثنائيـــات !

إن اهتمام الإسلام بـــإدارة شـــؤون الحيـــاة الدنيـــا , وضلـــوع فقـــه الإســـلام وفلسفته وعرفانه وسائر شعبه في تفاصيل الحياة الدنيا يفـــوق تصـــور النخبـــة الذيـــن تعودوا على اعتبار الدين أمرا أخرويا محضاً, فوقـــع تفســـيرهم علـــى أن : "دنيويـــة الإسلام تمتص أخرويته وميتافيزيقيتـــه وميثولوجياتـــه ".[٦٨٣]

ولأنه يحلو للبعض أن يعتبروا الدنيا أمرا واقعيـــا والآخـــرة أمـــرا مثاليـــا, فنحـــن نضيف أن ذلك المثال مستقر في بطن هذا الواقع ولا ينفصـــل عنـــه : وبـــه تشـــهد الآية الكريمة : ((يعلمون ظاهراً مـــن الحيـــوة الدنيـــا, وهـــم عـــن الآخـــرة هـــم غافلون))[٦٨٤] فالغفلة تنافي فرض عدم المغفول عنـــه, أي أن الآخـــرة المغفـــول عنـــها يجب أن تكون موجودة في عقر الدنيـــا.

---

[٦٨٣] عمار بلحسن (الباحث الجزائري) : الديني ــ الدنيوي، حول الإسلام والإبداع الأدبي والفـــني ــ مجلـــة المستقبل العربي ــ العدد ١٢٧ ــ أيلول ٨٩

[٦٨٤] الروم ٧

هذه العلاقة التوحيدية بين الدنيا والآخرة تجسدت في ثنايا العرفان الإسلامي:

"إن ابن عربي، وهو أحد شيوخ الصوفية، قد فسر هذا الحديث القدسي حكاية عن الله سبحانه : "أنا الرحمن خلقت الرحم، وشققت لها اسماً من اسمي, فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته" فسره بأن العمل في هذه الحياة ضرورة لازمة لكل إنسان صوفياً كان أو غير صوفي. ويتلخص شرحه لهذا الحديث بأن الله أراد من الرحم الطبيعة، فكما أن الرحم تضم الإنسان وتطعمه، وفيها ينمو ويكبر, أما صلة الإنسان للطبيعة فهو أن يجدّ فيها ويعمل، ومعنى قطعه لها أن يكسل ويهمل. وقال الشيخ ابن عربي : من يبخس حق الطبيعة فقد بخس حق الله ، وجهل ما فيها من أسرار.

هذا، إلى أن ما يحصل للإنسان من الثواب والنعيم في الآخرة، وبعد الموت ــ هو من نتائج العمل في هذه الحياة، فليس الكمال الأخروي إلا من ثمرات العمل في الطبيعة نفسها، وهذا معنى قوله تعالى : ((وأن ليس للإنسان إلا ما سعى))[٦٨٥] , ومعنى قول الإمام علي: "اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل"[٦٨٦].

---

[٦٨٥] النجم ٣٩

[٦٨٦] محمد جواد مغنية ــ معالم الفلسفة الإسلامية ــ نظرات في التصوف والكرامات ــ ١٨٢

٩٧ ـــ *المادي/المجرد*

النظرة التكثيرية ترسم الحقائق المادية مختلفة تماماً عـــن المفارقــات المجــردة, إذ إن هذه الأخيرة متحررة عن قيــود المكــان والزمــان, وحقيقتــها تتلخــص في العلــم والقدرة والحياة وسائر أوصاف الكمـــال. وبالمقــابل , الهويــة الماديــة منغلقــة في أوصاف كلها تشير إلى النقص والفاقة كالزمان والمكــان والكــم والكيــف والكــم وغيرها من الماهيات والحــدود.

لكن النظرة التوحيدية تتسلل في أعمـــاق ازدواجيــة ***المجـــرد/المـــادي***, لدرجــة يمكن الادعاء بأنهما وجهان لعملة واحدة. فكما أن المادة ـــ على مـــا يـــأتي شـــرحه ـــ هي الطاقة متراكمة, والطاقة هي المادة منبسطة, كذلـــك : ***المجـــرد هـــو المـــاديّ متحرراً, والمادي هو المجرد مقيداً*** , حيث لا فارق جوهريـــا بينــهما.

هذه فكرة لها مرتكزاتهـــا :

١ ـــ في الفيزياء الحديثـــة :

"العالم المادي الذي كنا بسبيل معرفة جوهره، هو عـــالم بـــدون جوهـــر مـــادي. ذلك أن جوهره غير مستقل عن الحوادث التي تكوّنـــه علـــى مســـتوى الجســـيمات، حيث الممثل والمسرحية شيء واحد، والمغني والأغنيـــة نســـيج متكـــامل، والراقـــص والرقصة لا يمكن تمييزهما. إن عالم الجسيمات دون الذرية هـــو رقصـــة خلـــق وفنـــاء دائم، حيث تتحول الطاقة باستمرار إلى كتلـــة والكتلـــة إلى طاقـــة. وبتعبـــير آخـــر أدق نقول : حيث تتحول الطاقة إلى أشكالها الأخـــرى. لأننـــا ســـواء في النســـبية أم

في ميكانيك الكم، نواجه *أشكالاً لا جواهر*، والمهم في أية ظاهرة هو الشكل الذي يتبدى به الحدث، لا جوهر مكوناته".[687]

"نظرية ديكارت في التمييز بين الجوهرين (المادي والروحي أو النفس والجسد) ثم التوحيد بينهما بعلاقة علية تحكمها قوانين ميكانيكية لا يمكن البرهنة عليها, لأنها مدركة بالبداهة. ولمزيد من التأكيد لهذه العلية في التوحيد يذكر في (مقاله في المنهج) قائلاً: "فإذا أردنا استقصاءً ومزيداً من الفهم للصلة بين الاثنين, اضطربت المشكلة واستمال الحل"[688].

٢ ــ كما أن لها دعائمها في الفلسفة الإسلامية :

"النعمة والعذاب وما يقارهما من الأمور تختلف باختلاف ما تنسب إليه, فللروح سعادة وشقاوة , وللجسم سعادة وشقاوة, وكذا للحيوان منهما شيء, للإنسان منهما شيء "[689].

هذا, وإن لكل جزء من الطبيعة مكانه الذي يقع فيه, وزمانه الذي يحدث فيه, إلا أنه لا يمكن التساؤل حول المكان الذي تقع فيه الطبيعة ككل, وهكذا الزمان. فالطبيعة بمجموعها واقعة في المكان واللازمان.

هذا, ولا يمكن حصر حقيقة الجسم بالحدود الماهوية المألوفة كأنه : "جوهر يقبل الامتداد في الجهات الثلاث[690], أو أنه جوهر مركب من جوهرين آخرين

---

[687] فراس السواح ــ دين الإنسان ــ ٣٥٨

[688] د. مني دياب ــ كوجيتو ديكارت متجدد صوفي وموحد ــ السفير ــ ٩٦/٥/٣١

[689] العلامة الطباطبائي ــ الميزان" في معرض تفسيره للآية الكريمة ((وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة))/ البقرة نقلا عن د. طراد حمادة ــ العالم ــ ١٥ / ١١ / ١٩٨٦

[690] العلامة الطباطبائي ــ بداية الحكمة ــ٧٣

هما : المادة والصورة[691], لأن التعريف الأول قائم علـــى الامتـــداد القـــابل للقســـمة والانفصال, ولا انفصال في عالم التحقق والوجود, و((مـــا تـــرى في خلـــق الرحمـــن من تفاوت))[692], والتعريف الثاني يقوم على التركب المنـــافي لبســـاطة الوجـــود.

أما تعريف صدر المتألهين (ره) بأن الجســـم ســـيال متحـــرك بحركـــة جوهريـــة, فهو أيضاً يركز على جهة عدميـــة في تعريـــف الحركـــة, هـــي الـــزوال أو القـــوة"[693], [694].

٣ ـــ ولها قرائنها في "الكتاب المقـــدس" :

" السماء للعلو والأرض للعمـــق ... "[695].

---

[691] نفس المصدر –٧٦

[692] ٣/٦٧

[693] إن من الشروط المعتبرة في صحة التعريف أن يكون المعرف(بالكسر) أعرف من المعرف(بـــالفتح) ولمـــا كانت المقولات أظهر المفاهيم وأعرفها في الذهن لم يمكن تعريفها بحدود حقيقية، هذا بالإضافة إلى أن الحاجـــة إلى التعريف إنما هي لتحصيل علم تصوري بالمعرف (بالفتح) فإذا كان معلوماً بنفسه استغنى عن الحاجـــة إلى التعريف لكون الحدود الحقيقية دورية في هذه الحالة وانتفاء فائدة التعريف، يبقى أن نقول : إن التعريـــف في مثل هذه الحالات عبارة عن شرح الاسم وليس لبيان الحقيقة وتصورها. ومهما يكن فإنه يمكن الـــذود عمـــا أورده على التعريف الأول، بأن العرض إنما يحتاج إلى الجوهر في وجوده وليس مطلقاً فإذا كان العرض المعـــرف (بالكسر) أعرف وأظهر من الجوهر في الذهن فلا محذور في تعريفه به ويكون تعريفاً بالخاصـــة أي رسمـــا. ـــ تعليقات حاتم إسماعيل على : "بينات" للمؤلف

أقول : لا أعترض على كون هذه التعاريف من نوع الخاصة أو شرح الاسم دون المعرف الحقيقي بل أريد التنبيه على كونها ناظرة إلى سلوب الجسم ونواقصه بدل التركيز على كمالاته وإيجابياته.

[694] محمد خاقاني (المؤلف) ـــ بينات

[695] (أم ٢٥ : ٣)

٩٨ ـــ *الحدوث/القدم*

في رحاب منطق "*أمر بين أمرين*" يمكن طي ثنائية القدم والحدوث عن العالم بالجمع بين الحدوث الذاتي والقدم الزماني كما ذهب إليه الفلاسفة المسلمون : فمعلولية العالم وإمكانه ثابت, فحدوثه ثابت حدوثاً ذاتياً, و لم ينكره أحد. لكن الخلاف وقع بين الحكماء الذين أصروا على القدم الزماني للعالم والمتكلمين الذين أصروا على حدوثه زمنياً. و"على فرض نفي الحدوث الزماني له لن يصبح العالم خارجا عن حدود الإمكان والحدوث وفق ما يقتضيه الحدوث الذاتي, فلا إشكال .

غير أن صدر المتألهين أصر على وجود مبدأ زماني للعالم, وهاجم المكتفين بالحدوث الذاتي وحده أشد هجوم في رسالته (حدوث العالم), لدرجة أنه رماهم بمكذبي الأنبياء من حيث لا يشعرون, والذي نقوله نحن أن الذي عليه الشرائع فهو الحدوث الإمكاني , وهو يثبت بالحدوث الذاتي دون تخلف. أما الحدوث الزماني فبرهان عقلي لا يشوبه ريب لم يطرح بعد على المسألة ليثبتها"[٦٩٦].

٩٩ ـــ *الثابت/السيال*

في أطروحة صدر المتألهين الشيرازي (الحركة الجوهرية), الوجود على قسمين : ثابت وسيال. والوجود السيال وجوده أي ***ثباته عين سيلانه***. هنا لا

[٦٩٦] محمد رضا محمد ـــ تعليقات على رسالة الطلب والإرادة للإمام الخميني ـــ ٩١

يمنع مبدأ الثبات (الحق تعالي) المتغير من تغيره, بل يفيـــض عليـه كـل لحظـة مـا يحفظه ويداوم وجوده في لحظات الزمن[٦٩٧]. والعلاقة بين المعلـــول المتغـير والسـبب الثابت يتم من خلال ثبات المتغير في حركتـه وتجـدده.

هذا, وإن القرائن التي تشـير إلى انطـواء معادلـة ***الثـابت/المتغـير*** في حضـرة "***الحق***" كثيرة, منـها :

١ ــ الحق ثابت مطلق , ولكن نسب إليه المجيء في الآيــة الشـريفة : ((وجـاء ربك والملك صفا صفـا))[٦٩٨].

بغضّ النظر عن تـأكيد المفسـرين علـى تقديـر مضـاف محـذوف في الآيـة (تقديره: وجاء أمر ربك), يمكن أن يعني مجيء الحـق تمظـهره بمختلـف المظـاهر في مختلف الأحيان. هكذا يفهم سر اتصاف الباطل بـالزهوق, وبلفظـة (كـان) المعـبر عن دوام الزهوق لغير الحق, فلا يتحقق شـيء إلا بوصفـه مظـهرا للحـق ومجـيءً له.

[٦٩٧] "الحركة تحصل في المقولات وهي الكم والكيف والوضع والأين بالاتفاق، وفي مقولة الجوهر كما أثبتـه صدر المتألهين (قده) وتابعه على ذلك من تأخر عنه، خلافاً للقدماء الذين قالوا بان الحركة في الجوهر مستحيلة لاستلزامها انتفاء موضوع الحركة وهو المتحرك ، فالحركة لازم للمقولات المستلزمة للماهيات.

ولذلك كانت الحركة تتوقف في تحققها على ستة أمور : المبدأ والمنتهى والموضوع وهو المتحرك والفـاعل والمسافة والزمان. فإذا ارتفعت هذه الأمور أو بعضها انتفت الحركة، والوجود المحض لا ينطبق عليه شيء مـن المقولات ، فلا يتصور حصول الحركة فيه، ولا يرد عليه أنه يستلزم التغير والتجدد في الفاعل والمحرك وهكـذا فيلزم التسلسل أو التغير في الوجود المحض لأن الفاعل والمحرك ينتهي إلى جوهر متحرك بجوهره فيكون التجـدد ذاتياً له، فيكون تجدده عين ثباته فيصح انتساها إلى الثابت لا المتغير. , ــ تعليقات حـاتم إسمـاعيل علـى : "بينات" للمؤلف ــ البينة رقم ٢٩

[٦٩٨] الفجر ٢٢

ومـــن هـــذا القبيــل ***حصحصــة الحــق*** : ((الآن حصحــص الحــــق))[٦٩٩].
والحصحصة : الحركة في شيء حتى يستقر فيه ويســـتمكن منـــه ويثبـــت, وكذلـــك البعير إذا أثبت ركبتيـــه للنـــهوض بـــالثقل, وحصحصـــت الـــتراب : اذا حركتـــه وفحصته يمينا وشمـــالا"[٧٠٠].

٢ ــ دوران الكواكب والمجرات تسبب إعـــادة المناســبات الماضيــة و"العيــد". وهذا نحو ثبات في التغيـــير.

٣ ــ أصل الخلق بمعنى التبديل : فليغـــيرن خلــق الله. ولكــن نســب في الآيــة الشريفة الثبات إلى الخلق : ((لا تبديــل لخلــق الله))[٧٠١].

٤ ــ اللوح المحفوظ يستوعب لوح المحو والإثبـــات. يعـــني أن الثبــات يحتضـــن التغير في طياتـــه.

٥ ــ مصطلح أيام الله في الآية: ((وذكّرهـــــم بأيــام الله))[٧٠٢] انتســـاب مباشـــر للزمان (الذي هو عين التجدد) إلى الله (الذي هو عـــين الثبـــات).

حول علاقة الزمان البيئي القابل للاستمرارية بالزمان اللاأنطولوجـــي المجـــرد عـــن التغير يقول أحد الكتّـــاب :

"الزمان عند الإنسان الديني يتميز بتجانسية مضاهية لتجانســـية المكـــان : ((قـــل إن الأولين والآخريـــن لمجموعـــون))[٧٠٣] ! هـــو زمـــان بيئـــي قـــابل للاســـتمرارية والاستعارة والصيرورة, وهو زمان أنطولوجي بامتيـــاز. يقـــول ليفـــي شـــتراوس إن

---

[٦٩٩] يوسف ٥١

[٧٠٠] ابن منظور ــ لسان العرب

[٧٠١] الروم ٣٠

[٧٠٢] إبراهيم ٥

[٧٠٣] الواقعة ٤٩-٥٠

خاصية الفكر البري أنه فكر لا زماني (متعال على الزمـــان) يتمتـــع بخاصيـــة تزامنيـــة ـــ تعاقبية. وهذا الأمر ينطبق على الفكر الديني أيضـــاً. (لنـــأخذ مثـــال العاشـــوراء حيث يعاش الماضي باعتباره حاضراً ميثياً: "كل يـــوم عاشـــوراء"[٧٠٤].

ويرى "مارشيا الياد" في كتابـــه "المقـــدس والدنيـــوي", أن العـــودة الدوريـــة إلى زمان الأصل المقدس ليست رفضاً لعالم الواقع وهروباً إلى عالم الخيـــال, وإنمـــا هـــي نوع من الاستحواذ الأنطولوجي الوجودي, وهـــي ظمـــأ إلى القدســـي وحنـــين إلى الوجـــود.

والزمان التاريخاني عند الإنسان الديـــني هـــو دنيـــوي ومقـــدّس في الآن نفســـه, وهو زمان دوري يستحضر حدثاً بدئياً (Primaire), بحيث يصبـــح التـــاريخ نوعـــاً من الثيوفانيا: التجلي الإلهي في التـــاريخ. وفي الإنســـان علامـــات رغبـــات بدئيـــة كالرغبة في العـــودة إلى الأرض ـــ الأم عنـــد دنـــو الأجـــل. تقـــول الأســـطورة : (ازحف نحو الأرض أمك). وتكشف الكتابات المنقوشة عـــن خـــوف الميـــت مـــن أن يدفن في غير أرضه (هنا كانت ولادته، هنـــا دفـــن). ويقـــول شـــاعرنا محمـــود درويش: **"وأبي قال مرة : "الذي ما له وطن, ما له في الـــثرى ضريـــح" !**

الفيلسوف مارتن هيدغر يرسم هذه العلاقة في معادلـــة : ***الوجـــود/الزمـــان*** :

"إن لكل شيء زمنه الخاص. ولكـــن الوجـــود ليـــس شـــيئاً. إنـــه لا يكـــون في الزمان. ومع ذلك فهو يظل...من حيث هو حاضر محـــدداً بالزمـــان أي بمـــا يســـتقر فيه ويتعلق بـــه...

كل ما يوجد في الزمان ويتحدد به نسميه: زماني...الزمان ليـــس شـــيئاً معينـــاً. ومن ثم فهو ليس من الموجـــود في شـــيء. إلاّ أنـــه، وهـــو يمضـــي، يبقـــى ثابتـــاً

---

[٧٠٤] د. جميل قاسم ـــ العلمانية : المختلف والمؤتلف ـــ السفير

ومستغرقاً في حضـــوره دون أن يكـــون نفســـه شـــيئاً زمانيـــاً أي ظرفيـــاً كحـــال الموجود القابع فيـــه...

إن الوجود والزمان يتحـــددان بـــالرجوع إلى بعضـــهما، ولكـــن علـــى نحـــو لا يسمح للوجود بأن يقال عنه زماني ولا للزمان بأن يقـــال عنـــه موجـــود"[٧٠٥].

٦ ـــ اتحاد الثابت بالمتغير ارتسم أيضاً في التصوير القرآني عـــن الأصـــل الثـــابت والفرع المتغير في "الشـــجرة" :

((ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمـــة طيبـــة كشـــجرة طيبـــة أصلـــها ثـــابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بـــإذن ربهـــا ويضـــرب الله الأمثـــال للنـــاس لعلهم يتذكـــرون)).[٧٠٦]

من اللافت أن الشجرة تـــزرع لأجـــل الثمـــرة فـــلا ينبغـــي النظـــرة الدونيـــة للمتغيرات في ضوء التمثيل القـــرآني.

يقول إيلي نجم : "إن مَثَـــل الشـــجرة ينطـــوي علـــى عـــبر ودلالات بمعـــنى أن الشجرة تدخلنا مجال الحياة النباتية المتجذرة والثابتة, بخلاف مـــا هـــو عليـــه الحيـــوان من انتقال وتنقل للبقاء والاستمرار. فهي تمثـــل الثبـــات في الحركـــة أو الحركـــة في الثبات. أي أنها توفق بين هيرقليس وبرميندس علـــى غـــرار مـــا تصـــوره أفلاطـــون حين رأى التبدل قائما في الدنيا والثبات راســـخاً في عـــالم الأيدوســـات".[٧٠٧]

٧ ـــ ويندرج في مقولة التغير : البحـــث عـــن *"النســـخ"* في القـــرآن , الأمـــر الذي يحاول البعض إنكاره في القرآن "وظاهر كلامهم عدم وجـــود آيـــات ناســـخة

---

[٧٠٥] مارتن هيدغر ـــ التقنية / الحقيقة / الوجود ـــ ٩٠-٩١

[٧٠٦] إبراهيم ٢٣ – ٢٥

[٧٠٧] إيلي نجم ـــ نصر حامد أبو زيد وشجرة التنوير ـــ السفير

ومنسوخة. ولكن على ما يبدو فإن بعض أقسام الآيات لا يمكن إنكار كونها ناسخة أو منسوخة...مثل آية ((أولوا الأرحام))[٧٠٨], فقد كان المؤمنون يتوارثون في بداية الإسلام تبعاً للروابط الدينية, وكانت أحكام الإرث تجري وفق المؤاخاة التي أقرها رسول الله بين الصحابة, حتى نزلت آية ((أولوا الأرحام)), فنسخت ذلك الحكم وأصبح التوارث مبنياً على أساس القرابة في الرحم دون المؤاخاة الدينية.

كما أن الآية المباركة : ((ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها))[٧٠٩], لها دلالة واضحة جدا على وقوع النسخ دون أي محذور".[٧١٠]

ويندرج في معادلة : ***الثابت/السيال*** ثنائية : ***المحو/الإثبات*** المذكورة في الآية القرآنية: ((يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده علم الكتاب))[٧١١]. وتلك بدورها تشمل ثنائية : ***الإحباط/الإثبات*** في ما يتعلق ببقاء مفعول أعمال الإنسان أو محوها بارتكاب السيئات.

١٠٠ ـ *الاتصال/الانفصال*

لا شك في اتصال مراتب (أو مظاهر) الوجود وما يسمى بالسماوات والأرض بعضها بالبعض الآخر, لاستحالة وقوع "*الطفرة*" فيها, وهي افتراض

---

[٧٠٨] الأنفال ٧٥

[٧٠٩] البقرة ١٠٦

[٧١٠] آية الله السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني ـ الشمس الساطعة ـ ٢٣٢

[٧١١] الرعد ٣٩

أية قطيعة وتفكّك في أجزائها. قال تعالى : ((الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت. فارجع البصر هل ترى من فطور؟ ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير))[٧١٢]. الفطور : شقوق وصدوع."قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والثوري وغيرهم في قوله تعالى ((فارجع البصر هل ترى من فطور)) أي شقوق. وعن السدي ((هل ترى من فطور)) أي خروق"[٧١٣].

لكن وجهاً آخر لهذه الموجودات المتصلة بعضها البعض يوجب تصديق الانفصال, لأنها تتصف بالكثرة, والكثرة العددية نابعة من "العدد", الذي هو نوع من "الكم" المسمى "بالكم المنفصل". وفي القرآن إشارات إلى العدد والتعدد:

- ((وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا)) / الجن(٢٨)
- ((وذكروا الله في أيام معدودات)) / البقرة ٢٠٣
- ((إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله)) / التوبة ٣٦
- ((هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون)) / يونس (٥)
- ((وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)) / إبراهيم ٣٤

---

[٧١٢] الملك ٣-٤

[٧١٣] تفسير ابن كثير

- ((سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل)) / الكهف ٢٢
- ((فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا)) / مريم(٨٤)
- ((لقد أحصاهم وعدهم عدا)) / مريم (٩٤)

بالإضافة إلى مقولة العدد, هناك تعابير عن الانفصال والانقطاع في القرآن:

- ((لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم)) / الممتحنة ٣
- ((وكل شيء فصلناه تفصيلا)) / الإسراء (١٢)
- ((ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب)) / البقرة (١٦٦)

إلا أن هناك سراً يدعو إلى **طي** ثنائية ***الاتصال/الانفصال***, تشير إليه الآيات التالية:

- الآية الشريفة : ((هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين)) / المرسلات (٣٨) تصرح بأن "الفصل" لأجل "الجمع", ولا يتنافى معه.
- والآية الكريمة : ((إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين)) / الدخان (٤٠) أيضاً تجمع بين "الفصل" و"الميقات" الذي يعني الاجتماع.
- والآية الشريفة : ((كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون)) / فصلت (٣) توحد "التفصيل" بـ "القرآن" الذي يعني الجمع.

- وفقرة من دعاء جوشن الكبير تجمع بين اسمين من أسمـــاء الله تعـالى , همـا : "يا فاصل يا واصـل".

وقد يخطر بالبال أن الحض علـى كمـال الانقطـاع عـن الأشـياء الـوارد في المناجاة الشعبانية: "*إلهي هـب لي كمـال الانقطـاع إليـك*", ألا يقلـع جـذور التعاطي مع الأشياء بذريعة الضلوع في التوحيـد والفنـاء في الله؟

والجواب سلبي بتاتاً, إذ إن في مدرسة الحكمة المتعاليـة "بسـيط الحقيقـة كـل الأشياء وليس بشيء منها", ممـا يعـني أن كمـال الانقطـاع إلى الله إنمـا يتحقـق بكمال الاتصال بكل الأشياء, لأن الله تعالى شأنه هو كـل الأشـياء, وإن لم يكـن بشيء منها. كما أن كمال الوحدة يقتضي إصدار كثرات غـير متناهيـة, وكمـال العبودية يساوي كمال الربوبيـة.

الموقف الآتي لصدر المتألهين محاولة لدمـج الاتصـال بالانفصـال وتوحيدهمـا في الطبيعة الجسـمانية:

"لا يتحقـق الوجـود في الموجـودات علـى نسـق واحـد. إنـه في المقـادير والمتصلات والزمانيات والمتدرجات مشوب بـالكثرات والأعـداد. بمـا أن الوجـود الزماني الجسماني لا يمتلك هوية صريحة بالفعل فـالوحدة في الماديـات عـين الكـثرة واتصالها عين الانفصـال"[٧١٤].

والموقف الآتي لأحد المفكرين محاولة لرؤيـة الاتصـال في صميـم العـدد الـذي هو محض الانفصـال:

---

[٧١٤] سيد جلال الدين آشيتاني ـــ شرح حال وآثار فلسفي ملا صدرا ـــ ٨٣

"إلاّ أن بعض المنظرين للمنطق المتداخل يرون تداخلاً في الأعداد أيضاً. فإذا كان هناك مجموعتان من الأعداد : مجموعة موجبة ومجموعة سالبة وبينهما مجموعة العنصر فإن أعداد المجموعتين تقترب أو تبتعد تدريجياً من مجموعة الصفر مما يؤدي إلى الاتصال بل إلى التداخل . يقول بارط كوسكو : "عدد ١ أقرب إلى ٠ من عدد ٢, وعدد ٢ أقرب من ثلاثة, وهكذا. وكذلك فإن العدد السلبي ١- أقرب إلى ٠ من من ٢- , والعدد ٢- أقرب إلى ٠ من ٣- وهكذا. فعدد ٠ ينتمي ١٠٠% إلى مجموعة ٠ , ولكن الأعداد القريبة يمكن أن تنتمي فقط ٨٠% أو ٥٠% أو ١٠% ".[٧١٥]

إن الفضاء هو المهيمن في عالم الرياضيات، يهيمن عند التعبير باللغة الطبيعية مثل القرب و البعد والتوسط، كما يهيمن عند الإيضاح بالرسوم الهندسية وهذا يعني أن ***الاتصال يستوعب الانفصال***:

"مسألة الاتصال والانفصال لهما أصداء في الأطروحات الثقافية الفلسفية. فبدلويارد يمثل اتجاه القطيعة المطلقة بين عصر الحداثة وعصر ما بعد الحداثة، وفوكو يمثل الاتجاه المتأرجح بينهما وبعض فلاسفة مدرسة فرانكفورت يمثلون اتجاه التمازج ويرون أن ما بعد الحداثة يتبنى كثيراً من مظاهر الحداثة ومظاهر ما قبل الحداثة.

"يقول الفيزيائي نيلز بوهر : "إن الجسيمات المادية المستقلة ليست إلاّ تجريدات من صنعنا، أما خصائصها فلا يمكن تحديدها وملاحظتها إلاّ من خلال تفاعلها مع أشياء أخرى"[٧١٦].

---

[٧١٥] د. محمد مفتاح ــ التشابه والاختلاف ٢٠

[٧١٦] المصدر السابق

"وهكذا تكشف نظرية الكم عن **علائقية** متأصلة في طبيعة الكون، فهي تظهر عدم مقدرتنا على تقسيم المادة إلى وحدات مكونة أولية منفصلة عن بعضها البعض" .[٧١٧]

ومما يساعد على طي ثنائية ***الاتصال/الانفصال*** وتجاوزها هو أنهما نوعان من الكم, والكم بقسميه اعتبار عقلي لا غير, وهذا ما عالجته في البينة ٤٠ من كتابي : "***بينات***" :

البيّنة (٤٠) : ما هو الكمّ ؟

١/٤٠ – قيل أن الكمّ عرض يقبل القسمة الوهمية[٧١٨]. وأشكل عليه بأن هذا التعريف لا يشمل الكمّ المنفصل ، لأنه هو الانقسام بالفعل.

وعرفه "الفارابي" و"ابن سينا" بأنه العرض الذي بذاته يمكن أو يوجد فيه شيء واحد يعدّه. واعتبره "العلاّمة الطباطبائي"بأنه أحسن ما أورد له من تعريف[٧١٩]. لكنه – في رأيي – تعريف دوريّ مأخوذ فيه مفهوم العدد (في قولهم : شيء واحد يعده...)، والعدد نوع من الكمّ.

٢/٤٠ – الجسم ذو كمّ بطول وعرض وعمق محدد, إذا فرض مستقلاً منفصلاً عن بقية الأجسام.

أما عبر اتصاله بسائر الأجسام, فترتفع عنه النقطة التي هي نهاية الخط, والخط الذي هو نهاية السطح، والسطح الذي هو نهاية الحجم، ويتّحد حجمه

---

[٧١٧] فراس السواح ــ دين الإنسان ــ ٣٥٢، ٣٥٣

[٧١٨] بدية الحكمة –٨١

[٧١٩] نهاية الحكمة –٢٢٧

بحجم الأجسام المجاورة له. أما مجموع عالم الطبيعة فهو أيضاً لا ينتهي بنقاط وخطوط وسطوح, فليس متكمّماً بكمٍّ محدود.

أما كونه متكمّماً بكمٍّ مطلق[٧٢٠], فهذا أيضاً اعتبار عقلي، لأن الكمية المتصلة هي قابلية الانقسام، والكمية المنفصلة هي الانقسام بالفعل. ومآل الانقسام بالقوة إلى الانقسام بالفعل (لأن القوة التي لن تتحقق ليست قوةً). والانقسام بالفعل يستلزم تخلّل العدم أو الفراغ بين القسمين .

٤٠/٣ - الفراغ مستحيل [٧٢١](لأنه ليس إلا توهم امتداد مكاني فارغ من جسم ممتد . واستقلال الصفة عن الموصوف مستحيل , إذ يؤدي إلى اجتماع النقيضين), كما أن العدم مستحيل. فالانقسام أو الانفصال لمطلق الطبيعة أيضاً مستحيل .

فإذن, الكمّ اعتبار عقلي لا غير[٧٢٢], وهو صفة سلبية لا إيجابية.

١٠١ ـ القبض/البسط

للقبض والبسط مستويان: الوجودي والطبيعي.

---

[٧٢٠] بافتراضه حاوياً لأبعاد غير متناهية لا تنتهي بالنقاط والخطوط والسطوح.

[٧٢١] خلافاً لما ورد في : فلسفتنا - ٣٥١ - من أن : "الجسم ليس شيئاً واحداً بل هو مركب من وحدات أساسية تسبح في فراغ ". راجع أيضا" : الحكمة المتعالية ٤٨/٤.

[٧٢٢] خلافاً لديكارت ومذهبه الهندسي " الذي لا يعترف بأن للأشياء صفات واقعية سمى الامتداد والشكل والحركة " . راجع : مذاهب علم النفس -٧٤

١ ــ على مستوى الوجود العــــام:

الرحمة الإلهية التي تتجلى في الرحمانيـــة لبســـط الوجـــود, وفي الرحيميـــة لبســـط كمال الوجود[٧٢٣] هي التي تظهر العوالم من العرش إلى الفـــــرش: ((ورحمـــتي وســـعت كل شيء))[٧٢٤]. ويسمى في العرفـــان الإســـلامي "بـــالوجود المنبســـط", و"المشـــية المطلقة" و"نفس الرحمـــان".

هذه الرحمة التي هي أوسع الصفات الإلهية تعتبر "بســـــطاً" لمـــا كـــان "منقبضـــاً" في الكنز المخفي والغيـــب المغيّـــب, و"تفصيـــلاً" لمـــا كـــان "مجمـــلاً" في "الاســـم الأعظم: الله". و"***بسم الله الرحمـــــن الرحيـــم***" تشـــمل القبـــض والبســـط وتجمـــع بينهما, لتعبّر عن "العالم" بأكمله. قال الشيخ الأكـــــبر محيـــي الديـــن بـــن عـــربي : "بسم الله الرحمن الرحيم ظهر العـــالم".

٢ ــ على صعيد الطبيعـــة:

إن ثنائية ***الرتق/الفتق*** هي التي تعبّر عن معادلة ***القبض/البســـــط*** في عـــالم الجســـم والطبيعـة

في المستوى الكلي الناظر لحدوث التحول في عـــالم الطبيعـــة, يبـــدو أن نظريـــة "الانفجار العظيم" أو "البيغ بانغ" تنسجم مع الفتق الذي حصل بعـــــد الرتـــق. قـــال تعالى عن السماوات والأرض : ((كانتا رتقـــاً ففتقناهمـــا))[٧٢٥].

---

[٧٢٣] الإمام الخميني ــ مصباح الهداية ــ المشكاة الثانية

[٧٢٤] الأعراف ١٥٦

[٧٢٥] الأنبياء ٣٠

والقرآن يصرح بأن البسط الذي حصل للطبيعة لا يـــزال مســتمراً: ((والســماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون))[٧٢٦]. لكنه يصرح أيضاً بأن مــآل هــذا البســط ســيكون إلى القبض: ((والأرض جميعاً قبضته يوم القيامـــة))[٧٢٧], و ((يــوم نطــوي الســماء كطي الســجل للكتــب))[٧٢٨]. هــذه الآيــة الشــريفة تتحــدث عــن ثنائيــة : "*الطي/النشر*" إلى جانب "*الرتق/الفتق*", و"*القبــض/البســط*".

يستكشف القارئ أن الفارق بين الدنيا والآخـــرة في خضــمّ الآيــات القرآنيــة أن الدنيا ساحة "*لبسط الجسم*" و"*قبض الروح*", وميدان "*لرتـــق الإنســان الصغــير*" و"*فتق الإنسان الكبير*", ومعرض "لطي العـــالم الصغــير" و"نشــر العــالم الكبــير". فالعالم الكبير ظاهر متجلٍ على بساط أقطار الســـماوات والأرض, وهــو منطــوٍ في طيات الإنســان:

أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر؟

لكن هذه المعادلة ستنقلب في الآخرة لصالح الإنســـان, بـــالضبط كمـــا تنقلــب وتتبدل الأرض غير الأرض والسماوات غير السماوات: ((يـــوم تبـــدل الأرض غـــير الأرض والسموات))[٧٢٩], فيصبح العالم الكبير صغـــيراً ومنقبضـــاً: ((والأرض جميعـــاً قبضته))[٧٣٠], والســـماوات منطويـــاً : ((يــوم نطــوي الســماء كطــي الســجل

---

[٧٢٦] الذاريات ٤٧

[٧٢٧] الزمر ٦٧

[٧٢٨] الأنبياء ١٠٤

[٧٢٩] إبراهيم ٤٨

[٧٣٠] الزمر ٦٧

للكتب))[٧٣١] , ويصبح العالم الصغير كبيراً وبارزاً: ((وبرزوا لله الواحد القهار))[٧٣٢].

وتندرج في ثنائية القبض/البسط معادلة ***الضيق/شرح***, منها : ***ضيق الصدر/شرح الصدر*** : (ويضيق صدري ولا ينطق لساني)[٧٣٣], و((ألم نشرح لك صدرك))[٧٣٤].

٢٠١ ـ المادة/الطاقة

وفي المستوى الجزئي , معادلة ***المادة/الطاقة*** هي التي تعبر عن ثنائية ***القبض/البسط*** وثنائية : ***الرتق/الفتق*** :

في هذا المجال, يكفي إنجاز أينشتاين لطي ثنائية ***المادة/الطاقة*** وتوحيدهما بما لا يدع مجالاً للشك في صدق منهج ***"أمر بين أمرين"*** :

"قام انيشتاين بتحطيم مبدأين أساسيين من مبادئ الفيزياء كانا حتى عام ١٩٠٥ صائبين هما مبدأ (حفظ المادة) ومبدأ (حفظ الطاقة)... وقال إن كمية

---

[٧٣١] الأنبياء ١٠٤

[٧٣٢] إبراهيم ٤٨

[٧٣٣] الشعراء ٢٦ / ١٣

[٧٣٤] الانشراح ١

المادة ليست ثابتة في الكون وكذلك كمية الطاقة وإنما الثـابت هـو الطاقـة والمـادة معاً (الطاقة + المـادة)."[735]

ذلك أن الطاقة والمادة هما شكلان مختلفان لجوهر واحـد أي أن الطاقـة والمـادة وجهان لعملة واحدة. فيمكن اعتبار المـادة الطاقـة (مجمـدة أو سـاكنة) والطاقـة مادة (متبخرة أو متحركـة).

وتندرج في هذا الإطار ثنائية : *"الذرة/الموجة*, في تبيـين حقيقـة الضـوء, وهمـا أيضاً توحدتا في الفيزياء الحديثـة:

" إن الضوء لابد أن يكون موجة، لأن الموجات وحدها هي الـتي تحـدث نمـط التداخل. وبذلك نكون قد حصلنا على "حقيقتين" حـول طبيعـة الضـوء. فتجربـة يونغ قد أثبتت بما لا يدع مكاناً للشـك أن الضـوء هـو طاقـة يرتحـل أثرهـا في موجات، أما تجربة أينشتاين، التي جرت بعد ذلك بمائة عـام، فقـد أثبتـت بمـا لا يدع مكاناً للشك أيضاً بأن للضوء بنية حبيبيـة، تؤلفـها الفوتونـات الـتي تنتمـي بشكل ما إلى زمرة الأجسام المادية، رغم عدم تمتعـها بكتلـة. أي أن **الضـوء هـو موجة وجسيم في آن معاً،وهمـا حقيقتـان تنفـي إحداهمـا الأخـرى**، لأن الأثـر الطاقي شيء والجسيم شيء آخر. وهذه أول أعجوبة هزت أركـان المنطـق القـديم والفيزياء التقليدية. ولكـن الظـاهرة الكموميـة تخفـي في جعبتـها الكثـير مـن الأعاجيب. فبعد اكتشاف أينشتاين للبنية الحبيبيـة للطاقـة بعقديـن مـن الزمـان، أثبتت تجربة حاسمة أخرى أن المادة أيضاً ذات طبيعـة مزدوجـة في بنيتـها الأوليـة

[735] رجا عبد الحميد عرابي ـــ الكون البداية والنهاية ...ـــ مجلة الثقافة الإسلامية العدد ٤٧ / ١٩٩٧

الدنيا، فالجسيمات الأولية المشكلة للمادة رغـــم تركيبـــها الحبيـــبي فإنهـــا تتصـــرف كالأمواج أيضـــاً"[736].

وتندرج في هذا الإطار معادلة : '***الجاذبية/الابتعـــــاد***, الـــتي تعتـــبر وجـــها مـــن وجوه معادلة : ***القرب/البعـــد***.

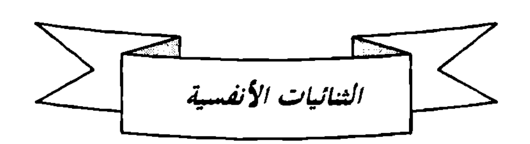
في أجواء ***ابتعاد*** الذرات الصغيرة والمجرات الكبيرة عن بعضـــــها البعـــض, والـــذي يتحقق بفعل "البسط" أو "الفتق" الذي حصـــــل بعـــد الانفجـــار العظيـــم, والـــذي يحصل أيضاً بسبب دائرية الحركـــات علـــى مســـتوى الـــذرات والمجـــرات, تكـــون ***الجاذبية*** هي التي تربط بـــين أجـــزاء الكـــون, فتجعلـــها وحـــدة كونيـــة عظيمـــة متماسكة في نظام الأفلاك والمـــــدارات.

هذا, وتعتبر معادلة : ***القوة السالبة/القـــوة الموجبـــة*** في الـــذرات وجـــهاً مـــن وجوه ثنائية : الجاذبية/الابتعـــاد.

---

[736] فراس السواح ــ دين الإنسان ــ ٣٤٦، ٣٤٧

الوصل الرابع:



ألف ـــ الثنائيات الشعورية

١٠٣ ـــ الصحو/المحو
١٠٤ ـــ العلم/الجهل
١٠٥ ـــ التشبيه/التنزيه
١٠٦ ـــ القرب/البعد
١٠٧ ـــ الحرية/العبودية
١٠٨ ـــ الطلب/الإرادة
١٠٩ ـــ الجبر/التفويض
١١٠ ـــ الفرد/المجتمع
١١١ ـــ الهداية/الضلالة
١١٢ ـــ الإيمان/الكفر
١١٣ ـــ الخوف/الرجاء
١١٤ ـــ اليسر/العسر
١١٥ ـــ اللعب/الجد

١٠٣ ــ *الصحو/المحو*

تندرج في هذا الإطــار:

١ ــ ثنائية : ***العقلانية/السكر*** (بالمشروبات الروحية), فالمخمور يتلهب جسمه, ويشتعل دماغه بتأثير الكحول في خلاياه العصبية, ويجعله في حالة المحو والانشغال عما حواليه, وتستمر هذه الحال, ريثما يعود إليه صحوه, ويتنبه لما يحدث حواليه.

٢ ــ ثنائية : ***النوم/اليقظة***, فالنائم في غفلة عن كثير مما يجري حواليه, لعدم اشتغال معظم الحواس التي تربطه بالعالم الخارج, وباليقظة يخرج إلى عالم الانتباه.

٣ ــ ثنائية : ***الموت/الحياة***, حيث الميت يرتحل عن هذه النشأة وينصرف عن "الصحو" والاهتمام بشؤون الدنيا وشجونها.

لكن ***للصحو/المحو*** وجهاً آخر في منطق "***أمر بين أمرين***". فالنائم الذي نعتبره في حالة "محو رهيب" غافلا عما يجري في خارجه, وبعيداً عن معطيات حواسه, هو في حالة "صحو قوي" لما يجري في داخله. ولا تظن كجماعة الغافلين أن الذي يجري في داخل الإنسان النائم مجرد وهم لا حظ له من الحقيقة, فكيف تفسر إذن "صحو" كل الحواس الباطنة كالبصر والسمع وغيرها في عالم النوم, فالنائم يرى ما يتراءى له ويسمع ما يهتف إليه. والنائم يلتذ بالملذات ويتعذب بالتعذيبات في صميم النوم, وقد يكون آثار الالتذاذ والتألم في النوم أكثر وقعاً على نفسه وجسمه من ملذات اليقظة وآلامها, مما جعل ذلك

الفيلسوف الصيني يشك في أنه إنسان حقـــاً؟ أم هـــو فراشـــة لأنـــه رأى نفســـه في المنام فراشة تمتلك كل مواصفات الفراشـــة الواقعيـــة.

والإجابة على هذه الإشكالية واضحة في منطق الأمـــر بـــين أمريـــن وفي فضـــاء التوحيد, إذ الإنسان يمكن أن يكون إنساناً , وفي نفس الوقـــت يظـــهر كفراشـــة أو غزال أو ذئب, لما علمت مـــن أن الإنســـان حيـــوان نـــاطق, يرتفـــع عـــن ســـائر الحيوانات بقوة العقل, وهو كون جامع يجمع في طياتـــه فصـــول ســـائر الحيوانـــات, بل قيل إن جميع الحيوانات هي مظاهر لملكات الإنسان وقـــواه الباطنـــة.

وما شرحناه كافٍ لبيان توحيد الصحـــو/المحـــو في معادلـــة ***الحيـــاة/المـــوت***, إذ *النوم أخ الموت*, في الحديث : "*الناس نيام , فإذا مـــاتوا انتبـــهوا*".

هذا , وثمة إمكان لتحقيق الموت في صميم الحياة, وفي الحديـــث : "*موتـــوا قبـــل أن تموتـــوا*".

١٠٤ ـــ *العلم/الجهل*

نعالج معادلة العلم/الجهل في حقلين : الإنســـان والطبيعـــة.

١ ـــ في حقل الإنســـان:

العلم يحتل الصدارة في قائمة القيم الإنســـانية, والألفـــاظ الـــتي تشـــير إلى قيمـــة العلم كالتدبر والتفقه والتعقل والتفكر والشعور والفـــهم والإبصـــار وغيرهـــا تحتـــل الصدارة في قائمة الألفـــاظ القرآنيـــة. كمـــا أن الجـــهل هـــو الســـبب الأساســـي

لانحطاطه وسقوطه في هاوية الشر والفساد. قال رسول الله : "يا علي ! لا فقر أشد من الجهل, ولا مال أعود[٧٣٧] من العقل"[٧٣٨].

والجهل قد يأتي مقابل "العلم" أو "العقل", وقد يرد مقابل "الحلم" كما يراه بعض المفسرين[٧٣٩] في تفسير "الجاهلية" في القرآن.

وللإمام علي (ع) حديث رائع حول ***جنود العقل والجهل***, نورده هنا, لمناسبته التامة مع موضوع هذه الرسالة وتعاطيها مع الثنائيات :

"عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن علي بن حديد، عن سماعة بن مهران قال: كنت عند أبي عبد الله (ع) وعند جماعة من مواليه، فجرى ذكر العقل والجهل، فقال أبو عبد الله (ع) : اعرفوا العقل وجنده والجهل وجنده تهتدوا. قال سماعة : فقلت جعلت فداك لا نعرف إلاّ ما عرّفتنا. فقال أبو عبد الله (ع) : إن الله عز وجل خلق العقل وهو أول خلق من الروحانيين[٧٤٠] عن يمين العرش من نوره فقال له : أدبر! فأدبر؛ ثم قال له : أقبل! فأقبل؛ فقال الله تبارك وتعالى : خلقتك خلقاً عظيماً وكرّمتك على جميع خلقي. قال : ثم خلق الجهل من البحر الأجاج[٧٤١] ظلمانياً[٧٤٢] فقال له : أدبر! فأدبر ؛ ثم قال له : أقبل! فلم يقبل. فقال له : أستكبرت ؟ فلعنه، ثم جعل للعقل خمسة وسبعين

---

[٧٣٧] أي أنفع, والعائدة : المنفعة.

[٧٣٨] الكليني ــ أصول الكافي ــ ٦٩/١

[٧٣٩] راجع "نيكلسون" في كتابه: تاريخ الأدب العربي.

[٧٤٠] "يطلق الروحاني على الأجسام اللطيفة وعلى الجواهر المجردة" : مرآة العقول ــ للمجلسي

[٧٤١] أي ملح مرّ

[٧٤٢] "حال عن الجهل أو عن البحر الأجاج والمراد به الغضب الإلهي لأنه مر كريه الطعم والرائحة ... أو المراد به مجموع الصفات النفسانية... وهذا المجموع من حيث هو بمنزلة ماء كدر مر ممتزج بغبار الملكات الدنيّة...)

جنداً. فلما رأى الجهل ما أكرم الله به العقل وما أعطاه أضمر له العداوة, فقال الجهل : يا رب! هذا خلق مثلي خلقته وكرّمته وقوّته، وأنا ضده، ولا قوة لي به، فأعطني من الجند مثل ما أعطيته. فقال : نعم، فإن عصيت بعد ذلك أخرجتك وجندك من رحمتي. قال : قد رضيت. فأعطاه خمسة وسبعين جنداً. فكان مما أعطى العقل من الخمسة والسبعين الجند:

الخير هو وزير العقل وجعل ضده الشر وهو وزير الجهل؛ والإيمان وضده الكفر؛ والتصديق وضده الجحود؛ والرجاء وضده القنوط؛ والعدل وضده الجور؛ والرضا وضده السخط؛ والشكر وضده الكفران؛ والطمع وضده اليأس؛ والتوكل وضده الحرص؛ والرأفة وضدها القسوة، والرحمة وضدها الغضب؛ والعلم وضده الجهل؛ والفهم وضده الحمق؛ والعفة وضدها التهتك؛ والزهد وضدها الرغبة؛ والرفق وضده الخرق[٧٤٣]؛ والرهبة وضده الجرأة؛ والتواضع وضده الكبر؛ والتؤدة[٧٤٤] و ضدها التسرع؛ والحلم وضده السفه؛ والصمت[٧٤٥]وضده الهذر؛ والاستسلام[٧٤٦] وضده الاستكبار؛ والتسليم وضده الشك؛ والصبر وضده الجزع؛ والصفح وضده الانتقام؛ والغنى وضده الفقر؛ والتذكر وضده السهو؛ والحفظ وضده النسيان؛ والتعطف وضده القطيعة؛ والقنوع وضده الحرص؛ والمؤاساة[٧٤٧] وضدها المنع؛ والمودة وضدها العداوة؛

---

[٧٤٣] الجهل والحمق يقال رجل أخرق وامرأة خرقاء.

[٧٤٤] "التؤدة هي: بضم التاء وفتح الهمزة وسكونها: الرزانة والتأني أي : عدم المبادرة إلى الأمور بلا تفكر فإنها توجب الوقوع في المهالك".

[٧٤٥] من مقابلة الصمت بالهذر يفهم أن المراد به السكوت عن فضول الكلام لا مطلق السكوت

[٧٤٦] الانقياد للحق والإذعان له.

[٧٤٧] من آساه من واساه، والمؤاساة أن يترل غيره مترلة نفسه في النفع له والدفع عنه، وقيل هي أن يجعل غيره أسوة لنفسه في ماله ويقاسمه فيه.

والوفاء وضده الغدر؛ والطاعة وضدها المعصية؛ والخضوع[٧٤٨] وضده التطاول؛ والسلامة وضدها البلاء؛ والحب وضده البغض؛ والصدق وضده الكذب؛ والحق وضده الباطل؛ والأمانة وضدها الخيانة؛ والإخلاص وضده الشوب[٧٤٩]؛ والشهامة وضدها البلادة؛ والفهم وضده الغباوة، والمعرفة وضدها الإنكار؛ والمداراة وضدها المكاشفة؛ وسلامة الغيب وضدها المماكرة؛ والكتمان وضده الإفشاء؛ والصلاة وضدها الإضاعة، والصوم وضده الإفطار؛ والجهاد وضده النكول؛ والحج وضده نبذ الميثاق؛ وصون الحديث وضده النميمة؛ وبر الوالدين وضده العقوق؛ والحقيقة وضدها الرياء، والمعروف وضده المنكر؛ والستر وضده التبرج[٧٥٠]؛ والتقية وضدها الإذاعة؛ والإنصاف وضده الحمية؛ والتهيئة[٧٥١] وضدها البغي؛ والنظافة وضدها القذر؛ والحياء وضده الخلع[٧٥٢]؛ والقصد وضده العدوان؛ والراحة وضدها التعب، والسهولة وضدها الصعوبة؛ والبركة وضدها المحق؛ والعافية وضدها البلاء؛ والقوام[٧٥٣] وضده المكاثرة؛ والحكمة وضدها الهوى؛ والوقار وضده الخفة؛ والسعادة وضدها الشقاوة؛ والتوبة وضدها الإصرار؛ والاستغفار وضده الاغترار[٧٥٤]؛ والمحافظة وضدها التهاون؛ والدعاء وضده الاستنكاف، والنشاط وضده الكسل؛ والفرح وضده الحزن؛ والألفة وضدها الفرقة؛ والسخاء وضده البخل.

---

[٧٤٨] أي التواضع

[٧٤٩] أي الخلط

[٧٥٠] هو إظهار المرأة زينتها ومحاسنها لغير محارمها.

[٧٥١] أي الموافقة أو بمعنى إصلاح ذات البين.

[٧٥٢] أي خلع لباس الحياء المعنوي فتنكشف قبائحه.

[٧٥٣] بالفتح العدل، وبالكسر ما يقوم به الأمر، والظاهر أنه هنا بالكسر.

[٧٥٤] من الغرة بالكسر وهي هنا الجرأة على الله والغفلة عن ذكره سبحانه.

فلا تجتمع هذه الخصال كلها من أجناد العقل إلا في نبي أو وصي نبي؛ أو مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان، وأما سائر ذلك من موالينا، فإن أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود حتى يستكمل وينقي من جنود الجهل، فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء والأوصياء. وإنما يدرك ذلك بمعرفة العقل وجنوده، وبمجانبة الجهل وجنوده؛ وفقنا الله وإياكم لطاعته ومرضاته"[755].

هذا الحديث الشريف يليق بأن تبتني عليه رسالة أخرى عن الثنائيات, تراعي تقسيمه للأضداد والمتقابلات في الإنسان. علماً أن هذا الحديث عالج الثنائيات الأنفسية التي يبتلي بها الإنسان, و لم يتطرق للثنائيات الآفاقية والقرآنية وغيرها مما درسناه في هذه الرسالة.

ومما تجدر الإشارة إليه, أن الإمام علياً (ع) يضع كل القيم الإلهية والإنسانية جنوداً للعقل, ويعتبر أضدادها جنوداً للجهل. حيث نرى أن ثنائية العلم/الجهل أيضاً تعتبر فيه داخلة في جنود ***العقل والجهل***. ومن البديهي أن العقل هنا شامل لجوهر الإنسان بكل كمالاته النظرية والعملية.

لكن منطق "***امر بين امرين***" يجد ضالته في طي ثنائية العلم/الجهل, في قراءة أخرى عن الجهل, تضعه في مستوى أعلى درجات العلم ! :

"الجهل قسمان : جهل حقيقي وهو المطلوب, لأنه جهل لا ضد له, هو أن يجهل ما سواه تعالى لاستغراقه إياه تعالى, وذلك هو يقين سرمدي, وهو من جملة المشهود الحق, إذ ليس لغيره تعالى ثبوت ولا وجود ولا نور أصلا. فالمعرفة هي وجود جهل الإنسان عند قيام علم الله, فهو العارف وهو المعروف,

---

[755] محمد بن يعقوب الكليني ــ أصول الكافي ــ ١/٦٤ ــ كتاب العقل والجهل ــ الحديث رقم ١٤

فالإنسان جاهل به من حيث عينه, وعارف به من حيث هـــو هـــو, فالمعرفـــة هـــي المعرفة بالجهل الحقيقي الذي لا ضد له, وهو فقد مـــا ســـواه في الشـــهود"[٧٥٦].

وقد أشار شيخ فلاسفة الإسلام ابن سينا إلى هذا النـــوع مـــن الجـــهل بقولـــه : **إن غاية ما يصل إليه الإنسان في مساره العلمي, أن يعـــترف بجهلـــه.**

الجهل الذي يتوخاه العرفاء هو الوصول إلى العماء والجهولية الـــتي تعتـــبر الغنـــاء عن الفناء وهو من أعلى مراتب الإنسان المعبر عنها في الآيـــة الشـــريفة : ((وحملـــها الإنسان إنه كان ظلوماً جـــهولاً))[٧٥٧] [٧٥٨].

إن دراسة علاقة الإنسان بالله تفرض علينا أن نطوى ثنائيـــة ***العلـــم/الجـــهل*** :

الحق ظاهر في كل مراتب الوجود : ((هـــو الـــذي في الســـماء الـــه وفي الأرض اله))[٧٥٩], وهو النور المطلـــق: ((الله نـــور الســـموات والارض))[٧٦٠]. مـــن ناحيـــة أخرى, ظهور النور في جميع المراتب لايـــدع مجـــالا للشـــك لأي مـــن الخلايـــق : ((أفي الله شك فـــاطر الســـموات والأرض ؟))[٧٦١].

لكننا نجد أن القرآن يصرح بجهل اكثر النـــاس للحـــق:

((بل أكثرهم لا يعلمون الحق فـــهم معرضـــون))[٧٦٢].

والذي قد يساعدنا لاكتشاف سر هذه الثنائية المطويـــة, هـــو أن نعـــرف أن :

---

[٧٥٦] حسن بن حمزة بن محمد الشيرازي ــ رسالتان في الحكمة المتعالية والفكر الروحي ــ ٥٩

[٧٥٧] الأحزاب ٧٢

[٧٥٨] راجع : الإمام الخميني ــ مصباح الهداية

[٧٥٩] الزخرف ٨٤

[٧٦٠] النور ٣٥

[٧٦١] إبراهيم ١٠

[٧٦٢] الأنبياء ٢٤

فرض وجود أوّليات في المعرفة البشرية بالشكل والمصاديق المعروضة في المنطق الأرسطي يعتبر شركاً. لأنهم يفترضونها تصورات وتصديقات بديهة تلقي الضوء وتبرهن على وجود الله. فهي أوليات قبل حضور الله في عالم الذهن. هذا لا ينسجم مع كونه تعالى ((أول الأولين)), ليس فقط في العين دون الذهن, بل أوليته مطلقة تعم العين والذهن.

هناك مبرر واحد لقبول أصل استحالة اجتماع وارتفاع النقيضين كأمّ القضايا وأبده البديهيات التصديقية, وهو أن نؤكد بأن هذا الأصل هو بحدّ ذاته إقرار برفض الوجود وطرده للعدم. وحيث أن العدم معدوم والوجود موجود والمجال لتحقق كله للوجود ولا مجال لتحقق العدم, فهذا الأصل بعينه إقرار بحقيقة الله وأسبقيته وأولويته ليس فقط في عالم الخارج بل وحتى في عالم الذهن والمفاهيم"[٧٦٣].

لكن الله الذي هو *"أول الأولين"* في العين والذهن وفي التصورات والتصديقات كذلك هو *"آخر الآخرين"* فهو آخر ما يمكن التوصل إليه والتعرف عليه في دائرة المعارف والمعلومات. وحيث أن آخريته أيضاً آخرية مطلقة أي غير متناهية، فهذا يعني أنه بعيد المنال, يعجز عن ادراكه العارفون, ولا يحصي نعماءه العادّون. هذا اعتراف بمأساة الجهل السرمدي بالله. هكذا يصبح العلم جهلاً والجهل علماً في تلك الدائرة الكبرى أو في ذلك الفضاء الطلق.

---

[٧٦٣] راجع : محمد خاقاني (المؤلف) بينات

"صحيح أن العقل مضطر بحكم بنيته نفسها إلى الانتهاء إلى مبـــادئ أوليـة يبـدأ بها, أو إلى الوقوف على أسس يبنى عليها. لكـن مصـير الفكـر أن يكتشـف مـع كل محاولة, أن الأوليات ليست أولى, وأن الأسس مؤسسة بدورهـا, وأنهـا تحتـاج إلى السؤال والفحص... ولهذا, فالمهمة التي يضطلـع بهـا الفكـر هـي... البحـث عن القبليات التي تسبق القبل..., والضرب في ظلمات الأشـياء عمـا غـاب عنـها وانتسى. والمفكر كلما ضرب في ظلمة كشف وأضـاء. وكلمـا حفـر في طبقـة, ارتقى درجة من معارج المعرفـة".[٧٦٤]

ملاحظة : تندرج في معادلة العلم/الجهل ثنائية ***الأعمـى/البصـير***.

٢ ــ في حقل الطبيعـة :

المدارس الفلسفية الإلهية التي تؤمن بعـالم الغيـب وتقسـم العـالم بـين المجـرد والمادي, تميّز عالم الغيب بالأوصاف الإلهية نظـراً لقربهـا إلى سـاحة الحـق جـل جلاله. أما عالم الطبيعة والناسوت فهي فاقدة لكثير من هـذه القيـم لبعدهـا عـن فيضان الرحمة الإلهية. إذا كان العقل المجرد يتمتع بالحيـاة والقـدرة والعلـم لتغلّـب الوحدة على وجودها, لكن الجسم المـادي الـذي يتغلـب عليـه عنصـر الكـثرة والتفرق في أجزاء الزمان والمكـان يفتقـر ــ في رأيـهم ــ إلى تلـك الأوصـاف. فالجسم وحدته عين الكثرة, واتصاله عين الافتراق, وما شـأنه هكـذا يسـتحيل أن يكون عالماً أو معلوماً بـالذات.

لدراسة هذا الأمر, أنقل لكم جزءً مما ورد في مقالتي بعنـوان : "تقـويم الطبيعـة في عرفان الإمام الخميني وفلسفة صـدر المتـألهين" :

---

[٧٦٤] العلامة الطباطبائي ــ نهاية الحكمة ــ ١٩٦/٢

"الوصول إلى وحدة الوجـود الشـخصية كـانت منعطفـاً هامـاً في مدرسـة الحكمة المتعالية لطي ثنائية ***المجرد/المـادي*** الـتي إذا اسـتطعنا أن نطويـها, حينئـذ يمكننا قبول اتصاف الجسم والطبيعة بأوصاف الوجـود الكماليـة كـالعلم والقـدرة والحيـاة.

لكن صدر المتألهين(ره), لم يتمكن مـن بلـوغ ذروة التوحيـد في هـذا المجـال, لأنه "في بداية أمره كان تابعاً لمذهب أسـتاذه "مـير دامـاد" في أصالـة الماهيـة, ثم *دنى* إلى جوار الحق, وآمن بأصالـة الوجـود, *فتـدلى*, وأيقـن بـأن التشـكيك في مظاهر الوجود. لكن بقي بطـلاً للتقريـب بـين الفلسـفة والعرفـان, و لم يوفـق لمواصلة عروجه لتحقيق *أو أدنى*, فوصل إلى مرتبـة التقريـب, و لم يتسـلق إلى ذروة التوحيد، لأنه أصر حتى آخر حياته بأن عالم الطبيعة والجسـم, اتصالـه يتلخـص في الافتراق, ووحدته تتمحور على الكثرة، وادعـى أنـه:

"ما أسخف قول من حكم بأن تلـك الصـور الجزئيـة في موادهـا الخارجيـة أخيرة مراتب علمه تعالى وتسمى المـادة الكليـة المشـتملة عليـها دفـتر الوجـود، وكأنه سهى ونسي ما قرأه في الكتب الحكمية أن كـل علـم وإدراك فـهو بضـرب من التجريد عـن المـادة, وهـذه الصـور مغمـورة في المـادة مشـوبة بـالأعدام والظلمـات"[٧٦٥].

فالعلم عنده وجود مجـرد مفـارق, جوهـره يكمـن في الاتحـاد بـين العـالم والمعلوم، وحيث يستحيل الاتحاد للموجـود المـادي,لانتشـار أجزائـه في الزمـان

[٧٦٥] صدر المتألهين ـــ إلهيات الأسفار ـــ طبعة طهران ـــ ٦٣

والمكان، فالجسم ليس عالماً ولا معلوماً بالذات, وحقيقته هي الغياب ولا الحضور, والجهل ولا العلم[٧٦٦].

وهكذا يقع صدر المتألهين أسيرًا في فخ الشرك, حيث تبقى في منظومته المعرفية الثنائية قائمة بين المجرد والمادي, والتي تبرز نفسها بأشكال أخرى، إذ إن الفصل الحقيقي بين المجرد والمادي يقضي تلقائياً بالفصل بين الدنيا والآخرة, لأن الدنيا دار الجسم والآخرة دار التجرد والفعلية المحضة، ويوجب الفصل بين الروح والبدن، لأن الروح مجردة والبدن مادي.

ورغم الخطوات الجبارة التي قطعها في مسار التوحيد, كالوجود التشكيكي و"النفس في وحدتها كل القوا", و"بسيط الحقيقة كل الأشياء وليس بشيء منها"، ورغم تأكيده بأن :

"الوجود كله نور وحياة عندنا لما عرفت أنه أظهر الأشياء, والإشراقيون وحكماء الفرس وافقونا في المفارقات والنفوس والأنوار العرضية التي يدركها ابصر كأنوار الكواكب والشهر والسرج دون الطبائع والأجرام. ولو لم يكن الطبيعة في أصلها نوراً لما وجدت بين النفس والجرم. فكل ظلمة في العالم هو الهيولى , وهي أصل الدنيا ومنبع شرورها, وبما هي في أصلها من عالم النور قبلت جميع الصور النورية للمناسبة, فانتفت ظلمتها بنور صورها"[٧٦٧],

---

[٧٦٦] القرآن الكريم اشتمل على حقائق ومعارف لم تكن معروفة آنذاك في العالم أجمع فضلاً عن المحيط الذي نزل فيه، وإن من أعظم وأسمى معاجزه هي هذه المسائل العرفانية العظيمة التي لم تكن معروفة لدى فلاسفة اليونان، فقد عجزت كتب ارسطو وأفلاطون. أعظم فلاسفة تلك العصور. عن بلوغها وحتى أن فلاسفة الإسلام الذين ترعرعوا في مهد القرآن الكريم، وانتهلوا منه ما انتهلوا من مختلف المعارف لجأوا إلى تأويل الآيات التي صرحت بحياة الموجودات في العالم مثلاً، والحال أن عرفاء الإسلام العظام إنما أخذوا ما قالوه منه. الإمام الخميني ــ وصايا عرفانية ــ ١٦

[٧٦٧] صدر المتألهين ــ الشواهد الربوبية ــ ١ / ١٤٨

وكذلك قوله بأن "الحركات الطبيعية كالحركات الاختيارية الحيوانية في أن لها مباد مترتبة, بعضها من عالم العقل وبعضها من عالم النفس والتدبير, وأدناها من عالم الطبيعة والتسخير, والكل بقضاء الله والتقدير"[٧٦٨],

إلاّ أن الإصرار على كون العلم مجرداً يلزم الفصل بين العلم والوجود. فالوجود المشكك ذو مراتب, يبتدئ بالأقوى وينتهي بالأضعف ويستوعب جميع المظاهر من أعلى عليين إلى أسفل السافلين, لكن العلم المشكك يستوعب بعض مظاهر الوجود. فالصورة المعقولة مجردة, والمتخيلة مجردة, لكن المحسوسة لا تتجرد لعلاقتها بالجسم, والجسم ليس معلوماً ولا مشهوداً. والذي نعرفه من الأشياء المادية يتعلق بصورة الأجسام في عالم المثال.

ثم لا يخفى أن هذه الثنائية الجسيمة الخطرة, لا تبقى بين الدنيا والآخرة, والروح والبدن, والطبيعة وما وراءها, بل هي تطغى ــ شئنا أم أبينا ــ لتقضي فصلاً بين العلم والعمل, والنظر والتطبيق، لأن العلم شأن الروح والعمل شأن الجسد، وهكذا, لتفرض فصلاً بين الدين والسياسة, والقدسية والزمنية, والمشروعية والمقبولية, والغاية والوسيلة, في إطار الثنائيات الثقافية والسلوكية والأنفسية, ومجموعة من الثنائيات الآفاقية :كالغيب والشهادة, والحياة والموت, والنور والظلمات وغيرها. وهذه مرتبة *قاب قوسين*, التي توحي بالازدواجية والثنائية.

أما الإمام الخميني قدس الله نفسه الزكية, فقد فاز بمرتبة *أو أدنى* (وليست هذه مرتبة, لأنها تفنى فيها المراتب)، وقد مدّ فلسفته لتذوب في عرفان عميق, يتمحّض في التوحيد, ويغسل الروح من دنس التكثير، ونفى أن تكون أية مرتبة

---

[٧٦٨] المصدر السابق ــ ١ / ١٨٩

من مراتب الوجود, وبالأحرى أية مرتبة من مراتب الظهور, عارية عن العلم والقدرة والحياة وسائر أوصاف الكمال, وقال: "*كل مراتب الوجود مرتبة العلم والحياة والقدرة*"[٧٦٩].

"***الطبيعة***" عند الإمام الخميني ليست المرتبة الأخيرة من مراتب الوجود, بل هي المرتبة الأخيرة من مراتب الظهور. ورغم ذلك فهي مليئة بالخير, ومفعمة بأوصاف الكمال. هو يستمد عرفانه هذا من إمام العارفين علي بن أبي طالب(ع) حيث يقول : "*وبأسمائك التي ملأت أركان كل شيء*".

إذن : الشيء, وإن كان مادياً, فهو مليء بأسماء الله التي هي العلم والجمال والكمال وغيرها[٧٧٠].وعندما يستقر هذا المعنى في قلب الإنسان, يتأدب بأدب الحضور.[٧٧١]

إن ما يقع بين أركان الجسم ويملأ الفضاء : ذرات وطاقات وجزيئات وخلايا عند من ينظر بسواد العين, وهو امتداد ولون ووضع ونسب وإضافات

---

[٧٦٩] الإمام الخميني ــ مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية ــ المشكاة الثانية

[٧٧٠] كان النبي الأكرم (ص) يأسف ذلك الأسف المرير على عدم إيمان المشركين، إلى الحد الذي خاطب الله تعالى بقوله (لعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً) فليس هذا سوى أنه عشق جميع عباد الله، وعشق الله هو عشق لتجلياته. الإمام الخميني ــ وصايا عرفانية ــ ٢٧

[٧٧١] فإن الفلاسفة الذين أثبتوا بالبراهين العقلية أن الله حاضر في كل مكان، دون أن يصل قلوبهم ما أثبتته عقولهم بالبرهان، و لم تؤمن به قلوبهم، فإن أدب الحضور لن يتحقق لديهم، في حين أن أولئك الذين أيقنوا بحضور الله بقلوبهم، وآمنت قلوبهم بذلك، فإنهم ــ رغم أن لا مراودة لهم مع البراهين ــ فإنّهم يتحلّون بأدب الحضور، ويجتنبون كلَّ ما ينافي حضور المولى. المصدر السابق ــ ٣٢

عند من ينظر بنافذة العقل. لكنه علم وحياة وإرادة عند من *كشف عنه غطاؤه فبصره اليوم حديد*.

هكذا نرى أن الإمام الخميني يلتقي مع ابن سينا في أصالة الوجود, ومع السهروردي في مقولة التشكيك ونظام الرقائق والحقائق في سلسلة الأسباب والمسببات، ومع صدر المتألهين في أن هذا النظام جارٍ في المظاهر لا في المراتب.

لكنه يتجاوز جميع من سبقه في تغطية نظام الحقائق والرقائق ونظام التشكيك ليشمل لجميع المظاهر بما فيها ظهورات المادة والجسم. ونحن هنا أمام صورة جميلة عن عالم الطبيعة بمشاهدها الخلابة وأسرارها الطريفة! كم يحلو أن نتدبر فيها لنراها مفعمة بأسماء الله وغنية بأوصافه! كل سكانها يتجهون نحو هدف واحد! ينشدون جميعاً الكمال المطلق, فنستأنس بهم , ونشد الحزام في خدمتهم.

الجسم عالم قادر حيّ مختار !

لكي نقترب من مفهوم الإمام الخميني عن تجلي العلم والإدارة والحياة وسائر أسماء الله في عالم الطبيعة والجسم أنطلق مما شرحته في ثنائية ***الله/العالم*** عن الفرق بين الوحدة الإطلاقية والوحدة العددية.

ومع أن الانتباه للتميز بين الوحدة والإطلاقية والوحدة العددية يعتبر من أهم العناوين في منظومة الحكمة المتعالية وفي مدرسة صدر المتألهين الشيرازي. لكن صدر المتألهين أصر على استحالة كون الجسم عالماً أو معلوماً بالذات, وعلل رأيه بأن الجسم مركب بالذات, وحدته في التفرقة واتصاله في الانفصال,

لانتشار أجزاء كل جسم في قطعات المكـــان ولحظـــات الزمـــان. فـــأجزاء الجســـم غائبة عن بعضها, ولا يمكنها التوحد, ويبقى الجسم في حالـــة الجـــهل المطلـــق.

وفي رأيي أن قاعدة الربط بين الوحدة الإطلاقية والعدديـــة الـــتي أسســـها صـــدر المتألهين (ره), وغفل عن بعض نتائجها, كفيلة بقـــراءة ثانيـــة عـــن عـــالم الطبيعـــة والجسم, كمظهر من مظاهر الوجود, وإثبـــات تحقـــق العلـــم فيـــه. وإذا ثبـــت أن الجسم عالم, يثبت تحقق سائر أوصاف الكمـــال فيـــه أيضـــا, كـــالقدرة والاختيـــار والحياة وغيرها, لأنها كلها تتنزل من سمـــاء العلـــم.

برهاني على كون الجسم عالماً, هو أن لأي جسم وحـــدة إطلاقيـــة تشـــمل كـــل الذرات المتواجدة فيه. صحيح أن لكل ذرة وحدة عددية تتمـــيز بموجبـــها عـــن ذرة ثانية, والوحدة العددية تفرض الغيرية والتكثر بـــين الـــذرات الـــتي يجـــهل بعضـــها بعضاً, لكن هذه الوحدة العددية لا تنفـــي الوحـــدة الإطلاقيـــة بـــين هـــذه الـــذرة والجسم المشتمل على الذرات. والغيرية والتكثر بـــين الـــذرات في المكـــان لا تتنـــاف مع أن تكون كل ذرة هي الجسم , والهوهوية بينـــهما جاريـــة.

وحيث يقر صدر المتألهين بـــأن الاتحـــاد والهوهويـــة جوهـــر العلـــم, يجـــب أن يعترف بأن الجسم عالم بـــالذرات المنتشـــرة فيـــه, وإن كـــانت كـــل ذرة جاهلـــة بمثيلاتها, مع العلم بأن هذه الذرات أيضاً لا تبقى في حالة الجـــهل المطلـــق ببعضـــها, نظراً لعملية الأخذ والعطاء المستمرة بينها, فالمادة والطاقة وجـــهان لعملـــة واحـــدة, والنسبية الكوانتية قد حسمت تبادل الأشعة والطاقات بـــين الأجســـام.

إذا قيل إن الوحـــدة الإطلاقيـــة في المجـــردات وحـــدة حقيقيـــة (كمـــا ورد في قاعدة: بسيط الحقيقة كل الأشـــياء وليـــس بشـــيء منـــها), لكنـــها في الماديـــات اعتبارية, فلا حقيقة لـــ "الكتاب" مثلا ككـــل, إلا في صفحاتـــه المتكـــثرة بـــالوحدة

العددية, وإذا كانت الكثرة أصيلة والوحدة اعتبارية , فـهذا يعني أن الجـهل سيد الموقف, وليس العلم, أقـول :

إن الوحدة هي الأصيلة إطلاقاً, والكثرة هي الاعتبارية دائماً, حتى في الجسم. لأن افتراض أصالة الانفصال في الطبيعة واعتبارية الاتصال فيها يعني أنها حصيلة تجمع أجزاء, كل جزء منها أتى من عالم مستقل عن عالم الجزء الآخر. وهذا مرفوض فلسفيا وتجريبيا وقرآنياً.

أما فلسفياً:

فلأن كل جزء في الطبيعة يساهم في خلق وتركيبة الأجزاء الأخرى, وبينها علاقات علية ومعلولية ذاتية, لدرجة يشبه هيغل الطبيعة بالـ "جيلو" الذي يهتز برمته كلما وقعت هزة في جزء من أجزائه.

وأما تجريبياً :

فلأن الفيزياء يؤكد على حدث *"الانفجار العظيم"* الذي انطلقت منه جسيمات الطبيعة وطاقاتها. فالاتصال حقيقي, والانفصال عارضي:

"يعتقد معظم الناس بأن الفيزياء إنما تدور حول أشياء لا تتمتع بصفة الحياة, وذلك بعكس الكائنات العضوية الحية. غير أن هذا التمييز بين الحي والجامد, قد صار اليوم أكثر مرونة, خصوصاً في أعماق عالم الجسيمات, حيث تبدو هذه الجسيمات في التجارب, وكأنها تعالج المعلومات وتتصرف وفق قراراتها الخاصة, التي تستند بدورها إلى قرارات تتخذها جسيمات أخرى بعيدة عنها. وأكثر من ذلك فقد بينت بعض التجارب أن تبادل المعلومات بين الجسيمات يجري بشكل آني ودون أن يستغرق زمناً, مهما كان ضئيلاً, أي أنها تخرق المطلق الوحيد في عالم الفيزياء, الذي هو سرعة الضوء. *وهذا يعني أن*

الجسيمات تشكل ما يشبه العضوية الواحدة , وأن الكــون برمتــه ليــس إلا كيانــاً عضوياً متصــلاً"[772].

"تطلعنا نظرية الكم (الكوانتية) على الوحدة الضمنية للكـــون, بإظـــهارها عـــدم إمكانية تجزئة العالم إلى مكونات متناهية في الصغـــر, تتمتـــع بوجـــود مســـتقل عـــن الكل. وأن هذا الكل ليس إلا نسيجاً متصلاً من العلائق الـــتي تكونـــه. أمـــا الوعـــي الإنساني الذي يراقب الطبيعة ويحاول فهمها بشكل تجزيئـــي, فليـــس إلا جـــزءاً مـــن هذه العلائقية الشمولية , إنه النقطة الـــتي تنتـــهي عندهـــا أيـــة حادثـــة , وتتخـــذ معناهـــا"[773].

وأما قرآنيــاً :

فلأنــه يقــول إن الســماوات والأرض ((كانتــا رتقــاً ففتقناهمــا))[774] أي أن الوحدة أصيلة, والكثرة فرعية, ويقول : ((ما ترى في خلق الرحمـــن مـــن تفـــاوت, فارجع البصر هل ترى من فطور؟ ثم ارجع البصـــر كرتـــين ينقلـــب إليـــك البصـــر خاسئا وهو حســـير))[775].

والوحدة تقضي بالعلم في الجسم, وكون الجسم عالمـــاً بذاتـــه ومصـــدراً لأفعالـــه بناء على رغباته وميوله وخواصه الـــتي تنطلـــق مـــن ذاتـــه يقضـــي بالاختيـــار في الجســـم,

والحق مع الإمام الخميني , عندما قـــال :

---

[772] فراس السواح ــ دين الإنسان ــ ٣٤٠

[773] المصدر السابق ــ ٣٥٣

[774] الأنبياء ٣٠

[775] الملك ٣-٤

"*كل مراتب الوجود مرتبة العلم والقـــدرة والحيـــاة*"[776]. و"الكــل يقولـــون: "نحن سميعون وبصيرون ومدركون إلا أننا معكم أيـــها الأجـــانب ســاكتون"[777].

"في قصة سليمان نبي الله عليه السلام نقرأ عندما يمـــر بـــوادي النمــل: ((قـــالت نملة يا أيها النمل ادخلـــوا مســاكنكم لا يحطمنكـــم ســليمان وجنـــوده وهـــم لا يشعرون))[778], النملة تصف سليمان النبي مـــع مرافقيـــه بعنـــوان ((لا يشـــعرون)), والهدهد يقول له: ((أحطت بما لم تحط بـــه))[779], وعمـــي القلـــوب لا يســـتطيعون تحمل نطق النملة والطير, فضـــلاً عـــن نطـــق ذرات الوجـــود ومـــا في الســـموات والأرض, التي يقول خالقها: ((إن من شيء إلاّ يســـبح بحمـــده ولكـــن لا تفقـــهون تســـبيحهم))[780].

إن رؤية الإمام الخميني (ره) في عاليـــــة الجســـم (فضـــلاً عـــن ســـائر مراتـــب الوجود) تنسجم مع جوهر العرفان الإسلامي, التي تبلـــورت في عرفـــان الشـــيعة :

"الأجسام لما كانت بمترلة ظلال للوجودات الغيبية من النفــــوس والعقـــول، ولهـــا نحو اتصال بها لقيوميتها إياها، وتلك الموجودات عالمـــــة بذواتهـــا ومعلومـــة لهـــا لأن وجوداتها لأنفسها، فللأجسام أيضا" من هذه الجهة علـــــم وشـــعور بقـــدر اتصالهـــا بها وبحسب وجوداتها : ((إن مـــــن شـــيء إلاّ يســـبح بحمـــده ولكـــن لا تفقـــهون تسبيحهم))[781]. فتبين أن العلم والشعور إنما يكون بقـــــدر الوجـــود"[782].

---

[776] الإمام الخميني ــ مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية ــ المشكاة الثانية.

[777] الإمام الخميني ــ وصايا عرفانية ص ١٠٧، (ترجمة بيت شعر فارسي)

[778] النمل ١٨

[779] النمل ٢٢

[780] المصدر السابق

[781] ٤٤/١٧

هذا, وإن التأكيد على تحقق العلم في الجسم لم يبق محصوراً بين العرفاء, بل مالت إليه آخر المستجدات في الفيزياء الحديثة:

يقول ووكرز :"ربما كان علينا أن نعزو وعياً من نوع خاص إلى كل عمليات الميكانيك الكوانتي... وبما أن كل مايجري من حولنا، هو في النهاية لحادثة كوانتية أو أخرى، فإن الكون يبدو مسكوناً بعدد لا نهائي من وحدات وعي صغيرة، وغير مفكرة، مسؤولة عن السير التفصيلي لعمليات الكون.[783]", [784].

١٠٥ ــ التشبيه/التنزيه

التنزيه المطلق وجد في فكرة الاشتراك اللفظي للوجود في الفلسفة متراساً له, كما أن أصحابه اعتقدوا بأن نهي أولياء الدين عن التفكر في ذات الله يبطل أي مسانخة بين الله وما سواه نهائياً.

ومن أمثلة هذا النهي قول الإمام الصادق (ع) : "إن الله يقول ((وإن إلى ربك المنتهى))[785]. فإذا انتهى الكلام إلى الله فامسكوا"[786].

---

[782] الملا محسن فيض الكاشاني ــ أصول المعارف ــ٢١

[783] فراس السواح ــ دين الإنسان ــ ٣٤٩

[784] محمد خاقاني (المؤلف) ــ "تقويم الطبيعة في عرفان الإمام الخميني وفلسفة صدر المتألهين"

[785] النجم ٤٢

[786] الكليني ــ أصول الكافي ــ ١/٩٢

وكذلك قوله (ع) : "إياكم والكـــلام في الله تكلمــوا في عظمتــه ولا تتكلمــوا فيه فإن الكلام فيه لا يزيد إلاّ تيـــهاً"[787].

لكن القول بالتتريه المطلق يؤدي إما إلى تعطيـــل العقــول عـــن معرفــة الله وإمـــا إلى إنكار الحق تعـــالى[788].

صحيح أن افتراض أية مسانخة وتشابه بين الله و"ما ســـواه" نـــوع مـــن الشـــرك, وترفضه الآية الشريفة : ((ليس كمثله شيء))[789], لكن التشبيه الـــذي تحـــدث عنـــه العرفاء ليس تشبيها لله "بما سواه", لأنهـــم لا يعـــترفون بشـــيء ســـواه, بـــل أنهـــم يقصدون عدم خلو الذات الإلهية من أوصـــاف الكمـــال المتحققـــة في الموجـــودات, إذ إنها صرف ظهورات للحق جل وعلا, ولا تمتلك حظاً مـــــن الوجـــود.

والنهي الوارد في لسان الأئمة الأطـــهار (ع), نـــاظر إلى عـــدم اكتنـــاه الوجـــود المطلق بواسطة مظهره المقيـــد.

عندما نقول إن الوجود المطلق لا يمكـــــن أن يكـــون هـــذا الوجـــود الجســـماني الطبيعي المحسوس, ولا حتى الوجود المجرد الروحـــاني, لأنـــه فـــوق التجـــرد, فـــهذا "*تتريه*" لله ـــ جلّ وعلا ـــ عن القيـــود والســـلوب. وعندمـــا نقـــول إن الوجـــود المطلق يشمل الوجود كل الوجود, ولا يترك فراغـــاً في الوجـــود إلا ويملـــؤه, فـــهذا "*تشبيه*" لله ـــ عزّ اسمه ـــ بكل ما في الوجود (والعكس أحـــرى). ويمكننـــا القـــول بأنه ***لا تشبيه ولا تتريه , بل أمر بين أمريـــن***.

---

[787] وسائل الشيعة ٤٥٦/١١

[788] راجع : العلامة الطباطبائي ـــ بداية الحكمة

[789] الشورى ١١

طبعاً, لا يخفى أن "حفــظ مقــام العبوديــة والأدب لــدى الحضــرة الربوبيــة يقتضي أن يكون النظر إلى جهة التقديس والتتريــه أكــثر... والتقديــس والتتريــه في لسان الأولياء أكثر تداولاً, وكــانوا عليــهم الســلام إذا وصلــوا إلى ذلــك المقــام صرحوا بالقول تصريحاً, لا إشارة ولا تلويحاً, بخلاف مقام التشــبيه والتكثــير, فإنــه قل في كلمات الكمّل من أصحاب الوحــي والتــتريل التصريــح بــه, بــل كلمــا وصلوا إليه رمزوا بالقول رمزا ورفضوا التصريح بــه رفضــاً"[790].

فينبغي لف التشبيه بالتتريه أولا وأخيراً, كمــا أن الاختيــار عندنــا محــاط بجــبر سابق وجبر لاحق. قال تعالى : ((وما رميــت إذ رميــت, ولكــن الله رمــى))[791]. صدق الله العلي العظيــم.

وهل أن التشبيه هو خلع صفات بشرية على الله من منطلــق روايــة عــن الإمــام جعفر الصادق(ع) : *"لعل النملة تــرى أن لله زبــانيتين"*[792] ؟ أم العكــس صحيــح, والتشبيه هو ضخ الصفات الإلهية في جوهر البشر, كما تقضي بــه الآيــة الشــريفة: ((فطرة الله التي فطر الناس عليها))[793] ؟ فيه وجهان باعتبــارين مختلفــين.

ومما يتفرع على ثنائية ***التشــبيه/التتريــه*** : معادلــة ***التشــابه/الاختــلاف*** الــتي تطرح على مســتويين:

١ ــ على المستوى الفلســفي,

أي علاقة الموجودات بعضها بالبعض الآخر, وقد أكــد بعــض العلمــاء علــى أسبقية التشابه, وتقدمه على الاختــلاف:

---

[790] الإمام الخميني ــ مصباح الهداية ــ المشكاة الثانية ــ ٩٠

[791] الأنفال ١٧

[792] راجع : مصباح الهداية ــ المشكاة الثانية

[793] الروم ٣٠

قال أبو حيان التوحيدي: "اعرف حقائق الأمور بالتشـــابه, فـــإن الحـــق واحـــد, ولا تستفزنك الأسماء وإن اختلفـــــت"[٧٩٤].

وعن غريغوري باتســـون:

"التشابه يسبق الاختـــلاف".

و"التشابه أقدم من الاختـــلاف"[٧٩٥].

وفيه نظر, لأن اجتماع المثلين محال فكل تشابه بين أمريـــن يتطلـــب اختلافـــاً.

٢ ــ على المستوى الثقـــافي

أي علاقة الأفكار البشرية بعضها بالبعض الآخـــــر, وســـنتعرض لــــه في ثنائيـــة : ***الاشتراك/الاختلاف*** إن شـــــاء الله.

١٠٦ ــ *القرب/البعد*

النمط الفلسفي حول علاقة المخلـــوق بالخـــالق والعبـــد بـــالرب يجعـــل ***البعـــد*** والبون شاسعاً بين العبد الفقير الذليل الخـــاضع المســـكين وبـــين الـــرب ذي العـــزة والعظمة والكبرياء, و"*أين التراب ورب الأرباب*؟" والنزعـــة العرفانيـــة تصـــر علـــى

---

[٧٩٤] أبو حيان التوحيدي ــ المقابسات ــ المقابسة ٢٦

[٧٩٥] في كتاب (الطبيعة والفكر)ــ نقلاً عن د. محمد مفتاح ــ التشابه والاختلاف ــ المركز الثقافي العربي ــ ١٩٩٦

قرب العبد بربه لا, بل رؤية الرب في الذات وفي صميم كل شيء, إذ لا شيئية لشيء غيره.

ومنطق ***أمر بين أمرين*** " يرى الرب قريباً أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد, وبعيداً أبعد من أن يقدر العبد على تصور ربه : ((سبحان الله عما يصفون))[٧٩٦] , والله أكبر من أن يوصف.

والرسم الدقيق لطي هذه المعادلة ورد في كلام مولانا الإمام علي بن أبي طالب (ع) :

"*الذي بعُد فلا يرى وقرب فشهد النجوى*",

كما ورد في الدعاء : "*إني هارب منك إليك*".

لكن انطواء هذه الثنائية لا يخص علاقة العبد بالرب, بل يشمل كل العلاقات, حيث يمكن القول بأن كل شيء يقترب من شيء آخر, يبتعد عنه في نفس الوقت, لأن نهاية الاقتراب هو التوحد أو الاتحاد, وغاية الاتحاد هي الوحدة, وبالوحدة يستهلك الشيء في ما اقترب منه ويذوب فيه, ولا يبقى له كيان حتى يتصور معنى القرب, كقطرة ماء تقترب من البحر وتفنى فيه, وعندما تصبح هي بحراً لا يصح معنى للقرب. هذه المقولة تشمل علاقة الإنسان بأفكاره الذهنية أيضاً:

"إن الرؤية والمفهوم والماهية كل ذلك لايتم ولا يتبنى ولا يتحقق إلاّ باستبعاد الشيء استبعاداً ما. انه نسيان للوجود في مورد العلم به حسب مقولة هيدغر الشهيرة ولعل هذه حقيقة من حقائق الوجود: فنحن نضعه بين قوسين فيما

---

[٧٩٦] الصافات ١٥٩

نقوم بتصوره وننساه فيما نحاول استحضاره. من هنا احتيج أبداً إلى تذكر الوجود واستعادته إلى معاودة تأمله والتفكير فيه".[797]

ملاحظات :

تندرج في ثنائية ***القرب/البعد*** :

ثنائية ***العلو/الدنو***, ومنها ثنائية : ***السماء/الأرض***. ومما يؤيد طي هذه المعادلة : أن السماء تعلو على الأرض وتحيط بها في ترتيب دائري (لا خطّي)من فوقها ومن تحتها, فالجو المحيط بالأرض وقع فوقها وتحتها في نفس الوقت. وكذلك النسبية فيهما, لأن كل سماء سماء بالنسبة لما دونها, وهي أرض بالنسبة لما فوقها, إلى أن نصل في المراتب السافلة إلى أرض لا أرض دونها, وفي المراتب العالية إلى سماء لا سماء فوقها. وربما يكمن في هذا الأمر سرّ كون السماوات سبعاً والأرضين سبعاً ((ومن الأرض مثلهن))[798], ودرجات الجنة ثماني بدل السبع, إذ إن اعتبار سماء لا سماء فوقها وأرض لا أرض دونها بالإضافة إلى السماوات والأرضين المتوسطة يؤدي إلى ثماني درجات. والله أعلم.

ومنها معادلة : ***المحيطية/الخاطية*** التي منها ***الاستكبار/الاستضعاف***.

ومنها ثنائية : ***الصعود/النزول*** التي تنطوي في طرفيها, لأنه بمقدار ما يصعد السالك ويرتقي إلى ربه يتنزل منه أنوار العلم والخير والبركة إلى الخلائق, كصاروخ لا يصعد من منصته إلى السماء إلى بتنزيل لهيب الطاقة إلى الأرض لينطلق إلى السماء.

---

[797] علي حرب ـــ نقد الحقيقة ـــ ٩

[798] الطلاق ١٢

الحرية "قيمة ذاتية" لا شك فيها, وهي مجبولة في ضمير الإنسان. قال تعالى: ((بل يريد الإنسان ليفجر أمامه))[٧٩٩].

وإذا كان بالإمكان تقيّد "القيم التبعية والثانوية" بشروط تمليها القيم والمصالح الكبرى, *كالضرورات التي تبيح المحذورات*, لكن "القيم الذاتية" لا تتقيد بأي قيد أو شرط, لأن ذلك يتنافى وذاتيتها.

لكننا كثيراً ما نسمع أن "حريتنا تنطلق إلى الحدّ الذي لا يخلّ بمباني الإسلام ولا يعارض الحقوق العامة", وأن "الحرية غير التحلل الخلقي والمعنوي. اننا ننظر إلى الحرية من زاوية مراعاة الموازين الأخلاقية والمعنوية".[٨٠٠]

فهل الحرية تتقيد بقيود الشرع؟ أم يجب إبقاؤها حرة طليقة حتى يكون الاسم طبقاً لمسماه؟

بالفعل هناك قراءات قشرية عن الدين أو الشريعة السماوية ـ أيا كانت ـ تكبل كثيراً من الحريات المشروعة بذرائع فقهية ومذهبية, ولسنا معها.

وإذا كان الإسلام يدعو الإنسان إلى السجود لربه, والسجود "يشكل الرمز الخارجي والتعبير الجسدي عن العلاقة الحقيقية القائمة بين المخلوق والخالق في الإسلام إنه إشارة إلى أن العبد قد سلم أمره تسليماً كلياً ومطلقاً إلى ربه

---

[٧٩٩] القيامة ٥

[٨٠٠] السيد محمد خاتمي ـ في الذكرى السنوية الأولى لانتخابه رئيسا للجمهورية الإسلامي الإيرانية ـ كيهان العربي ـ ٢٦/٥/٩٨

وخضع خضوعاً تاماً بمشيئته"[801], فكيف يمكن الحديث عن حرية الإنسان؟ وكيف يمكن قراءة التكاليف الشرعية التي تضع حدوداً لخيارات الإنسان؟ وبعبارة أخرى كيف يمكن تقييد نزوع الإنسان نحو الإطلاق؟ والمطالبة بتسليم أمره إلى الله, ومجانبة ما يتمناه نهائياً؟

منهجية "*امر بين امرين*" ترى أن هذا التقييد هو تقييد بقيد الإطلاق, وأن التكاليف الشرعية في الشرائع السماوية وعلى رأسها الشريعة المحمدية(ص) لم توضع لتكبيل الإنسان, بل وضعت لتكبيل الأغلال التي تحول دون كمال الإنسان : ((ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم))[802]. إن طريق الأنبياء تدعو إلى عبادات وطقوس وتطبيق مناهج وبرامج تقوي الفرد والمجتمع لنسف الميول التي تشد الإنسان إلى الأرض وتمنعه من التعالي والطيران.

حتى أن هذا التقيد بقيد الإطلاق هو تقيد اختياري ينتخبه الإنسان بملء إرادته بحكم : ((لا إكراه في الدين))[803], ((إنما أنت مذكر, لست عليهم بمصيطر))[804]. والفرد هو الذي يختار إمّا الإطلاق والتقيد بآداب الإطلاق, أو التقيد بخيارات الانغلاق في الوساوس والشهوات.

وليس كل ما يتوهم الشخص حرية هي حرية واختيار حقيقي , بل قد يكون عبودية مقنعة بقناع التحرر :

"في الواقع فإن الغالبية منا باتت تحت وطأة (عبودية) التكنولوجيا التي كنا أساساً نريدها أن (تحررنا) من العمل الشاق, وباتت رسائل (البريد الألكتروني)

---

[801] صادق جلال العظم ـــ نقد الفكر الديني ـــ ٩٠

[802] الأعراف ١٥٧

[803] البقرة ٢٥٦

[804] الغاشية ٢١-٢٢

وصفحات الأنترنت والهواتف الخليوية تأسر اهتماماتنا وتتطلب رعايتنا الدائمة"[805].

ومن أروع ما قيل في طي ثنائية ***الحرية/العبودية*** : الحديث الشريف : "*العبودية جوهرة كنهها الربوبية*". العبودية لله هي التعلق بالرب الذي يملك نظام الوجود, ويتصرف فيه كما يشاء, وكيف يشاء. من شأن هذا التعلق أن يوصل الإنسان إلى أعلى مراتب القدرة والاختيار. والذي يسجد لله وحده, يسجد له الملائكة أجمعون, وتضع ((فالمدبرات أمراً))[806] كل قواها تحت تصرفه.

ملاحظات :

تندرج في معادلة ***الحرية/العبودية*** :

١ ــ ثنائية : ***العزة/الذلة***.

والآية القرآنية صريحة في طيّها وتداخلها : ((فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين))[807].

وكذلك قول الإمام السجاد(ع) : "اللهم لاتحدث لي عزاً ظاهراً إلاّ أحدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها".

٢ ــ ثنائية ***الإفلاح/الخيبة***.

٣ ــ معادلة ***التزكية/التدسية*** : ((قد أفلح من زكاها وقد خاب من دسيها))[808].

---

[805] عالم النفس لاري روسين في كتابه : تكنولوجيا التوتر : السفير ــ ٩٨/٢/٩

[806] النازعات ٥

[807] المائدة ــ ٥٤

٤ ــ ثنائية *السعادة/الشقاوة*.

٥ ــ *الربح/الخسارة*.

١٠٨ ــ *الطلب/الإرادة*

"أشكل الأشاعرة على اتحاد الطلب والإرادة في مورد الله وفي مورد الإنسان. ومما استدلوا عليه "أنا إذا فحصنا أمر الأوامر الصادرة عنه, نجد أن منها ما لا تصلح الإرادة أن تكون مبدأ لها من قبيل الأوامر الامتحانية. فلو أمر المولى عبده بإتيان شيء من الأشيار له لاختبار طاعته, لكان المراد غير الذي أمر به. فالأمر لم يكن قد صدر عن إرادة له, فلا بد أن يكون قد صدر عن غيرها, ولا يصلح غير "الطلب" مبدأ لها, وهو المطلوب...

والجواب أنه لما كانت الأوامر كلها تصدر من الإنسان باختياره, وهي من أفعاله الاختيارية فلا يمكن اختلاف مبدأ نشوءه, سواء أ كان أمرا امتحانيا أو اعتذاريا أو غيرهما. ذلك لأن ما يرادمن الأمر لا بد أن يكون اختياريا, وإلا ما كان من المراد في شيء, وبطل أن يكون إرادة"[٨٠٩].

إن فكرة التفريق بين الأمر والإرادة تؤدّي إلى تبعات فكرية وعقائدية جسيمة وخطيرة. نشير هنا إلى أن بعض القائلين بالغيرية, صوروا قصة إبليس وتمرده على أمر الله, على ضوء مذهبهم, وادعوا إيمان إبليس صفياً ونقياً,

---

[٨٠٨] الشمس ٩-١٠

[٨٠٩] تعليقات محمد رضا محمد على رسالة الطلب والإرادة للإمام الخميني

وتوحيده الخالص, ووقوعه ضحية لهذه المغايرة ! واستخلصوا أن قصة إبليس... ليست قصة الصراع بين الخير والشر, والحق والباطل! بل إنه بين شقي الرفض : رفض المشيئة من ناحية, ورفض الأمر من ناحية أخرى. فكان عليه أن يختار اختياراً مصيرياً بين واجبه المطلق في تقديس الله وتوحيده تسبيحه, وبين واجبات الطاعة الجزئية التي أمر بها الله, كوجوب السجدة لآدم! :

"حدّد الإمام المقدسي طبيعة التناقض بين الأمر والإرادة الإلهية[٨١٠] بالكلمات التالية : (فإني نظرت بعين اليقين دائرة الشقاوة والسعادة : تدور على خط الأمر ومراكز الإرادة...فما وهبه الأمر نهبته الإرادة. الأمر يقول : افعل, والإرادة تقول : لا تفعل)".[٨١١]

١٠٩ ــ *الجبر/التفويض*

نعالج انطواء ثنائية الجبر/الاختيار على الصعيدين : الأنفسي (في الإنسان), والآفاقي (في نظام الوجود) :

١ ــ على صعيد الإنسان (العالم الصغير) :

قالت الأشاعرة بالتوحيد الأفعالي, ورأوا فيه رفضاً لاستقلالية الإنسان واختياره في اتخاذ قراراته. ونسوا أن الذي يرفض انتساب الإحراق إلى النار بحجة معارضته مع التوحيد الأفعالي وتساوقه للشرك يقع هو نفسه في فخ

---

[٨١٠] (في كتاب الطواسين ــ المقدمة ص ١١)

[٨١١] صادق جلال العظم ــ نقد الفكر الديني ــ ٦٠

الشرك من حيث لا يحتسب. لأنه هكذا يقول بخلـوّ جوهـر النـار مـن الله, وهـو نوع آخر من الشرك. الحقيقة أن انتساب الفعل إلى فاعله المباشـر وانتسـاب فاعلـه إلى الله بتمام ذاته هو كمال التوحيد الذي يجمع بـين التوحيـد الأفعـالي والصفـاتي والذاتي.

والأشاعرة قالوا إن العبد لا يفعل الفعل, بل يكسـبه. والـذي يفعـل والفعـل ويحققه هو الله دون العبـد.

لكن "*نظرية الكسب* ليست إلا محاولة لتزييف التضـارب القـائم بـين هـاتين النظريتـين (التسـيير والتخيـير)...والقـائلون بالكسـب يزينـون هـذه الحقيقة...ويقولون بأن الله هو خالق أفعال العباد ولكـن... يظـل العبـاد مخـيرين ومسؤولين وخاضعين للعقاب والثـواب"[٨١٢].

واتفق رأيهم مع ما ذهب إليه الرسول بولس إذ يقـول في "*الكتـاب المقـدس*": " لا أفهم ما أعمل لأن ما أريده لا أعمله ، وما أكرهـه أعملـه "[٨١٣]. ويقـول : " فالذين سبق فاختارهم، سبق فعينهم ليكونوا على مثال صـورة ابنـه حـتى يكـون الابن بكراً لإخوةٍ كثيرين. وهؤلاء سبق فعينهم، ودعـاهم أيضـاً، والذيـن دعـاهم بررهم أيضاً، والذين بررهم مجدهم أيضـاً"[٨١٤].

والجبر مذهب باطل, لأنه "يستلزم سلب التأثير عـن الموجـودات, ومزاولـة الله تعالى الأفعال والآثار مباشرة وبلا وسـيط... وصـدور الكثـير بـلا وسـط مـن الواحد البسيط من جميع الجهات مستلزم للتركب والتكثر فيـه, وهـو خلـف"[٨١٥].

---

[٨١٢] المصدر السابق ــ ٩٤

[٨١٣] (رو ٧ : ١٥)

[٨١٤] (رو ٨ : ٢٩ - ٣٠)

[٨١٥] الإمام الخميني ــ رسالة الطلب والإرادة ــ ٦٨-٧٢

وذهبت *المعتزلة* إلى مبدأ التفويض, ورأوا فيه عدم مدخلية الإرادة الإلهية في شؤون الإنسان بقرار من الله, وبناءً على عدالته القاضية بضرورة مواكبة المسؤولية مع الاختيار.

و لم يتنبهوا إلى أن : "المعلول بالذات هو وجود الممكن, الذي هو أثر جعل الجاعل. وإلا فالماهيات ليست مجعولة ولا موجودة إلا بالعرض , لكونها اعتبارات وانتزاعات من حدود الوجود, والوجود المعلولي ذاته الافتقار والتعلق. ولو استغنى في حيثية من الحيثيات ينقلب من الإمكان والافتقار الذاتي إلى الوجوب والاستغناء, وهو مستحيل بالضرورة. فالتفويض بمعنى جعل الممكن مستقلاً في الفاعلية مستحيل, ومستلزم للانقلاب المستحيل, سواء في ذلك المجرد أو المادي والفاعل المختار وغيره, فلا يعقل تفويض الإيجاد والفعل والأثر والخواص إلى موجود: ((إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له, وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه. ضعف الطالب والمطلوب, وما قدروا الله حق قدره, إن الله لقوي عزيز))[816], [817].

وآمنت *الشيعة* بمبدأ *"أمر بين أمرين"*, لا بمعنى انقسام القرار بين الله وبين الإنسان بالمناصفة, فهذا شرك عظيم! بل بمعنى للفرد أن "يفوض" أمره إلى الله بملء إرادته, "فيختار" أن لا يكون له "خيرة" و"اختيار" مقابل حكم الشرع: ((وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا))[818].

---

[816] الحج ٧٣-٧٤

[817] المصدر السابق ـــ ٦٦

[818] الأحزاب ٣٦

نلاحظ أن الآية الشريفة في الوقت الذي يسلب من المؤمن "*الخيرة*" في أمر فيه قضاء من الله ورسوله, يسجل له اختيار العصيان من أمر الله ورسوله.

ومن هذا القبيل قوله تعالى : ((وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى))[819], "حيث أثبت الرمي من حيث نفاه, فإن الرمي كونه منه لم يكن بقوته واستقلاله, بل بقوة الله وحوله. وقوله : ((وما تشاؤون إى أن يشاء الله))[820]. فأثبت المشية لله من حيث كونها لهم, لا بأن يكون المؤثر شيئين أو فعلين بالاشتراك,بل بما أن المشية الممكن ظهور مشيته تعالى وعين الربط والتعلق بها"[821].

وآية الرمي أيدت الاختيار وصدور الفعل من الرامي, لكنها طوقتها بجبر سابق ((ما رميت)) وجبر لاحق ((ولكن الله رمى)) على ما فسره إمامنا الخميني(ره), مما يفيد أن اختيار الإنسان حلقة من حلقات الحتمية الصادرة عن الإرادة الإلهية.

هذا, وقد بات من الصعب فهم انطواء معادلة الجبر/التفويض لمن لم يهتدي بهدى الله و لم يستضيء بنور العلم, حيث توقف عند الآية الشريفة : ((إن تسمع إلاّ من يؤمن بآياتنا))[822]، والآية : ((إن الذين لا يؤمنون بآيات لا يهديهم الله))[823]وآيات أخرى, وتوهم أنها تصب في خانة القدرية، وعبّر عنها :

---

[819] الأنفال ١٧

[820] الإنسان ٣٠

[821] الإمام الخميني ــ رسالة الطلب والإرادة ــ ٧٣

[822] النحل ٨١

[823] النحل ١٠٤

"بدوائر دلالية تعيد آخر المقطع إلى بدايته ، على قاعدة : "رد العجز على الصدر".

وحبذا لو كان يعرف أن هذه الدوائر التي اكتشفها هي دوائر فلسفية تعبّر عن نظام الكون الذي يفيض من الوجود المطلق، ليصل إليه ويستقر عنده مرة ثانية ((إنا لله وانا إليه راجعون))[824]. لكنه لم يميز بين : "*الدوائر الوجودية الفلسفية*"، وبين ما يسميه : "*بالدوائر الدلالية" المنطقية*، المستحيلة عندنا منطقياً.

أما استناد إيمان الإنسان إلى هداية الله، فلا يتعارض عندنا مع مباديء حرية الإنسان في ارتسام كيانه وأفعاله على قاعدة : لا جبر ولا تفويض، وإن شاء فليسميها *بقدرية هي عين الاختيار* .

ملاحظات :

تندرج في هذا الإطار ثنائية : ***الإبداع/التقليد*** :

فالجبر قاض بتقليد الإنسان من البيئة, والاختيار يتبلور في إبداع الإنسان وفاعليته في تغيير البيئة.

ثنائية ***التقليد/الإبداع*** تعكس جانباً من ثنائية ***الجبر/الاختيار***, لأن معرفة العالم عن طريق العلم الحصولي و "*صيرورة الإنسان عالماً عقلياً مضاهياً للعالم العيني*" تصب في خانة التقليد. لكن الإبداع ينطلق من العلم الحضوري لأنه إصدار وليس اكتساباً. كما أن علم الله تعالى بالعالم هو أساس خلق العالم وإبداعه وليس فهمه الاكتسابي.

---

[824] البقرة ١٥٦

إذن الإبداع أقرب إلى تحقيق الخلافة الإلهية من التعقل والفهم الحصولي, والموقف التالي له وجه ما :

"الحقيقة ليست شيئاً دائماً في ذاته نبحث عنه لكي نقبض عليه. بل هي شيء نمارسه ونصنعه أو ننتجه. انها ما يخلقه النص أو الفكر ولاوجود لها يسبق الممارسات الفكرية والخطابية"[825].

٢ ــ على صعيد العالم (الإنسان الكبير) :

ويندرج في هذا الإطار ثنائية : ***الطوع/الكره*** :

في الوقت الذي يتفق الفلاسفة على تسيير كل الحركات الطبيعية وحتمية تطوراتها, يصف القرآن كل الأجسام بالطواعية والاختيار : ((ثم استوى إلى السماء وهي دخان. فقال لها وللأرض أتينا طوعاً أو كرهاً. قالتا أتينا طائعين))[826].

هذه فكرة تتبناها مدرسة الحكمة المتعالية. يقول صدر المتألهين :

"الحركات الطبيعية كالحركات الاختيارية الحيوانية في أن لها مباد مترتبة, بعضها من عالم العقل وبعضها من عالم النفس والتدبير, وأدناها من عالم الطبيعة والتسخير, والكل بقضاء الله والتقدير"[827].

أُورِد هنا قسماً من كتابي : "***بينات***" عالجت فيه إثبات الإرادة والاختيار للأجسام المادية:

---

[825] علي حرب ــ نقد الحقيقة ــ ١٤١

[826] فصلت ١١

[827] صدر المتألهين ــ الشواهد الربوبية ــ ١ / ١٨٩

الجسم حرّ مختـــار[828] :

أ - الاختيار هو كون الفاعل عارفاً بفعله أوّلاً, وبأن يكـــون فعلـــه مســـتنداً إلى ذاته دون غيره ثانيـــاً .

ب - الجسم عارف بنفسه[829]، ولا شك أن أفعالـــــه مســـتندة إلى ذاتـــه، فـــهي تصدر عن ذاته. وإذا كان للغير تأثير عليه, فالغير يؤثـــر علـــى ذاتـــه أوّلاً، لأن فعلـــه لا يصدر عن الغير, بل عن ذاته. وإذا كان تأثير الغـــير علـــى ذات الفـــاعل مناقضـــاً

---

[828] لقد حصر بعض الفلاسفة العلاقة الغنية التي تقوم بين الإنسان والوجود في علاقة فقيرة محدودة تقوم بـــين الذات والموضوع. فعلاقة الإنسان بالوجود ليست محصورة فقط ـــ كما ظن هؤلاء ـــ في الرابطة العقلية الـــتي تصل الذات بالموضوع, أو عن طريق فعل الإسناد، أي الرابطة، لأن العلاقة بين الموضوع والمحمول علاقة ذاتيـــة محضة تبدأ أو تنتهي في نطاق الذات, من حيث أن الذات هي التي تضع الصفة أو المحمول. كما أن الموضـــوع الذي تصفه ليس هو الموضوع الواقعي؛ وإنما هو ذاتي محض تصفه الذات من زاويتها الخاصة. وعليـــه ، فقـــد ذهب الفلاسفة الواقعيون إلى أن الموضوعات الواقعية تتعدى كل الوسائل التي تضعها الذات العارفة لتســـيطر عليها. ومن النقص بحق هذه الموضوعات أن تقتصر نظراتنا إليها من خلال الذات العارفة فقط؛

كذلك زعم الفلاسفة المثاليون أن وجود الأشياء والأشخاص مرهون بوضعها داخل الصيـــغ والقوالـــب والإطارات العامة المطلقة التي تنشرها ملكة العقل على الأشياء والأشخاص. إلا أن الفلاسفة الواقعيين يـــردون على ذلك بأن الأشياء في الطبيعة قادرة، من تلقاء نفسها ـــ عن طريق علاقاتها بعضها ببعض ـــ على أحـــداث تجمعات وتشكيلات واقعية يجدها العقل جاهزة أمامه. ذلك أن قدرة الطبيعة لا تقف عند حد. ومن الصعـــب أن نبخسها حقّها وقدرتها, ونلحق كل شيء بالعقل . فالواقعية الفلسفية تعطي للأشياء حق الكلام, وتســـتمع إلى صوتها, بعد أن ظلت الإنسانية تستمع إلى صوت الذات فترة طويلة.

ومن يدري؟ لعل الأشياء من غير معونة من الذات قادرة على القيام بتشكيلات متقنة تجدها الذات أمامـــها عندما نتجه لمعرفة الطبيعة. وما من شك في أن التشكيلات هذه تمثل فاعلية الطبيعة أو قدرتها الذاتيـــة علـــى الوقوف وحدها دون الاستعانة بالذات(تعليقات د. هادي فضل الله على بينات للمؤلف).

[829] راجع : ثنائية العلم/الجهل

لاختياره, لانتفى الاختيار عن الإنسان أيضاً. ولكننا نعتبره مختاراً في تناوله الطعام, نظراً لصدور هذا الفعل عن نفسه، وإن كان للغير تأثير عليه (رغبته إلى الطعام انفعال من أمر خارج).

ولا أتصور أن جوهر الاختيار هو التروّي بين الفعل والترك وتقييمهما، ثم انتخاب الأفضل من بينهما - ولا نرى هذا في سقوط المطر -,

لأن هذا التعريف للاختيار, لا ينطبق على اللّه تعالى. فمن المستحيل أن يتروّى أو يفكّر (لأن الفكر محاولة لكشف المجهول)، ومع ذلك فهو مختار مطلق[830].

ولا أقبل أن الاختيار يستلزم التمرد والعصيان - ولا نرى تمرداً للمادة في أفعالها-،

لأن هذا التعريف غير منطبق على المختار المطلق, الذي لا معنى لتمرّده، ولا على الإنسان الذي يعتبر حراً مختاراً في انتحاره، حتى إذا لم ينتحر طوال عمره .

ج - فالجسم مختار، وإن لم يكن اختياره مثل الإنسان في جميع مستلزماته .

١١٠ ـ *الفرد/المجتمع*

في الثقافة الغربية, لم تعترف الشيوعية بأي حق للفرد أمام الجمع بناء على الاشتراكية(Socialism), والرأسمالية التي انطلقت من الفردية

[830] العلامة الطباطبائي ـ نهاية الحكمة –١٦٤ وأيضاً : رسالة في قواعد العقائد –٤١

(Individualism) أعطت الحرية المطلقة للفرد, خصوصا في الشؤون الاقتصادية ومسائل الحياة الخاصة.

أما الثقافة الإسلامية, فيبدو من المعالم الظاهرة أنها تعطي قيمة أكثر لأصالة الجمع, وتمنحها قدسية كدين سماوي, فهناك أحاديث تحذر الأمة الإسلامية من الرهبانية والانعزال, وأدنى توجه إلى طائفة واسعة من قضايا الفقه والحقوق والأخلاق الإسلامية يكفينا ليرينا مدى اهتمام الإسلام بالنشاطات الاجتماعية...

ولكن, لا يعني ذلك أبداً أن الإسلام يسمح بذوبان الإرادة الفردية في التيار الاجتماعي...إن أسلوب الحياة الأخروية لا يتمحور على التعامل والتفاعل الاجتماعي, وليس هذا فحسب, بل أن الآخرة ساحة لقطع الأسباب : ((يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه, لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه))"[831], [832].

الأصالة للفرد, ولا يمكن انتسابها إلى الجمع والتجمع، لأن كل أصالة ترجع إلى صفات الوجود الذاتية والحقيقية، وهي ما تسمي بأسماء الله في العرفان الإسلامي. والله لا يتصف بالكثرة والجماعة. ولأن التجمع نابع من نقص أفراد الجماعة واستكمال بعضها بالبعض الآخر فليس أصيلاً.

رغم ذلك, يمكن من منطلق "*امر بين امرين*" أن يكون الجمع أصيلاً, والهوية الجمعية تصبح أصيلة, أو تبدو هكذا. ولكن حينئذ لا يمكن اعتبار الجمع أو المجتمع مجموعة من آحاد, بل يجب اعتباره فرداً يمتاز (في عين احتوائه

---

[831] عبس ٣٤-٣٧

[832] محمد خاقاني ــ الفرد أم المجتمع ــ مجلة البلاد ــ ٤٦

للأفراد) بهوية فردية. وهذه الهويـــة الفرديـــة للمجتمـــع, تتولـــد وتنمـــو وتتكـــامل وتشيب وتموت مثل كل فرد من الأفراد. حـــتى الشـــخص الواحـــد الـــذي نســـميه فرداً, هو أيضاً مجموعة خلايا وأعضاء وجوارح, ولكن نعتـــبره فـــرداً, لأنـــه ليـــس فقط مجموعة أعضاء وجوارح, وإنما لاكتسابه شخصية فرديـــة, نســـميها "أنـــا".

وقد طرح "إميل دوركايم" في كتاباته "فكـــرة أن الوظيفيـــة الـــتي تطبـــق علـــى المجتمعات الإنســـانية, تقـــوم علـــى المماثلـــة بـــين الحيـــاة الاجتماعيـــة والحيـــاة العضوية"[833]. وانطلاقاً من هذا المفـــهوم, تصـــور رادكليـــف بـــراون أنـــه كمـــا أن للجسم الإنساني بناء أو تركيباً متكاملاً, فإن المجتمـــع أيضـــاً لـــه تركيـــب أو بنـــاء اجتماعي يتكون من " الأفراد الذين يرتبطون بعضهم ببعـــض, وكـــل واحـــد منـــهم متماسك مع الآخر عن طريق علاقات اجتماعيـــة مقـــررة"[834].

ومما يدخل في معادلة ***الفرد/المجتمع*** جدلية "***الهويـــة***" عنـــد خـــبراء علـــم النفـــس وعلم الاجتمـــاع:

"هناك بعض علماء النفس يستخدمون مصطلح "الهويـــة" مـــن خـــلال إعطائـــه معنى واسعاً بعض الشيء دون تحديده تحديداً دقيقاً. بينمـــا نجـــد أن دانيـــال كيللـــر وإريك إريكسون يتناولان "الهوية" بشكل أكثر تحديـــداً. إن ميللـــر يتنـــاول الهويـــة باعتبارها "أنماط السمات التي يمكن ملاحظتها أو استنتاجها ، والـــتي تميـــز شـــخصاً في نظر نفسه وفي نظر الآخرين ". أما إريكسون، الـــذي يعـــترف بصعوبـــة تعريـــف الهوية، بالرغم من أبحاثه العميقة فيها، فإنه يحـــدد في كتابـــه " الطفولـــة والمجتمـــع " ، أن هوية الأنا تتطور من الامتزاج التدريجي لكـــل الهويـــات".[835]

---

[833] على غرار ما يراه العرفان الإسلامي من أن الإنسان عالم صغير, والعالم إنسان كبير.

[834] حسين فهيم ـــ قصة الأنتروبولوجيا ـــ ١٦٧

[835] رشاد عبد الله الشامي ـــ اشكالية الهوية في فلسطين ـــ ٨

وكما أن المجتمع يمكن أن يعتبر فرداً ويتمتع بأصالة ما هذا الاعتبار, كذلك يمكن للفرد الواحد أن يعتبر أمة بكاملها: ((إن إبراهيم كان أمة قانتا لله))[836], أي أن قيمته تساوي مجتمعا بكامله. ومتى يصبح جماعة ؟ عندما يخرج من أنانيته وفردانيته.

١١١ ـ *الهداية/الضلالة*

الله جل جلاله خلق الجن والإنس ليعبدوه : ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون))[837]. وشملتهم الهداية الإلهية العامة التي تشمل كل ما خلقه الله: ((الذي خلق فسوّى, والذي قدّر فهدى))[838]. وفعلت هذه الهداية فعلها على مستوى جميع الخلائق: ((إن كل من في الأرض الاّ آتي الرحمن عبداً))[839].

لكن الهداية الإلهية التي تحققت في الأشياء في قالب ***التكوين***, أخذت عند الإنس والجن بعداً آخر , هو ***التشريع***.

وحيث أن الهداية التشريعية لا تتحقق إلا بالتمكين من التمرد وإمكانية العصيان, وجب أن تكون الهداية الإلهية في عالم الثقلين (الجن والإنس)

---

[836] النحل ١٢٠

[837] الذاريات ٥٦

[838] الأعلى ٢-٣

[839] مريم ٩٣

مصحوبة بالضلالة, ليتسنى للإنسان أن يتخذ قراره في مفترق الطريقين : الهداية والضلالة : ((وهديناه النجدين))[840]. فيجب اعتبار الضلالة حلقة من حلقات الهداية, وبه تنطوي ثنائية ***الهداية/الضلالة***.

واللافت للنظر أن الآية القرآنية ((ومنهم من حقت عليهم الضلالة))[841] تصبغ الضلالة بلون الحق.

و"الحق" ملازم للهداية في الآية المباركة : ((أفمن ***يهدي*** إلى ***الحق*** أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلاّ أن يهدى)), وملازم للضلالة في الآية الشريفة : ((***حقت*** عليهم ***الضلالة***)).

وإبليس مظهر لإسم من الأسماء الإلهية الذي هو الإسم (المضل), وهو تحت سلطنة الاسم (الهادي) الذي يتمظهر في الأنبياء (ع). قال تعالى : ((إن عبادي ليس لك عليهم سلطان))[842], وقال الرسول (ص) : *"إن شيطاني أسلم بيدي"*.

١١٢ ـ الإيمان/الكفر

تصر فئة من المثقفين على أن الإيمان ليس حكراً على طائفة معينة, لأن "العقل برهان لا يقطع في مجال الغيب أن نفياً أو إثباتاً. ولذلك ليس ثمة مؤمن مطلقاً أو كافر مطلقاً. فالإنسان يتردد بين الشك واليقين والكفر والجحود.

---

[840] البلد ١٠

[841] النحل ٣٦

[842] الإسراء ٦٥

يقول السيد محمد حسين فضل الله في مقابلة أجريت معه[843]: "ليس هناك في العالم حالة كفر ينطلق من دليل الكفر. بل هناك حالة شك ينطلق من عدم الاقتناع بمصادر الإيمان"[844].

وقد أخطأ الناقد في فهمه, لأن المحاور أنكر في حواره حالة كفر ينطلق من دليل الكفر, بمعنى أنه ليس هناك كفر مبرهن قائم على البرهان : ((وإن هم ألاّ يظنون))[845], وليس معنى هذا أنه لا يوجد أيضاً إيمان عيني قائم على البرهان. فالله يطلب إقامة البرهان : ((قل هاتوا برهانكم))[846], بمعنى أن الطريق الذي يختاره الإنسان ويقضي فيه عمره, لا بد أن يكون مدعوماً بالبرهان.

لكنه أصاب في أن *"الإيمان"* أمر مقول بالتشكيك, له درجات كثيرة في الشدة والضعف. وقد صنفها ابن عربي في أربع مراحل : الأصغر والصغير والكبير والأكبر, وجعل إلى جانبه *"الإسلام"*, وقسمه أيضاً إلى هذه الدرجات. فالكفر الذي يناقض الإيمان هو أيضاً يتخذ منحىً تشكيكياً, يمكن الحديث عنه بالكفر الجلي والكفر الخفي.

حقاً لا يمكن الحديث عن حالة "كفر مطلق", لأن محاولة الكفار في إطفاء نار الإيمان الملتهب في صميم الفطرة الإلهية الإنسانية لا تجدي خيراً : ((يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم, والله متم نوره ولو كره الكافرون))[847]. والكفر ليس خلواً عن الإيمان, بل محاولة "لستره" وتطويقه : ((وجحدوا بها واستيقنتها

---

[843] مجلة المنابر ــ أيار ١٩٨٦ ص ١٧

[844] علي حرب ــ نقد الحقيقة ــ ٤٦

[845] البقرة ٧٨

[846] البقرة ١١١

[847] الصف ٨

أنفسهم))[848]. والكافر يطوي إيمانه في ستار من الكفر, وهنا يكمن ***أمر بين أمرين***".

ولكن لا يستحيل حالة "إيمان مطلق" عند الوصول إلى الله والتعلق بذاته, والفناء في كبريائه: قال علي (ع) : "*لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً*".

١١٣ ـ الخوف/الرجاء

إن مدرسة "أمر بين أمرين" تؤمن بإيلاج الخوف في الرجاء وإيلاج الرجاء في الخوف, فقد قال تعالى : ((ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون))[849], وبقوله هذا أكد على اتصاف أوليائه بأعلى درجات الأمن والارتياح النفسي.

لكنه قال أيضاً : ((ولمن خاف مقام ربه جنتان))[850], والجنة هي جزاء الله لأوليائه الذين لا خوف عليهم. وهذا يعني أن ***أشد الخوف*** من مقامه تعالى وخشيته هما يجلبان للمؤمن ***أشد الرجاء*** لتلقّي رحمته الواسعة.

---

[848] النمل ١٤

[849] يونس ٦٢

[850] الرحمن ٤٦

قال تعالى : ((فأما من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى فسنيسره لليسرى. وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى)).[٨٥١]

"التيسير : التهيئة والإعداد. واليسرى : الخصلة التي فيها يسر من غير عسر. والمراد من تيسيره لليسرى توفيقه للأعمال الصالحة بتسهيلها عليه من غير تعسير, أو جعله مستعداً للحياة السعيدة عند ربه, ودخول الجنة بسبب الأعمال الصالحة التي يأتي بها... والمراد بتيسيره للعسرى خذلانه بعدم توفيقه للأعمال الصالحة بتثقيلها عليه, وعدم شرح صدره للإيمان أو إعداده للعذاب".[٨٥٢]

وبما أن الجنة حفت بالمكاره, والنار وحفت بالشهوات كما ورد في الحديث الشريف, فإن طريق الشر يسير, لأنه منحدر نحو السقوط. لكن باطنه عسير يجر صاحبه إلى الخلود في عسر العذاب. والعكس صحيح في طريق الخير, حيث ظاهره عسير لأنه عروج وتسلّق واقتحام للعقبة حسب القرآن. وفي الحديث : "*ما أوذي نبيّ مثلي*". لكن باطنه يسير لامتلاء قلب المؤمن بالأمن والاطمئنان والرضا بقضاء الله وتذوق حلاوة الإيمان. هكذا تنطوي ثنائية ***اليسر/العسر*** في منهج "***امر بين امرين***".

---

[٨٥١] الليل ٩٢ / ١٠ ــ ٥

[٨٥٢] العلامة الطباطبائي ــ الميزان ــ ٢٠ /٤٣٥

وما يلفت النظر في الآية الكريمة استعمال التيسير مشتركاً للعسرى ولليسرى. فالله "ييسّر", لأنه "يسّير" الإنسان نحو ما يختاره بملىء إرادته : ((كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك, وما كان عطاء ربك محظوراً))[853].

فالعسرى تخضع لليسر الإلهي, كما أن غضب الله يخضع لرحمته التي وسعت كل شيء.

واليسر في ثقافة القرآن يتدفق من صميم العسر, كما الماء ينبجس من أعماق الحجر : ((فانبجست من اثنتا عشرة عيناً))[854]. وبهذا تشهد الآيتان : ((فإن مع العسر يسراً, إن مع العسر يسراً))[855].

"وقد أثبتت التجربة القطعية أن المجتمعات المؤتلفة لغرض هامّ, كلمّا قلّت أفرادها وقويت رقباؤها ومزاحموها وأحاطت بها المحن والفتن, كانت أكثر نشاطاً للعمل وأحدّ في الأثر. وكلما كثرت أفرادها وقلّت مزاحماتها والموانع الحائلة بينها وبين مقاصدها ومطالبها كانت أكثر خموداً وأقل تيقظاً وأسفه حلماً"[856].

---

[853] الإسراء ٢٠

[854] الأعراف ١٦٠

[855] الشرح ٤-٥

[856] العلامة الطباطبائي ــ الميزان ــ ٩ / ١٢٦

الحياة الدنيا لعب ولهو ليس إلاّ. قال تعالى : ((وما الحيوة الدنيا إلاّ لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون))[٨٥٧]. وهي ***لهو***, "لأنها تدور مدار سلسلة من العقائد الاعتبارية والمقاصد الوهمية, كما يدور عليه اللعب فهي لعب. ثم هي شاغلة للإنسان عما يهمه من الحياة الأخرى الحقيقية الدائمة فهي لهو. والحيوة الآخرة لكونها حقيقية ثابتة فهي خير لا ينالها إلاّ المتقون, فهي خير لهم.

وقال تعالى : ((وما هذه الحيوة الدنيا إلاّ لهو ولعب. وأن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون))[٨٥٨]. اللهو ما يلهيك ويشغلك عما يهمك. فالحياة الدنيا من اللهو, لأنها تلهي الإنسان وتشغله بزينتها المزوقة الفانية عن الحياة الخالدة الباقية.

واللعب فعل أو أفعال منتظمة انتظاماً خيالياً لغاية خيالية كملاعب الصبيان. والحياة الدنيا لعب, لأنها فانية سريعة البطلان كلعب الصبيان يجتمعون عليه ويتولعون به ساعة ثم يتفرقون وسرعان ما يتفرقون"[٨٥٩].

لكن حسب منهجية "***أمر بين أمرين***", الدنيا بحد ذاتها ليست لعباً وهزلاً. هي جدّ لأنها ساحة لمعركة الحق والباطل, وميدان لظهور كل الشرائع الحقة السماوية. وأمرنا أن نأخذها بعين الجدّ : "*اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً*".

---

[٨٥٧] الأنعام ٣٢

[٨٥٨] العنكبوت ٦٤

[٨٥٩] العلامة الطباطبائي ـــ الميزان ـــ ٧ / ٥٧ :

أما عندما تقارن الدنيا بـــالآخرة، حيـــث الأولى يـــوم الـــزرع والأخـــرى يـــوم الحصاد, والأولى مليئة باعتبارات وقشـــور والأخـــرى بلـــورة للحقـــائق والألبـــاب, نتذكر الآية المباركة : ((اعلموا أن الحيوة الدنيا لعب ولهـــو وزينـــة وتفـــاخر بينكـــم وتكاثر في الأموال والأولاد, كمثل غيث أعجـــب الكفـــار نباتـــه ثم يـــهيج فـــتراه مصفراً ثم يكون حطامـــاً))[٨٦٠].

ونستحضر قول الإمام علي (ع): "وخلقتم للبقـــاء لا الفنـــاء".

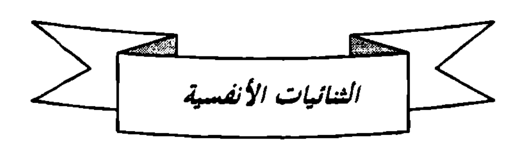
وأخيراً, "إن الاعتقاد بألعوبة الحياة الدنيا ليس نابعاً عـــن رؤيـــة يائســـة لفلســـفة الحياة الإنسانية, فالأمر على العكس, أي أن تفهم وتذوّق هـــذه الفكـــرة هـــي الـــتي تصون الإنسان في المواقف الخطـــرة لكـــب حركـــة اجتماعيـــة وثـــورة إصلاحيـــة. وهذا ما يوضحه علم النفس الإسلامي تجاه الخـــوف والرجـــاء"[٨٦١].

---

[٨٦٠] الحديد ٢٠

[٨٦١] محمد خاقاني (المؤلف) ــ الفرد أم المجتمع ــ مجلة البلاد ــ العدد ٤٦. لمزيد التفصيل حول حقيقة اللهو واللعب, راجع المقالة.

الوصل الرابع:



ب ــ الثنائيات المعرفية

١١٦ ــ الحضوري/الحصولي

١١٧ ــ العقل/القلب

١١٨ ــ العقل/الخيال

١١٩ــ العقل/الشرع

١٢٠ــ الحس/العقل

١٢١ ــ اليقين/الشك

١٢٢ ــ العين/الذهن

١٢٣ ــ الفكر/اللغة

١٢٤ ــ الواقع/المثال

١٢٥ ــالعلم/الدين

١٢٦ ــ العلم/الأخلاق

١٢٧ ــ العلم/العمل

١١٦ ـــ *الحضوري/الحصولي*

الحكماء عرّفوا العلم الحصولي بـالعلم بماهيـات الأشـياء , والعلـم الحضـوري بالعلم بوجوداها. "لكن الأحسن تعريـف العلـم الحصـولي بـالعلم غـير المباشـر وبواسطة الصورة العلميـة, وتعريـف العلـم الحضـوري بـالعلم المباشـر وبـلا واسطتها. لأن العلـم الحصـولي لا ينحصـر في العلـم بالماهيـات, فلنـا علـوم بالوجودات, وبالواجب تبارك وتعالى, تتمثل في المعقـولات الثانيـة, وهـي علـوم حصولية, ولو كان العلم الحصولي مختصـا بالماهيـة لمـا تعلـق بمـا لا ماهيـة لـه كالواجب الوجـود."[٨٦٢].

ويتحقق *امر بين امرين*" بين النوعين : *الحضـوري/الحصـولي* "بأنـه إذا كـان المعلوم بالعلم الحصولي معلوما بواسطة الصـورة العلميـة, يجـب أن تكـون تلـك الصورة الواسطة معلومة بنفسها, دفعاً للتسلسل, فالعلم بهـا يكـون بـلا واسـطة, وهو العلم الحضـوري"[٨٦٣].

١١٧ ـــ *العقل/القلب*

في جولتنا التأويلية في القسم الأول من الكتاب, تحسّسـنا مـدى الحجـم الهـائل والهوة العميقة بين الرؤيـة الفلسـفية الـتي تنطلـق مـن مبـدأ "*التكثير*" بـين

---

[٨٦٢] تعليقات الأستاذ مصباح اليزدي على نهاية الحكمة ـــ ١٩٣/٢

[٨٦٣] المصدر السابق ـــ ١٩٥/٢

الموجودات, و"*التنزيه*" للخالق عن المخلوق, وبين النزعة العرفانية التي تتحرك من مبدأ "*التوحيد*" بين مراتب الوجود, و"*التشبيه*" بين صفات الخالق وأوصاف المخلوق.

فما هي حقيقة التصوف :

"إن التصوف يعتني عناية خاصة بالسلوك العلمي، ويهتم بتهذيب النفس وصلة الإنسان بخالقه، ويتجه به وجهة روحية، ويدفعه إلى عمل الخير لوجه الخير، لا رغبة في مال أو جاه، وإلى ترك الشر للشر، لا خوفاً من السوط والسيف... ومعنى هذا أن مبدأ التصوف يقر بوجود الفضيلة كحقيقة واقعة لها وجود مستقل عن المشاعر والاستحسانات والرغبات .

ومعناه أيضاً أن التصوف من مقومات الثقافة والحضارة التي عاشها الأجداد والآباء. فعلينا، والحال هذه، أن ندرسه على أسس جديدة بجد وعناية، ونقيمه فوق النظريات والأفكار التي ترشدنا إلى الطريق القويم، وتسير بنا إلى الأمام .

وإذا كان البعض لا يؤمن كالصوفية بالحدس والكشف، فنحن نؤمن بأننا في أشد الحاجة إلى الحب والأخاء، وإلى الشعور بالمسؤولية، وتطبيق القيم الروحية، ونبغي التوصل إلى ذلك بكل وسيلة، بالقصة والمسرحية والموسيقى والسينما، والوعظ والارشاد، وما إلى ذلك من المؤثرات الدينية، والوسائل الفنية التي نتخذ منها رادعاً عن الموبقات والإنحرافات. إن التصوف أجدى وانفع من هذه الأجهزة، وأي شيء أبلغ في الإيمان والتقوى من قول الإمام علي : "اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " ؟

وأي قول أوقع في النفس من قول ابن عربي : "أدين بدين الحب" ، وقول جلال الدين الرومي : "ليس حب الناس إلا نتيجة لحب الله " ؟ وأي شيء

أقوى في الشعور بالمسؤولية من قول أويس القرني الذي كان يتصدق بما يزيد عن مأكله وملبسه، ثم يخاطب الله بقوله: "اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذني به، ومن مات عرياناً فلا تؤاخذني به "[864]"[865].

وما هي حقيقة التعقل؟ :

إنه "استكمال النفس الإنسانية بمعرفة حقائق الموجودات على ما هي عليها \, والحكم بوجودها تحقيقا بالبراهين, لا أخذا بالظن والتقليد, بقدر الوسع الإنساني. وإن شئت قلت : نظم العالم نظما عقليا على حسب الطاقة البشرية, ليحصل ***التشبه*** بالباري تعالى"[866].

لكن منطق ***"امر بين امرين"*** يتجاوز الهوة بين العقل والقلب, والفراغ بين الفلسفة والعرفان, ليقول بلسان حكيم عصرنا وعارف زماننا الإمام الخميني (ره):

"إن طور العرفاء وإن كان وراء طور العقل, إلا أنه لا يخالف العقل الصريح والبرهان الفصيح. حاشا المشاهدات الذاتية أن تخالف البرهان والبراهين العقلية أن تقام على خلاف شهود أصحاب العرفان."[867]

ولأن ***الإمام الخميني*** قدس الله نفسه الزكية كان مثالاً رائعاً عن اتحاد العقل بالقلب, وتداخل الفلسفة بالعرفان, أودّ نقل قسم من مقالتي بعنوان: *"تقويم*

---

[864] شهد له رسول الله بالجنة دون أن يراه، وقال يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر ، وقال له عمر : امر النبي أن نبلغك سلامه. حضر أويس مع الإمام في صفين، واستشهد بين يديه ، وهو من كبار التابعين .

[865] محمد جواد مغنية ــ معالم الفلسفة الإسلامية ــ ١٩١

[866] صدر المتألهين ــ الأسفار ــ ٢٠/١

[867] الإمام الخميني ــ مصباح الهداية ــ ٦٥

الطبيعة بين عرفان الإمام الخميني وفلسفة صدر المتألهين" مع رجاء الاعتذار من الإطالة في الكلام :

"في عرفان الإمام الخميني, الدنيا عدوة لدود, حبها رأس كل خطيئة, تعصر أرواحنا ونفوسنا بمخالبها, لتجرنا إلى الهاوية, إلى حيث اللعنة أبدية, ولهب النار سرمدية!

"الدنيا وكل ما فيها جهنم، ويظهر باطنها في آخر السير. وما وراء الدنيا إلى آخر المراتب، الجنة. ويظهر باطنه في آخر السير عند الخروج من خدر الطبيعة"[٨٦٨].

يستوحى الإمام من كلمة علي أمير المؤمنين(ع), حيث يقول : "*يا دنيا! غرّي غيري! ... طلقتك ثلاثاً*"!

يدعو إلى الانقطاع عنها كلما يترنم : "*الهي هب لي كما الانقطاع إليك*"[٨٦٩]. يذهب في عالم الزهد والتصوف إلى أبعد الحدود. يؤلف كتاباً في الجهاد الأكبر ومجاهدة النفس, ويحرّض على مخالفة النفس عندما يكرر : "*أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك*". يحرّم على نفسه تذوق ملذات الحياة, لأنها قطاع الطريق وعراقيل الصراط، تثقل على كاهل السالك فيتثاقل إلى الأرض، ويخلد إليها مكبلاً بأغلال الدنيا وشهواتها وزخارفها, مأسوراً محروماً من التحليق في لا يتناهى الوجود, وفوق أعالي الجبال.

---

[٨٦٨] الإمام الخميني ـــ وصايا عرفانية ـــ ١١٥

[٨٦٩] كمال الانقطاع هذا هو الخروج من منزل الأنا والإنية ومن كل شيء وكل شخص، والالتحاق به والانقطاع عن الغير. المصدر السابق ـــ ١٠٩

يمارس الزهد في الغاية القصوى. يهرب من كل ما عليه أثر من غير الحق[870].

يقضي أربع عشرة سنة في المنفى بعيداً عن شعبه, يرى كل هذه المعاناة عقاباً إلهياً أصيب به لأنه تحدث عن مرجعيته بلغة "الأنا" مرة واحدة, ثم يأخذ طريقه إلى الرجوع بعد هذا الفراق الطويل, على متن طائرة. يملأ خبر الرحلة جميع وسائل الإعلام في العالم, ويحبس عشرة ملايين شخص أنفاسهم في شوارع طهران لاستقبال الطائرة المهددة بالقصف من قبل جيش الشاه المدجج بالسلاح. في هذه اللحظات الحساسة المفعمة بلذة لقاء الشعب المحب وخطر تفجر الطائرة وركابها وسط السماء, يسأله مراسل أنباء وكالة فرانس برس عن إحساسه وانطباعه, فإذا به يسمع جملة صغيرة :

" لا شيء" !

يندهش من الجواب الذي يصعب عليه هضمه.

كلمة تبين مدى تجنبه عما سوى الله، لأن التروع نحو ما سوى الله (وإن كان شعباً مسلماً) هو شرك وكفر وخذلان. بل أبعد من هذا : التروع نحو ما هو غير الله شرك, حتى إذا كان حبّ الرسول والأئمة الأطهار (ص)![871]

---

[870] لا تسع أبداً أثر تحصيل الدنيا حتى الحلال منها. فإن حب الدنيا حتى حلالها رأس جميع الخطايا. لأنها حجاب كبير وتجر الإنسان مرغماً إلى الدنيا الحرام. فرغم أن أنبياء الله العظام والخواص من أوليائه تعالى كلنوا يمارسون الأعمال كالآخرين، فإنهم لم يتعلقوا بالدنيا قط وذلك لأن شغلهم كان بالحق للحق، إلا أنه روي عن خاتم النبيين (ص) قوله : " إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في كل يوم سبعين مرة". ولعله كان يرى أن رؤية الحق في الكثرة كدورة . المصدر السابق ــ ٧٨

[871] وإذا لم يكن التعلق بأوليائه تعلقاً به تعالى ففيه مكيدة من حبائل الشيطان الذي يصد عن السبل إلى الحق تعالى بكل وسيلة. المصدر السابق ــ ٨٧

ألا يتنازل كل طرائق الزهد والتصوف, الإسلامية منها والمسيحية والبوذية والكونفشيوسية, أمام هذا الزهد المطلق والرهبانية العميقة ؟

كيف عاش الإمام الخميني بين فلسفة نظرية ترى كل مظاهر الوجود مراتب الكمال والجمال, وتتحبب إلى عوالم الظهور من أعلاها إلى أسفلها لأنها مظاهر الحبيب[٨٧٢]، وبين عرفان يفرض عليه الزهد والهروب من جميع ما خلق الله لأنها غير الله وحب الغير لا يجتمع بحب الله ((وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه))[٨٧٣]؟!

عرفان الإمام الخميني لم يكن مجرد خيال شعري يتفوه به اللسان, ثم يتبعثر في أرجاء الفضاء, إنه سلوك عملي ترجم في حركاته وسكناته. إنه أداء تجسّد في معطياته. إنه فعل تبلور في إرادته وسياسته. إنه حقيقة ظهر في مواقفه: في السلم والحرب, في الأسرة والمجتمع، في المنفى والوطن، في صلوات الليل وخطابات النهار.

---

[٨٧٢] إذا استطعت ــ بالتفكير والتلقين ــ فاجعل نظرتك إلى جميع الموجودات ــ وخصوصاً البشر ــ نظرة رحمة ومحبة. أو ليست الموجودات كافة ــ والتي لا حصر لها ــ واقعة تحت رحمة رب العالمين من جهات عديدة ؟ ثم أليس وجود حياتها وجميع بركاتها وآثارها من رحمة الله ومواهبه على الموجودات ؟ وقد قيل : "كل موجود مرحوم" فهل يمكن لموجود ممكن الوجود أن يكون له شيء من نفسه ؟ أو أن يستطيع موجود (ممكن الوجود) مثله أن يعطيه شيء ما ؟. وعليه، فإن الرحمة الرحمانية هي الشاملة للعالم بأسره. إذن لِم لا يكون من شملته العنايات والألطاف والمحبة الآلهية موضعاً لمحبتنا ؟ وإذا لم يكن هذا الأمر منا، أليس هو ضيق أفق وقصر نظر من قبلنا ؟ نحن مفطورون على عشق الكمال المطلق، ومن هذا العشق ــ شئنا أم أبينا ــ ينشأ العشق لمطلق الكمال الذي مو من آثار الكمال المطلق، والأمر الملازم لفطرتنا هذه هو السعي للخلاص من النقص المطلق، وتلازمه الرغبة في الخلاص من مطلق النقص أيضاً. إذن، نحن ــ وإن لم نعلم أو ندرك ــ عاشقون لله تعالى، الذي هو الكمال المطلق. ونعشق آثاره التي هي تجليات الكمال المطلق. المصدر السابق ــ ٢٨ ــ ٣٠

[٨٧٣] الأحزاب ٤

كما أن فلسفته لم تكن مجرد فرضيات مثقلة بالمصطلحات المطنطنة والمنمنمات اللفظية والمقرنسات المزخرفة, و لم تكن فسيفساء من الآراء المتضاربة, بل كانت تعبيراً صادقاً عن رويته وصميم إيمانه.

لا شك لمثل هذا الرجل, أن يكون بين عرفانه وزهده وتصوفه في ساحة العمل وفلسفته ورؤيته الكونية في رحاب الفكر والنظر علاقة وطيدة وتناغماً عميقاً, كأنهما وجهان لعملة واحدة, وجناحان حلق بهما إلى أعماق الملكوت .

فكيف يمكن الجمع بين فلسفة تغازل الطبيعة والدنيا, وبين عرفان يتهرب منها, ويلخّص في الشر حقيقتها ؟! هنا يكمن فصل الخطاب ومسك الختام:

"إن ما هو مذموم، وأساس ومنشأ جميع ألوان الشقاء والعذاب والمهالك، ورأس جميع الخطايا والذنوب إنما هو "حب الدنيا" الناشئ من "حب النفس". إن عالم الملك ليس مذموماً في حد ذاته، فهو مظهر الحق ومقام ربوبيته تعالى، ومهبط ملائكته، ومسجد ومكان تربية الأنبياء والأولياء عليهم السلام ومعبد الصلحاء، وموطن تجلي الحق على قلوب عشاق المحبوب الحقيقي، فإن كان حب "عالم الملك" ناشئاً عن حب الله ــ باعتباره مظهراً له جلّ وعلا ــ فهو أمر مطلوب ويستوجب الكمال.أما إذا كان منشؤه حب النفس، فهو رأس الخطايا جميعاً. فالدنيا المذمومة هي هي في داخلك أنت، والتعلق بغير صاحب القلب، هو الموجب للسقوط".[٨٧٤]

لا فارق جوهرياً في فلسفة الإمام الخميني بين الطبيعة المادية وعوالم التجرد.

---

[٨٧٤] المصدر السابق ــ ٢٢

حتى إذا كانت الطبيعة ((*ظلمات بعضها فوق بعض*))[٨٧٥], والمجرد ((*نور على نور*))[٨٧٦], لكن هذه الظلمة وذلك النور كلاهما سيان في كونهما حجباً للوصال, وعوائق تحول دون الفناء، بل إن العلم هو الحجاب الأكبر, وحجب النور أشدّ وآكد من حجب الظلام, وهي وإن كانت لا تسبب سخط الله كمن يعبد الله طمعاً في جنته أو خوفاً من ناره لكن الأول عبادة التجار والثاني عبادة العبيد, ومن يمزق حجب النور والظلام برمتها ويعبد الله لأجل الله فتلك عبارة الأحرار.

ثم إن الطبيعة والماوراء والغيب والشهادة كلها حبال في حبال وأغلال في أغلال, إذا طوقت أذهاننا وأفكارنا في دائرة النظر, وحبست ميولنا وعواطفنا في ساحة العمل, وسدّت طريق أرواحنا لرؤية أصل النور ومصدر الظهور. كل ما يسول نفوسنا ويجلبها إلى نفسه فهو شيطان يوسوس كالخناس في صدورنا, لا فرق في ذلك بين ارتكاب جريمة وفعل شهوة وجني ثروة محرمة وبين صلاة يؤديها ناسك لا ابتغاءً لرحمة ربه بل مراءً بين الناس ولفتاً للأنظار. ونعم ما قيل (والقائل فيلسوفنا **صدر المتألهين** الشيرازي في "مفاتيح الغيب") : إن أعظم قهقهة يصدرها الشيطان عندما يرى المصلّي متحمساً لأداء حرف الضاد ومراعاة مدى المدّ عندما يتفوه (ولا الضالين) , ويغوص في تفاصيل أحكام التجويد وآداب التلاوة, وهو غافل مع من يتكلم في صلاته وأمام من يقف في قيامه. بلى, الصلاة عمود الدين, ولكن أي جدوى في صلاة لا يغازل فيها حبيبه ولا يستأنس به؟

---

[٨٧٥] النور ٤٠

[٨٧٦] النور ٣٥

لكن إذا انعكس الاتجاه, وولّى الإنسان وجهه شطر المعبود, ولم ينظر في الأشياء وإنما نظر في جمال الحق المتمظهر بالأشياء, يغطّي الحق بجماله وكماله أرجاء الكون ومراتب الوجود:

"إن الكمال المطلق هو جميع الكمالات، وإلاّ فهو ليس بمطلق، ولا مكان لظهور أي كمال أو جمال في غير الله، لأن الغيرية هي عين الشرك, إن لم نقل إنها إلحاد".[877]

حينئذ لا تقتصر صلاته في قيامه شطر المسجد الحرام وركوعه أمام الحق وسجوده في لحظات الأنس, بل هو في صميم الصلاة عندما ينظر إلى بياض الفلق وحمرة الشفق, وعندما يسمع هدير الشلال وصفير الرعد الذي يسبح بحمده, أو صفير طلقة نارية تتلهب وتمزق صدر الفضاء, وهو في صميم الصلاة عندما يمارس مهامه في ساحة المجتمع[878]. ولا يسمح لنفسه أن ينظر إلى الأشياء نظرة دونية[879], وينشرح صدره لتحمل المصائب مهما كبرت[880].

---

[877] المصدر السابق ـــ ٩٧

[878] فذكر المحبوب لا يتنافى مع الفعالية السياسية والاجتماعية في خدمة دينه وعباده، بل أنه سيعينك، وأنت تسلك الطريق إليه.

ولا يعني ما ذكرت أن تترك خدمة المجتمع وتعتزل وتكون كلاً على خلق الله فإن هذه صفات الجاهلين المتنسّكين أو الدراويش أرباب الدكاكين.

لا اعتزال الصوفي دليل الارتباط بالحق، ولا الدخول في المجتمع وتشكيل الحكومة شاهد الانفصال عن الحق، الميزان في الأعمال هو دوافعها...فكثير ما يكون العابد والزاهد مبتلىً بشرك إبليس وهو يوسع ذلك الشرّك بما يناسبه من الأنانية والغرور والعُجب والتكبر وتحقير خلق الله والشرّك الخفي وأمثال ذلك مما يبعده عن الحق ويؤدي به إلى الشرك. وكثيراً ما يكون المتصدي لشؤون الحكومة ذا دافع إلهي فيحظى بمعدن قرب الحق كداود النبي وسليمان عليهما السلام. وأعلى منهما وأسمى كالنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وخليفته بالحق علي بن أبي طالب عليه السلام، وكحضرة المهدي أرواحنا لمقدمه الفداء في عصر حكومته العالمية . المصدر السابق ــ٥٤

الخميني العارف, يولي وجهه عن الدنيا لأنها معدن الشر, ويطلقها ثلاثاً, ليذيب نفسه في معدن النور.

والخميني الفيلسوف, يوجّه وجهه نحو الدنيا ويغازلها, لما فيها من العبر وأسرار. والخميني هو هو, طريقه واحد, بالضبط كمن يتجه نحو المرآة ليرى الصورة المرئية فيها, فهو يتجه نحو المرآة, ولكن لا يتوجه إلى المرآة لحظة واحدة, بل يتجاوزها, أو قل يطلّقها ليقيم العقد مع ما يظهر في طياتها, ويتسلل فيها ليصل إلى عمقها. هذا هو طريق الخميني في العرفان.

يتسلل في ظاهر الدنيا ليصل إلى باطن الآخرة. يمارس السياسة ليجسد الزهد. يركز على المادي ويرى فيه المجرد. ينظر إلى المقيد ويرى فيه المطلق.

لا يرى قيمةً للزهد في ((رهبانية ابتدعوها فما رعوها حق رعايتها))[881]. لا ينغلق بين دفات الفقه والأصول وأبواب الطهارة والنجاسة, بل يخرج إلى الدنيا وينفتح إلى الإنسان, ويسمع طنين كسر عظامه تحت دواليب التقنية والحداثة, ويصغي إلى أناته وشؤونه وشجونه. ينعزل في صمت الليل, ليندمج في ضجيج

---

[879] يروى "أن الله تعالى خاطب أحد أنبيائه، فطلب إليه أن يأتيه بمخلوق أسوأ منه، فقام النبي عليه السلام بسحب رفاة حمار قليلاً إلاّ أنه ندم فتركها، فخوطب بالقول : لو أنك أتيتني بتلك الجيفة، لكنت سقطت من مقامك" وأني لا أعرف مدى صحة الحديث، ولكن لعل الأمر بالنسبة لمقام الأولياء، يعد سقوطاً حينما يرون الأفضلية لأنفسهم على غيرهم، فتلك أنانية وغرور. المصدر السابق ـــ ٢٧

[880] إذا تمسكت بالإيمان وبالاعتقاد بالله تعالى، واطمأننت إلى حكمة الباري ورحمته الواسعة، فإنك سترى هذه المتاعب المتزايدة هدايا من محب يريد إعانتك على ترويض نفسك، وابتلاءً وامتحاناً إلهياً لتنقية نفوس عبيده. تحمّل الصدمات إذن، واشكر الله تعالى على رعايته لك واسأله المزيد. المصدر السابق ـــ ١٠١

[881] الحديد ٢٧

الضحى, ليسمع كلام الحق: ((يا أيها المزمل قم الليل إلاّ قليـــلا... إن ناشـــئة الليـــل هي أشد وطأً وأقوم قيلاً إن لك في النهار ســـبحاً طويـــلاً))[٨٨٢].

تغضبه سيرة ارتضى لها كثير من المؤمنين, حيث يجـــردون السياســـة مـــن كـــل القيم ومعايير الكمال, ثم ينادون بتطهير الدين عن السياســـة. تزجـــره رؤيـــة الذيـــن يفصلون بين ساحة قدس الله ومملكة قيصر, ثم يدعـــون إلى إعطـــاء مـــا لله ومـــا لقيصر لقيصر، يـــرى الله نـــور الســـموات والأرض ورب العـــالمين, رب القيـــاصرة والمســـتضعفين"[٨٨٣].

ملاحظـة :

لا يستبعد أن تكون ثنائية ***الذكر/الأنثى*** مندرجة في معادلـــة : ***القلـــب/العقـــل***, فليتـأمل.

١١٨ ـــ العقل/الخيال

"الاعتقاد السائد هو أن التجربة الفلسفية والتجربـــة الشـــعرية تتناقضـــان. بينمـــا الواقع هو غير ذلـــك :

[٨٨٢] المزمل

[٨٨٣] محمد خاقاني (المؤلف) ـــ تقويم الطبيعة في عرفان الإمام الخميني وفلسفة صدر المتألهين ـــ مقال مقدم إلى مؤتمر العرفان عند الإمام الخميني ـــ لبنان

"لأن التجربتين تلتقيان بالأسئلة ذاتها وتتجهان إليـــها. الفلســفة والشــعر كــل منهما يطرقان الأسئلة المصيرية ذاتها غير أن لغة الإجابة على هـــذه الأسـئلة تختلــف عند كل منهما في غالب الأحيـــان"[884]

والإنسان يتراوح دوما في ممارساته بين العقـــل والخيـــال:

"علاقة الإنسان بوجوده, لا تنفك في الأصل عـــن تخيـــل. ولهـــذا فـــإن اكتنافـــه للعالم لا يتم من دون خيالات وصـــور... لا إبـــداع ولا خلـــق مـــن دون تخييـــل. والخيال عالم شاسع, نجتاز فيه المسافات الفاصلـــة بـــين المرئـــي واللامرئـــي, وبـــين الطبيعي والاصطناعي , وبين القبـــح والحســـن."[885]

ملاحظـات :

تندرج في ثنائية ***العقل/الخيال*** معادلة ***الحقيقة/المجـــاز***, إذ إن العقـــل يـــهتم دومـــاً باكتشاف الحقيقة, والخيال "يجتـــاز" الحقيقـــة عـــبر المجـــاز, ليدخـــل في فضـــاءات يبدعها بقوة الحـــدس.

والكلام عادة يجمع بين الحقيقة والمجاز, والمجـــاز مقـــول بالتشـــكيك ومختلـــف في الشدة والضعف. وكلما تمكن المتكلـــم(أو الكـــاتب) مـــن الابتعـــاد عـــن الحقيقـــة والدخول في فضاءات خيالية جديدة, كان كلامـــه أبلـــغ وأرقـــى وأكـــثر وقعـــاً في نفوس الناس. هذا التشكيك يبتدء بما يشـــبه أصـــوات العجمـــاوات في أدنى مراتبـــه, وينتهي بالإعجاز المفعم بأنواع المجاز كالاســـتعارة والكنايـــة والمتمثـــل بـــالقرآن في أعلى درجاتـــه.

---

[884] فؤاد رفقة ـــ الشاعر فيلسوف بلغة أخرى ـــ السفير ـــ ٩٨/١/٢٧

[885] علي حرب ـــ نقد الحقيقة ـــ ١٠٥ ـــ ٩٩

"في الكلام دوما مجاز...واللغة تستعمل دوما لغير ما وضعت له في الأصل... ولا فكاك من المجاز وفي المجاز تخيل وترميز وتوهم وتشبيه... فليس الكلام بحر وتعبير صاف وقاصد صاحبه... ولا معنى للقول بوحدة نص من النصوص إلا على المستوى الحرفي التسجيلي أو على المستوى الصوتي الفونولوجي. وأما من حيث المعنى فلا نص واحدا بذاته, إذ كل نص يختلف عن نفسه أي عن معناه بحسب عقول القراء[886]. وإذا كان القرآن قد وصف قديما بكونه (حمال أوجه) وبأنه كلام (يتسع), فقد وصف بعض الغربيين الإنجيل بأنه (كريش الطاووس البراق) لتعدد قراءاته واختلاف تفاسيره" [887].

لكن منهج *"أمر بين أمرين"* يجد ما يدعمه في تجاوز ثنائية ***الحقيقة/المجاز***, لأن الاتجاه من الحقيقة إلى المجاز في كلام البليغ ينعكس تماما في العرفان! لأن كل ما يتصوره الآخرون حقيقة, يراه العارف مجازا, إذ الحقيقة لا تتكثر, والحق واحد أحد, وما يسمى بالحقائق هي مجازات لا بد من اجتيازها وخرقها والتجاوز عنها والتسلل في طياتها, لشهود الحق أولا وآخرا وظاهرا وباطنا.

لهذا الأساس, نرى بالرغم من أن "القصة" كفن أدبي رائع له وقع عظيم في نفوس الناس تتكون عادة من سرد الأساطير الخرافية أو ((أساطير الأولين))[888], لكنها في القرآن تبتعد عن الأسطرة وتتصف "بالحق": ((إن هذا لهو القصص الحق))[889]. هذا ما يتنبه له جاك بيرك في حديثه عن : "إزالة الأسطرة " في القرآن، وتعليقه على الآية الشريفة : ((أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم

---

[886] ((فسالت أودية بقدرها)) الرعد ١٧ ـــ المؤلف

[887] علي حرب ـــ نقد الحقيقة ـــ ١٣ ـــ ١٨

[888] الأحقاف ١٧

[889] آل عمران ٦٢

كانوا من آياتنا عجبا))[٨٩٠]، قائلا : "إن السيطرة الإلهيـــة علـــى الظواهـــر الطبيعيـــة شيء أكثر دهشة من المغامرات العجيبـــة"[٨٩١].

١١٩ ــ العقل/الشرع

ثمة جبهة تحاول تصوير الشرع مختلفا عما يراه العقـــل, فـــابن تيميـــة قـــد جـــزم بأن العلم الموروث عن النبي "وحده يستحق أن يســـمى علمـــا", مســـتبعدا بصـــورة نهائية كل علم لا تكون النبوة مصدره. والشهرزوري قد أفـــتى بـــأن "الفلســـفة أس السفه والانحلال, ومادة الحيرة والضلال, ومثار الزيـــغ والزندقـــة..."[٨٩٢].

وقد تعلل رأيها بما ورد في بعض الأخبـــار والأحـــاديث :

"قال الإمام الصادق: "دين الله لا يصـــاب بـــالعقول القـــاصرة... بـــل يصـــاب بالتســـليم"[٨٩٣].

لكنها ليست صائبة, إذا أدت قراءتها لمثـــــل هـــذه الأخبـــار إلى جعـــل الشـــرع مخالفا للعقل, لأن "ذلك التسليم انما يأتي بعـــد اثبـــات وجـــود الله واثبـــات النبـــوة ومايترتب عليها من نصوص إثباتا عقليا. وبالتالي لزوم الإمتثـــال بمقتضـــى مـــاتوصل إليه العقل. فالعقل خاضع لسلطة النص الذي ثبت لزوم التعبـــد بـــه وفـــق ضوابـــط

---

[٨٩٠] الكهف ٩

[٨٩١] محمد خاقاني (المؤلف) ــ نقد لكتاب إعادة قراءة القرآن (جاك بيرك)

[٨٩٢] نقلا عن : علي حرب ــ نقد الحقيقة ــ ٨٣

[٨٩٣] العلامة المجلسي ــ بحار الأنوار ــ ٥ / ٢٠

معروفة بمقتضى ثبوت لزوم إطاعة المـــولى المشـــرع للنـــص ثبوتـــا عقليـــا. وعليـــه فتسليم العقل للنص إنما هو تابع عن عجزه بمعرفة مـــلاك الأحكـــام وعللـــها". [894]

وعندما تصبح ضرورة إعمال العقل ضرورة شـــرعية, يتصـــالح العقـــل والشـــرع داخل الدين, وهذا يضفي على العقل طابعـــا شـــرعيا :

"سواء تعلق الأمر بسؤال الأمس حول العلاقة بين الديـــن والفلســـفة أو بســـؤال اليوم حول العلاقة بين كل مايقع خارجـــه يجـــب أن يلتمـــس المشـــروعية داخلـــه وليس خارجه. وبمـــا (أن الشـــرع قـــد أوجـــب النظـــر بـــالعقل في الموجـــودات) فالعقلانية تصبح واجبة حسب تعبير ابن رشـــد وهكـــذا يعتـــبر البـــاحث أن هـــذه الطريقة التي سلكها ابن رشد هي أنسب وأقوم للإجابـــة عـــن أســـئلتنا"[895].

"لكن, إذا كان صحيحا أن العقل تابع للشـــرع وليـــس العكـــس، لأن الشـــريعة أنزلت ليؤمن بها الناس كما هـــي، لا ليعرضوهـــا علـــى عقولهـــم...وأن العقـــل لا يمكنه باسم المصلحة أو الاجتهاد, أن يعـــارض نصـــا بمعـــنى أن يقـــرر أن الشـــرع "أخطأ" في هذا الحكم ، وأن "الصواب" هو كـــذا... إلخ ، نقـــول: إذا كـــان هـــذا المبدأ صحيحـــا،

فإن الصحيح كذلك أن الشريعة لم تـــنزل لإعـــلان " تعطيـــل العقـــل" وإلـــزام المؤمنين بها تنفيذ أحكامها من دون تعقل أو فهم. فهي شـــريعة "إقنـــاع" واحتكـــام للعقل، وليست شريعة "إجبار" و "إكـــراه" (كمـــا يســـتدل مـــن آيـــات قرآنيـــة عديدة). والله الذي أنزل الشريعة، زود المكلفين بها بـــالعقل، الـــذي يمكنـــهم بـــه أن يدركوا على الأقل أغلب أوجه المصلحة الـــتي ترتبـــط بهـــا الأحكـــام . وإلا كيـــف

---

[894] محمد مرتضى ـــ لكي يحفظه الدين ـــ السفير ـــ ٩٨/١/٧

[895] محمد عابد الجابري ـــ السفير ـــ ٩٧/٢/٧

يخاطبهم بقوله مثلا : ((وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل))[896], إذا كانت عقولهم عاجزة عن إدراك مفهوم العدل في تصرفات الأفراد وسلوكهم؟"[897]

من الطبيعي أن حصر الدين بالنص القرآني والروائي يجعل الدين مقابل العقل الذي ينطلق من القناعة الشخصية تقابل النقل مع العقل. لكن الدين شامل للشرع والعقل معا, ويدعو إلى إعمال العقل وتنفيذ الشرع في وحدة متكاملة. الآية الشريفة : ((إن علينا للهدى))[898] يفيد حصر الهداية بالله تعالى, وهي مؤكدة بأنواع التأكيد (تقديم الخبر, اسمية الجملة, استعمال إن, ولام التأكيد), مما يفيد أن العقل أيضا جزء من شريعة الله والتجربة الحسية أيضا جزء منها.

١٢٠ ــ الحس/العقل

المألوف في ميدان الفلسفة التقليدية الأرسطية أن الفلسفة تبحث عن أحوال الموجود بما هو موجود, وتعنى بالعوارض الذاتية للوجود, تشتغل بالمعقولات الثانية الفلسفية, دون الولوج في سائر التفاصيل التي ترجع إلى العلوم الأخرى, ويفترض أن يكون هذا الحد فاصلا نهائيا بين الفلسفة والعلوم التجريبية التي لا تهتم إلا بالمشهودات الجزئية.

---

[896] النساء ٥٨

[897] د. خلف الجراد ــ باحث سوري ــ أي حدود تفصل بين روح التشريع ومدلول النص ــ السفير.

[898] الليل ١٢

لكنهما يتداخلان بالضرورة لعدة دلائـــل :

١ ـــ الفلسفة الأرسطية تعتبر المجربات من البديهيات, فـــهي تصلـــح أن تكـــون مقدمات لقياسات تستنتج منها أصول عامة. ولهـــذا قـــال أرســـطو : "*مـــن فقـــد حسا فقد علمـــا*".

٢ ـــ والعلوم التجريبية تستمد أصولها ومبادئها مـــن الفلســـفة في تعـــامل يشـــبه علاقة الأواني المستطرقة. هذا ما تؤيده الفلســـفة الكلاســـيكية.

٣ ـــ المستجدات التي حصلت في القرون الأخـــيرة حطمـــت الحيطـــان الفاصلـــة بين العقل والحس, وبين الفلسفة من جانب وبـــين الفيزيـــاء والهيـــأة وعلـــم الحيـــاة وعلم النفس وعلم الاجتماع والفن والشعر والأدب بشـــكل رهيـــب :

"يتشكل الخطاب الفلسفي من كل ما هو ليـــس بفلســـفة والا اســـتحال تجريـــدا فارغا أو شكلا خاويا أو منطقا صرفا. ولهذا ينبغي أن تنفتـــح الفلســـفة علـــى جميـــع التجارب والمعايشات, وأن تتغذى من كل العلـــوم والميـــادين, وهـــي تتغـــذى مـــن العلوم الرياضية والطبيعيـــة أو مـــن علـــوم الإنســـان, وتنفتـــح علـــى الممارســـات السياسية والاجتماعية أو على تجارب الحـــب وحـــالات العشـــق, وتشـــتغل علـــى روائع الأدب والفن. كما أنها يمكن أن تنفتح على المجال الغيـــبي والقدســـي... وقـــد انفتحت الفلسفة مؤخرا على اللغة والخطابات. وتلك هـــي المعادلـــة أي قـــول مـــا هو غير فلسفي بلغة فلسفية أي بلغـــة المفـــاهيم. ولكـــل فيلســـوف مفهوماتـــه أي مخلوقاته التي لا يمكن تقليدها أو نسخها. ولهذا لامجال لتعليـــم الفلســـفة كمـــا هـــو حال العلـــم."[٨٩٩]

---

[٨٩٩] علي حرب ـــ نقد الحقيقة ـــ ١٤٣

وقول ديكارت في كتابه (مبادئ الفلسفة) : "الفلسفة بكليتها هي بمثابة شجرة جذورها الميتافيزيقيا, وجذعها الفيزياء, وفروعها العلوم بكافة أنواعها"[٩٠٠], يلتقي مع القرآن في آية تقول: ((ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء, تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها. ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون))[٩٠١]. والآية الشريفة صريحة في تعليق المتغيرات (العلمية) على الثوابت (الفلسفية).

١٢١ ـ اليقين/الشك

الظاهر أن اليقين يتطلب العلم القطعي والمطلق الذي قد تجاوز كل الشبهات والاحتمالات المخالفة, ولا ينسجم مع أي نوع من أنواع الشك. "واليقين هو العلم الذي لا لبس فيه ولا ريب"[٩٠٢]. مثل هذا اليقين ينطلق من مبدأ عدم التناقض الذي يبتني على القسمة الثنائية والحصر العقلي الدائر مدار النفي والإثبات: إما نعم وإما لا, ولا يوجد شق آخر:

---

[٩٠٠] نقلا عن إيلي نجم ـ نصر حامد أبو زيد وشجرة التنوير ـ السفير

[٩٠١] إبراهيم ٢٣ -٢٥

[٩٠٢] الميزان ١٩/١٤٠

"العقل الذي يحكمه مبدأ عدم التناقض، والباحث دوماً عن أحادية الحكم ووحدة المعنى... لايقف في النص إلا على هويته هو... إن مثل هذا العقل يرفض المختلف ولا يستوعب المتعدد"[٩٠٣].

لكن الآية الشريفة : ((قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي))[٩٠٤] تثبت مسافة بين الإيمان والاطمئنان, وتجعل الإيمان الذي يستلزم اليقين مقدمة للاطمئنان, مما يلوح إلى نوع من النسبية حتى في إيمان الأنبياء وضرورة تواصلهم في اكتساب المزيد من اليقين.

فالوصول إلى اليقين لا يعني الوصول إلى نهاية العلم, واليقين بذاته له مراتب في الشدة والضعف, يقر به القرآن : ((كلا لو تعلمون علم اليقين, لترون الجحيم, ثم لترونها عين اليقين))[٩٠٥], والمرتبة العالية : حق اليقين: ((إن هذا لهو حق اليقين))[٩٠٦], لأن "الحق هو العلم من حيث أن الخارج الواقع يطابقه... فإضافة الحق إلى اليقين نحو من الإضافة البيانية جيء بها للتأكيد".[٩٠٧]

في هذا الإطار, يبدو أن حديث الإمام علي (ع) : "*والله لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا*", يقصد به أن كشف غطاء الدنيا لا يزيده يقينا حول ماهية الدنيا, لا مطلق اليقين. وتؤيده الآية الشريفة : ((فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد))[٩٠٨], ولا أن يقين الإمام علي غني عن التوسع أو الاستكمال. لأنه

---

[٩٠٣] علي حرب ــ نقد الحقيقة ــ ٤٨

[٩٠٤] البقرة ٢٦٠

[٩٠٥] التكاثر

[٩٠٦] الواقعة ٩٥

[٩٠٧] الميزان ١٩/١٤٠

[٩٠٨] ق ٢٢

(ع) يعترف أنه عبد من عبيد محمد (ص). والرسول الأكرم (ص) يعترف بعجزه عن المعرفة المطلقة إذ يقول : "*إلهي! ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك*".

إذا كان جوهر الشك هو السؤال عن المجهول, فمهما كان للإنسان مجهول، فهو متورط في الشك حتى في مراحل عالية من القرب إلى الله. نرى أن المعصوم أيضا يطلب إزالة الشك عنه:

"*أسألك أن تهب لي يقينا تباشر به قلبي, وإيمانا يذهب الشك عني*".

والشك الإيجابي جسر لاجتياز حالة الجهل والعمى للوصول إلى العلم, توسط الشك بين "العمى" و"العلم" واضح في الآية التالية : ((بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون))[٩٠٩].

هذا, وقد قبل الشرع حجية *الظن* في العبادة, ولأن العبادة تشمل كل مناحي الحياة العملية الفردية والاجتماعية للإنسان, لذا يعتبر هذا الأمر قبولا لمبدأ النسبية في فروع الدين, وإن لم يكن الظن معتبرا في أصول الدين, ((وإن الظن لا يغني من الحق شيئا))[٩١٠].

١٢٢ ـ *العين/الذهن*

للقائلين بثنائية ***العين/الذهن*** حجج تركز على السد المرصوص الذي يقف حائلا أمام الاتحاد بينهما :

---

[٩٠٩] النمل ٦٦

[٩١٠] النجم ٢٨

"الوجود الخارجي يستحيل أن يحل في الذهن، لأن ذاته عين الحقيقة الخارجية التي تترتب عليها آثارها، فحلولها في الذهن دون ترتب آثارها مستحيل لأنه يستلزم الانقلاب، وهو انتفاء موجود وحدوث موجود آخر. ولا إشكال في أن المنقلب إليه يباين المنقلب منه ويغايره فلا يمكن محاكاته له"[911].

لكن الحقائق هي التي تنعكس في الذهن، وهذه الصور أمور واقعية في أفق الذهن بدليل تغير حالة النفس وانفعالها عند اشتغالها بها واختلافها عنها عند خلوها منها، وليس ذلك إلا لوجودها فيها.

والذهن, وإن كان مركزا للعلم الحصولي الذي هو علم بالمعلوم بواسطة الصورة التي يتلقاها الذهن, إلا أن كون العلم الحصولي في حقيقة أمره علما حضوريا يفتح المجال للإنسان أن يوسع في دائرة معلوماته, ويخرق الجدار الواقع بين الذهن والعين, ويتحد بالحقائق العينية ليشاهدها كما هي. وفي الدعاء : "رب أرني الأشياء كما هي". علما أن هذا الدعاء الشريف دليل على إمكانية تحصيل مث هذا العلم الذي يتحد فيه العين بالذهن, والعالم بالمعلوم.

وقد تشير الآية الشريفة : ((وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين))[912], إشارة إلى هذا النوع من العلم الملازم لليقين.

---

[911] تعليقات حاتم إسماعيل على : "بينات" للمؤلف

[912] الأنعام ٧٥

في معادلة ***الفكر/اللغة***, يظهر الفكر بوصفه وجـــودا ذهنيـــا مقـــابل اللغـــة الــــتي هي وجود لفظي. وواضح أن الوجود اللفظـــي اعتبـــاري كـــالوجود الكتـــبي, أمـــا نشأتا الوجود العيني والوجود الذهـــني فـــهما حقيقيتـــان, ولا تختلفـــان بـــاختلاف الأقوام والشـــعوب.

"دراسة اللغة تكتسب في هذه الفـــترة أولويـــة أساســـية، لأن اللغـــة باعتبارهـــا مرآة للفكر والثقافة, تستطيع أن تضفي على الإنسان لون العينيـــة والتحقـــق. كمـــا أن جاك لاكان (Harland P . 33-Jaque s lacan qouted) يعتـــبر اللاوعـــي (in) أمرا ألســـنيا (Linguistic)

رغم أن العلامات اللغوية سواء العلامـــة الكتبيـــة أو الشـــفهية تحـــت تصـــرف الإنسان، لكن اللغة المكتوبة لا تعتبر اللغة النموذجيـــة في النظـــرة المذكـــورة أعـــلاه. الفكر الميتافيزيقي يختار اللغة الشـــفهية بـــالضرورة كلغتـــه المنشـــودة، إذ إن القـــول مرتبط مباشرة بالقائل ، والمتكلم يســـتطيع الســـيطرة علـــى الجمـــل لمحاورتـــه مـــع المستمع و لكونه حاضرا في ساحة الخطـــاب.

اللغة المكتوبة والحروف كانت دائما عرضة لهجمة فلاســـفة الغـــرب. حـــروف الكتابة قاتلة لفكرة المؤلف (Norris, 1982, P 65) , لأنها تســـرق انتبـــاه القـــارئ في غياب المؤلف، وقد تهدر نية الكاتب في فضـــاء النـــص بســـهولة. الكتابـــة إذن، عند الفلاسفة ليست إلا صورة مكتوبة للكـــلام، ولابـــد مـــن إخضـــاع الحـــروف تحت وطأة الأصوات، كما يخضع الشـــكل لســـلطة المعـــنى. كمـــا يقـــول دريـــدا

(Derrida , 1976 , P 3) : الخط الألفبائي الأبجدي عند فلاسفة الغرب أفضل وأجود خط مكتوب, لأنه قادر بشكل جيد على تمثيل تعلق الحرف بالصوت.

أما ثورة هذا العصر العظمى, فتبدأ بنفي الطرف الأعلى من الثنائيات المذكورة. الفلاسفة الغربيون كنيتشه، ماركس ، فرويد وهيدغر ، يطاردون التفكير الميتافيزيقي. العضو السافل لهذه الازدواجية، أي المادة، الجسم والشكل يشكل مركزا بلا منازع لصياغة أيديولوجيات هذا العصر. الوضع الراهن يظهر نفسه أيضا في علاقة الكاتب بالنص. والنص المتحرر من سلطة كاتبه يخلو بالقارئ، وتقوم التوليدية المفهومية والدلالات غير المتناهية مقام ضبط المعاني وجمودها"[٩١٣].

لكن الأمر الذي يطوي هذه الثنائية ويمزج اللغة بالفكر والفكر باللغة, هو أن للغة وراء ألفاظها الاعتبارية المختلفة باختلاف اللغات جوهر مشترك يتصل بذات الفكر, بينهما عملية أخذ وعطاء مستمرة. فالفكر يظهر في قالب اللغة, واللغة تطلق العنان لمزيد من الفكر:

يرى طرابيشي أن : "كلمة لوغوس (عقل، أو نطق) مشتقة من كلمة (لغة) العربية أو السامية الأولى".

الدكتور سامي أدهم يقدم بحثا "في الوجود اللغوي أو في وجودية اللغة وفي العلاقة بين اللغوي واللالغوي وفي دراسة علاقة اللغة بالوعي، وعلاقتها بالأنا الترنسندنتالي. فما هي علاقة الوعي باللغة؟ وهل هناك مناطق لا تدخلها اللغة؟ وهل يمكن فصل الرمزي عن الوعي؟ وهل يوجد الوعي بدون اللغة ؟"

---

[٩١٣] من مقال لعامر قيطوري ترجمه محمد خاقاني (المؤلف) إلى العربية بعنوان : القرآن والنظريات السيمياوية

ويستخلص من هذا البحث : "أن كينونة الإنسان رمزية وأن وجوده لغوي، لكن هذه الدراسة, ليست دراسة سيكولوجية أو سوسيولوجية أو انتروبولوجية، وإنما هي دراسة ميتافيزيقية، بالرغم من أن التحليل الميتافيزيقي يعتمد على السيكولوجي, لكنه لا يطابق معه في وحدة واحدة...لقد استبعد المبدأ الكانطي في المعرفة الذي يبدأ بالأنا الترنسندنتالي أو من الشيء في ذاته (النوئيما) أو من التمثل، ووضع مكانه مبدأ الرمز، حيث حل الرمز مكان الأنا الصافي اللامعقول, وأصبح الجوهر النفسي هو جوهر رمزي لغوي, وأصبحت اللغة قبلية تسبق الوعي والأنا الصافي، بحيث ينحل الزمان في الرمز اللغوي".[٩١٤]

"الكائن (عند ارسطو), يتكون من خلال الظهور, ومن خلال قذف الشعور بما هو فيزيائي طبيعي. لكن تطور الفكر المعاصر جعل العلاقة هذه تعاكسية منعكسة ــ ظهور/وعي ثم وعي/ظهور. فالجدلية القائمة بين الظهوراني وبين الفاعلاني هي مجال العقلنة الحديثة، وهي المسافة اللانهائية, وهي الهوة السحيقة التي يتدحرج في قاعها فعل التفكرن اللغوي. فالنضال الذي يخوضه العقل المزود باللغة والرموز والشبكات الرمزية يناضل من أجل إلغاء المحجوب واجتياز المسافة إلى ما وراء ستار الوجود. فالعقلنة الرمزوية اللغوية التي تنتسب في أحد وجوهها إلى الكم الرياضي وإلى التحسيب (لينبتز) هي التي تقوم بقياس هذه المسافة اللامتناهية, وهي التي تخلق تقنية جديدة متقدمة للبحث عن المحجوب الرمزوي بوسائل علمية, وهي التي تستخدم المقولات الكمية من قياس ومقدار وكم متصل ومنفصل للوصول إلى تقنيات حديثة ولاختراع شبكات رمزية تصورانية يتم بها سبر غور ما هو في العقر الوجودي.

---

[٩١٤] سامي أدهم ــ فلسفة اللغة ــ ٨

إن التقدم الحديث ليس في ما هو في ظهوره الزماني المكاني, بـــل هـــو في هـــذه القفزة الهائلة التي يقفزها الشعور مستعينا بتقنيات رياضية وحســـابية. لقـــد أصـــاب لينبتز عندما تنبأ باختراع لغة عالميـــة وبحســـاب عـــالمي, وذلـــك عندمـــا ظـــهرت المعلوماتية والعقول الالكترونية الهائلـــة الـــتي تســـاعد في دراســـة المجـــرات البعيـــدة واللغات الاصطناعية التي تساعد علـــى التحليـــل المنطقي"[915].

"والحقيقة ليست موجودة, لكي نقترب منها، بل هي نتـــاج ينتـــج في الخطـــاب والقول. لا انفصال للحقيقة عن القـــول والكـــلام ".[916]

المذهب التأويلي أيضا يركز على اتحاد اللغة (الملفوظـــة أو المكتوبـــة) بـــالفكر :

"إن فقه الفلسفة يفرق بين مستوى الخطاب ومســـتوى الســـلوك، حـــتى يختـــبر أحدهما بمعايير الآخر، فيصوبه أو يخطئه؛ بخـــلاف التأويليـــات الـــتي تجمـــع بينـــهما, وتوحد بين مقتضياهما، إذ تجعل كلاهمـــا نصـــا : فـــالقول نـــص والفعـــل نـــص. وتبحث فيهما باعتبار كل منهما مجموعة من العلاقـــات, الـــتي تحمـــل دلالات لهـــا خصائص نصية معلومـــة".[917]

ملاحظات :

الإشارات القرآنية والروائية التي تلقي الضوء على تداخل معادلـــة ***الفكـــر/اللغـــة*** وانطوائها كثيرة, منـــها :

١ ـــ أن القرآن يسمي كل واحد مـــن الخلائـــق "***آيـــة***", والآيـــات التكوينيـــة تشمل كل مراتب الوجـــود: ((وفي الأرض آيـــات للموقنـــين, وفي الســـماء, أفـــلا

---

[915] المصدر السابق ـــ ١٣

[916] علي حرب ـــ نقد الحقيقة ـــ ١٤١

[917] د. طه عبدالرحمن ـــ فقه الفلسفة(الفلسفة والترجمة) ـــ ٣٩

تبصرون))[918]. في نفس الوقت, كل جملة من العبارات القرآنية اللفظية تعتبر "***آية***". إن تكوين القرآن من "آيات الله", وتكوين مراتب الوجود من "آيات الله" يوحي بكون "***القرآن المقروء***" أو "***القرآن المكتوب***" نسخة طبق الأصل عن مراتب الوجود, وهذا لا يعني إلا طي ثنائية ***الفكر/اللغة***.

٢ ــ القرآن يصف النبي عيسى(ع) كلمة الله. وفي زيارة "الجامعة الكبيرة" وصفت الأئمة الهداة(ع) بكلمات الله التامات. فالقرآن يوحد بين الحقيقة الوجودية والحقيقة اللغوية في إطار "الكلمة". بشكل عام, العرفان الإسلامي الشيعي تؤمن بوحدة الإنسان والقرآن والبرهان والعرفان. وقد أشار الإمام علي (ع) إلى هذا بقوله : "*أنا القرآن الناطق*".

٣ ــ قال النبي الأكرم(ص) في وصيته الأخيرة: "*إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي*" وصرح باستحالة أي انفكاك بينهما حتى يردا عليه الحوض, وهذا يفيد التوحد بين النص ومفسره والتفاعل بينهما .

٤ ــ قال تعالى : ((ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها))[919]. و"***الأسماء***" مشتركة بين الحقائق اللغوية والوقائع الحقيقية, والدليل على شمول "الاسم" للحقائق الوجودية المقدسة [التي نعتقد أنها أنوار النبي(ص) وأهل بيته الطاهرين(ع)], هو أن الله ((علم آدم الأسماء كلها, ثم عرضهم على الملائكة, فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين))[920]. فإن إرجاع الضمير "هم" إلى الأسماء, وإضافة الأسماء إلى هؤلاء, يدلان على وضع"الأسماء" للحقائق العاقلة لا الألفاظ الاعتبارية. والله أعلم.

---

[918] الذاريات ٢٠-٢١

[919] الأعراف ١٨٠

[920] البقرة ٣١

في "مفترق" ثنائية *الواقع/المثال*, يجـــب دراســة تيــار "الإفــراط" و"التفريـــط" وأصحاب "الطريق الوسطى", فهي كما يلـــي :

١ ـــ اتجه "*المغضوب عليهم*" إلى الدفاع عـــن "*الواقـــع*" الموجـــود علـــى الأرض على حساب "*المثال*" الضايع في أجـــواء الخيـــال :

هذا الاتجاه يرضخ للواقع ويستسلم له وإن كان مشـــؤوما إلى أبعـــد الحـــدود :

"النظرة التيموسية على طريق فوكوياما لا تحقق تقدما علـــى صعيـــد المفهمـــة في اتجاه الخلاص من ثنائية الواقعية/المثاليـــة، بـــل بـــالأحرى فإنهـــا تخطـــو تراجعيـــا إلى أطروحة هوبز الأصلية رغم كل ادعـــاءات الأفلاطونيـــة والعيغليـــة. إنهـــا انتصـــار عصري لفكرة "*ذئبية الإنسان*", وتأكيد لتأويل غزائزي عـــن الطبيعـــة يصـــح إعـــادة توظيفه في رصيد كل الأيديولوجيات العنصريـــة المنقضيـــة..."[٩٢١]

فإذن, لا يمكن التفكير والعمل على توحيد الواقـــع بالمثـــال :

"إن فكرة كمال التاريخ في عودة الإلتحام بـــين المفـــهوم : (المســـاواة والعدالـــة والسعادة) والخطاب : (النظام السياسي الإقتصادي) وعلـــى النطـــاق العـــالمي عـــبر (الحكومة الشمولية المشجعة), هذه الفكرة قد يمكـــن تقبلـــها مـــن داخـــل المنطـــق الهيغلي وتطوره، لكنها تظل شعارا معلقا فوق الحـــدث أو المـــا يحـــدث"[٩٢٢].

٢ ـــ واتجه "*الضالون*" نحو الحض علـــى "المثـــال" الـــذي تتـــوق إليـــه الفطـــرة الإنسانية, متناسين "الواقع" الممتلئ بالنكبـــات واللاقيـــم

---

[٩٢١] مطاع صفدي : مقدمة لكتاب نهاية التاريخ (فرانسيس فوكوياما)

[٩٢٢] المصدر السابق

هذا الاتجاه يحاول تجاوز الواقع الموجود فعليا, ويعمل على إنتاج ما يراه مثالا, حتى إذا كان من نوع "***اللعب***" :

"عرف ارسطو الحقيقة بكونها تطابق الأحكام الذهنية مع الواقع العيني الخارجي... وأكد هيغل أن كل ما هو عقلي هو واقعي وبالعكس.

وديكارت تصور الحقيقة بوصفها بداهة التمثل الذاتي...

لكن خطابا مغايرا أخذ يتكون مع نيتشه على الأقل... و لم تعد تفهم الحقيقة في الخطاب الفلسفي المعاصر من خلال مفهومات الجوهر والتطابق والبداهة والوثوق والإثبات والثبات, بل تفهم بالدرجة الأولى من خلال مفهومات مغايرة مثل الإنتاج والتوليد والإجراء والمفاضلة والتفسير والسلطة والممارسة وحتى اللعب...وإذا كانت الفلسفة لا تنتج في ذاتها حقائق أي معارف صحيحة, فلا معنى لأن يكون القول الفلسفي صادقا أو كاذبا فالصدق والكذب والحسن والقبح والمشروع وغير المشروع والخير والشر والمشرف والمعيب, كلها مفاهيم لها قيمتها التفسيرية ... فهي معايير فاعلة أو صالحة في العلم والفن وفي السياسة والأخلاق. أما العمل الفلسفي فليس له طابعه التقريري أو المعياري بقدر ما هو مصدر لقول إشكالي جدالي ينفتح أبدا عبر سؤال الحقيقة على رحاب الكائن"[٩٢٣].

ولا عجب أن يحل الإنتاج الإنساني المجسد للمثل التي يتوق إليها الإنسان محل المعرفة واكتشاف الحقيقة في "الفلسفة التقليدية", عندما يصبح الإنسان "مقياسا للحق":

---

[٩٢٣] علي حرب ـــ نقد الحقيقة ـــ ٩٠

"يدهشنا سقراط في مواجهة لموقفه من جانب بروتـــــاغوراس بقولـــه عـــن هـــذا الأخير : [يجب الاعتقاد بأن بروتاغوراس العاقل والحصيـــف لا ينطـــق عـــن الهـــوى, في حديثه عن (الإنسان كمقيــــاس)]".[924]

٣ ــ لكن "***الذين أنعم الله عليــــهم***" مـــن الموحديـــن, يجمعـــون بـــين الواقـــع والمثال, بل يروهما في العمق واحدا (لا أمريـــن متحديـــن).

وثمة جهود بذلت في بعض تيـــارات الفلســـفة الغربيـــة, للتلفيـــق بـــين الواقـــع والمثال, مثل الخطوة التي قام بها ديكارت, حيـــث نـــرى أن :

"مثالية ديكارت معرفة كاملة تنطلق من ماهية الأشياء، ثم هـــو واقعـــي لاقـــراره بأن ضرورة الفكرة ليست شـــرطا لوجودهـــا برغـــم وجـــود بعـــض الضـــرورات والعلائق بين الماهيات، فإن الحقيقة والوجود شأن واحد. مـــن هنـــا كـــانت مثاليتـــه واقعية. ويشترك معه في هذه الفكرة جون لوك واســـبينوزا وليبنـــتز...انطلاقـــا مـــن افلاطـــون".[925]

إلا أن هذه المحاولات لم تتوج بالنجاح, لأن هذه "المثالية المعرفيـــــة" تبتـــني علـــى ***العقل النظري***, الذي يتخصص في اكتشاف الحقـــائق, لكنـــه غـــير معـــني بـــالقيم المرتبطة "***بالعقل العملي***". فالعقلية الديكارتية تعتمد علـــى الأصلـــين التـــاليين :

"١ــ يقول ديكارت في (مقال في المنـــــهج) : "ينبغـــي علينـــا ألا نتقبـــل شـــيئا باعتباره حقا إذا لم يتبين ببداهة العقـــــل".

---

[924] (1256Platon , thee te te,) نقلا عن : مارتن هيدغر (التقنية ــ الحقيقة ــ الوجود) ١٦٨

[925] مني دياب ــ كوجيتو ديكارت متجدد صوفي موحد ــ السفير ــ ٩٦/٥/٣١

٢ــ العقل أفضل الأشياء قسمة بين الناس... إن جميع الناس سواسية بالطبيعة في عقولهم [926] [927]".

نحن نرى أنه لا يحصل التوحد بين الواقع والمثال, إلا باكتشاف الواقع عبر عقل نظري عملي في نفس الوقت, لأن العقل النظري من شأنه رؤية الواقع كما هو موجود, والعقل العملي هو الذي يتعرف على القيم والتكاليف التي تنبعث منها. بعبارة أخرى, إن طي ثنائية ***الواقع/المثال*** مرتبط بطي ثنائية مستويين من العقل : ***النظري/العملي***, اللذين لو يتوحدا إلا في مدرسة الأنبياء لا المناهج الموضوعة بعقلية بشرية. والحديث الشريف : "*العقل ما عبد به الرحمان, واكتسب به الجنان*" ناظر إلى الجانب العملي لمقولة العقل.

في منهجية "***امر بين امرين***", لكي يكون المثال مثالا, لا بد ان يكون واقعا متحققا حتى يتمثل به, وإلا عاد خيالا موهوما. والواقع بما أنه واقع فهو ايجابي يستوعب لكل ما يمكن ان يكون إيجابيا. والواقع من جهة كونه واقعا له حظ من المثال. كما أن مثالية المثال تقتضي تحقق المثال على "*أرض*" الواقع وإلا كان مجرد خيال موهوم, وقد يكون هذا هو السبب في بيان تواجد المثل في "***الأرض***" إضافة إلى *السماوات* :

((هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم)) [928] ", [929]

---

[926] "يناقش الدكتور نصيف نصار في كتابه (الأيديولوجية على المحك) هذا المبدأ , ويرى أن سلطة العقل ليست شائعة بالسواء بين أفراد النوع الإنساني". نقلا عن : إيلي نجم ــ ديكارت, ماذا بقي لنا منه اليوم ؟ ــ السفير ٩٦/٥/٣١

[927] المصدر السابق

لا زالت في ساحة الفكر والثقافة أفكار تنطبع طابعـــا متخلفـــا طفوليـــا عـــن الله وجوهر الدين. وقد يصعب عليها أن تتخلى عن أصل تعـــودت عليـــها, وهـــي : أن الله يتلخص دوره في فعل الأفاعيل العجيبة الغريبة التي لا نعـــرف أسـبابها الطبيعيـــة. فكلما واجهنا ظاهرة غير عادية في عالمنا, و لم نكتشـــف عللـــها وأسـرارها ننسـبها إلى الله. في ظل هذا الانطباع, من البديهي أن ينســـحب الله خطـــوة بعـــد خطـــوة أمام تقدم العلم والتقنية الحديثة خطوة بعـــد خطـــوة.

"يقول القرآن : ((لقد خلقنا الإنسان في سلالة مـــن طـين ثم جعلنـــاه نطفـــة في قرار مكين))[٩٣٠]...من الجلي أن عمليـــة نمـــو الخليـــة البشـرية بالنســبة إلى هـــذا الوصف القرآني تعتمد على التدخل المباشر والمستمر من قبل الله لنقلـــها مـــن طـــور إلى آخر... هل يتفق هذا الوصف والتعليل مـــع معارفنـــا العلميـــة عـــن الموضـــوع وما يبينه لنا علم الأجنة حول تطور الخليـــة البشـــرية في مراحلـــها الأولى ؟ الجـــواب هو حتما بـــالنفي"[٩٣١].

وعندما يكون الله مصدر إرجاع المجاهيل وفقط المجـــاهيل, فـــإن كـــل حديـــث عن تداخل ***العلم/الدين*** وتوحيد هذه الازدواجية يقـــابل بالســـخرية والاســـتهزاء :

"إن فكرة التوفيق بين العلم والدين ليست سوى أســـطورة يدعـــو إليـــها بعـــض المفكرين... لأنهم لا يستطيعون التترل عـــن اعتقـــاداتهم الدينيـــة مـــن جهـــة, ولا

---

[٩٢٨] الروم ٢٧

[٩٢٩] العلامة الطباطبائي ــ الميزان ــ ١٤/٢٩٥

[٩٣٠] المؤمنون ١٢-١٣

[٩٣١] صادق جلال العظم ــ نقد الفكر الديني ــ ٢٧

يستطيعون أن يتجاهلوا العلم وتطبيقاته العملية ونظرية الطبيعة من جهة أخرى... من أمثال الدكتور الشيخ صبحي صالح , الذي يحاول لمصالحة بين الإسلام والعلم الحديث أو سماحة الشيخ موسى الصدر و... وكلامهم يبقى دوماً على مستوى التعميمات الفضفاضة التي لا تزعج أحداً."[932]

لكن هذه الانطباعات المتخلفة لا تمثل شيئاً أمام تعظيم أغلبية ساحقة من صنّاع العلوم وأرباب الاكتشافات في جميع الحقول والاختصاصات العلمية, الذين لا تزيدهم كثرة معارفهم عن أسرار العالم ونظمه المتقن, إلا مزيداً من التذلل والإقرار بكبرياء الإرادة الراسمة للكون, فضلا عن الأنبياء والأولياء الذين بنوا دعوتهم إلى الدين باعتماد العلم وقطع مخالب الجهل. قال تعالى : ((قل هذه سبيلي, أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني))[933].

١٢٦ ـ العلم/الأخلاق

يكثر الحديث عن علماء غير مهذبين, يستخدمون علومهم ومعارفهم لصالح أهوائهم الشيطانية, ويضعون خبراتهم وتجارهم لخدمة قوى الغطرسة والاستكبار, وعن متخلقين بالفضائل الأخلاقية لا يهتمون بالعلوم والتجارب البشرية التي لا تمت بصلة إلى مكارم الأخلاق.

---

[932] المصدر السابق ـ ٢٢

[933] يوسف ١٠٨

كذلك يكثر الحديث عن لزوم الجمع بين العلم والأخلاق, بين المعرفة وتهذيب النفس.

وقد يستدَل لإثبات ضرورة هذا الجمع, بالآيات الشريفة التي جمعت بين الكتاب والحكمة من جانب, وتزكية النفس من جانب آخر في صدر رسالات أنبياء الله (ع).

لكن منطق *"امر بين امرين"* لا يقتنع بالحديث عن لزوم الجمع بين العلم والأخلاق, بل يذهب أبعد من هذا, ويدّعي استحالة الفصل بينهما, ويرى العلم في صلب الأخلاق !

والدليل على هذا أن العلم بحد ذاته قيمة ذاتية من أكبر القيم الأخلاقية. فمن يكتسب العلم يتحلى بقيمة أساسية من القيم الأخلاقية, كما أن من يسعى في سبيل التخلق بأخلاق الله, يستحيل أن يكون بمعزل عن العلوم والمعارف. لأن *"اخلاق الله"* المذكورة في الحديث الشريف: "تخلقوا بأخلاق الله" هي صفات الله وأسماؤه, ولا يخفى أن الفلاسفة والعرفاء والمتكلمين يتفقون على وضع صفة "العلم" في صدر قائمة الصفات الذاتية في الله جل وعلا.

أما أن بعض العلماء يضعون علمهم وتجارهم في خدمة قوى الهيمنة والاستكبار, فهذا لا يخص "العلم", بل أن كل واحد من القيمة الأخلاقية يمكن أن تُستغل في جبهة الشر "كالقدرة" التي هي أيضاً من القيم الإلهية المقدسة, لكن الإنسان قد يستغلها مقابل القيم الإلهية الأخرى كالعدالة والرحمة والرأفة. المشكلة في هذه الموارد تكمن في تفتيت وتجزئة القيم التي تتحد بحقيقتها في

جوهر النفس الإنسانية, والمذكـورة في الآيـة الشـريفة : ((فطـرة الله الـتي فطـر الناس عليـها))[934].

وقد يكون السر في تقديم التزكية علـى التعليـم مـرة, وتقـديم التعليـم علـى التزكية مرة أخرى في الآيتين التاليتين راجعاً إلى عـدم إمكانيـة فصـل العلـم عـن الأخلاق, والله أعلـم :

ـ ((ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلـو عليـهم آيـاتك ***ويعلمـهم الكتـاب والحكمة ويزكيهم*** إنك أنت العزيـز الحكيـم))[935].

ـ ((هو الذي بعث في الأميين رسولا منـهم يتلـو عليـهم آياتـه ***ويزكيـهم ويعلمهم الكتاب*** والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضـلال مبـين))[936].

١٢٧ ـ العلم/العمل

في ساحة هذه المعادلة نجد مذاهب عـدّة :

١ ـ ***المذهب النظري*** يلخص جوهـر الإنسـان في العلـم, ولا يجـد للعمـل قيمة, ولا يرى له وظيفة إلا دوام العيـش لأجـل مزيـد مـن الفكـر. كوجيتـو ديكارت يمثل هذا الاتجـاه, ولا يـرى وجـوداً وحقيقـة للإنسـان إلا بـالفكر.

---

[934] الروم ٣٠

[935] البقرة ١٢٩

[936] الجمعة ٢

والمرجئة تمثّل هذا المرام في الإسلام, لأنهم ربطوا السعادة بالإيمان القلبي, دون أن يكون للعمل مدخلية في تحقيق الإيمان نفياً أو إثباتاً.

٢ ـــ *المذهب العملاني*, الذي يحط من قيمة الفكر بوصفه طرقاً لاكتشاف الحقيقة, ويهتم بالمنفعة التي تتحقق في العمل, ويقوّم الأمور بالنتائج التي تحصل في التجربة والعمل. المدرسة البرجماتية هي التي تمثل هذا الاتجاه في عالم الغرب[٩٣٧].

---

[٩٣٧] "وبما أن المدرسة البرجماتية تتناول النقطة الأساسية التي تعنينا في بحثنا فلا بد من الوقوف معها قليلاً لنناقش ما جاءت به من أفكار لمعرفة مدى صلاحيتها لمحاكمة الأشياء كبديل عن الواقع. ويمكن لنا في هذا المجال أن نسجل الملاحظات التالية:

١ـــ إن هذه المدرسة تخلط خلطاً واضحاً بين الحقيقة نفسها والأهداف التي تحققها أو يمكن أن تحققها، فقد يكون الغرض من اتباع الحق الحصول على المنفعة ولكن لا يعني ذلك أنها هي الحق.

٢ـــ إن إعطاء المعنى العملي البحت للحقيقة وتجريدها عن خاصية الكشف عما هو موجود سابقاً والذي هو الواقع المفروغ عنه كما أسلفنا، هو استسلام مطلق للشك الفلسفي الذي تحارب المدرسة التصورية والمدرسة السوفسطائية لأجله. وبمجرد الاحتفاظ بكلمة حقيقة أو حق مع تجريدهما عن معناهما ليس بمجد في مجال اثبات الواقع الخارجي الذي ينكره الشكاكون.

٣ـــ لنا أن نسأل هذه المدرسة عن المنفعة التي تتحدث عنها هل هي منفعة الفرد أم منفعة الجماعة ؟ ثم من هي هذه الجماعة ؟ وما هي حدود هذه المنفعة ؟ هل المنفعة الدنيوية أم انها تشمل الأخروية ؟ وفي حال تخصيصها بالدنيوية فلنا أن نسأل كيف صح الحكم على المنفعة الأخروية حكماً سلبياً قبل إخضاعها للتجربة لمعرفة أثرها في تحقيق أمرين المتقدمين ؟

فالمنفعة الفردية إن كانت هي المعيار فإنها ستتعارض مع مصالح الأفراد مع بعضها البعض فتحدث بسبب ذلك فوضى اجتماعية مريعة. وهذا أمر بديهي حينما يراعى كل فرد منافعه دون ملاحظة منافع الآخرين.

ويحصل من هذه الفوضى ضرر عظيم على الجميع مما يطيح بكل المنافع الفردية.

والمنفعة الجماعية أيضاً تتعارض مع بعضها البعض، ويحتاج ترجيح بعضها على بعض إلى تجربة اجتماعية طويلة الأمد لنتمكن من الحكم عليها بأنها نافعة أو لا". تعليقات إبراهيم البدوي على "بينات" للمؤلف.

٣ ـ ***المذهب التجميعي*** الذي يضع العمل المطابق للتكليف إلى جانب العلم (الإيمان) وفي عرضه, وينفي الإسلام ممن يرتكب كبيرة, وإن كان مؤمناً في قلبه. والذين يمثّلون هذا الاتجاه في نطاق الإسلام هم الخوارج, حيث يتبنّون ***ثالوثاً***, هو : *اعتقاد بالقلب, وإقرار باللسان, وعمل بالأركان*. هذا التثليث العرضي يشبه نوعاً ما ***التثليث*** المسيحي والأقانيم الثلاثة.

٤ ـ ***المذهب التوحيدي***, الذي يركز على ضرورة توحيد القلب واللسان والجوارح في بنية إيمانية متكاملة, ولكن لا بوصفها ثالوثاً في تراتب عرضي, بل بوضع العمل الجوارحي والإقرار اللساني في خدمة القلب الذي له السيادة في تحقيق الإيمان, لأن القلب مهبط وحي الله , وهو عرش الرحمان. قال تعالى (في حديث قدسي) : "*لا تسعني أرضي ولا سمائي, بل يسعني قلب عبدي المؤمن*".

نشاهد في تصوير القرآن للآخرة أن العمل والفعل موجود هناك, ولكن كسلم ومعراج للإرتقاء : ((إليه يصعد الكلم الطيب, والعمل الصالح يرفعه))[٩٣٨], أو كنتيجة طبيعية للإرادة المتوحدة بالعلم : "أجعلك حيث تقول كن، فيكون".

هنا, تجدر الإشارة إلى أن العلم الذي يصلح أن يتوحد بالعمل في بنية متكاملة, ليس مجرد ما يسمى بالعلم الحصولي, وتحدد غايته : "*صيرورة الإنسان عالمًا عقليًا مضاهيًا للعالم العيني*" كما ورد في تعريف الحكمة و الفلسفة، لأنها انفعال. بيد أن تحقيق الخلافة الإلهية في الإنسان يستلزم الخلق والإبداع, ويستلزم علماً فعلياً يتدفق منه العمل. العلم الحصولي علم انفعالي وليس هو الغاية القصوى. وهو علم ماهوي ليس منشأً لترتب الآثار. والإنسان إنسان بمقدار ما

---

[٩٣٨] فاطر ١٠

يكون فاعلاً ومؤثراً ومبدعاً، ليس بمقدار ما يكون منفعـــلاً. فقــد ورد في الدعــاء : "أعوذ بك من قلب لا يخشع, ومن علــم لا ينفــع".

قد يكون هذا سرّ جعل "الوصول إلى الحقيقة " هدفاً عند العرفـــاء بـــدل " فـــهم الحقيقــة .

ولهذا يمكن القول أن العمل, وإن لم يكن شــرطاً لإســلام المــرء, لكنــه شــرط "لإيمانــه" :

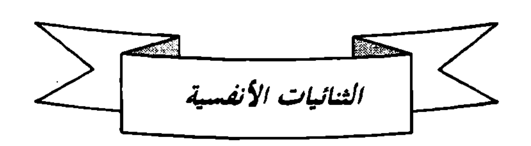
"يقول "أبو بكر ابن أبي شـــيبة" (٢٣٥ هـــ ٨٤٩ م) في رســالته في الإيمــان [٩٣٩] : "الإيمان عندنا قول وعمل، ويزيد وينقص". ويعني هذا من ضمـــن مــا يعنيــه استيعاباً للسابق كله (المرجئـــة والخـــوارج), وصـــولاً إلى مدخـــل جديـــد لمفـــهوم الإيمان، وبالتالي لمفهوم الإسلام والجماعة. إن ***الإســـلام والإيمـــان*** ليســا متطــابقين عند محدثي أهل الســـنة، كمـــا أن أحدهمـــا لا ينفـــي الآخـــر. فـــالمرء يدخـــل في الإسلام، أي في جماعـــة المســـلمين, عندمـــا يقـــر بذلـــك بلســـانه (عـــن طريـــق الشهادتين). ويظل يقترب من الإيمان بقدر ما يعمل بعمـــل المؤمنـــين حـــتى يتطـــابق الأمران. أي أن الهدف النهائي هو تطابق الإسلام مـــع الإيمـــان (اكتمـــال الإيمـــان). لكن قلة عمل عضو الجماعة أو انعدام العمل أو ارتكـــاب المحرمـــات الظـــاهرة كـــل ذلك لا يخرجه مـــن جماعـــة المســـلمين، بـــل يقلـــل مـــن إيمانـــه دون أن يضـــر بإســـلامه"[٩٤٠].

---

[٩٣٩] ابن أبي شيبة ، الإيمان ٥٠

[٩٤٠] رضوان السيد ــ الجماعة والمجتمع والدولة ــ ٢٣٩

الوصل الرابع:



ج ــ الثنائيات الثقافية

١٢٨ ــ الحق/المصلحة
١٢٩ ــ الثوابت/المتغيرات
١٣٠ ــ المشروعية/المقبولية
١٣١ــ القدسية/الدنيوية
١٣٢ــ الروحية/الزمنية
١٣٣ ــ التراث/التجديد
١٣٤ــ العولمة/الخصخصة
١٣٥ ــ السلم/الحرب
١٣٦ ــ الديمقراطية/الاستبداد
١٣٧ ــ الحوار/الصدام
١٣٨ــ الشعبية/النخبوية
١٣٩ ــ الانفتاح/الالتزام
١٤٠ ــ الاشتراك/الاختلاف

المقصود هنا ليس المعنى العام للحق, بل المعنى الذي يقابل المصلحة.

"والمصلحة مترادفة مع المنفعة. والمنفعة لغةً : تحصيل الخير الذي يكسبه الإنسان لنفسه"[٩٤١]، ويقابلها الضرر والنقص الذي قد يلحقه. يتجلى منطق ***أمر بين أمرين*** " في هذه الثنائية, عندما ننتبه أن المنفعة تختلف باختلاف الجهات، فرب نافع لجهة, ضار لجهة أخرى. وربما يكون أمر واحد نافعاً لشخص ضاراً لآخر، ولهذا قالوا قديماً: "***رب ضارة نافعة***".

وقد ذهب بعض الفلاسفة وبعض أرباب السياسة إلى الاعتقاد بأن "***الحق***" ليس سوى "***المنفعة***"، وما ليس بنافع فهو "***باطل***". ثم عدّوا ذلك مذهباً فلسفياً يدرّس في الجامعات, ويعتمد منهجاً عملياً في مجال السياسة والإدارة.

والظاهر أن الإسلام في قيمه ومعاييره الأخلاقية تخالف هذا السلوك.., أي خلافاً لمصلحتك, ففي الحديث: "*قل الحق ولو كان مرًا*", أي فضّل الحق, ولو لم ينسجم مع أمانيك.

ولكن, "لا بد هنا, أن ننبه على أن المنفعة ليست مطلق الخير, وإلا لما كان الضار ضدها، إذ الضرر لا يتنافى مع الخير, كما تتنافى معه المنفعة. فربما يكون الشيء خيراً لجهة ومع ذلك يعد ضاراً لها، كما لو أعطى إنسان صدقة لفقير. فإن ذلك يؤدي إلى نقصان مال المتصدق، وهذا يعد ضرراً عليه بوجه من الوجوه إذ يدخل النقص على ماله, ولكنه مع ذلك خير له, بملاحظة ما سيعطيه

---

[٩٤١] أقرب الموارد ــ ٢ / ١٣٣١.

ذلك من أثر تكاملي على نفسه ومن أجل أخروي. نعم, لو عممنا معنى المنفعة إلى كل أنواع المنافع حتى الأخروية المؤجلة المصاحبة لأنواع الضرر العاجل والنقص المادي, لأمكن تفسير المنفعة بالخير بقول مطلق"[942].

فيمكن القول إنه لا "*مصلحة*" إلا في اتباع "*الحق*", ففي الحديث: "*قل الحق ولو كان عليك*".

و"*الحق*" يختزل كل "*النفع*", كما أنه يختزل كل "*الضرّ*" : قال تعالى : ((قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً)).[943]

١٢٩ ــ *الثوابت/المتغيرات*

النص ــ قرآناً أو سنة ــ (بما هو نص) يبقى ثابتاً, ويعبّر عن ***الثوابت*** التي تتجاوز ***المتغيرات*** التاريخية والجغرافية, وترسم الخطوط العامة.

صحيح أن النص يزاول المتغيرات أيضا, ويعطي حلولاً لمشاكل سنحت في فترة تاريخية معينة، ويدلي بأجوبة لأسئلة تخطر ببال ناس ومجتمع, في مرحلة فكرية محددة وبيئة محدّدة؛ لكنّ ثبات النص وتجاوزه أطر الزمان والمكان لايبرّر, الاّ إذا قلنا أنّ معالجة النص للمتغيرات المرحلية, لا تتلخص في حلّ وتفسير تلك المتغيرات, وإنما تعمّ لترسم الخطوط العريضة التي تفسّر نوعية مواجهة الثوابت بالمتغيرات. فالمتغيرات التي تدرس في النص الثابت, هي متغيرات من حيث

---

[942] الشيخ إبراهيم البدوي ــ مقالة : الحق والمنفعة

[943] الأعراف ١٨٨

الأحداث التي تعالجها, لكنها في نفس الوقت ثوابت من زاوية أخرى, لأنها تقدم نماذج ثابتة لنوعية التعاطي مع المتغيرات في كل الأعصار.

ملاحظات :

تندرج في معادلة : ***الثوابت/المتغيرات*** :

١ ــ ثنائية : ***الأحكام الأولية /الأحكام الثانوية.***

الأحكام الأولية هي التكاليف الدائمة التي يقدمها فقه الإسلام في الأحوال الاعتيادية. والأحكام الثانوية المعالجات الفقهية للأوضاع العصيبة في حالات الطوارئ. و"***الضرورات تبيح المحذورات***".

من الطبيعي أن الأحكام الثانوية ليست في مستوى الأحكام الأولية من حيث القيمة, ولا يمكنها أن تمثّل الإسلام في الوضع العامّ, لكن منطق : "***أمر بين أمرين***" الذي يتطلّع دوماً إلى "التوحيد", يؤكد على أن الحكم الثانوي في حالة الطوارئ التي تتطلّبه, هو "إسلامي" بمقدار ما يكون الحكم الأولي إسلامياً في الظروف العادية, وتنفيذ الحكم الأولي في ظروف الطوارئ ليس من الإسلام بشيء.

"إن تقديم المصلحة على النص والإجماع يكون بطريق التخصيص والبيان لهما, لابطريق تعطيلهما. كما أن تقدّم السنة على القرآن يكون بطريق البيان".[٩٤٤]

---

[٩٤٤] مصطفى زيد ــ المصلحة في التشريع الإسلامي ونجم الطوفي ــ ٢٣٨"نقلاً عن : د. خلف الجراد (باحث سوري) ــ أي حدود تفصل بين روح التشريع ومدلول النص ــ السفير (في بيان موقف نجم الدين الطوفي)

٢ ـــ ثنائية : ***الغاية/الوســـيلة***.

الرأي السائد عند الكثير من أصحاب الفكر والثقافة كمـــا عنـــد معظـــم النـــاس (على المستوى النظري على الأقل), هو أن : "*الغاية لا تــــبرر الوســيلة*" :

"العنف مرفوض أيا ما كـــان الهـــدف مـــن وراء ذلـــك, لأن الغايـــة لا تـــبرر الوسـيلة "[٩٤٥]

لكن مدرسة "***أمر بين أمرين***" تطوي هذه الثنائيـــة أيضـــاً ! لتقـــول : ***إن الغايـــة تبرر الوسيلة دائماً وأبداً!***, أيا ما كانت تلـــك الوســيلة! لكنـــها ـــ في التفـــاصيل ـــ تعرّف الوسيلة بأنها كل شـــيء يســتطيع أن يقـــدم خدمـــة للـــهدف ولتقـــديم تحقيقـــه.

بعد هذا التعريف الذي أظنه متفقاً عليه, أقول إن القيـــام بجريمـــة بشـــعة (كقتـــل نفس محترمة بغير نفس, أو من دون حجة شرعية) لأجـــل إقامـــة حكـــم إســـلامي (مثلاً), ليس "وسيلة غير مبررة", بل إنـــه أساســـاً ليـــس وســـيلة لإقامـــة الحكـــم الإسلامي الذي يفترض أن يقام لرفع الجرائم وإقامـــة العـــدل.

في المقابل قتل نفس محترمة أصبحت "ترساً" تمترس به العـــدو المحـــارب الـــذي لا يزال يقتل الأبرياء يصبح واجباً حســـب الفقـــهاء, وهـــذا المقتـــول الـــبريء يعتـــبر شهيداً. نرى إذن, أن ***الهدف يبرر الوســـيلة***.

---

[٩٤٥] رضوان السيد ـــ الظاهرة الأصولية ومخاطر التوقع ـــ السفير ـــ ٩٨/١/٨

حسب الرؤية الشيعية يستمدّ القائد (أو الحكم) ***مشروعيته*** من الله (مباشرة في مورد النبي, وعن طريق النبي وبتنصيبه في مورد الإمام, وبتحديده عند امتلاكه للمواصفات اللازمة في مورد الولي الفقيه). لكنه يستمدّ ***مقبوليته*** من الناس واتفاق أكثرية أفراد المجتمع معه عن طريق البيعة.

فالإمام الذي نصبه النبي إمام شرعاً وله الولاية التامة, لكنه لا يفرض رأيه على مجتمع لم يبايعه بملء إرادته, إذ : "***لا رأي لمن لا يطاع***"[٩٤٦].

والقائد الذي يبايعه الناس أمره نافذ في المجتمع, لكنه حكمه غير مشروع, لأنه "غصب", ولا بد للمتشرعين من الجهد والتمهيد لتغيير الحكم عن طريق ثورة ثقافية أو سياسية يحدد القائد المشروع معالمه حسب المصالح.

ولكن, في معادلة المشروعية/المقبولية, أيهما هو الأساس ؟ هل الدولة الإسلامية شرعية أولاً؟ أو إسلامية أولاً ؟ "المتشددون" مع الأول, و"المنفتحون" مع الثاني.

إلا أن مذهب "***أمر بين أمرين***" يؤمن بتوحيدهما, وعدم تطويق أحدهما لمصلحة الآخر. هكذا عمل الإمام الخميني(ره), فقد "ركز الإمام على مبدا الجمهورية بمقدار ما ركز على مبدأ اسلامية النظام".[٩٤٧]

تاريخياً, رضوخ الإسلام لإرادة الشعب كان أحد أسباب تكيفه على مدى التاريخ, وفي ساحات الجغرافيا :

---

[٩٤٦] نهج البلاغة

[٩٤٧] السيد خاتمي ـ في محاضرة ألقاها بتاريخ ٢ / ٦ / ٩٨ في مؤتمر في طهران انعقد في ذكرى الإمام الخميني

"لو لم يكن الإسلام يحمل كدين عالمي تاريخي طاقة هائلة على التحول والتكيف والمرونة والتأويل والتفسير وإعادة النظر, لّما تمكن من الاستمرار والاتساع على امتداد ١٥ قرناً في مجموعة هائلة من الثقافات المختلفة والمجتمعات المتنوعة والحضارات المتضاربة والدول المتصارعة... نجد أن أعظم مدافع عن علمانية الدولة في الهند منذ الاستقلال هي الأقلية المسلمة في البلد".[948]

١٣١ــ *القدسية/الدنيوية*

إن اتفاقا صارماً حصل بين كثير من "المقدسين" أو المتدينين وبين كثير من العلمانيين على ضرورة فصل الدين عن السياسة. ولكل منهما هواجسه لتطبيق هذا الاتفاق.

فالمتدين يرى السياسة مليئة بالمكر والفساد والغش والتلبيس, وكل هذا يبرر بحجج مألوفة كالضرورات المرحلية والمصالح القومية والوطنية وغيرها. فالحفاظ على سمعة الدين وقداسته يفرض على ولاة الدين أن يبتعدوا عن أساليب الحكم ومساحاته, ويهتموا بدلاً من ذلك بالنصيحة وحث الناس على القيم الأخلاقية.

من جانب آخر, يتّهم العلماني رجال الدين بأنهم إذا تدخلوا في السياسة ووصلوا إلى سدّة الحكم, يحاولون أن يضفوا على حكمهم وأنماطهم المعرضة

---

[948] صادق جلال العظم ــ الإسلام والعلمانية ــ السفير ــ ٩٦/٣/٢٧

للأخطاء طابعاً قدسياً إلهياً, ولا ينمّ عن هـــذا شــيء إلا الاســتبداد والقـــهر باســـم الله.

ولكن بالرغم من هذا الاتفاق الصارم الـــذي ينســـجم مـــع قناعـــات الطرفـــين, نرى وجوهاً جلية أو خفيـــة عـــن أشـــكال *التداخــل والتفــاعل* بـــين المقدســـين والعلمـــانيين :

"تبين أنماط التجربة الدينية الظواهرية أن القدسي يتجلى علـــى صعيـــد كـــل مـــا هو عجيب وغريب وجليل وآسر. وهذه الأبعـــاد هـــي أبعـــاد دينيـــة ــ دنيويـــة. فالتجليات القدسية العقلية واللامعقولة تتجلى بـــدءاً بالظـــهورات الإلهيـــة والنبويـــة وحتى التجلي في حجر وشـــجرة في أشـــياء عالمنـــا الطبيعـــي الدنيـــوي. فالقدســـي والدنيوي أبعاد تبادلية. فأن يعيش الإنسان ككائن هو بحـــد ذاتـــه فعـــل ديـــني لأن الغذاء، الحياة، الجنس، العمل لها قيمة قدســـية.

ويرى ريجيس دو بريه في كتابه (نقد العقـــل السياســـي) أن الغيـــبي والمقـــدس و الرمزي هي أبعاد لا تزال فاعلة في التشكيلات المعـــاصرة. ولاريـــب في أن الســـلوك الدهري محايث في السلوك الديني, كمـــا أن الســـلوك الديـــني ظـــاهر في الدهـــري. فالظاهرة الدينية هي ظاهرة (تاريخية) زمانية, وإن كانت ظـــاهرة ميتافيزقيـــة. كمـــا أن أشياء العا لم الدهرية ذات قيمة أنطولوجيـــة (= كونيـــة). والكـــون مـــن حيـــث أسراريته وجلاله وعظمته هو كون مقـــدس...

وإذا كان الإنسان البدائي يعتبر المكاني مكاناً أنطولوجيـــاً وليـــس مجـــرد مكـــان هندسي بالمعنى الدنيوي للكلمة, فـــإن الإنســـان الدنيـــوي يقـــدس العـــا لم بطريقـــة (محدثة) كالحنين إلى مسقط الرأس أو إطلال الحبيـــب أو الوطـــن. فالمســـلك الديـــني الخفي الذي يسلكه الإنسان الدنيوي لا يختلف إلاّ في الموضوعـــات والأحـــوال عـــن المسلك الديني..." وعلى الرغم من عملية اللاقدســـنة مـــازالت الصـــور النموذجيـــة

حية في اللغة والسلوك الدنيوي الحديث. ومازالت الآثار والصور النموذجية قائمة كالمنازل التي تحكي الهندسة الكونية (القبة = السماء التي تمثل المطلق)".[949]

الفصل بين الدين والدولة هو بلا ريب شرط من شروط الحداثة في عصر مابعد الحداثة التي تتحدد بذاتية الحداثة. لكن الوصل بين الدهري والقدسي بين الإنسان والطبيعة بين الكائن والكينونة لا يقل اهمية عن هذا الفصل.

والدينية الحديثة eligieusite صارت تميز بين العلمانية Laicite وأساسها الفصل بين الدين والدولة من دون التضحية بالبعد الروحاني والقدسي ومناوأة الروحانية الدينية والفلسفية وبين العلماوية Lacisime الوصفانية المناوئة للقيمة الروحانية. وفي الغرب الحديث ظهرت أيديولوجيات سياسية — دينية (كالأحزاب الديمقراطية المسيحية), ووصلت إلى سدة الحكم في أكثر من بلد أوربي. غير أن تلك الأحزاب تبنت والتزمت بالمبدأ الديمقراطي بما ينص على حيادية القانون وتجرد الدولة"[950].

إن إيديولوجية *"امر بين امرين"* التي ترفض إقامة السدود بين ثنائيات الإنسان والكون, تؤمن بأن جوهر الدين هو القداسة, وجوهر العلمانية هو الاعتماد على حرية الإنسان في رسم قراراته, و :

١ — تنصح بعدم ابتعاد العلمانيين عن بركة القداسة الدينية التي بإمكانها أن تحل كثيراً من مشاكلهم الأخلاقية والثقافية وحتى البيئية :

---

[949] د. جميل قاسم — العلمانية : المختلف والمؤتلف

[950] المصدر السابق

"الطبيعة عند الإنسان الديني ليست (طبيعة) عادية, بل هـــي طبيعــة ذات ســحر وبهاء وجلال وقدسية. أما الطبيعة بعـــد عمليــة اللاقدســنة, فنجـــد أن المجتمعـــات الصناعية قد لوثتها بشتى انواع التلوث وأشكاله, فجعلت البيئـــة (الأنهـــار والبحـــار والطبقات الجوية) مكاناً يفقد أكثر فأكثر بُعـــده الحيـــوي الصـــالح للحيـــاة, محولـــة الأرض إلى (كوكب مهملات). كمـــا أن أنمـــاط البنـــاء والهندســـة الســـائدة هـــي بدورها أنماط اصطناعية, وحتى الحدائـــق(الطبيعيـــة) نحوهـــا في منطقـــها الهندســـي حدائق اصطناعية متطبعة بلا أصالة ولا امتـــداد طبيعـــي"[٩٥١].

٢ ـــ كما تنصح المتدينين بعدم الحطّ من قيمة التطورات العقليـــة البشـــرية الـــتي تمهد السبيل لفهم أعمق وقراءة أوسع لمضـــامين الديـــن.

فبدل إزالة القدسية عن المذهب والديـــن, وتطويقـــه باســـم العلمانيـــة والنظـــرة العلمية المحايدة, تنصح بتوسيع القداسة, لتعم جوهر العلمانيـــة الـــذي هـــو الاعتمـــاد على العقل البشـــري.

وبدل إزالة القدسية عن ***الحوزات العلمية*** والمعـــارف الدينيـــة, تنصـــح بتوســـيع القدسية لتعم الجامعة والعلوم التجريبية والتقنية من منطلق : "*طلـــب العلـــم فريضـــة على كل مسلم*", "*والعلم علمان : علم الأديان وعلـــم الأبـــدان*".

في ثنائية : ***الحوزة/الجامعة***, نرى أن الرؤية الـــتي تحتكـــر القدســـية ***للحـــوزة*** دون ***الجامعة***, تنطلق من أن الإسلام هو دين الثوابـــت لا المتغـــيرات, وديـــن الأصـــول لا الفروع, ودين الأحكام الأولية لا الثانوية, ودين الآخـــرة لا الدنيـــا, وديـــن الـــروح لا الجســـم.

لكن الإســـلام :

---

[٩٥١] المصدر السابق

- يجمع بين ***الثوابت والمتغيرات*** : ((يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب))[952].
- ويجمع بين ***الأصول والفروع*** : ((مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء, تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها))[953].
- ويجمع بين ***الأوليات والثانويات*** : ((ليس للإنسان إلا ما سعى))[954], (لا ضرر ولا ضرار في الإسلام).
- ويجمع بين ***الدنيا والآخرة*** : ((ربنا آتنا في الدنيا حسنة, وفي الآخرة حسنة, وقنا عذاب النار))[955].
- ويجمع بين ***الروح والجسم*** : ((ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين))[956], و(العلم علمان : علم الأديان, وعلم الأبدان).

إن قداسة الحوزة يجب أن تكون في خدمة تجددها وتطورها. وقدسية فتوا المجتهد بذاتها تدعو إلى حرمة تقليد المجتهد من سائر المراجع. وهذا يبرر الاختلاف في برهة واحدة, كما أن وجوب التقليد من المجتهد الحي تبرير للاختلاف والتطور في مختلف الفترات الزمنية.

---

[952] الرعد ٣٩

[953] إبراهيم ٢٤-٢٥

[954] النجم ٣٩

[955] البقرة ٢٠١

[956] المؤمنون ١٤

ثم إن قدسية رأي الفقيه لا تستوجب صحة فتـــواه, بـــل تنطلـــق مـــن قداســـة عملية الاجتهاد وإعمـــال النظـــر. وهـــذا معـــنى الحديـــث :"*للمصيـــب أجـــران وللمخطئ أجر واحـــد*" .

والمجتهد الذي يُعمل فكره وعقلــــه في اســـتنباط الحكـــم الإلهـــي ولا يصـــل إلى الحق, هو مثل : ((ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورســـــوله ثم يدركـــه المـــوت فقد وقع أجره علـــى الله))[٩٥٧] .

"مضى علينا فترة كان بعـــض أربـــاب الظـــاهر يؤكـــدون علـــى غـــنى الفقـــه الإسلامي , وأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي تبنّـــى أغـــنى فقـــه وبرنـــامج علـــى لتسوية أوضاع المجتمع الإنساني وتســـديده. ولكـــن, هـــل هـــذا يعـــني أن التفكـــير الفقهي المتعارف في الحوزات العلميـــة الإســـلامية طـــال القـــرون الماضيـــة كـــاف بالفعل لحل كل أزمة سياسية أو اقتصاديـــة أو اجتماعيـــة محليـــة أو دوليـــة, بـــدون مساهمة الجامعـــات؟

الذي نؤمن به هو أن الفقه المبتني على المرجعية الحيـــة الصالحـــة يضمـــن ســـعادة الإنسان, وهو ميراث الأنبياء. ولكن, يجب الانتبـــاه إلى أمريـــن :

أولاً : غنى هذا القه هو غـــنى أســـلوبه وأسســـه ومعايـــيره. وهـــذا لا يعـــني أن الفتاوى الصادرة والأحكام الموجودة تكشف الستار عن كل أمـــر مغلـــق.

ثانياً : إن تركيز الفقه الشيعي علـــى المرجـــع الحـــي , ورفـــض تقليـــد المرجـــع المتوفى خير دليل على لـــزوم ممارســـة الفقـــه, وحضـــور الفقيـــه علـــى الأرض وفي ساحة العمل, ليأخذ من المصادر الفقهية ما هو مطلوب, ويتلقـــى مـــن المســـتجدات الجارية في أرض الواقع ما هو موجود, ثم يؤلـــف بينـــهما, ويصـــدر حكمـــا يدفـــع

---

[٩٥٧] النساء ١٠٠

"بالواقع الموجود" نحو "الحق المطلوب", حتى يمثـــل واقعيـــة الإســـلام ومثاليتـــه في آن واحـد.

من هذا المنطلق, نحن نؤمن بضـــــرورة مســـاهمة الحـــوزة والجامعـــة في تصميـــم إدارةٍ للمجتمع, ونظامٍ للحكم, يقوم علــــى حـــوزات تغذيـــها باســـتراتيجية القيـــم الإلهية الثابتة مدى الدهر, وينقذ الفرد والمجتمع مــــن ظلمــــات الكفـــر والاســـتكبار إلى نور الإيمان والسعادة والكمال,كما يقوم علــــى جامعـــات تزودهـــا بتكتيكـــات عملية حديثة تتطور وتختلف باختلاف الأزمنة والأمكنـــة , وتتعـــامل مـــع متغـــيرات المجتمع البشـــري.

واختصاص القضايا الاستراتيجية بـــالحوزات والأمـــور التكتيكيـــة بالجامعـــات, رغم أنه يعطي القول الفصل للحوزة ويجعلها اليـــد الفضلـــى في الحيـــاة وشـــؤونها, فلا يقلل ـــ ويجب أن لا يقلل ـــ من شـــأن التفكـــير الجـــامعي, ودور الجامعـــة في إيناع هذه الثمرة الميمونة, لأنـــه لا منـــاص لتحقيـــق الاســـتراتيجي إلا بـــالتكتيك, على غرار ما نعتقد به من عدم استقرار الإيمان إلا في وعـــاء العمـــل الصـــالح"[٩٥٨].

ملاحظـة :

ذهب السيد محمد خاتمي (رئيس الجمهوريـــة الإســـلامية في إيـــران حاليـــاً) إلى ضرورة تفكيك أصل الدين عن فهمنا للدين واعتبـــار الأول مقدســـاً والثـــاني غـــير مقدس. وفيه نظر من وجـــوه :

أولاً : لأن هذا الرأي في الأساس وفي العمق بمعـــنى انتســـاب الثـــابت والمقـــدس إلى الله, وانقطاع المتحول والمتغير عنه. والقول بأن ما هـــو ثـــابت فـــهو لله (أصـــل الدين) وما هو متغير فهو للإنسان (فهمنا عن الدين), يذكرنا بمقولـــة أعـــط مـــا لله

[٩٥٨] محمد خاقاني (المؤلف) ــ الحوزة والجامعة بين الماضي والحاضر ــ مجلة الرصد ــ العدد ٥٨

لله وما لقيصر لقيصر. لكن القرآن يقول: ((قل كـــل مـــن عنـــد الله))[959]. فالثـــابت لله والمتغـــير لله.

إن تفكيك حوزة الله عن الإنسان ينسجم مع مقولتين مـــن آراء المعتزلـــة همـــا : فكرة ***التفويض***, وأصل ***التتريه***. هذا الرأي يتزّهـــه عـــن انتســـاب الإرادة الإنســـانية والفعل الاختيارى (بما فيها من الفهم المتطور للإنسان) إليـــه. هـــذا لا ينســـجم مـــع موقف الشيعة أي التشبيه في عين التتريه والتتريه ضمـــن التشـــبيه.

ثانياً : إن اعتبار أصل الدين مقدساً والفهم المتغـــير الإنســـاني عـــن الديـــن غـــير مقدس, يعني أن في عصر غيبة الإمام المعصوم (الـــذي لـــه الحـــق فقـــط في تحديـــد أصل الدّين عبر علمه الذاتيّ اللدني) لا يوجد دين بـــين النـــاس, وكـــل مـــا يســـمى بالدين هو الفهم الغير المقدس للدين. معنا هـــذا حرمـــان أهـــم المراحـــل التاريخيـــة للمجتمع البشري من أصل الدين, وهي مرحلة غيبة المعصوم التي تعـــبر عـــن بلـــوغ الفكر الإنساني, ووصوله إلى درجة استنطاق النص المقـــدس والتحـــاور معـــه.

ثالثاً : لو كان المقدس ملخّصاً في الثـــابت غـــير المتغـــير, فكيـــف يـــبرر نســـخ الشرائع المقدسة السماوية واحدة تلـــو الأخـــرى, وحـــتى نســـخ بعـــض الآيـــات القرآنية بالبعض الآخر ؟ والله أعلـــم.

١٣٢ ـــ الروحية/الزمنية

في معادلة : ***الروحية/الزمنية*** , يحسن بنا أن ننظر إلى خلفية الفصـــل بـــين هذيـــن المســـلرين :

---

[959] النساء ٧٨

"إن فصل السلطة الزمنية عن السلطة الدينية ليس من الإسلام في شيء. بل هو نتاج المعركة بين الكنيسة والتقدم العلمي في الغرب الذي انتصر عليها, وأقصاها عن ممارسة أي دور في أمور السلطة الزمنية, وحصرها ضمن حوزات الكنائس وأماكن العبادة لا غير"[٩٦٠].

لكن رأياً آخر ينفي أن يكون هذا الفصل ــ حتى في صميم الثقافة الغربية ــ جذرياً, ويرى أن العلمانية لم تحلّ قيماً أخرى بدل القيم الدينية, غاية الأمر أنها صاغتها بصياغة عقلية لتحررها من أيدي رجال الكنيسة :

"إذا تأملنا بعمق في طبيعة العلمانية الغربية, لوجدنا أن استقلال السلطة الزمنية, أي تحريرها من وطأة الكنيسة التي كانت تسعى إلى إخضاعها وربطها بعجلتها ومصالحها الدنيوية كمؤسسة اجتماعية سائدة, لم يعن, وما كان له أن يعني استبدال القيم والتصورات السائدة في المجتمع المسيحي بقيم ومفاهيم ورموز مخالفة كليا ومناقضة للدين السائد. إذ, أنى لها أن تأتي بقيم لا تعرفها ولا يعرفها المجتمع الذي نبعت منه ؟ لقد جعلت من القيم السائدة قيماً علمانية, أي سحبتها من يد الكنيسة ومن وصايتها, وجعلتها قيماً اجتماعية مدنية خاضعة للعقل ومستمدة منه, سواء ما تعلق منها بالأحوال الشخصية أو بالأسماء أو بالتقاليد أو برؤية العالم الشملة, أو بالأخلاقيات. وأضافت إليها قيما جديدة حقوقية أو ايديولوجية مستمدة من الثقافة الغربية غير الدينية, حيث لم تجد مماثلا لها في المسيحية".[٩٦١]

---

[٩٦٠] الشيخ محمد توفيق المقداد ــ رد بعض الشبهات عن ولاية الفقيه ــ السفير ــ ٩٨/١/٨

[٩٦١] د. برهان غليون ــ اغتيال العقل ــ ٢٢٧

هذا كان وجهة نظرٍ عن وحدة خفية بين الكنيسة والعلمانيين حول القيم في عالم الغرب.

ثم بدأ أمر التفاعل بين الدين والعلمانية يتجاوز الغرب, ليجد صداه في سائر الأوسط :

"الكلام على العلمانية لا يعني البتة نفي الدين... وكما أنه لا يمكن للإنسان أن ينسلخ عن ناسويته...فلا يمكن أيضا أن يتجرد عن منازعة القدسية الغيبية, وإن ظن ذلك, فالقدسي هو عنصر من عناصر الوعي والغيبي هو مبدأ من مباديء الإجتماع, وبهذا المعنى لا اجتماع أكان حديثاً أم قديماً يخلو من أبعاد غيبية قدسية...ولا اجتماع بلا عقيدة ولاعقيدة إلاّ وتحيل إلى غائب"[962] .

أما على مستوى الإسلام, وأحوال الساحة الإسلامية المعاصرة, فقد بات الاعتراف بتفاعل الإسلام وتعامله مع الحكم والسياسة أمراً واضحاً :

"إن الإسلاميين يضعون السياسة في صلب مشروعهم. بإعلانهم (أن الإسلام هو الحل) يتفقون مع الزعيم الإيراني خامنئي بأن الإسلام (غني بالتعليمات المتعلقة بإدارة شؤون الدولة الإقتصادية وإقامة صلات وعلاقات إجتماعية بين الناس وكذلك لإدارة شؤون الأسرة)"[963].

"في الاجتماع الإسلامي, حيث الإسلام في عقيدة معتنقيه دين ودولة في آن، لم يعرف هذا الاجتماع حركة في تاريخه قامت على مبدأ الفصل بين الدين والدولة. بل جاءءت كدعوة للعودة إلى مباديء الإسلام وشريعته في وجه السلطات التي كانت تنحرف عن إقامة العدل المستأثرة بالسلطة. وهذا ما أدى

---

[962] علي حرب ــ نقد الحقيقة ــ ٧٠

[963] دانيال بايبس ــ العقل الغربي للإسلام المتطرف ــ السفير

إلى تعقيد العلاقة بين الإسلام والعلمنة. وقد زاد الأمـــر تعقيـداً نشـوء الحاجـة في عصرنا الراهن إلى قيام الدولة الحديثة, وهي دولة علمانيـــة بطبعـــها"[٩٦٤].

والتأكيد على لزوم الدمج بـين الإسـلام والحكـم وصـل إلى درجـة, ادعـى البعض أنه ليس عند "الأصوليين" نابعاً من القناعـــة والإيمـان, بمقـدار مـا يكـون نابعاً من القناعة بعدم تناسب أي حكم مع ثقافة الناس غـــير الإسـلام :

"حسبما يلاحظ مسؤول مصري رفيـــع, فـإن الإسـلام بالنسـبة للأصوليـين (ليس عبارة عن قواعد في السلوك أو العبادة بل هو نظـــام حكـم) ويـرى أوليفـر روي... (أن العودة للإسلام بالنسبة لكثير منهم كـان مردّهـا تجربتـهم السياسـية وليس نتيجة اعتقادهم الديـــني)". [٩٦٥]

في أجواء هذه الآراء المتضاربة, موقفنـا نحـن مـن معادلـة ***الروحيـة/الزمنيـة*** يتلخص في ما قاله منظّر منهجية "أمر بين أمريـن : ***الإمـام الخميـني***(ره) , حيـث قال : "*والله أن الأخـلاق في الإسـلام كلـها سياسـية. والله أن السياسـة كلـها أخلاق*"[٩٦٦]. إن الدفاع عن الأخـلاق عـن طريـق عـزل المتدينـين عـن الإدارة والحكم, هو عمل غير أخلاقي بحت, يفتح باب المجتمع البشـري بمصراعيـه لجنـود الشيطان والمدراء غير مهذبين أن يحكموا على رقـاب النـاس.

---

[٩٦٤] العلامة محمد حسن الأمين ــ العلمنة والدين والدولة ــ قراءة في الإشكاليات ــ السفير ــ ٩٧/١٢/١٩

[٩٦٥] دانيال بايبس ــ العقل الغربي للإسلام المتطرف ــ السفير

[٩٦٦] السيد عباس نور الدين ــ سفر إلى الملكوت ــ ١٩

تتفق جماعة من المثقفين مع بول شاوول على أن : "الأصوليات هي ماضوية"[٩٦٧]. وترى أن "أحد أوجه أزمة الثقافة العربية أننا ندرس ونلقن ثقافة الانتصار في عصر الهزيمة[٩٦٨] . وتفسر سبب "العودة إلى الأصولية على أنه : "الخوف من مواجهة العالم من دون أية منهجية جاهزة"[٩٦٩].

وقد يكون الحق مع جاك بيرك عندما يعزو مشكلة الإسلام الكبرى اليوم إلى: "الطلاق الذي قد يتدهور بين مواقف العقيدة وبين السير الفعلي للعالم، بل السير الفعلي للعالم الإسلامي نفسه".

ولا نخفي نحن أيضاً معاناتنا من عدم جريان " الذكر الحقيقي الذي يحول الذكريات إلى مستقبل"، ومن عدم تحقق رابط عملي "بين الحداثة والأصالة".

لكن هل أن هذا الواقع المؤسف الذي يعيشه أكثر البلدان الإسلامية في عدم ربط الماضي بالمستقبل والحداثة بالعراقة يعود إلى القرآن "بنصه المؤسس" (حسب تعبير جاك بيرك) ؟ أن أم سببه هو سيطرة أنظمة سياسية وثقافية غير صالحة، لا تمت بصلة إلى الإسلام والقرآن ، وإن كان بعضها يختفي تحت قناع القرآن كحبر على ورق، دون أي التزام بنهجه وتخطيطه لحياة الفرد والمجتمع ؟

---

[٩٦٧] السفير ـ ٩٦/١١/١٥

[٩٦٨] حسن حنفي ـ النهضة العربية ـ النور ٧٩ ـ كانون الأول ٩٧

[٩٦٩] مطاع صفدي ـ السفير ـ ٩٦/١١/١٥

والقرآن نفسه يعاقبهم بقوله ((وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم))[970]، و((إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم))[971].

ويتوقع جاك بيرك من الإسلام أن يقترح "حلول ممكنة لهذه التحديدات"، إذا أراد أن يثبت أهليته للعصر الراهن عدم جموده في التراث. لكن إن كان يقصد بها تحديد المبادىء والأسس الثابتة لتفسير المتغيرات والتجاوب معها، فالقرآن كفيل بهذا الأمر، والنص القرآني حافل بهذه المبادىء في مختلف شؤون الحياة.

أما أن يتوقع من هذه الحلول أجوبة جاهزة لكل أمر مستجد في مراحل تطور المجتمع البشري, فالقرآن لم يترل لهذا الغرض الذي فيه إلغاء لدور العقل والتجربة والممارسة العقلية التي نعتبرها جزء لا يتجزء من ديانة الإسلام، سواءً في تبيين الأصول والعقائد، أو في تطبيق الفروع والمناسك. وهل هناك مدرسة أخرى تدعى امتلاك هكذا حلول جاهزة"[972].

في جدلية ***التراث/التجديد***, يرى بعض المفكرين أن العالم الإسلامي اليوم يتوزع بين نوعين من الخطاب:

"***الأول : الخطاب الإسلامي*** التقليدي الذي يعرف كيف يقول وكيف يخاطب الناس بالإسلام وبالتراث, ولكنه لايعرف ماذا يقول.

---

[970] محمد ٣٨

[971] الرعد ١١

[972] محمد خاقاني (المؤلف) ــ نقد لكتاب : إعادة قراءة القرآن ــ مجلة المنطلق

الثاني : وهو ***الخطاب العلماني*** الـذي يعـرف مـاذا يقـول, لكنـه لا يعـرف كيف يقول. ونحن الآن نحاول أن نجـد خطابـاً ثالثـاً يعـرف كيـف يقـول... ويعرف ماذا يقـول"[٩٧٣].

نحن لا نشك أن بناء المستقبل يتطلـب حـواراً مـع المـاضي, وفـهماً لثقافـة المجتمع, الذي تمتد جذوره في ماضيه, لذلـك :

"أن تجيد الثقافة أية ثقافة لا يمكن أن يتـم إلا مـن داخلـها : بإعـادة بناءهـا وممارسة الحداثة في معطياتها وتاريخها والتماس وجوه من الفـهم والتـأويل لمسـارها تسمح بربط الحاضر بالماضي في اتجـاه المسـتقبل"[٩٧٤].

لكن الحوار مع الماضي أو "مساءلة الحـاضر للمـاضي" كمـا يقـول مورخـو (الحوليات) الفرنسية "تفترض أن أسئلة الحاضر لا تجد جواها في المـاضي, بـل أنهـا تجد في الماضي حقلاً معرفياً يغنيها ويثريها بعناصر جديـدة. أي الحركـة الرجوعيـة (حركة الذهاب والإياب الدائمة بين الحـاضر والمـاضي ـ مـارك بلـوخ) تولّـد أسئلة جديدة ومعرفة جديدة وهكـذا".[٩٧٥]

إن الإسلام الذي ندعو إليه ليس سـلفياً, بـل يـأخذ أصولـه مـن تـراث لا يتلخص في الماضي (لأنه يفوق الزمن), وليس مع الانفصـال عـن الهويـة والـتراث, لأن *المنفصل عن هويته* ((كشجرة خبيثة اجتثت مـن فـوق الأرض مـا لهـا مـن قـرار))[٩٧٦].

---

[٩٧٣] حوار مع المفكر المصري حسن حنفي ـ السفير ـ ٩٦/٧/٤

[٩٧٤] محمد عابد الجابري (في ندوة : العرب والعولمة) بيروت ـ السفير ـ ٩٧/١٢/٢٠

[٩٧٥] وجيه كوثراني ـ الجابري ووصفة العقلانية الجاهزة من عند ابن رشد ـ السفير ـ ٩٧/١٢/٢٠

[٩٧٦] إبراهيم ٢٦

قد نجد مثالا مناسباً عن طي ثنائية ***التراث/التجديد*** في سائق يركز على الطريق الممتد "*أمامه*" عند قيادة سيارته, لكنه بين حين وآخر يلقي نظرة عابرة إلى مرآة السيارة ليرى ما يقع "*خلفه*" من سيارات أخرى قد تسبقه من يمينه أو شماله, ولا بد أن يكون على معرفة بأوضاعهم ونسبهم. هذا الالتفات اليسير إلى الخلف ليس لأجل الرجوع إلى الخلف, وإنما لأجل الاهتداء إلى الأمام. اهتمام الإسلام بالماضي ودراسة التاريخ في منهجية القرآن ليس للتقوقع في الماضي والعيش في قلاع التراث, بل لاستخلاص العبر وبناء مستقبل أفضل من التراث.

و"ليس ثمة جدوى في العودة إلى ماضينا فقط من أجل العودة فهذا ارتداد. علينا أن نعود إلى ماضينا من أجل التعرف بشكل أفضل على أنفسنا ومن أجل التعرف على توصيفنا وفهم ثقافتنا"[٩٧٧].

"تعالوا نستلهم الإمام الصادق في نهجه الصادق , لنقول : ***لا أصالة ولا تجديد, لا أصولية ولا حداثة, بل أمر بين أمرين.*** نحن مع الأصالة التي لا تنفتح على الجديد فحسب , بل تنتج الجديد, كما ينتج أصل الشجرة فروعها, فتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها . ونحن مع الجديد الذي لا يقتلع عن جذوره , بل يتعلق به ويتقوى به ويتغذى به , ويرى في انفصاله عن أصله هدماً لأساسه ودماراً لكيانه.

الأصيل عندنا, هو الذي ينتج الجديد. والثابت عندنا, هو الذي يخلق المتغير, ويحرك المتحرك . والمقدس المتره عن الزمان, هو الذي يداول الأيام,

---

[٩٧٧] السيد محمد خاتمي في كلمة أمام منظمة المؤتمر الإسلامي

ويرسم خط الزمـــان, هـــو الـــذي يقلـــب القلـــوب والأبصـــار, ويحـــول الحـــول والأحـــوال.

يكفينا أن نعرف: ما الذي يجب أن يبقى ثابتاً؟ ومـــا الـــذي يمكـــن أن يتغـــير , أو يجب أن يتغير؟ وأظن أن القرآن ليس صامتاً أمام السؤال : ((مثـــــل كلمـــة طيبـــة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعـــها في الســـماء))[٩٧٨] .

يبقى أن نعرف: ما هو الأصل, ليبقـــى ثابتـــاً ؟ ومـــا هـــو الفـــرع , ليتجـــدد ويتطور ؟ علمونا من زمان, أن للدين أصولاً وفروعـــاً, ولكـــن بـــدون الدخـــول في التفاصيل, أود أن أشير أن علم الكـــلام, الـــذي يتبـــنى شـــرح الأصـــول والدفـــاع عنها, هو أيضاً لم ينعزل عن التجديد . واليوم, علماء الكـــلام الإســـلامي لا يـــرون بدأ من التجديد في علم الكلام, للإجابة عن الأسئلة الـــتي تفيـــض بغـــزارة وفي كـــل لحظة, من الآفاق التي تفتحها البحوث العلمية والدراســـــات الجديـــدة.

قد يبعث على الاستغراب, أن نرى أن معظـــم الأصوليـــين المتدينـــين يرفضـــون التجديد, وفي نفس الوقت يدعون إلى ديانات كان أنبياؤهـــا ومبلغيـــها مـــن دعـــاة التجديد. الدين عند الله الإسلام . كان ولا يزال هو الإسلام. لكـــن الشـــرائع الـــتي نزلت لتطبيق هذا الدين, تجددت وتطورت بتطور المجتمـــع البشـــري. وكـــل شـــريعة نسخت الشريعة السابقة. حتى برز الإسلام, وأثبـــت التجديـــد في أطـــوار المجتمـــع البشري ضرورته في الإسلام بالذات. ونزلت آيـــات في كتـــاب الله العزيـــز, تنســـخ آيات أخرى سبقتها في الزمان. ((ما ننسخ من آية أو ننســـها نـــأت بخـــير منـــها أو مثلها))[٩٧٩]. ومع أن القرآن لم يتعرض للنســـخ بكتـــاب آخـــر وشـــريعة أخـــرى,

---

[٩٧٨] إبراهيم ٢٤

[٩٧٩] البقرة ١٠٦

ولكن وصف القرآن بأنه حمال أوجه , فـاحتمل قـراآت تتطـور وتتكـامل يومـاً بعد يـوم.

الأصوليون الرافضون للتجديد, يدعون إلى سيرة الأنبيـاء, وقـد لا يـدرون أو يتجاهلون, بأن الأنبياء والمرسلين (عليهم صلوات الله) الذيـن هـم أسـاس الأصالـة في الدين, هم حملوا راية التجديد والإصلاح, وهـم تعرضـوا أكـثر مـن غـيرهم لمخالفيهم الذين كانوا يقولون : ((إنا وجدنا آباءنا على أمـة وإنـا علـى آثـارهم مـهتدون))[٩٨٠],[٩٨١] .

١٣٤ــ العولمة/الخصخصة

النوايا الخبيثة التي تحشد قـوى الغطرسـة وسـلطات الاسـتكبار للدفـاع عـن "العولـمة" واضحـة كالشـمس في إجراءاتهـم القمعيـة ونشـاطاتهم السياسـية والعسكرية التي تظهر أحيانـاً في أنمـاط مـن الإبـادة الجماعيـة لبعـض الأقـوام المغضوبة, وتطويقهم للبعض الآخر. وهذا لا يبقي المجـال للنقـاد إلا في جـو مفعـم بالتشـاؤم :

"العولمة هي من دون شك أرقى انجاز عمراني في تـاريخ البشـرية. لكـن لـو لم يُفقد الأمن والأمان في ظلها لكانت استقبلت بطريقة أخـرى مـن قبـل الشـعوب. ولو لم يكن النفاق الرأسمالي ديدنها ومعدنها لجـدت ثقافتـها وحضارتهـا وعقيدتهـا

[٩٨٠] الزخرف ٢٢

[٩٨١] محمد خاقاني (المؤلف) ــ الأصالة والتجديد في الواقع والمرتجى ــ السفير ــ ١٩٩٩/١/٢٢

الفكرية. لكنها خواء من الناحية الإنسانية, ومجرد صدى تكنولوجي متطور جداً لأخلاق وثقافة انكشارية (بالمقارنة مع ثقافة القرن المنصرم). ومع ذلك نقول إن العولمة عمياء. وإنها سيرة الطوطم المعدني الذي تعبده، وإنها قد تحفر لصانعيها قبورهم بأن تفتح من حيث لا تدري, ومن حيث لا تبغي أبواباً واسعة أمام اتحاد " الكادحين تحت" من كل الشعوب في مواجهة "الرازحين فوق". نعم، قد تتجلى رسالتها الكبرى في أن تفعل ذلك في يوم من الأيام"[٩٨٢].

لكن رأياً آخر أقل تشاؤماً يؤكد على ضرورة الفصل بين "*العولمة*" و"*العالمية*" :

"العولمة التي يجري الحديث عنها الآن : نظام أو نسق ذو أبعاد تتجاوز دائرة الإقتصاد... وهي ليست مجرد آلية من آليات التطور الرأسمالي، بل هي أيضاً للدرجة الأولى ايديولوجيا تعكس ادارة الهيمنة على العالم... العولمة (Globalisation) إرادة للهيمنة, وبالتالي قمع واقصاء للخصوصي. أما العالمية (Uninersalism) فهي طموح إلى الإرتفاع بالخصوصية إلى مستوى عالمي. العولمة احتواء للعالم. والعالمية تفتح على ماهو عالمي وكوني"[٩٨٣].

مدرسة "*امر بين امرين*" ترى في "*العالمية*" أرضية لازمة لفتح الحوار والتفاعل بين الشعوب, ولتحقيق الدعوة القرآنية إلى : ((كلمة سواء))[٩٨٤], ولكن شرط أن تنطوي في الطرف الآخر للمعادلة أي : "*الإقليم*" , بمعنى أن لا

---

[٩٨٢] د. فؤاد مرعي ـــ في ما يتعدى النقد والتفكيك ـــ السفير ـــ ٩٨/٥/٢٦

[٩٨٣] محمد عابد الجابري(الباحث المغربي) ـــ ندوة : العرب والعولمة (في بيروت) ـــ السفير ـــ ٩٧/١٢/٢٤

[٩٨٤] قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)) ـــ آل عمران ٦٤

تلغي خصوصيات الأقوام والثقافات والحضارات. فالدعوة الإسلامية العالمية التي توّجت خطاباتها بـ "((يا أيها الناس)), لا تعترف بهذه الخصوصيات فحسب, بل تراها آيات تبعث على الفكر. قال تعالى : ((ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين))[985]. وقال : ((يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير))[986].

١٣٥ ـ السلم/الحرب

إن التداخل بين طرفي معادلة : ***السلم/الحرب*** يمكن أن يتبلور في شكلين مختلفين :

١ ـ أن يكون ***السلام*** يحتضن في أعماقه حالة **حرب** حقيقية كامنة. وتوضيحه أن :

الكتل العسكرية وقوات الغطرسة العالمية خاضت معارك دامية لفرض إرادتها وسحب قرار الآخرين لصالحها في فترات من الزمن, واستسلمت أحياناً أخرى للسلم عبر قبول اتفاقيات السلام والهدنة الموقعة رسمياً أو المقبولة عرفاً. ولكن, كيف يمكن تحقق السلم بين أطراف لا يهمها إلا مصالحها الاقتصادية والعسكرية والأمنية؟ كل ما يسمى بالسلام في هذه الحال ينطوي في طياتها على

---

[985] الروم ٢٢

[986] الحجرات ١٣

حرب حقيقية تقضي مراحل تطورها الجنيني لترى النـــور عـــاجلا أم آجـــلا. لـــذا , يمكن القول أن الحرب ملأت حيزا واسعا من العلاقـــات الدوليـــة, ليـــس فقـــط في ساحة الحروب الدامية, بل في دبلوماسية الســـلام أيضـــا :

"إن الدبلوماسية قد أصبحت في عصرنـــا الحـــاضر اســـتمرارا للحـــرب بوســـائل أخرى. وذلك يعني أن السياسة الخارجيـــة أصبحـــت تلجـــأ إلى مختلـــف الوســـائل وعلى رأسها الدبلوماسية, في عملية اختبار القوى؛ تلـــك العمليـــة الـــتي أصبحـــت قاعدة لفهم العلاقات الدولية المعـــاصرة.

وتوضيح ذلك هو أن كل دولة تتمتع بمجموعـــة مـــن الإمكانيـــات الاقتصاديـــة والبشرية والمادية والعسكرية والاستراتيجية تشكل قـــدرة تلـــك الدولـــة في مواجهـــة قدرات الدول الأخرى, التي تقاسمها حرية الفعـــل والتحـــرك علـــى رقعـــة الكـــرة الأرضية. وبنتيجة هذا الوضع , تنشأ في السياسة حالـــة مـــن الـــتراع المســـتمر بـــين الدول, تراوح في اشكالها بـــين المواجهـــة العســـكرية العنيفـــة والمواجهـــة المدنيـــة (Civile) الهادئـــة.

وفي كلتا الحالتين, ترجح قدرة الدولة ـــ أي مجموع القوى الـــتي تتمتـــع بهـــا ـــ كفة المنتصر. ففي المواجهة العســـكرية تـــبرز في الصـــف الأمـــامي قـــوة الســـلاح المدعومة ببقية القوى التي تساندها في العمق. وأمـــا في المواجهـــة المدنيـــة, فتـــبرز في الصف الأمامي القوة السياسية الدبلوماسية المدعومة ببقيـــة القـــوى الـــتي تســـاندها من وراء الكواليس. هناك إذن، وفي كلا الحالين، عمليـــة عـــرض للقـــوى واختبـــار لقوى الآخريـــن.

غير أن المواجهة العسكرية في الوقـــت الحـــاضر، بـــين الأطـــراف الرئيســـية في العالم, والتي توجه السياسة الدوليـــة أو تؤثـــر عليـــها علـــى الأقـــل، بـــاتت شـــبه مستحيلة. لأن الأسلحة التي يملكها كل من "العملاقين", من شـــأنها أن تجعـــل مـــن

تلك المواجهة ــ إذا حصلت ــ عملية انتحار ذاتي جماعي, يخشى الخوض فيها كل منهما. وهذا ما أدى إلى استبدال عملي للحرب الساخنة بما يسمى بالحرب الباردة التي، إن لم يكرسها قانون أو اتفاق مكتوب وضعي, فقد كرسها العرف والممارسة. لذلك فان الحرب الباردة قد أوجدت حقلا جديدا لمجريات الدبلوماسية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ".[987]

٢ ــ أن تكون الحرب في الواجهة, لكنها تشمل في طياتها سلاما حقيقيا, وتكون الغاية الأساسية من هذه الحرب إنتاج سلام واقعي من خاصرة الحرب يتضمن مخاضا عسيرا للأم وولدها في نفس الوقت. وتوضيحه أن جنود الرحمان وعباد الله مكلفون تكليفا إلهيا مقدسا بالخوض في معركة تستوعب جميع آفاق التاريخ وأبعاد الجغرافيا, لأنها تكرست داخليا في جذور كل من أفراد الإنسان : ((فألهمها فجورها وتقواها))[988] , وامتدت خارجيا من بدء التاريخ في صراع قابيل ضد هابيل, إلى نهايات التاريخ وبدء ظهور المهدي(ع). وقد أكد القرآن في ما يقارب ٣٠٠ من آياته على وجوب الخوض في هذا العراك, منها : ((يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم))[989] , ((واقتلوهم حيث ثقفتموهم))[990] .

إلا أن معركة الحق ضد الباطل ليست لأجل الحرب, بل لأجل السلام, وطردا لأعداء السلام. وليست لأجل النقمة, بل لأجل الرحمة. قال تعالى :

---

[987] د. ادونيس العكرة ــ من الدبلوماسية إلى الإستراتيجية ــ ٤٤

[988] الشمس ٨

[989] التوبة ٧٣

[990] البقرة ١٩١

((ورحمتي وسعت كل شيء))[991]. والرحمة الإلهية الـــتي تتضمـــن الســـلام الحقيقـــي تشمل في داخلها نقمة وانتقاما من المظلومين. والسور القرآنيـــة الـــتي تتعـــاطى مـــع الحرب وتخاطب الكافرين والمنافقين, تبتدء بسم الله "الرحمــــن الرحيـــم".

ملاحظــة :

تندرج في ثنائية : ***الحرب/الســـلم*** معادلـــة : ***الشـــدة/الرحمـــة***. قـــال تـــعالى : ((محمد رسول الله, والذين معه أشداء على الكفـــار رحمـــاء بينـــهم))[992]. وقـــال : ((فلا تتخذوا منهم أوليـــاء))[993].

١٣٦ ــ الديمقراطية/الاستبداد

يتفق بعض المنفتحين الجـــامعيين مـــع بعـــض المتشـــددين الحوزويـــين علـــى أن الديموقراطية نتاج غربي يهدف إلى التحرر من أية لغـــة أخلاقيـــة أو مرجعيـــة دينيـــة مستقلة. كمثال , يمكن مشاهدة هذا الاتفـــاق بمقارنـــة الفقـــرة الأولى مـــع الفقـــرة الثانية :

١ ــ "لقد انتهت مع حلول الديموقراطيـــة الحديثـــة مفـــاهيم الشـــرعية وحلـــت مفاهيم السيادة مكانها، أما صورة الشعب الذي يتجادل في ما بينـــه بمـــا هـــو عـــادل أو غير عادل بالطريقة نفسها التي تتجادل بها الجماعة العلميـــة, فليســـت مـــن زمـــن

---

[991] الأعراف ١٥٦

[992] الفتح ٢٩

[993] النساء ٨٩

الحداثة كما يعتقد ليوتار, بل من زمن كان يدعو إليه أفلاطون في قديم الزمان. وبات الآن من الأوهام المترافقة مع الديموقراطية, حيث لم يعد ترسيخ سيادة السلطة يتطلب اللجوء إلى أي لغة أخلاقية أو دينية مرجعية مستقلة عنها : إن السلطة الحديثة تعين حقوق الإنسان ومفاهيم الحرية والسلام وفقا لسيادتها, من دون اللجوء إلى أي مرجعية متعالية عن السياسي ــ التاريخي"[٩٩٤].

٢ ــ ينص البرنامج السياسي ــ الاجتماعي للزعيم الأصولي الأفغانستاني "قلب الدين حكمتيار" على ما يلي:

"إن الإسلام والديموقراطية لا يترافقان أو يتماشيان مع بعضهما البعض. ستكون أفغانستان دولة إسلامية مشددة. ستقوم فئة من الرجال الحكماء بتكييف القوانين مع الإسلام, وستحظر المشروبات الروحية كلها, وتعود المرأة إلى البيت مجددا, ويتسلم الملاءات السلطة" [٩٩٥].

يلتقي فوكوياما مع هذا الفصل بين الدين والديموقراطية بقوله : "المواطن النموذجي للديمقراطية الليبرالية... يتخلى عن الإيمان المتعجرف بقيمته"[٩٩٦].

لكننا نتحفظ أمام هذا الفصل الصارم, ونرى أن ***الديمقراطية*** ليس إلا نوعا من أنواع الاحتكام إلى العقل البشري المدعوم بمقولة ***"الشورى"***.

لا شك أن قوى الغطرسة والاستكبار تحاول أن تستغل الديمقراطية وتجردها من قيمتها, لكن هذا لا يحط من قيمتها في جوهرها, لأن هذه المؤامرات

---

[٩٩٤] نظير جاهل ــ أوهام الديموقراطية ــ ١٣

[٩٩٥] صادق جلال العظم ــ الإسلام والعلمانية ــ السفير ــ ٩٦/٣/٢٧

[٩٩٦] فوكوياما ــ نهاية التاريخ ــ ٣٢

حيكت أيضا لاستغلال الدين لصالح المستكبرين طيلة التاريخ, و لم تقدر أن تمس بجوهر الدين.

لكن الديمقراطية أو الشورى في مدرسة *"أمر بين أمرين"* لا يمكنها أن تغلق يد الحاكم الصالح أن يفذلك آراء الخبراء والمتخصصين عبر الشورى ويفذلكها في قرار نهائي, ويفرض رأيه على المجتمع, بناء على ما يفهم من الآية الشريفة : ((وشاورهم في الأمر, فإذا عزمت فتوكل على الله))[٩٩٧], حيث خصت الحاكم وحده بالعزم. وإن شئت أن تسمي هذا "استبدادا" فسمه, واعتبره تداخلا وانطواء لمعادلة الديمقراطية/الاستبداد, لكن شريطة أن لا تفترض هذا النوع من الاستبداد نفس ما يعمل به في الأنظمة الفردية والدكتاتورية القائمة على نهب ثروات الشعب وخياراتهم من قبل الحاكم, لأن أية خطوة من هذا النوع يسلب مشروعية الولي الفقيه الذي ندعو إلى تخصيصه بالحكم في عصر غيبة الإمام المعصوم.

ثم إن تأجيل الديمقراطية من أجل الإستقلال أو من أجل العلمانية أو الإسراع في حدثنة النظام, ومكننة المجتمع وسائر الذرائع من هذا القبيل, والتي تعرقل دوما تحقيقها على الأرض, يتطلب تحديد سلم أولويات القيم. هذا السلم راجع برأينا إلى تراتب القيم والأوصاف الذاتية والفعلية في الله وتسلسل الأسماء الحسنى. ولأن الحرية والاختيار يندرج في صميم صفة "القدرة", وهي من أهم الصفات الذاتية, فلا بد من تضمين حريات الناس وحقوقهم المشروعة, وعدم المساس بها حتى بحجة تطبيق النظام الإسلامي وإجراء العدالة, لأن العدالة نعتبرها من الصفات الإلهية الفعلية التي تتأخر عن الصفات الذاتية. والدليل على

---

[٩٩٧] آل عمران ١٥٩

هذا المدعا أن الآية الشريفة التالية تضع مسؤولية إجراء القسط على عاتق الناس, لا الحكم وحده : ((لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط))[٩٩٨].

١٣٧ ـ الحوار/الصدام

الحوار حاجة نابعة من صميم النفس. يؤكد على هذا مؤسس علم التحليل النفسي "سيغموند فرويد", عندما يرد في مقال على رسالة, كان قد بعث بها إليه العالم الفيزيائي "ألبرت اينشتاين", يستوضحه فيها عن سبب صراع الحوارات بين البشر. فكان جواب "فرويد" إليه : أن الحوار هو من أهم الضرورات البشرية من أجل بقاء الإنسان ضمن دائرة للتعقل والاتزان. لذلك, فمن واجب كل فرد, أن يفتش عن شخص آخر يتحاور معه باستمرار. لأن انقطاع الحوار مع الغير, من شأنه أن يدخل المرء في حوار داخلي مع نفسه, مما يوقعه في سلسلة من الإرباكات والتعقيدات النفسية والعقلية المدمرة، الأمر الذي يقود في كثير من الأحيان إلى حالات من الجنون وربما إلى الانتحار".[٩٩٩]

ورغم أن افتراض أية حاجة لله تعالى مستحيل, ولكن عرفانيا يمكن القول بأن الله تعالى هو أيضا يحاور, ليس من منطلق الحاجة, بل من منطلق "الحب

---

[٩٩٨] الحديد ٢٥

[٩٩٩] راجع : مصطفى زين ـ مأساة العباقرة وهجرة الأنبياء ـ السفير ـ ٩٨/١/٩

الذاتي" الذي يتطلب اكتشاف الذات للـذات : *"كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف , فخلقت الخلق لكي أعرف"* ـ الحديث.

والحوار الإلهي لم ينحصر بالحديث مع أنبيائه (ع) مباشرا أم غير مباشر, بل شمل غير الأنبياء أيضا : ((وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه))[1000], وتعدى الإنسان ليشمل الملائكة : ((وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة))[1001], وليطال الشيطان أيضا : ((قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أاستكبرت أم كنت من العالين))[1002], والحيوانات والحشرات: ((وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون))[1003], وحتى الطبيعة والأجسام : ((ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين))[1004].

والحوار تكليف إلهي على عاتق الإنسان : ((قل تعالوا إلى كلمة سواء))[1005].

ولكن المسلم الذي يدعو ***للحوار***, لا يترك ***البندقية*** في نفس الوقت : ((وإذا **كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا** سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم

[1000] القصص ٧

[1001] البقرة ٣٠

[1002] ص ٧٥

[1003] النحل ٦٨

[1004] فصلت ١١

[1005] آل عمران ٦٤

وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحـــدة))[١٠٠٦], لإيمانــه بــأن جميــع البشــر ليســوا مستعدين للتجاوب مع الحوار, وإنما يخططون لأجل الصــــدام : ((يــا أيــها الذيــن آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يــألونكم خبــالا ودوا مــا عنتــم قــد بــدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهــم أكــبر))[١٠٠٧].

وهنا يظهر رمز التداخل بين الحوار والصدام في مدرسة : *"أمــر بــين أمريــن"*.

ملاحظـة :

تندرج في معادلة : ***الحوار/الصــــدام*** ثنائيــة *طــهارة المؤمــن/نجاســة الكــافر, والتولي/التبري, والحب/البغض* , والولايــة /العــدواة : ((إنــا بــرآء منكــم وممــا تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكــم العــداوة والبغضــاء أبــدا حــتى تؤمنوا بالله وحــده))[١٠٠٨].

١٣٨ ـــ الشعبية/النخبوية

القطيعة (بين المثقف والشعب) عنوان لأحــد المــآزق اللاجتماعيــة والثقافيــة في العصر الراهن, فالمثقف النخبة أحيانا يقيس نفسه بــالآخرين, يعجبــه مــا يمتلكــه في داخله من أفكار أو عواطف أو قدرات أو فنون. وانشغاله بما لديــه يخلــق لــه جــوا ينغلق فيه, ويمنعه من الامتزاج بفئات الشعب وطبقات النــاس, الذيــن ينظــر إليــهم

[١٠٠٦] النساء ١٠٢

[١٠٠٧] آل عمران ١١٨

[١٠٠٨] الممتحنة ٤

الآن بنظرة دونية وبنرجسية ثقافية أو اجتماعية, وفي لحظة ما يحـــس بانقطـــاع كـــل الأواصر التي تربطه بالنـــاس.

الأفكار التنويرية التي كان من شأنها أن يجعل المثقف منفتحا أمـــام كـــل الآفـــاق وكل الحقائق, تصبح شرنقة ينسجها حواليه, لينغلـــق في صميـــم الـــذات :

"والنخبة تدعي الانفتاح، لكن المنفتح" قد ينغلـــق بانفتاحـــه الأعمـــى, كمـــا أن المنغلق قد ينفتح فيما هو يحدد وينغلق. إذ لا هوية إلا وتبـــدي انغلاقـــا وانفتاحـــا في آن...وإذا كان الغزالي ينقبض وينغلق في كتبه الكلاميـــة والجداليـــة, فإنـــه ينبســـط وينفتح على رحاب الحقيقة والمعنى في كتبه الصوفيـــة والعرفانيـــة".[١٠٠٩]

أما منهجية *امر بين امرين*" فقد تجمع بـــين الشـــعبية والنخبويـــة في آن, لكـــن ضمن ضوابطها التوحيدية. فالمثقف المســـلم حينمـــا يعمـــل لأجـــل فتـــح أوســـع العلاقات, بينه وبين فئات الشعب, لـــيزودهم بمعارفـــه ويـــتزود منـــهم بتجـــارهم, يعمل أيضا لترتيب علاقات خاصة مـــع نخبـــة مـــن الأخيـــار والأبـــرار الذيـــن لا يقتنعون بالمستوى العام وبالتقـــاليد والطقـــوس الشـــعبية والخرافيـــة الســـائدة بـــين الشعب, بل يتطلعون إلى كمال أعلى وفضاء أرقى, وقـــد يـــرى ضروريـــا أن يفتـــح علاقات مع نخبة النخبة وأخص الخـــواص.

والقرآن يقر بوجود هذه المجموعـــات المختلفـــة المســـتوى عـــبر الحديـــث عـــن "الناس" الذين يقسمهم إلى "المسلمين"و"الكافرين" والمنافقين", ليقســـم في مـــا بعـــد المسلمين إلى "المؤمنـــين" و"المتقـــين" والصـــالحين والمخلصـــين و... والكـــافرين إلى "الطالحين والمترفين والمســـتكبرين و...

[١٠٠٩] علي حرب ــ نقد الحقيقة ــ ٨٧

الناس في رسم العلاقات الاجتماعية مع الآخرين علــى أصنــاف مختلفــة, منــهم من يرسم هذه الصلات بمعيار إنساني, وهــو مستعد لأقامــة العلاقــات مــع أي شخص أو فئة بغض النظر عن عقائده وميوله وانتماءاته, ومنــهم مــن يــأخذ بعــين الاعتبار معايير مذهبية أو قومية أو طبقيــة وغيرهــا.

والأصوليون المتشددون في مبدأ الالتزام لا ينحصرون في أتبــاع الأديــان, لأننــا : "نجد على سبيل المثال الأصولية في الأيديولوجيات محدثة قوميــة وليبراليــة وأمميــة. كما نجد السلوك الدهري والمادي. حتى الملحــد في الأصوليــة المتشــددة"[١٠١٠].

والمفكرون أيضا على أصنــاف مختلفــة في فتــح العلاقــات والانفتــاح علــى الآخرين, حسب الدائرة التي يعيشون في أجوائها. والدوائــر تختلــف عــن بعضــها البعض في السعة والضيــق.

فدائرة الفقه بطبيعتها أضيق من دائرة الكــلام, إذ إن الفقيــه يشــتغل في مســار عمله بالنص المقدس الذي يفرض تكليفا مقدسا علــى الفقيــه ومــن يقلــده. لكــن المتكلم المنشغل بأصول العقائد يبحث دوما عن حجــج ودلائــل تسـكت الخصــم وتلزمه على الاستســلام.

ودائرة الكلام أضيق من حــوزة الفلســفة, لأن المتكلــم لا يعتــني إلا بــأصول العقيدة ومبادىء الدين, هذا هو العلم, والبــاقي فضــل.أمــا الفيلســوف فيبحــث عن: "أحوال الموجود بما هو موجود", فمساحة حوزتــــه تشــمل الوجــود برمتــه, وعليه أن يتعرف على أعم الأصول لينفتح على كل هــذا الوجــود :

[١٠١٠] د.جميل قاسم ـ العلمانية : المختلف والمؤتلف

"الفيلسوف يهتم بالإنسان الكوني كبيت بلا جدران (وبيت الفيلسوف أصلا مفتوح لاجدران له)"[1011].

أما نطاق العرفان, فهو الأوسع مطلقا, لأن انفتاحه على كل الوجود يبتني على أصالة الوحدة والتوحيد, وعليه فهو يضفي صفات الله وأسمائه على كل الكائنات, ويرى كل شيء مظهرا لجمال الحق وكماله, فيلتذ بانفتاحه على العالم لأن من يخرق حجاب ظاهر العالم يرى أن "الحق ظاهر ما غاب قط, والعالم غائب ما ظهر قط"[1012]:

"لا مراء في أن المقال الفلسفي يتمتع برحابة وانفتاح لا نعهدهما في الخطاب الكلامي والفقهي... والعقل في الكلام هو عقل قطعي وحيد الجانب, يميل دوما إلى الإنغلاق وينحو إلى التحزب". وإن كانت الفلسفة لا تخلو بدورها من تحزب...لأن المعيار الفلسفي ذو طابع علمي بل خلقي في الإجمال. فهو يصنف الأفراد والجماعات إلى فاضل وغير فاضل كما هو واضح في (آراء أهل المدينة الفاضلة)...أما الانفتاح الكلي فلا نجده إلا في المقال الصوفي... وهو أكثر رحابة وأصالة...فالحق أي الوجود بذاته ليس واحدا عند أرباب الطريقة وبخاصة عند ابن عربي بل كثير ومتعدد (ويجمع بين الأضداد). وهو (محدد بكل حد). إنه الأحد والكل والواحد والكثير والأول والآخر والظاهر والباطن والغائب والشاهد...وكل تعين لا تعين. وكل حضور غيب. وكل بقاء فناء...فإن الصوفي إذا ينظر إلى الحق (الله) بوصفه عين ذاته وعين الأشياء, يرى

[1011] كمال البكاري ــ السفير ــ ٩٨/٢/١٧

[1012] محيي الدين بن عربي

إليه من خلال كل تعيناته ونسبه وإضافاتـــه...فـهو يتوحـد مـع كـل الأديـان ويتعرف إلى الله في كل معتقـد".[1013]

ولكن, هل يعـني هـذا أن المذاهـب كلـها صحيحـة والآراء كلـها حقـة, والأفكار كلها صائبة كما ذهب إليه أحد دعاة الانفتـاح بقولـه : "فـلا مجـال إذن لأن يخطيء الواحد الآخر, مادام كـلام الله يتسـع للمثـل والمختلـف وللموافـق والمعارض في آن. ففيه الأمر والعقل والإلهـام والدليـل والخـبر والنظـر والإجمـاع والرأي والجبر والتفويض والقدوم والحدوث والملـك والملكـوت. إذن فيـه الديـن والدنيـا"[1014]؟

الجواب سلبي في مدرسة "*أمـر بـين أمريـن*". لأن توحيـد طـرفي معادلـة : ***الانفتاح/الالتزام*** يقضي بانفتاح العارف في الدائـرة الكـبرى وفي الرؤيـة الشـاملة لعالم الوجود. وفي نفس الوقت , يؤكد علـى ضـرورة الـتزام الفقيـه في الدوائـر الصغرى كوجوب النهي عن المنكر الـذي يدعـوه إلى الوقـوف بوجـه المجرمـين ومرتكبي المنكرات وعدم الإنفتاح لهـم.

هذا, وإن الانفتاح للآخرين يجب أن يتبنى علـى القيـم المشـتركة : ((قـل يـا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننـا وبينكـم ألا نعبـد إلا الله ولا نشـرك بـه شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضـا أربابـا مـن دون الله))[1015]. هـذا ليـس بالانفتـاح المطلق.

[1013] علي حرب ــ نقد الحقيقة ــ ٤٢ ــ ٣٩

[1014] المصدر السابق ــ ٤٥

[1015] آل عمران ٦٤

ولأن مراتب الوجود متداخلة في نظـــام الدوائـــر, فينبغـــي أن تكـــون علاقـــات الإنسان أيضا نسخة من هذه الدوائر والمستويات المنطويـــة في بعضـــها البعـــض.

يبدو أن الآية الشريفة التاليـــة تشـــير إلى هـــذه الدوائـــر المتداخلـــة في إقامـــة الروابط التي يحتاج بعضها إلى مزيد من الصبر والمصابرة : ((يـــا أيـــها الذيـــن آمنـــوا اصبروا وصابروا ورابطـــوا))[1016].

ملاحظـات :

الآية المباركة : ((بل يريـــد الإنســـان ليفجـــر أمامـــه))[1017] توحـــي بانفتـــاح الإنسان بما هو إنسان, وسعيه لرفض كل ما يعتبره مانعـــا ومقيـــدا لحرياتـــه.

والآية المباركة : ((تلك حدود الله فلا تعتدوها))[1018] تصـــرح بضـــرورة التقيـــد والالتزام "بحدود الله". لكن اللافت للنظـــر أن "الحـــدود" أضيفـــت إلى الله الـــذي لا حد له,لأنه وجود مطلق, وهذا قد يعني أن حـــدود الله هـــي في حقيقتـــها وباطنـــها ليست حدودا لتقييد إرادة الفرد, بل هي حدود للإصر والأغـــلال الـــتي تكبـــل يـــد الإنسان وتعرقل طريقه إلى الكمال. ومن لا يلتزم بحـــدود الله ويتعداهـــا هـــو الـــذي بالحقيقة يتقيد, لأنه : "ما من حرية في معصيـــة الله" وهـــو الـــذي ينغلـــق, ويظـــهر حقيقة هذا الانغلاق في الآخرة : ((خذوه فغلـــوه ثم الجحيـــم صلـــوه ثم في سلســـلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه إنه كان لا يؤمن بـــالله العظيـــم))[1019].

[1016] آل عمران ٢٠٠

[1017] القيامة ٥

[1018] البقرة ٢٢٩

[1019] الحاقة ٣٠-٣٤

١٤٠ ـ ***الاشتراك/الاختلاف***

ازدواجية ***الاشتراك/الاختلاف*** عندما تـــدرس علـى الصعيـد العـام في نظـام الوجـود, تـؤول إلى معادلـة ***الوحـدة/الكـثرة*** مـن جـانب , وإلى ثنائيـة ***التشبيه/التعزيه*** من جانب آخر , وقد درسـناهما سـابقا.

أما على صعيد الإنسان, فيمكن أن تشمل أحـد أمريـن :

١ ـ علاقة الإنسان بالعالم, فمدرستنا تميل إلى طي هـذه الثنائيـة, لأن :

"العلاقة بين الإنسان والعالم تقوم على نوع مـن التمـاثل, كمـا تقـوم علـى نوع من الإختلاف. والاختلاف في هذه الحالة كيفـي لا كمـي، فحقـائق العـالم توجد بكاملها في الإنسان والفارق أنها في الإنسـان في حلـة الإجتمـاع بينمـا في العالم من حالة افتراق وتشـتت"[١٠٢٠].

وقد درس بعض العلماء ***نقاط الاختلاف*** بـين الإنسـان وكـل مـا يوجـد في العالم, وتوصـل إلى أن:

"الإنسان عرف نفسه بتعاريف شتى لا يشملها قاسـم مشـترك، منـها حيـوان ناطق، أو ضاحك، أو إلهي، أو مدني بـالطبع، أو فيـه انطـوى العـالم الأكـبر، أو أفضل من الملائكة، أو أخبث من الشيطان، وقـال سـارتر زعيـم الوجوديـين : أو وجود الإنسان عبث زائد الحاجـة.

وقال آخر : إنه الكائن الذي يسـتطيع أن يكـذب . وقـالت الملائكـة : إنـه يفسد في الأرض، ويسفك الدماء، كما صرحت الآية ٣٩ مـن سـورة البقـرة .

[١٠٢٠] نصر حامد أبو زيد ـ فلسفة التأويل ـ ١٥٩

وقال بعض الصوفية : إن الإنسان خليفة الله في أرضه صـــورة ومعـــنى .

وفي جانب ***نقاط الاشتراك***, اعتقد البعض الآخر بـــأن أصنـــاف الحيـــوان كلـــها ليست إلا صورا للملكات النفسانية المختبئة في صميـــم النفـــس الإنســـانية, ولهـــذا سمي الإنسان بالكون الجامع, ومن أروع ما قيل في هذا "الاشـــتراك" : مـــا جـــاء في كتاب "مصباح الأنس" لبن حمزة في شرح "مفتاح الغيـــب" للقونـــوي :

"إن في الإنسان خاصية المعادن، وهـــي الكـــون والفســـاد، وخاصيـــة النبـــات، وهي النمو والغذاء، وخاصية الحيوان، وهي الحـــس والحركـــة، وخاصيـــة الإنســـان، وهي الفكر والادراك، وخاصية الملائكة، وهي الطاعـــة والحيـــاة.

فالإنسان يتملق كالكلب والهر ، ويحتـــال كـــالعنكبوت ، ويتســـلح كـــالقنفذ ، ويهرب كالطير، ويتحصن كالحشرات ، ويعـــدو كـــالغزال ، ويبطـــيء كـــالدب ، ويسرق كالفأرة [١٠٢١]، ويفتخر كالطاووس ، ويحقد كـــالجمل ، ويتحمـــل كـــالبقر ، ويشمس كالبغل ، ويغرد كالطـــير ، ويحـــرص كالخـــنزير ، ويصـــبر كالحمـــار ، وينفع كالنحل ، ويصر كالعقرب ، وهو شجاع كالأســـد ، وجبـــان كـــالأرنب ، وأنيس كالحمام ، وخبيث كـــالثعلب ، وســـليم كـــالحمل ، وابكـــم كـــالحوت ، وشؤم كـــالبوم"[١٠٢٢] .

٢ ــــ علاقته بسائر الناس في المجتمع البشـــري.

[١٠٢١] نقل أن نفس الحلاج كانت تعدو خلفه على صورة الفأر تارة ، وعلى صورة الثعلب أخرى ، وعلى صورة الكلب حينا ، وان محمد عليان الصوفي خرجت نفسه من حلقه على هيئة ثعلب صغير.

[١٠٢٢] "مصباح الأنس" لابن حمزة في شرح "مفتاح الغيب" للقونوي ــــ ص ٣١٥ ــــ نقلا عن : محمد جـــواد مغنية ــــ معالم الفلسفة الإسلامية ــــ ٢٣٨

فنرى أن التداخل بين الاشتراك والاختلاف إجمـــالا موضـــع قبـــول عـــام بـــين أرباب الفكر والنظـــر :

"إن الهوية تعكس تشابها وفرادة في آن واحد. والروايــــة الشـــعبية تقـــول : كـــل شخص من نواح معينة هــــو :

١ـــ يشبه سائر الناس (ذو سمات إنســـانية عالميـــة).

٢ـــ يشبه أشخاصا معينين آخرين (يشترك في صفـــات مـــع شـــرائح اجتماعيـــة معينة).

٣ـــ لا يشبه أي شخص آخر (له شخصية خاصـــة بـــه) ".[١٠٢٣]

والثقافة الإسلامية في آيات وروايات كثـــيرة كالآيـــات المباركـــة التاليـــة تقبـــل مبدأ الاختـــلاف:

- ((ولايزالون مختلفين)) / هـــود ١١٨
- ((انظر كيف فضلنا بعضهم على بعـــض)) / الإســـراء ٢١
- ((..وجعلناكم شعوبا)) / الحجـــرات ١٣
- ((إن سعيكم لشتى)) / الليل ٤
- ((..واختلاف ألسنتكم وألوانكـــم)) / الـــروم ٢٢
- "الناس معادن كمعادن الذهب والفضـــة" ـــ الحديـــث.

لكنها في نفس الوقت تنهى عن التنـــازع وعـــدم التفـــرق, وتـــأمر بالاعتصـــام بحبل الله والاتحـــاد :

- ((ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكـــم)) / الأنفـــال ٤٦

[١٠٢٣] د. رشاد عبد الله الشامي ـــ اشكالية الهوية في إسرائيل ـــ ٩

• ((واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقـــوا)) / آل عمـــران ١٠٣

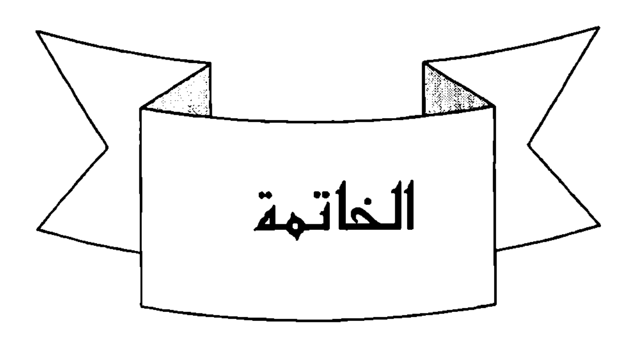
مما يوحي بأن الاختلاف المقبــول عنــد الإســلام هــو الــذي لا يتنــاف مــع الاشتراك والاتحاد, وهذا ما تبغيه مدرسة "*أمر بــين أمريــن*".

ولأن الحديث في هذا الفصل يدور في عالم الفكــر والثنائيــات الثقافيــة, لذلــك نختم جولتنا بفكر نستمده من القرآن, , ونطوي بــه بســاط الحديــث عــن "***طــي الثنائيات***", وهو أنــه :

يمكن تسري الآيــة الشــريفة : ((أنــزل مــن الســماء مــاء فســالت أوديــة بقدرها))[١٠٢٤] إلى كل المشارب الفلســفية والفــرق الكلاميــة والمــدارس المتنوعــة الفكرية (باعتبار شمول لفظة المــاء في القــرآن للعلــم), والاعتقــاد بجريــان الحــق بدرجات مختلفة في كل منها, حتى في حقيقــة الشــيطان باعتبــاره مظــهرا لأحــد الأسماء الإلهية وهو إسم (المضل). طبعا القول بتمظــهر اســم (المضــل) في الشــيطان لا يدعونا إلى التكيــف والانســجام معــه, لأن الاشــتراك مــع الحــق لا ينــاقض الإختلاف مع ما يصفه الله نفسه بالشر في قولــه : ((مــن شــر مــا خلــق))[١٠٢٥]. ونحن أمرنا أن ندعو الله بأسماء الحسنى وليس مطلــق الأسمــاء.

[١٠٢٤] الرعد ١٧

[١٠٢٥]


الخاتمة

الخـــاتمـــة :

مقارنة بين منطق *"الإيلاج والإخراج"*, ومنـــهج *"التفكيـك"* :

ثمة مدرسة من المدارس الحديثة, تدعـــو إلى تجـــاوز الخلافـــات في التعـــاطي مـــع ثنائيات الكون, هي : *"المدرسة التفكيكيـــة"*. أود نقدهـــا في "الخاتمـــة", ***لتوافقـــها نسبيا*** مع نهج هذه الأطروحة في الجولة التأويلية (الإيلاجيـــة), ***وتخالفـــها كليـــا*** مـــع نهجنا في الجولة التفسيرية (الإخراجيـــة).

كيف تنظر المدرسة التفكيكية إلى قـــراءة النـــص ؟ :

"لقد بين "جاك دريدا" بمنهجه التفكيكي (وهو يســـعى إلى تفكيـــك المعـــنى) أن النص ليس ساحة بيانات, بل ساحة تباينات. وأنه مجـــال للتوتـــر والتعـــارض وحـــيز للتبعثر والتشتت. وذلك حيث يتولد دوما عـــن القـــراءة تفكـــك البنيـــة وانفجـــار المعنى وتشظي الهويـــة"[١٠٢٦].

عند التفكيكيين : "كل بحث ينطوي على ضـــرب مـــن التفكيـــك. لأن البحـــث يقوم على التحليل, والتحليل إنما هو تفكيك الموضـــوع إلى عنـــاصره. فـــلا منـــاص إذن من التفكيـــك".[١٠٢٧]

[١٠٢٦] كريم أبو حلاوة قراءة في كتاب (أطياف ماركس) لجاك دريدا ـــ السفير

[١٠٢٧] علي حرب ـــ نقد الحقيقة ـــ ٥٠

"إننا نحيا الآن في طور جديد من الحداثة, هو الطور الذي يسميه البعض : "*ما بعد الحداثة*". نعم, يطغي على هذا الطور النقد بمعناه التفكيكي. ولكن ينجم عن هذا التفكيك تدليل جديد يتم به رأي المعنى. معنى النقد أن ارائه القديمة قد حدثت, ولا بد من تفكيكها".[١٠٢٨] والتفكيك يكشف المحجوب, ويفضح المستور...ويكشف الجوانب اللامعقولة في خطاباتنا العقلانية... إنه يكشف العورات عند من يريد التستر على عجزه وتصوره.

هذا التفكيك يتجاوز قراءة النص, ليشمل قراءة الكون والوجود :

"يقدم دريدا نقده المستند إلى منهجه التفكيكي لمتافيزيقيا الوعي، القائم على رفض الثنائيات التقليدية للفلسفة مثل : ***الذات/الموضوع، الروح/الجسد، والواقع/المثال***".[١٠٢٩]

من هنا يكشف دريدا عن بطلان النظرة التي تقلق الواقع على المثال كما فعل فوكوياما, لجعله النظام الديمقراطي الليبرالي الغاية المتحققة للتاريخ ومثاله الأخير والأوحد.

ويقوم نقد التفكيكين لفلسفة الذاتية والتعالي على أنها : "تركز على حقيقة ثابتة متعالية يقبض عليها القول, أو نسق معرفي يتصف بالإحكام والوثوق, أو نظرية كبرى تفسر كل شيء, أو أدلوجة شاملة تضع حلا سحريا لكل مشكلة, وهذا وهم كبير وضلال مبين على ما كشفت عنه المحلولات الفلسفية النقدية".[١٠٣٠]

[١٠٢٨] المصدر السابق ــ ١٣٦

[١٠٢٩] كريم أبو حلاوة قراءة في كتاب (أطياف ماركس) لجاك دريدا ــ السفير

[١٠٣٠] علي حرب ــ نقد الحقيقة ــ ١٤٢

في رأيي, إن هذا التفكيك لابـــد مـــن تفكيكـــه. وأصحـــاب هـــذه المدرســـة معرضون للتفكيك, ويجب أن يلـــتزموا بقـــاعدهم.

خطابي إلى التفكيكية الوجودية أن انفتاح الله للكون لا يعـــني انفتـــاح الكـــثرات أمام ما يضادهـــا :

((وما يســـتوي الأعمـــى والبصـــير, ولا الظلمـــات ولا النـــور, ولا الظـــل ولا الحرور, وما يستوي الأحياء ولا الأموات, إن الله يســـمع مـــن يشـــاء ومـــا أنـــت بمسمع من في القبـــور)).[١٠٣١]

"ينهض التصور الإسلامي للوجود على مجموعة مـــن الثنائيـــات المؤسســـة الـــتي تجعل المفارقة واضحة بين الإلهي والإنســـاني وبـــين الحقيقـــة والخيـــال وبـــين المـــتره والمجسم والمرئي واللامرئـــي...الخ.

إلا أن هذه الثنائيـــات الصارمـــة قـــد خضعـــت بدورهـــا للتـــأويل في الفكـــر الإسلامي اللاحق، مانحة لها بذلك (ســـواء باتبـــاع النظـــر الفلســـفي أو الصـــوفي) مصداقية عقلية أو مفككة لعنادها بـــالتخييل البـــاطني".[١٠٣٢]

نحن نرى أن مظاهر التنـــوع والفـــوارق والبنيـــات المشـــبكة غـــير المتناهيـــة في الإنسان الكبير (عالم الوجود) وفي العالم الصغير (الإنســـان) كلـــها مظـــاهر لأسمـــاء الله الحسنى التي لا تعد ولا تحصـــى.

لكنها تتداخل وتمتزج في ركـــائز أساســـية; ثم تتوحـــد وتســـتهلك في جنـــاب الحق وحضرة الكمال مطلق. كما أن أنواعا لا تعد ولا تحصى مـــن الألـــوان تنبثـــق من قائمة الألوان الرئيسية (التي تتراوح بين ثلاثة وســـبعة ألـــوان). وهـــي بدورهـــا

[١٠٣١] فاطر من ١٩ إلى ٢٢

[١٠٣٢] فريد الزاهي (باحث مغربي) ـــ مفارقة الصورة بين الإسلام والتاريخ الإسلامي ـــ السفير ٩٧/١/١٠

تصدر من صميم النور الذي لا لون ولا صبغة له في حد ذاته, وبه تنصبغ الأشياء كلها : ((صبغة الله, ومن أحسن من الله صبغة)).[١٠٣٣]

والقرآن يعترف بالثنائية والازدواجية, ويصفها أساسا لصدور العالم من الله تعالى : ((ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون))[١٠٣٤]. ويقبل الاختلاف : ((لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا))[١٠٣٥].

وفي دعاء جوشن الكبير : "يا من جعل الأشياء أزواجا !"

لكن هذه الثنائية المعبر عنها "***بالشفع***" يجتمع "***بالوتر***" : ((والشفع والوتر))[١٠٣٦], والكثرة تتحقق بالوحدة التي تحتضن جميع الكثرات, حتى ثنائية : ***الله/الإنسان*** فيما يمكن تسميته ***بنظام المرايا*** :

"يعد العالم بالنسبة إلى ابن عربي مرآة كبرى عاكسة لعظمة الذات الإلهية. ففيها تنعكس أسماؤه بالشكل نفسه الذي يغدو الحق بدوره مرآة تنعكس فيها الموجودات. هذه العلاقة المرآوية تجعل العلاقة بين الحق والكائن علاقة خيال بخيال, يرتبطان جدليا في وجودهما الواحد بالآخر في تجربة رؤية لا لكل الرؤى. يقول ابن عربي في الفتوحات المكية: "فهو مرآتك في رؤيتك نفسه, وأنت مرآته في رؤيته أسماءه وظهور أحكامها". إن العلاقة بين العلوي والكائن الدنيوي تغدو بهذا المعنى علاقة بين مرايا تضعف إحداهما الأخرى وتكشف إحداهما في الأخرى عمقها".

[١٠٣٣] البقرة ٢ / ١٣٨

[١٠٣٤] الذاريات ٥١ / ٤٩

[١٠٣٥] المائدة ٤ر٤٥ والشريعة تعني المنهج أو الطريق أو السبيل.

[١٠٣٦] الفجر ٨٩ / ٣

وقد تحدثت عن "*نظام المرايا*" في كتابي : "*بينات*" مـــا ملخصـــه أن :

الله واحد أحد بوحدة حقة مطلقة لا تشـــوبها كـــثرة .

لكن إطلاقه الذي يقضي بكونه كنزا مخفيا مجهولا في غايـــة الخفـــاء, هـــو بحـــد ذاته اقتضى كونه ظاهرا مشهودا معبـــودا محمـــودا.

تحقيق مشهوديته ومحموديته ومعبوديته يتم بالتمظـــهر في مـــرآة[١٠٣٧] يشـــهد فيـــها الله جماله وكماله. وحيث لا يصدر من الواحـــــد إلا الواحـــد, فلـــن تكـــون هـــذه المرآة إلا واحدة . هذه المرآة لا استقلال لها في تصوير صـــــورة الرائـــي ممـــا يؤكـــد

[١٠٣٧] " التمثيل بالنور يتناسب مع الوحدة التشكيكية في مراتب الوجود... وقد يستفاد في تبيين علاقة الوحدة بالكثرة من التمثيل بعلاقة الموج بالبحر, أو الظل بالشمس. لكن أيا من مثالي الموج والظل يضعان حدا للواقـع الذي يريدان تمثيله. المثال الوحيد الذي يبين حقيقة الوحدة وإطلاق الوجود, دون أي شرط وقيد, ولا يبقـــي حظا للكثرات إلا المجاز, هو مثال ((المرآة)) , الذي يتمسك به صدر المتألهين, بعد الانتهاء من مباحث العلـــة والمعلول. هذا التمثيل الذي ينسجم مع تعاليم القرآن في كون الأشياء آيات لله عرض للمرة الأولى عبر أهل بيت العصمة والطهارة (ع), حيث يسأل عمران الصابي الإمام علي بن موسى الرضا (ع) : " ألا تخبرني يـــا سيدي, هو في الخلق أم الخلق فيه؟" قال الرضا (ع) : "جل يا عمران عن ذلك. ليس هو في الخلق , ولا الخلـق فيهـ تعالى عن ذلك ـ . وسأعلمك ما تعرفه به , ولا حول ولا قوة إلا بالله : أخبرني عن المرآة, أنت فيها ؟ أم هي فيك؟ فإن كان ليس واحد منكما في صاحبه, فبأي شيء استدللت بها على نفسك؟" بعد ما صدر هـذا المثال عن أسرة الوحي, مثل به العرفاء قبل أية فئة أخرى. يقول عين القضاة الهمذاني : "لو لم يكن للحديـــد (المعدن) أية فائدة إلا إسهامه في صناعة المرآة, لكفى أن يقول الله : ((... ومنافع للناس))" . فالتمثيل بـالمرآة أكثر ظرافة من أي مثال آخر, إذ إن المرآة أمر واقع , في حين أنها لا حظ لها في الواقع ... وهي تختلف عـــن السراب, لأن السراب يدعو إلى نفسه في حين أنه كاذب في دعواه, بيد أن المرآة لا تدعو إلى نفســـها , بـــل تدعو إلى المرئي فيها, والسر في صدقها في دعواها, أنها لا تدعي لنفسها شيئا, لا تمتلك من نفســـها شـــيئا" . تحرير تمهيد القواعد ـــ ٢٢١

على "*عبوديتها*" (ولهذا لا يخاف من إشكالية حاجة الله إليـــــها), ولا شـــأن لهـــا إلا "إرسال" وإبلاغ الصورة , وهذا يؤكد علـــى "*رســـالتها*".

ولأن الوجود واحد يستحيل تعرض الكـــثرة عليـــه, فـــالتكثر الأول حصـــل في أول مظهر[١٠٣٨] تمرأى فيه الوجود المطلق / الغيـــب المحض[١٠٣٩]. فـــالحق المطلـــق رأى وجهه في مرآة مظهره الأول, وابتـــهج بقدرتـــه وخلقـــه [١٠٤٠]. ومظـــهره الأول أراد أن يرى نفسه في مرآة خالقه أي الغيب والبطون المطلـــق, فلـــم يســـتطع, واعـــترف بعجزه وفقـــره [١٠٤١].

و التكثر الثاني حصل بتقابل مرآتي البطون والظهور (تقـــابلا طوليـــا لا عرضيـــا، و الأدق أنه عمقي, لا طولي ولا عرضـــي).

وعندما تمرآى الغيب في الفيض الأول الذي تنزل منـــه, وتمـــرآى الفيـــض الأول في الغيب المفيض له, تحققت مجموعة متكثرة من الصـــور في تقـــابل المرآتـــين[١٠٤٢].

[١٠٣٨] فالتكثر يرجع إلى مظاهر الوجود وليس أصل الوجود.

[١٠٣٩] وهو ما سمي بالخلافة الكبرى.

[١٠٤٠] ((فتبارك الله أحسن الخالقين)) المومنون ١٤

الله تبارك وتعالى بارك نفسه مرتين في القرآن فقط: وهما مرتبطتان بخلق الإنسان : ((ثم خلقنا النطفة علقـة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخـــر فتبـــارك الله أحســـن الخالقين)) المؤمنون١٤ . ((الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين)) غافر ٦٤

[١٠٤١] (إلهنا ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك) ـــ الحديث .

[١٠٤٢] تجدر الإشارة إلى تفسير "صدر المتألهين" لأمر المرآة :

إشارة تمثيلية : واعلم أن أمر المرآة عجيب. وقد خلقها الله عبرة للناظرين... والصـــور (المرئيـــة في المـــرآة) موجودات لا بالذات بل بالعرض ...فوجودها في الخارج وجود الحكاية بما هي حكاية, وهكذا يكون وجـود الماهيات والطبايع الكلية عندنا في الخارج , فالكلي الطبيعي أي الماهية من حيث هي , موجود بالعرض , لأنـه حكاية الوجود , ليس معدوما مطلقا , كما عليه المتكلمون, ولا موجودا أصليا , كما عليه الحكماء , بل لـــه

وكما ظهر التكثر الأول عندما رأى الحق وجهه في "*الخليفة الكبرى*"، كذلك ظهر التكثر الثاني في إظهار الخليفة الكبرى نفسه في مرآت ما يلي بعده, وذلك هو "*الولاية العظمى*".

لكن هذه الولاية تتمثل بمجموعة من الأولياء, لَا بولي واحد. لأن وحدة الخليفة الكبرى كانت بتعلقه المباشر بوحدة الوجود والوجود الواحد. أما الولاية فتتحقق بعد تقابل مرآتي الظهور والبطون ولذلك تتمثل بمجموعة من الأولياء.

وتشهد بهذا *قائمة الأعداد*:

حيث الواحد هو فوق العدد [١٠٤٣], وهو البسيط المحض. وخليفة الواحد هو الاثنين. هذا هو التكثر الأول . ثم عندما يرى الواحد بساطته وغناه في تعدد الاثنين, ويرى الاثنين تركبه وفقره في بساطة الواحد, يتمرآى الواحد في الاثنين و الاثنين في الواحد ، ويكون الواحد داخلا في الاثنين لا بممازجة, وخارجا عن الاثنين لا بمزايلة. وتعرف الأشياء بأضدادها .

حينئذ يتم التقابل بين الواحد والاثنين (بين الوحدة والكثرة الأولى). ويتحقق التكثر الثاني, الذي لا يتلخص في الثلاثة, بل تتحقق مجموعة من

وجود ظلي ...وإن من شرح الله صدره للإسلام, وقذف في قلبه نور الإيمان يرى أن لله تعالى علما تابعا للمعلوم من صور حقائق الأسماء الإلهية, ويرى أن له علما متبوعا مقدما على إيجاد المعلوم من صور الموجودات العينية. فبإحدى عينيه يرى كونه تعالى مرآتا لصور الممكنات, وبالأخرى يرى كونها بحقائقها الوجودية مرائي وجهه , يشاهد فيها صور أسمائه تعالى" . الشواهد الربوبية ــ صدر المتألهين الشيرازي ــ ١ / ٤١

[١٠٤٣] لأن حقيقة العدد في التعدد و لا تعدد في الواحد.

الأرقام الآحاد, التي هي الأعداد الأصلية[1044]. كما تظـــهر مجموعـــة مـــن الصـــور في مقابلة المرآتـين.

كذلك, تشهد بهذا التراتب *قائمة الألـــوان* :

فالله هو النور المطلق. و بإطلاقه باطن خفي لنا, فـــلا تدركـــه الأبصـــار. وأول ما يظهر لنا من النور "في عالم الطبيعة", هو الضوء الذي ينطلـــق مـــن أصـــل النـــور المخفي الكامل في صميم الذرة أو الطاقة. والتكثر الثـــاني يتحقـــق بتجـــزي الضـــوء. وتظهر الألوان الأصلية التي تشتمل على مجموعـــة محـــددة مـــن الآحـــاد كـــالأعداد الأصليـة.

وإذا كان الرياضيون يعلمون عدد الآحاد, والفيزياويون يعلمـــون عـــدد الألـــوان الأصلية, فتحديد سر عدد الأولياء (صلوات الله عليـــهم) صعـــب, لا يعلمـــه إلا الله والراسخون في العلـــم.

أما التكثر الثالث فيحصل بتقابل مرايـــا الأوليـــاء, وتمظـــهر بعضـــها في البعـــض الآخر. فتتدفق مجموعـــة لا تعـــد ولا تحصـــى مـــن المظـــاهر المختلفـــة في الشـــدة والضعف، والمقولة بالتشـــكيك"[1045].

وكما أن في نظام المرايا تجتمع الكثرة بـــالوحدة, فكذلـــك في نظـــام "الإيـــلاج والإخـــواج" :

[1044] "الواحد أمر يبدع الكثرات بتطوراته وظهوراته, ونحن في تحليلنا للكثرات, لا نرى غير ذلك الواحد, لأن الواحد هو الذي يخلق الخمسة مثلا بتطوراته الخمسة, والعاشر هو التطور العشري للواحد, دون أن يضـــاف شيء إلى الواحد". آية الله جوادي آملي ـــ تحرير تمهيد القواعد ـــ ٧٨٤

[1045] محمد خاقاني (المؤلف) ـــ بينات

وإذا كان ***الإخراج*** هو أساس ***التكثير***, ولكن, ثمـــة ***إيـــلاج*** إلى جانبـــه, يســـبب ***التوحيـد*** :

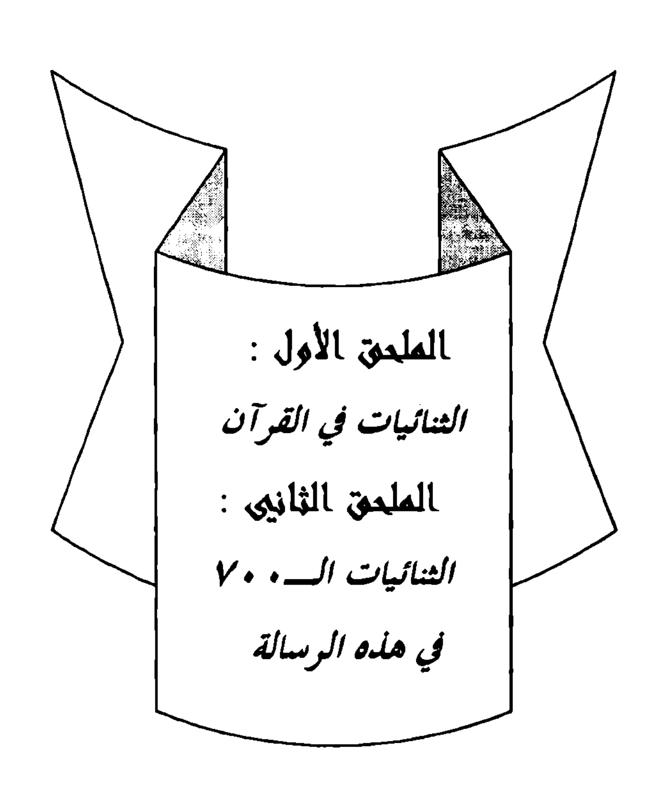
((يولج الليل في النهار ويولج النـــهار في الليـــل))[١٠٤٦]

((يخرج الحي من الميت ويخرج الميت مـــن الحـــي))[١٠٤٧]

وآخر دعوانا أن الحمـــد لله رب العـــالمين

[١٠٤٦] الحديد ٥٧ / ٦

[١٠٤٧] يونس ١٠ / ٣١


الملحق الأول :
الثنائيات في القرآن
الملحق الثاني :
الثنائيات الـ ٧٠٠
في هذه الرسالة

الملحق الأول : الثنائيات في القرآن

الإنسان/العالم		الأموال ــ الأنفس	وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله	الحجرات ١٥
الإنسان/العالم		الإنفاق ــ التثبيت	ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم...	البقرة ٢٦٥
الإنسان/العالم		الإنفاق ــ المن	الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى	البقرة ٢٦٢
الإنسان/العالم		الإنفاق ــ المضاعفة	مثل الذين ينفقون أموالهم ...والله يضاعف لمن يشاء	البقرة ٢٦١
الإنسان/العالم		الأرض ــ النفس	ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب	الحديد٢٢
الإنسان/العالم		المال ــ الابن	أن كان ذا مال وبنين	ن١٤
الإنسان/العالم		الأكل ــ الشرب	كلوا واشربوا من رزق الله	البقرة٥٨
الإنسان/العالم		التزكية ــ التدسية	قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها	الشمس ٩، ١٠
الإيمان/الكفر		الإيمان ــ الشرك	يهدي إلى الرشد فأمنا به ولن نشرك بربنا أحدا	الجن٢
الإيمان/الكفر		الإيمان ــ الكفر	فمن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون	الأنبياء٩٤
الإيمان/الكفر		الحج ــ الكفر	ولله على الناس حج البيت ... ومن كفر فالله غني عن العالمين	آل عمران ٩٧
الإيمان/الكفر		الإيمان ــ الصد	فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه	النساء ٥٥
الإيمان/الكفر		الإيمان ــ التكذيب	ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون	الأعراف٩٦
الإيمان/الكفر		الإيمان ــ الظلم	يا أيها الذين آمنوا أنفقوا والكافرون هم الظالمون	البقرة ٢٥٤
الإيمان/الكفر		الإيمان ــ النفاق	ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المومنين والمومنات	الأحزاب٧٣
الإيمان/الكفر		الإيمان ــ الفسق	أ فمن كان مومناً كمن كان فاسقاً لا يستوون	السجدة١٨
الإيمان/الكفر		الإسلام ــ القسط	وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون	الجن١٤
الإيمان/الكفر		الإيمان ــ الجحد	ومن هولاء لا يومن به وما يجحد بآيتنا إلا الكافرون	العنكبوت ٤
الإيمان/الكفر		الفسق ــ الإيمان	كذلك حقت كلمت ربك على الذين فسقوا أنهم لا يومنون	يونس٣٣
الإيمان/الكفر		الكفر ــ العمل	من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً فلأنفسهم	الروم٤٤

		الصالح	يهدون	
الإيمان/الكفر		الكفر ــ الغنى	ولله على الناس حج البيت ... ومن كفر فالله غني عن العالمين	آل عمران ٩٧
الإيمان/الكفر		التقوى ــ الكفر	فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا	المزمل١٧
الإيمان/الكفر		الكفر ــ الإيمان	وقل الحق في ربكم فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر	الكهف٢٩
الإيمان/الكفر		الشكر ــ الكفر	إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً	الإنسان٣
الإيمان/الكفر		الكفر ــ التولي	فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله	التغابن٦
الإيمان/الكفر		الإجرام ــ الإيمان	إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون	المطففين ٢٩
الإيمان/الكفر		الإسلام ــ الإجرام	أ فنجعل المسلمين كالمجرمين	ن٣٥
الإيمان/الكفر		الحنيفية ــ الشرك	حنفاء لله غير مشركين به	الحج٣١
الاتصال/الانفصال		الإيمان / التفرقة	آمن الرسول بما أنزل إليه..لا نفرق بين أحد من رسله	البقرة ٢٨٥
الاتصال/الانفصال		الاعتصام / التفرق	واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا	آل عمران ١٠٣
الاتصال/الانفصال		البعثرة / التحصيل	أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور ، وحصل ما في الصدور	العاديات٩، ١٠
الاتصال/الانفصال		التوديع ــ القلي	ما ودعك ربك وما قلى	الضحى ٣
الاتصال/الانفصال		الجز / التأليف	ألم تر أن الله يجز سحاباً ثم يولف بينه ثم يجعله ركاماً	النور٤٣
الاتصال/الانفصال		الجمع / التوفية	فكيف إذا جمعناهم.. ووفيت كل نفس ...	آل عمران ٢٥
الاتصال/الانفصال		الجمع / الشتات	ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً ..	النور٦١
الاتصال/الانفصال		الجمع ــ الميعاد	ربنا إنك جامع الناس ... إن الله لا يخلف الميعاد	آل عمران ٩
الاتصال/الانفصال		الحمل ــ الفصال	حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ...	الأحقاف١٥
الاتصال/الانفصال		الصف / البث	ونمارق مصفوفة ، وزرابي مبثوثة	الغاشية ١٥،١٦
الاتصال/الانفصال		العروة / الانفصام	فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها	البقرة ٢٥٦
الاتصال/الانفصال		الفصل / الجمع	هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين	المرسلات٣٨
الاتصال/الانفصال		القطع / الوصل	ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل	البقرة٢٦
الاتصال/الانفصال		المد / القطع	من كان يظن إن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ	الحج١٥
الاتصال/الانفصال		النقض / الميثاق	الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه	البقرة٢٦
الاتصال/الانفصال		النكاح / الطلاق	يأيها الذين آمنوا إذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن ..	الأحزاب٤٩
الاشتراك/الاختلاف		البينات ــ الاختلاف	ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا	البقرة ٢٥٣
الانفتاح/الالتزام		عدم الطاعة ــ المصاحبة	فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً	لقمان١٥

البقاء/الفناء		الكثرة ــ البتر	إنا أعطيناك الكوثر ... إن شانئك هو الأبتر	الكوثر ١, ٣
البقاء/الفناء		النفاد ــ البقاء	ما عندكم ينفد وما عند الله باق	النحل٩٦
التشبيه/التنزيه		التسبيح ــ الحمد	فسبح بحمد ربك	
التفسير/التأويل		الزيغ ــ التأويل	فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة	آل عمران ٧
الثابت/السيال		السعي / الإرساء	يسألونك عن الساعة أيان مرساها	النازعات ٤٢
الثابت/السيال	المحو/الإثبات	المس / الكشف	وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه.. فلما كشفنا عنه	يونس١٢
الثابت/السيال	سكون حركة	القعود / الجهاد	لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون	النساء ٩٥
الثابت/السيال		الدثور ــ القيام	يا أيها المدثر قم فأنذر	المدثر٢
الثابت/السيال	محو إثبات	الكفر ــ الإحباط	ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة	البقرة ٢١٧
الثابت/السيال	محو إثبات	المحو ــ التحقيق	ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلمته	الشورى٢٤
الثابت/السيال		الجري ــ الرسو	بسم الله مجراها ومرساها	هود٤١
الثابت/السيال	زوال حدوث	الإذهاب ــ الإتيان	إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد	فاطر١٦
الثابت/السيال	سكون حركة	القعود ــ القيام	او قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره	يونس١٢
الثابت/السيال	سكون حركة	الهمد ــ الاهتزاز	وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج	الحج٥
الثابت/السيال		الاستقرار ــ الاستيداع	ويعلم مستقرها ومستودعها	هود٦
الثابت/السيال	سكون حركة	المشي ــ القيام	كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا	البقرة١٩
الثابت/السيال		الحين ــ الدهر	هل أتى على الإنسان حين الدهر لم يكن شيئا مذكورا	الإنسان١
الثابت/السيال		الرحمانية ــ الرحيمية	بسم الله الرحمن الرحيم	
الثابت/السيال		التنزيل ــ الإنزال	نزل عليكم الكتاب بالحق ... وأنزل التوراة والإنجيل	آل عمران ٣
الثابت/السيال	محو إثبات	المحو ــ الإثبات	يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب	الرعد ٣٩
الثوابت/المتغيرات	الغاية/الوسيلة	الميثاق ــ الإقرار	وإذا أخذ الله ميثاق النبيين... قال أ أقررتم قالوا أقررنا	آل عمران ٨١
الثوابت/المتغيرات		الأصل ــ الفرع	مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء	إبراهيم٢٤
الثوابت/المتغيرات		الأصل ــ الفرع	ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء	إبراهيم٢٤
الثوابت/المتغيرات	غاية وسيلة	الدين ــ الكتابة	إذا تداينتم بدين إلى.... فاكتبوه	البقرة ٢٨٢
الثوابت/المتغيرات	غاية وسيلة	الخير ــ الإثم	...نملي لهم خيراً ... وإنما ليزدادوا إثماً ...	آل عمران ١٧٨

الثوابت/المتغيرات	غاية وسيلة	الذكر ـــ التبتل	واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا	المزمل٨
الثوابت/المتغيرات	غاية وسيلة	الحياة ـــ الرزق	بل أحياء عند ربهم يرزقون ...	آل عمران ١٦٩
الثوابت/المتغيرات	غاية وسيلة	الموعظة ـــ الانتهاء	فمن جاءه موعظة من ربه فانتهي فله ما سلف	البقرة ٢٧٥
الثوابت/المتغيرات	غاية وسيلة	الذكر ـــ التفكر	الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً ، وعلى جنوبهم ويتفكرون	آل عمران ١٩١
الجبر/التفويض		الهداية ـــ المشيئة	ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء	البقرة ٢٧٢
الجبر/التفويض		الطوع ـــ الكراهية	ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً	الرعد١٠
الجبر/التفويض		الابتلاءـ التمحيص	وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم	آل عمران ١٥٤
الجبر/التفويض		التمحيص ـــ المحق	وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين	آل عمران ١٤١
الجبر/التفويض		الإكراه ـــ الدين	لا إكراه في الدين	البقرة ٢٥٦
الجنة/النار		النجاة / النار	ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجوة وتدعونني إلى النار	غافر ٤١
الجنة/النار		النعيم ـــ الجحيم	إن الأبرار لفي نعيم ، وإن الفجار لفي جحيم	الإنفطار١٣، ١٤
الجنة/النار		الجحيم ـــ النعيم	لترون الجحيم ، ... ، ثم لتسألن يومئذ عن النعيم	التكاثر ٦ ، ٨
الجنة/النار		النار ـــ الخلود	أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون	البقرة ٢٧٥
الجنة/النار		أصحاب الجنة ـــ أصحاب النار	لا يستوي أصحاب الجنة وأصحاب النار أصحاب الجنة هم الفائزون	الحشر ٢٠
الحرية/العبودية	الرب/العبد	الزوجة / الأمة	إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم	المعارج٣٠
الحرية/العبودية		الذلة ـــ العزة	أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين	المائدة ٥٤
الحرية/العبودية		العزة ـــ الذلة	وتعز من تشاء وتذل من تشاء	آل عمران ٢٦
الحرية/العبودية		الانكباب على الوجه ـــ الاستواء	أ فمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم	الملك٢٢
الحرية/العبودية		الاستضعاف ـــ الاستكبار	يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين	سبأ٣١
الحرية/العبودية		الذلة ـــ المسكنة	ضربت عليهم الذلة ... وضربت عليهم المسكنة	آل عمران ١١٢
الحرية/العبودية		التبعية ـــ العصيان	رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم	إبراهيم٣٦
الحرية/العبودية		التكليف ـــ الوسع	لا يكلف الله نفسا إلا وسعها	البقرة ٢٨٦
الحرية/العبودية		العصيان ـــ الإتباع	قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله ..	نوح٢١
الحس/العقل		الإحساس ـــ التعقل	وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير	الملك١٠
الحس/العقل		الرؤية ـــ العلم	حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا	الجن٢٤
الحس/العقل		الإبصار ـــ السمع	ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها	الأعراف١٧٩

الحس/العقل		الناس ـــ الأنعام	يأكل الناس والأنعام حتى إذا اخذت الأرض	يونس٢٤
الحس/العقل		السمع ـــ البصر	أمن يملك السمع والأبصار	يونس٣١
الحق/الباطل		الحق ـــ الباطل	وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا	الإسراء٨١
الحق/الباطل		الصدق ـــ الكذب	فلا صدق و لا صلى، ولكن كذب وتولى	القيامة٣١ــ٣٢
الحق/الباطل		الصدق ـــ الكفر	ليسئل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابـــا أليما	الأحزاب٨
الحق/الباطل		الله ـــ الشيطان	انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون	آل عمران ١٧٥
الحق/الباطل		الصدق ـــ النفاق	ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين أو شاء أن يتوب عليهم	الأحزاب٢٤
الحق/الباطل		الحق ـــ الباطل	كذلك يضرب الله الحق والباطل	الرعد١٧
الحق/الباطل		الحق ـــ الضلال	فماذا بعد الحق إلا الضلال	يونس٣٢
الحق/الباطل		التحليل ـــ التحريم	إنما البيع مثل الربا، أحل الله البيع وحرم الربا	البقرة ٢٧٥
الحق/الباطل		الثقل ـــ الخفة	فأما من ثقلت موازينه، ...، وأما من خفت موازينه	القارعة ٦ ، ٨
الحياة/الموت		القتل / الإحياء	من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتـل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا	المائدة ٣٢
الحياة/الموت		الحي ـــ الميت	وما يستوي الأحياء ولا الأموات	فاطر٢٢
الحياة/الموت		الحياة ـــ الموت	يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، ويحـــي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون	الروم١٩
الحياة/الموت		التذبيـــــــح ـــ الاستحياء	يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم	البقرة٤٨
الحياة/الموت		الموت ـــ البعث	ثم إنكم بعد ذلك لميتون ، ثم إنكـم يـوم القيامـة تبعثون	المؤمنون١٦
الحياة/الموت		الإماتة ـــ البعث	فأماته الله مائة عام ثم بعثه	البقرة ٢٥٩
الحياة/الموت		الموت ـــ الحياة	الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا	الملك٢
الحياة/الموت		الإنجاء ـــ الإغراق	وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون	البقرة٤٩
الحياة/الموت		النجاة ـــ القتل	وإذ أنجيناكم من آل فرعون .... يقتلون أبناءكم	الأعراف١٤١
الحياة/الموت		الإحياء ـــ الإماتة	كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم	البقرة٢٧
الحياة/الموت		النجاة ـــ الغرق	فكذبوه فنجيناه ومن معه .... وأغرقنا الذين كذبوا	يونس٧٣
الخوف/الرجاء	نوم يقظة	الغم/الأمنة	ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا	آل عمران ١٥٤
الخوف/الرجاء		الخوف ـــ الأمن	وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشـــركون بي شيئا	النور٥٥
الخوف/الرجاء		الرعب ـــ الشرك	سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله	آل عمران ١٥١
الخوف/الرجاء		الكفر ـــ الرعب	سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله	آل عمران ١٥١

الخوف/الرجاء		الطغيان ـــ الخوف	فأما من طغى ، ......، وأما من خاف مقام ربه	النازعـــــات ٣٧،٤٠
الخوف/الرجاء		الأمن ـــ الخوف	الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف	قريش ٤
الخوف/الرجاء		التبشير ـــ الإنذار	وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين	الكهف٥٦
الخوف/الرجاء		الفرح ـــ القنوط	وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بمـــا قدمت أيديهم إذا هم يقنطون	الروم٣٦
الخوف/الرجاء		الخوف ـــ الحزن	لا خوف عليهم ولا هم يحزنون	البقرة ٢٦٢
الخوف/الرجاء		الخوف ـــ البشارة	فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم	الذريات٢٨
الخوف/الرجاء		الإنذار ـــ التبشير	قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المومنين	الكهف٢
الخوف/الرجاء		الحذر ـــ الرجاء	يحذر الأخرة ويرجوا رحمة ربه ..	الزمر٩
الخير/الشر	ربح خسارة	الظلم / النصر	أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهـــم لقدير	الحج٣٩
الخير/الشر		الرجس ـــ الطهور	إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجـــس أهــل البيــت ويطهركم تطهيرا	الأحزاب٣٣
الخير/الشر	الله شيطان	الله ـــ الطاغوت	فمن يكفر بالطاغوت ويومن بالله فقـــد استمســك بالعروة الوثقى	البقرة ٢٥٦
الخير/الشر	حلال حرام	الحلال ـــ الحرام	ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام	النحل١١٦
الخير/الشر	طاهر نجس	الطيب ـــ الخبث	ويحل لهم الطيبات و يحرم عليهم الخبائث	الأعراف١٥٧
الخير/الشر	ربح خسارة	الفوت ـــ الإصابة	لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم	آل عمران ١٥٣
الخير/الشر	سلامة مرض	الكمه ـــ البرص	وأبرئ الأكمه والأبرص	آل عمران ٤٩
الخير/الشر		الإكرام ـــ الإهانة	....فيقول ربي أكرمن ، ... فيقول ربي أهانن	الفجر ١٥، ١٦
الخير/الشر		الخير ـــ الفتنة	فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب علـــى وجهه	الحج١١
الخير/الشر		الشر ـــ الرشد	وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهـــم ربهم رشدا	الجن١٠
الخير/الشر	ربح خسارة	الخسارة ـــ الفلاح	فمن ثقلت موازينه فألئك هم المفلحون ومن خفـــت موازينه فألئك الذين خســـروا أنفســـهم في جـــهنم خالدون	المومنـــون١٠٢و ١٠٣
الخير/الشر	حلال حرام	الحرام ـــ الحلال	فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم	النساء ١٦٠
الخير/الشر		أحســـن تقـــويم ـــ أسفل سافلين	لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أســـفل سافلين	التين ٤ ، ٥
الخير/الشر	نفع ضر	الضر ـــ الرشد	قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا	الجن٢١

الخير/الشر		السيئة ــ الصالحة	أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات	الجاثية ٢١
الخير/الشر		الإبطال ــ الإصلاح	فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين	يونس ٨١
الخير/الشر		الإفساد ــ الإصلاح	وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون	البقرة ١٠
الخير/الشر		البر ــ الفجور	إن الأبرار لفي نعيم ، وإن الفجار لفي جحيم	الإنفطار ١٣، ١٤
الخير/الشر		الحسن ــ السوء	ادفع بالتي هي احسن السيئة نحن أعلم بما يصفون	المؤمنون ٩٦
الخير/الشر		الحسن ــ الظلم	وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه	الصافات ١١٣
الخير/الشر		الحسنة ــ السيئة	وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك	النساء ٧٨
الخير/الشر		الخير ــ السوء	لاستكثرت من الخير وما مسني السوء	الأعراف ١٨٨
الخير/الشر		السيئة ــ الحسنة	بدلنا مكان السيئة الحسنة	الأعراف ٩٥
الخير/الشر		الشر ــ الخير	ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون	الأنبياء ٣٥
الخير/الشر		الصدقة ــ الأذى	؟؟؟خير من صدقة يتبعها أذى	البقرة ٢٦٣
الخير/الشر		الصلاح ــ السوء	من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها	فصلت ٤٦
الخير/الشر		المصيبة ــ الفضل	فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ياليتني كنت معهم	النساء ٧٢، ٧٣
الخير/الشر		المعروف ــ المنكر	ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر	آل عمران ١٠٤
الخير/الشر	نفع ضر	الضر ــ النفع	ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا	المائدة ٧٦
الخير/الشر	نفع ضر	الضر ــ النفع	ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا	الفرقان ٣
الخير/الشر	نفع ضر	النفع ــ الضر	قال لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا	الأعراف ١٨٨
الخير/الشر		السوء ــ الرحمة	إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة	الأحزاب ١٧
الخير/الشر	ربح خسارة	النصر ــ الخذلان	إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده	آل عمران ١٦٠
الخير/الشر	الله شيطان	الله ــ الطاغوت	الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت	النساء ٧٦
الخير/الشر		الأمر ــ النهي	الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور	الحج ٤١

الخير/الشر		الخبث ــ الطيب	حتى يميز الخبيث من الطيب	آل عمران ١٧٩
الخير/الشر		الفجور ــ البر	كلا إن كتاب الفجار لفي سجين...، كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين	المطففين ٧ ــ١٨
الخير/الشر	عدل ظلم	القسط ــ الظلم	قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون	يونس٤٧
الخير/الشر	نفع ضر	البيع ــ الربا	إنما البيع مثل الربا، أحل الله البيع وحرم الربا	البقرة ٢٧٥
الدنيا/الآخرة		الآخرة / الأولى	فأخذه الله نكال الآخرة والأولى	النازعات٢٥
الدنيا/الآخرة		الدنيا / الآخرة	يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون	الروم٧
الدنيا/الآخرة		العاجلة / الآخرة	كلا بل تحبون العاجلة ، وتذرون الآخرة	القيامة٢٠،٢١
الرحمة/الغضب	غلظة رقة	الفظاظة ــ الغلظ	ولو كنت فظا غليظ القلب	آل عمران ١٥٩
الرحمة/الغضب		التعذيب / التوبة	إما يعذبهم وإما يتوب عليهم	التوبة١٠٦
الرحمة/الغضب		التكفير / الغفران	ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم ...	الأنفال٢٩
الرحمة/الغضب		الجزاء / التعذيب	ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أن يتوب عليهم	الأحزاب٢٤
الرحمة/الغضب		الخطأ / الغفران	نغفر لكم خطاياكم	البقرة٥٧
الرحمة/الغضب		الرضوان / السخط	أ فمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ...	آل عمران ١٦٢
الرحمة/الغضب		العداوة / الأخوة	إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا	آل عمران ١٠٣
الرحمة/الغضب		العداوة/ الألفة	إذا كنتم أعداء فألف بين قلوبكم وأصبحتم بنعمته إخوانا	آل عمران ١٠٣
الرحمة/الغضب		العذاب / المغفرة	وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله	الحديد٢٠
الرحمة/الغضب		العزة ــ الانتقام	والله عزيز ذو انتقام	آل عمران ٤
الرحمة/الغضب		العقاب / الغفران	إن ربك لسريع العقاب و إنه لغفور رحيم	الأعراف١٦٧
الرحمة/الغضب		الغفران / التعذيب	فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء	البقرة ٢٨٤
السلم/الحرب		القتال ــ الدفع	قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا	آل عمران ١٦٧
السلم/الحرب		القتل / الغلبة	فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما	النساء ٧٤
الشعبية/النخبوية		الذين أوتوا الكتاب / الأميين	وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين	آل عمران ٢٠
الصحو/المحو		الذكرى / النسيان	فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون	المؤمنون١١٠
الصحو/المحو		النسيان ــ الخطأ	ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا	البقرة ٢٨٦
الصحو/المحو	نوم يقظة	الأمنة ــ النعاس	ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا	آل عمران ١٥٤
الصحو/المحو		الضلالة / التذكير	أن تضل إحداهما فتذكر أحداهما الأخرى	البقرة ٢٨٢

الطلب/الإرادة		الفعل ـــ الإرادة	فعال لما يريد	البروج ١٦
الطلب/الإرادة		الأمر ـــ الإرادة	إذا قضي أمرا فإنما يقول له كن فيكون	آل عمران ٤٧
الظهر/البطن		الإبداء / الإخفاء	إن تبدوا شيئا أو تخفون فإن الله	الأحزاب٥٤
الظهر/البطن		الإبداء / الكتمان	وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون	البقرة٣٢
الظهر/البطن		الإخفاء / الإعلان	وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله ...	الممتحنة١٠
الظهر/البطن		الإسرار / الإعلان	أولا يعلمون أن الله يعلم مايسرون وما يعلنون	البقرة٧٦
الظهر/البطن		الإنشاز ـــ الكسو	انظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها	البقرة ٢٥٩
الظهر/البطن		البيان / الغيب	ولقد رآه بالأفق المبين وما هو على الغيب بضنين	التكوير ٢٣، ٢٤
الظهر/البطن		التبين / الإخفاء	قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون	المائدة ١٥
الظهر/البطن		التجلية / الغشي	والنهار إذا جلاها ، والليل إذا يغشاها	الشمس ٣ ، ٤
الظهر/البطن		الجهر / الخفاء	إنه يعلم الجهر وما يخفى	الأعلى ٧
الظهر/البطن		الجهر / الكتمان	إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون	الأنبياء١١٠
الظهر/البطن		الإسرار / الجهر	سواء منكم من أسر القول ومن جهر به وهو مستخف بالليل وسارب بالنهار	الرعد١٠
الظهر/البطن		السر / العلانية	وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية	الرعد٢٢
الظهر/البطن		الظهر / البطن	هو الأول والآخر والظاهر والباطن	الحديد٣
الظهر/البطن		الظهر ـــ التقدير	باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير ...	سبأ١٨
الظهر/البطن		الظهور / الخفاء	وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمورهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن	النور٣١
الظهر/البطن		العلم / الوعي	والله أعلم بما يوعون	الإنشقاق ٢٣
الظهر/البطن		غشي / التجلي	والليل إذا يغشى ، والنهار إذا تجلى	الليل ١، ٢
العسر/اليسر		العسر / اليسر	فإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة	البقرة ٢٨٠
العسر/اليسر		العسر / اليسر	فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ..	المدثر ٩، ١٠
العقل/القلب		التذكر ـــ أولوا الألباب	وما يذكر إلا أولوا الألباب	البقرة ٢٦٩
العقل/القلب		السمع ـــ البصر	قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ...	الملك٢٣
العقل/القلب	ذكر أنثى	الذكر ـــ الأنثى	وما خلق الذكر والأنثى	الليل٣
العقل/القلب	ذكر أنثى	الرجل ـــ المرأة	للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن	النساء ٣٢
العقل/القلب	ذكر أنثى	المؤمن ـــ المؤمنة	إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات...	البروج ١٠
العقل/القلب	ذكر أنثى	الصلب ـــ الترائب	يخرج من بين الصلب والترائب	الطارق٧

العلم/الأخلاق		التعليم ــ التزكية	ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم	البقرة١٢٨
العلم/الأخلاق		التقوى ــ العلم	واتقوا الله ويعلمكم الله	البقرة ٢٨٢
العلم/الجهل		الإبصار / عدم الإبصار	فلا لأقسم بما تبصرون ، وما لا تبصرون	الحاقة ٣٨ ٣٩
العلم/الجهل		الأعجمية / العربية	ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي ...	النحل١٠٣
العلم/الجهل		السمع / الصمم	ومنهم من يستمعون إليك أ فأنت تسمع الصم ...	يونس٤٢
العلم/الجهل		الصمم ــ البكم	ان شر الدواب عند الله الصم البكم ...	الأنفال٢٢
العلم/الجهل		الصمم / السمع	كالأعمى والأصم والبصير والسميع	هود٢٤
العلم/الجهل		العروض / الخفاء	يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية	الحاقة١٨
العلم/الجهل		الوعظ / الجهل	فلا تألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين	هود٤٦
العلم/الجهل		العلم / عدم العلم	علم الإنسان ما لم يعلم	العلق ٥
العلم/الجهل		العمى / البصر	هل يستوي الأعمى والبصير	الرعد١٦
العلم/الجهل		النظر / العمى	ومنهم من ينظر إليك افأنت تهدي العمى ...	يونس٤٣
العلم/العشق		هم النفس ــ ظن الجاهلية	وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية .	آل عمران ١٥٤
العلم/العمل		الإيمان ــ العمل	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات	البروج ١١
العلم/العمل		التفكير ــ التقدير	إنه فكر وقدر	المدثر١٨
العلم/العمل		الرؤية ــ الفعل	ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل	الفيل ١
العلم/العمل		السائق ــ الشهيد	وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد	ق٢١
العلم/العمل		العلم ــ الفعل	يعلمون ما تفعلون	الانفطار ١٢
العين/الذهن		القضاء ــ الكون	إذا قضي أمرا فإنما يقول له كن فيكون	آل عمران ٤٧
العين/الذهن	عيني كتبي	القلم ــ السطر	ن والقلم وما يسطرون	ن١
العين/الذهن	عيني كتبي	التعليم ــ الدراسة	بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون	آل عمران ٧٩
العلة/المعلول	سبب مسبب	الاختلاف ــ البغي	وما اختلف الذين أوتوا ..... ما جاءهم العلم بغيا	آل عمران ١٨
العلة/المعلول	سبب مسبب	الظلم ــ الانظلام	لا تظلمون ولا تظلمون	البقرة ٢٧٩
العلة/المعلول	سبب مسبب	الإنفاق ــ الأجر	الذين ينفقون ... لهم أجرهم	البقرة ٢٦٢
العلة/المعلول	سبب مسبب	الجزاء ــ السعي	إن هذا كان لكم جزاءا وكان سعيكم مشكورا	الإنسان٢٢
العلة/المعلول	سبب مسبب	الربا ــ التخبط	الذين يأكلون الربا ... إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان ...	البقرة ٢٧٥
العلة/المعلول	سبب مسبب	التوبة ــ الصلح	إلا الذين تابوا وأصلحوا	النساء ١٤٦
العلة/المعلول	سبب مسبب	الاستغاثة ــ	اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم إني ...	الأنفال٩

		الاستجابة		
العلة/المعلول	سبب مسبب	الدعوة ــ السعي	ثم أدعهن يأتينك سعيا	البقرة ٢٦٠
العلة/المعلول	سبب مسبب	الرضى ــ التثبيت	مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم	البقرة ٢٦٥
العلة/المعلول	سبب مسبب	الأب ــ الابن	آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا	النساء١١
العلة/المعلول	سبب مسبب	التبيين ــ العلم	فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير	البقرة ٢٥٩
العلة/المعلول	سبب مسبب	الوالد ــ المولود	ووالد وما ولد	البلد ٣
العلة/المعلول	سبب مسبب	الإيمان ــ الإنفاق	يا أيها الذين آمنوا أنفقوا ...	البقرة ٢٥٤
العلة/المعلول	سبب مسبب	الحكمة ــ الخير	ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا	البقرة ٢٦٩
العلة/المعلول	سبب مسبب	الشيطان ــ الفقر	الشيطان يعدكم الفقر	البقرة ٢٦٨
العلة/المعلول	سبب مسبب	الإحياء ــ الإخراج	وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا ...	يس٣٣
العلة/المعلول	سبب مسبب	الموت ــ الصمم	فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولو مدبرين	الروم ٢٥
العلة/المعلول	سبب مسبب	الأكل ــ الإطعام	فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير	الحج٢٨
العلة/المعلول	سبب مسبب	البهت ــ الكفر	فبهت الذي كفر	البقرة ٢٥٨
العلة/المعلول	سبب مسبب	الكتمان ــ الإثم	ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه	البقرة ٢٨٣
العلة/المعلول	سبب مسبب	النار ــ الوقود	فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة	البقرة٢٣
العلة/المعلول	سبب مسبب	أكل المال ــ أكل النار	إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا	النساء ١٠
العلة/المعلول	سبب مسبب	الحب ــ النبات	لنخرج به حبا ونباتا	النبأ ١٥
العلة/المعلول	سبب مسبب	الخالق ــ المخلوق	واتخذوا من دونه ءالهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا	الفرقان٣
العلة/المعلول	سبب مسبب	المالك ــ الملك	قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ...	آل عمران ٢٦
العلة/المعلول	سبب مسبب	الإرجاع ــ التوفية	واتقوا يوما ترجعون فيه ... ثم توف كل نفس ما كسبت	البقرة ٢٨١
العلة/المعلول	سبب مسبب	التبيين ــ التفكر	كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون	البقرة ٢٦٦
العلة/المعلول	سبب مسبب	التوليد ــ الولادة	لم يلد و لم يولد	الإخلاص٣
العلة/المعلول	سبب مسبب	الحب ــ الإتباع	قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله	آل عمران ٣١
العلة/المعلول	سبب مسبب	الرضى ــ الارتضاء	ارجعي إلى ربك راضية مرضية	الفجر ٢٨
العلة/المعلول	سبب مسبب	الإيمان ــ التقوى	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما تبقى	البقرة ٢٧٨
الغيب/الشهادة		الظهور ــ الغياب	عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد	الجن٢٦
الغيب/الشهادة		الغيب ــ الشهادة	عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال	الرعد٩

الغيب/الشهادة		الغيب ــ الوحي	ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك	آل عمران ٤٤
الفكر/اللغة		التذكير ــ التوعية	لنجعلها لكم تذكرة وتعيها آذن واعية	الحاقة١٢
الفكر/اللغة		التلاوة ــ السجود	يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون	آل عمران ١١٣
الفكر/اللغة		الحديث ــ الحجاج	قالوا ا تحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به	البقرة٧٥
الفكر/اللغة		الحكم ــ النبوة	ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله	آل عمران ٧٩
الفكر/اللغة		الذكر ــ التسبيح	واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار	آل عمران ٤١
الفكر/اللغة		العلم ــ القلم	الذي علم بالقلم	العلق ٤
الفكر/اللغة		الفم ــ القلب	قالوا آمنا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم	المائدة ٤١
الفكر/اللغة		الكتابة ــ الشهادة	ولا يضار كاتب ولا شهيد	البقرة ٢٨٢
الفكر/اللغة		الكلام ــ الرمز	قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا	آل عمران ٤١
الفناء/البقاء		الأكل / الادخار	أنبئكم بما تأكلون وما تدخرون	آل عمران ٤٩
القبض/البسط		الإذاقة ــ النزع	ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها ...	هود ٩
القبض/البسط		الإعطاء ــ الإكداء	وأعطى قليلا وأكدى	النجم٣٤
القبض/البسط		الإعطاء ــ البخل	فأما من أعطى واتقى ، ... ، وأما من بخل واستغنى	الليل ٥ ، ٨
القبض/البسط		الإعطاء ــ النفوى	فأما من أعطى واتقى ، ... ، وأما من بخل واستغنى	الليل ٥ ، ٨
القبض/البسط		الإعطاء ــ النفوى	فأما من أعطى واتقى	الليل٥
القبض/البسط		الإمساك ــ الإرسال	...منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى ...	الزمر٤٢
القبض/البسط		الإنفاق ــ الأذى	الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ... منا ولا أذى	البقرة ٢٦٢
القبض/البسط		الإنفاق ــ الكفر	يا أيها الذين آمنوا أنفقوا .والكافرون هم الظالمون	البقرة ٢٥٤
القبض/البسط		الإنفاق ــ المرضاة	مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم	البقرة ٢٦٥
القبض/البسط		الإيباق ــ العفو	أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير	الشورى٣٤
القبض/البسط		الإيتاء ــ النزع	تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء	آل عمران ٢٦
القبض/البسط		الإيفاء ــ النقض	واوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها ...	النحل٩١
القبض/البسط		البخل ــ الغنى	وأما من بخل واستغنى	الليل٨
القبض/البسط		البسط ــ التقدير	الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له	العنكبوت٦٢
القبض/البسط		البسط ــ القبض	...فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن	الملك١٩
القبض/البسط		الجري ــ الإمساك	تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه	الحج٦٥

القبض/البسط		الحشر ـــ النشر	وإذا الوحوش حشرت ، ...، وإذا الصحف نشرت	التكوير ٥، ١٠
القبض/البسط		الربى ـــ الصدقة	ويربي الصدقات	البقرة ٢٧٦
القبض/البسط		الرتق ـــ الفتق	أو لم ير الذين كفروا إن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون	الأنبياء٣٠
القبض/البسط		الرزق ـــ النفقة	ومما رزقناهم ينفقون...	الحج٣٥
القبض/البسط		السعة ـــ العلم	والله واسع عليم	البقرة ٢٦١
القبض/البسط		الصف ـــ القبض	أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافت ويقبضن مايمسكهن إلا الرحمن	الملك١٩
القبض/البسط		الطمس ـــ الفرج	فإذا النجوم طمست ، وإذا السماء فرجت	المرسلات٨ـــ٩
القبض/البسط		الظلم ـــ الصد	فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا	النساء ١٦٠
القبض/البسط		الغل ـــ البسط	وقالت اليهود يد الله مغلولة ... بل يداه مبسوطتان	المائدة ٦٤
القبض/البسط		الغل ـــ التوفي	ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس	آل عمران ١٦١
القبض/البسط		الفتح ـــ الإمساك	ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده	فاطر٢
القدسية/الدنيوية		اليهود / النصارى	وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله	المائدة ١٨
القرآن/الفرقان		الجمع ـــ القرآن	إن علينا جمعه وقرآنه	القيامة١٧
القرآن/الفرقان		الكتاب ـــ الفرقان	وإذا آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون	البقرة٥٢
القرب/البعد		البعد / القرب	إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا	المعارج٧
القرب/البعد		القرب / الأمد	قل إن أدري أ قريب ما توعدون أم يجعل له ربه أمدا	الجن٢٥
القرب/البعد		القرب / البعد	فإن تولوا فقل أذنتكم على سواء وان أدري على أ قريب أم بعيد ما توعدون	الأنبياء١٠٩
القرب/البعد		الإدبار / الإسفار	والليل إذا أدبر ، والصبح إذا أسفر	المدثر٣٣، ٣٤
القرب/البعد	إقبال إدبار	التكذيب ـــ التولي	الذي كذب وتولى	الليل١٦
القرب/البعد	إقبال إدبار	التوبة ـــ القرب	ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب	النساء ١٧
القرب/البعد	إقبال إدبار	الدعوة ـــ الاستجابة	إن الذين تدعون من دون الله فادعوهم فليستجيبوا لكم	الأعراف١٩٤
القرب/البعد	إقبال إدبار	الصدع ـــ الإعراض	فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين	الحجر٩٤
القرب/البعد	قبل بعد	الأمام ـــ الوراء	لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون	المؤمنون١٠٠
القرب/البعد	قبل بعد	بين الأيدي ـــ الخلف	فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا	الجن٢٧

القرب/البعد	إقبال إدبار	الدعوة ـــ الإعراض	وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون	النور٤٨
القرب/البعد	قبل بعد	التقديم ـــ التأخير	علمت نفس ما قدمت وأخرت	الانفطار٥
القرب/البعد	قبل بعد	السلف ـــ الخلف	وجاء فرعون ومن قبله	الحاقة٩
القرب/البعد	قبل بعد	قبل ـــ بعد	في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد	الروم٤
اللعب/الجد		اللهو ـــ التجارة	قل ماعند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خـــير الرازقين	الجمعة١١
اللعب/الجد		الهزو ـــ اللعب	لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا	المائدة ٥٧
الله/الإنسان		الله ـــ الرسول	تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول	النساء ٦١
الله/الإنسان		حبل من الله ـــ حبل من الناس	إلا بحبل من الله وحبل من الناس؟؟؟؟؟	آل عمران ١١٢
الله/الإنسان		مكر الناس ـــ مكـر الله	ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين	آل عمران ٥٤
الله/عالم		الله ـــ الملائكة	ومن يكفر بالله وملائكته	النساء ١٣٦
المادة/الطاقة	التراب/النار	الإنس ـــ الجن	قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا ...	الإسراء٨٨
المادة/الطاقة		البرد / الحميم	لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا، إلا حميما وغساقا	النبأ ٢٥
المادة/الطاقة	التراب/النار	الجن ـــ الإنس	...في أمم قد خلت من الجن والإنس	فصلت٢٥
المادة/الطاقة	التراب/النار	الجنة ـــ الناس	لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين	السجدة١٣
المادة/الطاقة	الحرارة/البرودة	الشتاء / الصيف	إلافهم رحلة الشتاء والصيف	قريش٢
المادة/الطاقة	الحرارة/البرودة	الشمس / الزمهرير	متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيـــها شمســا ولا زمهريرا	الإنسان١٣
المادة/الطاقة	الحرارة/البرودة	النار / البرد	قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم	الأنبياء٦٩
المادة/الطاقة		النار ـــ الطين	خلقتني من نار وخلقته من طين	الأعراف١٢
المادة/الطاقة		الماء ـــ النار	أنزل من السماء ماءأ فسالت أودية بقدرها فـــاحتمل السيل زبدا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء	الرعد١٧
المادي/المجرد		البشر/ الملك	ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك	يوسف٣١
المادي/المجرد		الصلاة ـــ الزكاة	وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة	النساء ٧٧
المادي/المجرد		الناس / الحجارة	...نارا وقودها الناس والحجارة	التحريم٦
المحكم/المتشابه		الإحكام ـــ التشابه	منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات	آل عمران ٧
النور/الظلمات	العشي/الغداة	الإراحة ـــ السرح	ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون	النحل٦
النور/الظلمات		الليل/الصبح	والليل إذا أدبر ، والصبح إذا أسفر	المدثر٣٣، ٣٤
النور/الظلمات		الإسفار / الغبار	وجوه يومئذ مسفرة، ... وجوه يومئذ عليه غبرة	عبس ٣٨، ٤٠
النور/الظلمات		الإضاءة / الإظلام	كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا	البقرة١٩

النور/الظلمات	الليل/النهار	الإمساء / الإصباح	فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون	الروم١٧
النور/الظلمات		الابيضاض / الاسوداد	يوم تبيض وجوه وتسود وجوه	آل عمران ١٠٦
النور/الظلمات	الليل/النهار	البكرة / الأصيل	وسبحوه بكرة وأصيلا	الأحزاب٤٢
النور/الظلمات	الليل/النهار	البكرة / العشاء	فخرج على قومه في المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا	مريم١١
النور/الظلمات	الليل/النهار	البيات / النهار	عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه ..	يونس٥٠
النور/الظلمات		التكوير ــ التكدير	إذا السماء كورت ، وإذا النجوم انكدرت	التكوير ١ ، ٢
النور/الظلمات	الليل/النهار	الشرق / الغرب	رب المشرقين ورب المغربين	الرحمن١٧
النور/الظلمات	الليل/النهار	الشرق / الغرب	كانوا مستضعفون مشارق الأرض ومغاربها	الأعراف١٣٧
النور/الظلمات	الليل/النهار	الشرق / الغرب	ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله	البقرة١١٤
النور/الظلمات		الشمس ــ القمر	والشمس والقمر كل في فلك يسبحون	الأنبياء٣٣
النور/الظلمات	الليل/النهار	الضحى / الليل	والضحى والليل إذا سجى	الضحى ١ ، ٢
النور/الظلمات	الليل/النهار	الطلوع / الغروب	وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب	ق٣٩
النور/الظلمات		الظلمة / النور	يخرجهم من الظلمات إلى النور	البقرة ٢٥٧
النور/الظلمات	الليل/النهار	العشاء / الإبكار	فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك ويسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار	غافر٥٥
النور/الظلمات	الليل/النهار	العشاء / الإشراق	إنا سخرنا الجبال معه يصبحن بالعشي والإشراق	ص ١٨
النور/الظلمات	الليل/النهار	العشاء / الضحى	كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها	النازعات ٤٦
النور/الظلمات	الليل/النهار	العشية / الضحى	كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها	النازعات٤٦
النور/الظلمات		العمى ــ البصر	قال رب لم حشرتني أعمى وكنت بصيرا	طه١٢٥
النور/الظلمات	الليل/النهار	الغداوة / العشي	واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداوة والعشي	الكهف٢٨
النور/الظلمات	الليل/النهار	الغدو / الآصال	ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظللهم بالغدو والآصال	الرعد١٠
النور/الظلمات	الليل/النهار	الغدو / العشي	النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم ...	غافر٤٦
النور/الظلمات	الليل/النهار	الفجر / الليل	والفجر ، وليال عشر	الفجر ١ ، ٢
النور/الظلمات	الليل/النهار	الليل / النهار	وهو الذي خلق الليل والنهار	الأنبياء٣٣
النور/الظلمات	الليل/النهار	الليل / اليوم	...سيروا فيها ليالي وأياما آمنين	سبأ١٨
النور/الظلمات	حرارة برودة	الظل ــ الحرور	و لا الظل و لا الحرور	فاطر٢١
الهداية/الضلالة	الطاعة/المعصية	التصلية / التولي	فلا صدق و لا صلى، ولكن كذب وتولى	القيامة٣١ـــ٣٢
الهداية/الضلالة		الاهتداء / الفسق	من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون	الأعراف١٧٨
الهداية/الضلالة		الرشد / الغي	قد تبين الرشد من الغي	البقرة ٢٥٦

الهداية/الضلالة		الزيغ ــ الفتنة	فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة	آل عمران ٧
الهداية/الضلالة		الزيغ / الهداية	ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا	آل عمران ٨
الهداية/الضلالة		الضلالة / الهداية	ووجدك ضالا فهدى	الضحى ٧
الهداية/الضلالة		الهداية / الضلالة	من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون	الأعراف١٧٨
الهداية/الضلالة		الهداية / الظلم	والله لايهدي القوم الظالمين	البقرة ٢٥٨
الهداية/الضلالة		الهدى ــ البشرى	فإنه نزله على قلبه بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمومنين	البقرة٩٦
الهداية/الضلالة		الهدى / الضلال	ومن يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا	الإسراء٩
الهداية/الضلالة		الهدى / الكفر	كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم	آل عمران ٨٦
الهداية/الضلالة	طاعة معصية	الإثم ــ الخطيئة	ومن يكسب إثما ... ، ومن يكسب خطيئة	النساء ١١١،١١٢
الهداية/الضلالة	سعادة شقاوة	اليمن ــ الشوم	أولئك أصحاب الميمنة ، والذين ... أصحاب المشأمة	البلد ١٨ ١٩
الهداية/الضلالة	سعادة شقاوة	الشقاء ــ التقوى	لا يصليها إلا الأشقى ، ... ، وسيجنبها الأتقى	الليل ١٥، ١٧
الهداية/الضلالة	نفع ضر	الإفلاح ــ الخيبة	قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها	الشمس ٩، ١٠
الهداية/الضلالة	طاعة معصية	الطغيان ــ التقوى	للطاغين مآبا ، ... ، إن للمتقين مفازا	النبأ ٢٢ ، ٣١
الهداية/الضلالة	سعادة شقاوة	الإهانة ــ الكرامة	ومن يهن الله فما له من مكرم	الحج—١٨
الهداية/الضلالة	طاعة معصية	التقوى ــ الإطاعة	يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين	الأحزاب١
الهداية/الضلالة	طاعة معصية	العهد ــ الإخلاف	أ اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده	البقرة٧٩
الوحدة/الكثرة		الربع / الثمن	فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم	النساء ١٢
الوحدة/الكثرة		السبع / الاثنين	ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم	الحجر٨٧
الوحدة/الكثرة		السدس / الثلث	فلكل واحد منها السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث	النساء ١٢
الوحدة/الكثرة		الشفع / الوتر	والشفع والوتر	الفجر٣
الوحدة/الكثرة		الله / الشركاء	من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده . قل الله ...	يونس٣٤
الوحدة/الكثرة		الواحد / الاثنين	وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون	النحل٥١
الوحدة/الكثرة		الوحدة / الازدواج	الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها	النساء ٢
الوحدة/الكثرة	قلة كثرة	القنطار ــ الدينار	من أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يوده ...بدينار لا يوده.	آل عمران ٧٥
الوحدة/الكثرة	قلة كثرة	المحق ــ الربى	يمحق الله الربا	البقرة ٢٧٦

اليسر/العسر	اللذة/الألم	الضحك ــ البكاء	وأنه هو أضحك وأبكى	النجم٤٣
اليسر/العسر		الإطعام / الجوع	الذي أطعمهم من جوع	قريش ٤
اليسر/العسر		البأساء ــ الضراء	أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم...	الأعراف٦٤
اليسر/العسر		اليسر / العسر	فسنيسره لليسرى ، ... ، فسنيسره للعسرى	الليل ٧ ، ١٠
اليسر/العسر	نفع ضر	الضراء ــ السراء	مس اباءنا الضراء والسراء	الأعراف٩٥
اليسر/العسر	فقر غنى	الفقر ــ الغنى	يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد	فاطر١٥
اليسر/العسر	اللذة/الألم	الفرح ــ الاستبشار	فرحين بما أتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين ...	آل عمران ١٧٠
اليسر/العسر	اللذة/الألم	العذب الفرات ــ الملح الأجاج	وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج	فاطر١٢
اليسر/العسر	يمين شمال	اليمين ــ وراء الظهر	...كتابه بيمينه ، .... ، كتابه وراء ظهره	الإنشقاق ٧، ١٠
اليسر/العسر	اللذة/الألم	الرحمة ــ الضراء	ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته...	فصلت٥٠
اليسر/العسر	اللذة/الألم	الرحمة ــ السيئة	وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون	الروم٣٦
اليسر/العسر	اللذة/الألم	السمن ــ العجف؟؟؟	سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف	يوسف٤٣
اليسر/العسر	اللذة/الألم	النعماء ــ الضراء	ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته	هود١٠
اليسر/العسر	اللذة/الألم	الرضوان ــ السخط	أ فمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ...	آل عمران ١٦٢
اليسر/العسر	اللذة/الألم	النضارة ــ البسر	وجوه يومئذ ناضرة ... و وجوه يومئذ باسرة	القيامة٢٢، ٢٤
اليقين/الشك		الإيمان ــ الاطمئنان	قال أو لم تومن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي	البقرة ٢٦٠
اليقين/الشك		الحسبان ــ المعرفة	يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، تعرفهم بسيماهم	البقرة ٢٧٣
اليقين/الشك		الحق / الامتراء	الحق من ربك فلا تكن من الممترين	آل عمران ٦٠
اليقين/الشك		الرؤية ــ الإيمان	رب أرني كيف تحي الموتى قال أو لم تومن	البقرة ٢٦٠
اليقين/الشك		المرية / الحق	فإنك في مرية منه انه الحق ...	هود١٧
اليقين/الشك		اليقين / الريب	ليستقين الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين آوتوا الكتاب	المدثر٣١

أخذ عطاء	السمع ــ الأكل	سماعون للكذب آكالون للسحت	المائدة ٤٢
أخذ عطاء	الكسب ــ الاكتساب	لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت	البقرة ٢٨٦

أخذ عطاء	العين ـــ اللسان	ألم نجعل له عينين ، ولسانا وشفتين	البلد ٩
أخذ عطاء	القمر ـــ الشمس	وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا	نوح١٦
أخذ عطاء	النور ـــ السراج	وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا	نوح١٦
أخذ عطاء	الشمس ـــ النجوم	إذا الشمس كورت ، وإذا النجوم انكدرت	التكوير ١، ٢
إقبال إدبار	الروغ ـــ المجيء	فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين	الذريات٢٦
إقبال إدبار	الغدو ـــ الرواح	ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر	سبأ١٢
إقبال إدبار	النفور ـــ الرجوع	فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم	التوبة١٢٢
إقبال إدبار	التوبة ـــ الظلم	فمن تاب من بعد ظلمه	المائدة ٣٩
إقبال إدبار	الظلم ـــ التوبة	وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم	البقرة٥٣
إقبال إدبار	الوجه ـــ الظهر	لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفرن عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون	الأنبياء٣٩
إقبال إدبار	الوجه ـــ الدبر	يضربون وجوههم وأدبارهم	محمد٢٧
أول آخر	الإخراج ـــ العودة	ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون	المؤمنون١٠٨
انتقال استقرار	الفرار ـــ الاستقرار	يقول الإنسان يومئذ أين المفر إلى ربك يومئذ المستقر	القيامة١٠،١٢
بداية نهاية	الخروج ـــ الإعادة	كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها	الحج٢٢
بداية نهاية	الانتهاء ـــ العود	فمن جاءه موعظة من ربه فانتهي فله ما سلف ... ومن عاد ...	البقرة ٢٧٥
بداية نهاية	الخلق ـــ البعث	ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله لسميع بصير	لقمان٢٨
بداية نهاية	الإعادة ـــ الإخراج	ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا	نوح١٨
بداية نهاية	الإنبات ـــ الإعادة	والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها	نوح ١٧،١٨
بداية نهاية	البدء ـــ الإعادة	الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون	الروم١١
بداية نهاية	الأول ـــ الآخر	هو الأول والآخر والظاهر والباطن	الحديد٣
بداية نهاية	الأولين ـــ الآخرين	ألم نهلك الأولين ، ثم نتبعهم الآخرين	المرسلات١٦،١٧
ثقل خفة	الكيل ـــ الوزن	إذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون	المطففين ٣
جزء كل	السنة ـــ النوم	لا تأخذه سنة ولا نوم	البقرة ٢٥٥

الجنة/النار	الجحيم ــ الجنة	فإن الجحيم هي المأوى، ... ، فإن الجنة هي المأوى	النازعات ٣٩، ٤١
الجنة/النار	النار ــ الجنة	تصلى نارا حامية ، .....، في جنة عالية	الغاشية٤، ١٠
حاوي محوي	الكتاب ــ الحكمة	وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة	النساء ١١٣
حلال حرام	العفة ــ البغاء	وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا عرض الحياة	النور٣٣
خلق أمر	الخلق ــ التقدير	من نطفة خلقه فقدره	عبس ١٩
دخول خروج	الدخول /الرجوع	فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا	النور٢٨
دخول خروج	الإقرار ــ الإخراج	و نقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا	الحج٥
دخول خروج	الإيلاج ــ الإخراج	تولج الليل في النهار ... ، وتخرج الحي من الميت	آل عمران ٢٧
دخول خروج	الولوج ــ الخروج	يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها	سبأ٢
ذكر أنثى	الأم ــ الأب	وأمه وأبيه	عبس٣٥
ذكر أنثى	الأخ ــ الأخت	وإن كان رجلا يورث كلالة أو امرأة وله أخ وأخت	النساء ١٢
ذكر أنثى	الرجل ــ المرأة	فرجل وامرأتان	البقرة ٢٨٢
ربح خسارة	الفشل ــ التنازع	حتى إذا فشلتم وتنازعتم ...	آل عمران ١٥٢
رطب يابس	الخضرــ اليبس	سبع سنبلات خضر وأخر يابسات	يوسف٤٣
رطب يابس	الطعام ــ الشراب	انظر إلى طعامك وشرابك	البقرة ٢٥٩
رطب يابس	الأرض ــ البحر	ولو أنما في الأرض شجرة أقلم والبحر يمده من بعده ...	لقمان٢٧
رطب يابس	البر ــ البحر	هو الذي يسيركم في البر والبحر	٢٢يونس
رفع وضع	البناء ــ الطحو	والسماء وما بناها ، والأرض وما طحاها	الشمس ٥، ٦
رفع وضع	التوفي ــ الرفع	إني متوفيك ورافعك إلى ومطهرك ...	آل عمران ٥٥
سكون حركة	القيام ــ القعود	فاذكروا الله قياما وقعودا	النساء ١٠٣
شكر كفر	الشكر ــ الكفر	إن هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا	الإنسان٣
صعود نزول	الرفع ــ الخر	ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا	يوسف١٠٠
صغر كبر	المهد ــ الكهل	ويكلم الناس في المهد وكهلا	آل عمران ٤٦
طاعة معصية	الإطاعة ــ التولي	أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه	الأنفال٢٠

طاعة معصية	الإطاعة ـ التولي	من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا	النساء ٨٠
طاعة معصية	الفجور ـ التقوى	فألهمها فجورها وتقواها	الشمس ٨
طهارة نجاسة	الاصطفاء ـ التطهير	إن الله اصطفاك وطهرك	آل عمران ٤٢
ظرف مظروف	الصدر ـ القلب	وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في القلوب	آل عمران ١٥٤
علو سفل	الفوق ـ السفل	إذا جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم	السجدة١٠
علو سفل	الرفع ـ الوضع	فيها سرر مرفوعة ، وأكواب موضوعة	الغاشية ١٣، ١٤
علو سفل	النصب ـ السطح	وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت	الغاشية ١٩ ، ٢٠
علو سفل	الرفع ـ السطح	وإلى السماء كيف رفعت ، ... ، وإلى الأرض كيف سطحت	الغاشية ١٨، ٢٠
علو سفل	الفراش ـ البناء	الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء	البقرة٢١
علو سفل	العلو ـ الدنو	في جنة عالية قطوفها دانية	الحاقة ٢٢ ٢٣
علو سفل	النجم ـ الشجر	والنجم والشجر يسجدان	الرحمن٦
علو سفل	السجين ـ العليين	كلا إن كتاب الفجار لفي سجين، ... كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين	المطففين ٧ ـ١٨
علو سفل	العلو ـ السفل	جعلنا عاليها سافلها	هود٨٢
علو سفل	العلو ـ السفل	فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل	الحجر٧٤
علو سفل	السجود ـ الاقتراب	كلا لا تطعه واسجد واقترب	العلق١٩
علو سفل	الوضع ـ الرفع	ووضعنا عنك وزرك ،... ، ورفعنا لك ذكرك	الشرح ٢ ، ٤
علو سفل	الأرض ـ الجبال	وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة	الحاقة١٤
علو سفل	السماء ـ الأرض	الله نور السموات والأرض	النور٣٥
علو سفل	القواعد ـ السقف	قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بينهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم	النحل٢٦
علو سفل	السماء ـ الجبل	يوم تكون السماء كالمهل ، وتكون الجبال كالعهن	المعارج ٨ ٩
علو سفل	السماء ـ الأرض	يدبر الأمر من السماء إلى الأرض	السجدة٥
علو سفل	الفوق ـ التحت	يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ...	العنكبوت٥٥
علو سفل	العلو ـ العظمة	العلي العظيم	البقرة ٢٥٥

غاية وسيلة	السمع ــ الطاعة	قالوا سمعنا وأطعنا	البقرة ٢٨٥
غاية وسيلة	الكتابة ــ الدراسة	أم لكم كتاب فيه تدرسون	ن٣٧
غاية وسيلة	الولاية ــ الإيمان	الله ولي الذين آمنوا	البقرة ٢٥٧
غاية وسيلة	التمني ــ الرؤية	ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون	آل عمران ١٤٣
فقر غنى	العيل ــ الغنى	ووجدك عائلا فأغنى	الضحى٨
فقر غنى	الغنى ــ التعفف	يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف	البقرة ٢٧٣
فقر غنى	الغنى ــ الفقر	وإن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما	النساء ١٣٥
فقر غنى	اليتيم ــ المأوى	ألم يجدك يتيما فأوى	الضحى ٦
فقر غنى	الغنى ــ الحمد	واعلموا أن الله غني حميد	البقرة ٢٦٧
قبل بعد	بين الأيدي ــ الخلف	أ فلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم	سبأ٩
قبل بعد	التقدم ــ التأخر	لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر	المدثر٣٧
قبل بعد	مع ــ قبل	أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون	الأنبياء٢٤
قبل بعد	السبق ــ التأخر	ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون	المومنون٤٣
قبل بعد	الأمام ــ الخلف	فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها	البقرة٦٥
قدرة عجز	الإحصار ــ الاستطاعة	للفقراء الذين احصروا في سبيل الله، لا يستطيعون ضربا	البقرة ٢٧٣
قدرة عجز	القدرة ــ الكسب	لا يقدرون على شيء مما كسبوا	البقرة ٢٦٤
قيام قعود	السجود ــ الركوع	يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين	آل عمران ٤٣
نزول صعود	النزول ــ العروج	يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور	سبأ٢
نزول صعود	السجود ــ القيام	أمن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر ...	الزمر٩
نزول صعود	الإبداء ــ الإعادة	إنه هو يبدي ويعيد	البروج ١٣
نزول صعود	التدبير ــ العروج	يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون	السجدة٥
يمين شمال	اليمين ــ الشمائل	أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون	النحل٤٨
يمين شمال	اليمين ــ الشمال	لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ...	سبأ١٥

الإحصان ـــ المسافحة	محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به	النساء ٢٤
الإرجاء ـــ الإيواء	ترجي من تشاء وتئوى إليك من تشاء	الأحزاب ٥١
الإغطاش ـــ الإخراج	وأغطش ليلها ، وأخرج ضحاها	النازعات ٢٩
الإغناء ـــ الإقناء	وأنه هو أغنى وأقنى	النجم ٤٦
الإقبار ـــ الإنشار	ثم أماته فأقبره ، ثم إذا شاء أنشره	عبس ٢١، ٢٢
البخس ـــ الرهق	فمن يومن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً	الجن ١٣
البكر / الثيب	قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً	التحريم ٥
التقي ـــ البخس	وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً	البقرة ٢٨٢
التين ـــ الزيتون	والتين والزيتون	التين ١
الحق ـــ الشطط	. . .فأحكم بيننا بالحق ولا تشطط	ص ٢٢
الحلف ـــ الهون	ولا تطع كل حلاف مهين	ن ١٠
الحياة ـــ القيومية	الحي القيوم	البقرة ٢٥٥
الخسف ـــ الكسف	إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء إن في ذلك لآية لكل عبـــد منيب	سبأ ٩
الخشوع ـــ الإرهاق	خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة	القلم ٤٣
الخمط ـــ الأثل	. . .وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من . .	سبأ ١٦
الذهب ـــ الفضة	زين للناس حب الشهوات ... من الذهب والفضة	آل عمران ١٤
الرجع ـــ الصدع	والسماء ذات الرجع ، والأرض ذات الصدع	الطـــارق ١١، ١٢
الرفع/الوضع	والسماء رفعها ووضع الميزان	الرحمن
السرب	سواء منكم من أسر القول ومن جهر به وهو مستخف بالليل وسارب بالنهار	الرعد ١٠
السمن ـــ الجوع	لا يسمن ولا يغني من جوع	الغاشية ٧
السوق ـــ الأعناق	ردوها على فطفق مسحاً بالسوق والأعناق	ص ٣٣
الشاهد ـــ المشهود	وشاهد ومشهود	البروج ٣
الصغر / الكبر	وكل صغير وكبير مستطر	القمر ٥٣
العكوف ـــ البدو	إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلنا للناس سواءً العـــاكف فيه والباد	الحج ٢٥
العمـــد ـــ الامتـــــداد (التمدد)	في عمد ممددة	الهمزة ٩
الغور ـــ المعين	قل أرءيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين	الملك ٣٠
القسط ـــ البخس	أوفوا للمكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا	هود ٨٥

القناعة ــ الاعترار	واطعموا القانع والمعترّ كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون	الحج٣٦
المحبة ــ الوذر	كلا بل تحبون العاجلة ، وتذرون الآخرة	القيامة٢٠ــ ٢١
المن ــ الأذى	الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ... مناً ولا أذى	البقرة ٢٦٢
المهل ــ العهن	يوم تكون السماء كالمهل ، وتكون الجبال كالعهن	المعارج٨ــ٩
المهل ــ العهن	يوم تكون السماء كالمهل ، وتكون الجبال كالعهن	المعارج٨ــ٩
الميثاق ــ التبيين	وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبينه للناس ...	آل عمـــــران ١٨٧
النخل ــ العنب	جنة من نخيل وأعناب	البقرة ٢٦٦
النصيب ــ الكفل	يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها	النساء ٨٥
الوابل ــ الطل	فإن لم يصبها وابل فطل	البقرة ٢٦٥
الوقاية ــ الحوق	فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون ...	غافر٤٥
اليد ــ الرجل	أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف	المائدة ٣٣
تصعير الخد ــ المرح	ولا تصعر خدك للناس ولا تمشي في الأرض مرحاً	لقمان١٨
وجه الله ــ التوفي	وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله، وما تنفقوا من خير يوف لكم	البقرة ٢٧٢

الملحق الثاني :

الثنائيات الـ ٧٠٠

في هذه الرسالة

١ الأب / الابن
٢ الإبداء / الإخفاء
٣ الإبداء / الإعادة
٤ الإبداء / الكتمان
٥ الإبداع/التقليد
٦ الإبصار / السمع
٧ الإبصار / عدم الإبصار
٨ الإبطال / الإصلاح
٩ الأبيض/الأسود
١٠ الإثم / الخطيئة
١١ الإجرام / الإيمان
١٢ الإحباط/الإثبات
١٣ الإحساس / التعقل
١٤ أحسن تقويم / أسفل سافلين
١٥ الإحصار / الاستطاعة
١٦ الإحصان / المسافحة
١٧ الإحكام / التشابه
١٨ الأحكام الأولية /الأحكام الثانوية
١٩ الإحكام/التفصيل
٢٠ الإحياء / الإخراج
٢١ الإحياء / الإماتة
٢٢ الأخ / الأخت
٢٣ الإخراج / العودة
٢٤ الآخرة / الأولى
٢٥ الإخفاء / الإعلان
٢٦ الإدبار / الإسفار
٢٧ الإذاقة / النزع
٢٨ الإذهاب / الإتيان
٢٩ الإراحة / السرح
٣٠ الإرجاء / الإيواء
٣١ الإرجاع / التوفية
٣٢ الأرض / البحر
٣٣ الأرض / الجبال
٣٤ الأرض / النفس
٣٥ الإسرار / الإعلان
٣٦ الإسرار / الجهر
٣٧ الإسفار / الغبار
٣٨ الإسلام / الإجرام
٣٩ الإسلام / القسط
٤٠ أصحاب الجنة / أصحاب النار
٤١ الأصل / الفرع
٤٢ الإضاءة / الإظلام
٤٣ الإطاعة / التولي
٤٤ الإطعام / الجوع
٤٥ الإعادة / الإخراج
٤٦ الأعجمية / العربية
٤٧ الإعطاء / الإكداء
٤٨ الإعطاء / البخل
٤٩ الإعطاء / التقوى
٥٠ الأعمى/البصير
٥١ الإغطاش / الإخراج
٥٢ الإغناء / الإقناء
٥٣ الإفساد / الإصلاح
٥٤ الإفلاح / الخيبة
٥٥ الإقبار / الإنشار
٥٦ الإقرار / الإخراج
٥٧ الإكرام / الإهانة
٥٨ الإكراه / الدين
٥٩ الأكل / الإطعام
٦٠ الأكل / الادخار
٦١ الأكل / الشرب
٦٢ أكل المال / أكل النار
٦٣ الإلهام/الوسوسة
٦٤ الأم / الأب
٦٥ الإماتة / البعث
٦٦ الأمام / الوراء
٦٧ الأمام / الخلف
٦٨ الأمانة / الخيانة
٦٩ الأمر / الإرادة
٧٠ الأمر / النهي
٧١ الأمر/الخلق
٧٢ الإمساء / الإصباح
٧٣ الإمساك / الإرسال
٧٤ الأمن / الخوف
٧٥ الأمنة / النعاس
٧٦ الأموال / الأنفس
٧٧ الأنا/الخارج
٧٨ الإنبات / الإعادة
٧٩ الإنجاء / الإغراق
٨٠ الإنذار / التبشير
٨١ الإنزال/التنزيل
٨٢ الإنس / الجن
٨٣ الإنسان/العالم
٨٤ الإنشاز / الكسو
٨٥ الإنفاق / الأجر
٨٦ الإنفاق / الأذى
٨٧ الإنفاق / التثبيت
٨٨ الإنفاق / الكفر
٨٩ الإنفاق / المرضاة
٩٠ الإنفاق / المضاعفة
٩١ الإنفاق / المن
٩٢ الإهانة / الكرامة
٩٣ الأول / الآخر
٩٤ الأولين / الآخرين
٩٥ الإيباق / العفو
٩٦ الإيتاء / النزع
٩٧ الإيفاء / النقص
٩٨ الإيلاج / الإخراج
٩٩ الإيمان / التقوى
١٠٠ الإيمان / الإنفاق
١٠١ الإيمان / الاطمئنان
١٠٢ الإيمان / التفرقة
١٠٣ الإيمان / التكذيب
١٠٤ الإيمان / الجحد
١٠٥ الإيمان / الشرك
١٠٦ الإيمان / الصد
١٠٧ الإيمان / الظلم
١٠٨ الإيمان / العمل
١٠٩ الإيمان / الفسق
١١٠ الإيمان / الكفر
١١١ الإيمان / النفاق
١١٢ الابتلاء / التمحيص
١١٣ الابيضاض / الاسوداد
١١٤ الاتصال/الانفصال
١١٥ الاختلاف / البغي

١١٦ الاختيار/الجبر
١١٧ الاستخفاء / السرب
١١٨ الاستضعاف / الاستكبار
١١٩ الاستغاثة / الاستجابة
١٢٠ الاستقرار / الاستيداع
١٢١ الاستكبار/الاستضعاف
١٢٢ الاسم/المسمى
١٢٣ الاشتراك/الاختلاف
١٢٤ الاصطفاء / التطهير
١٢٥ الاعتصام / التفرق
١٢٦ الانتهاء / العود
١٢٧ الانفتاح/الالتزام
١٢٨ الانقباض/الانبساط
١٢٩ الانكباب على الوجه / الاستواء
١٣٠ الاهتداء / الفسق
١٣١ البأساء / الضراء
١٣٢ البخس / الرهق
١٣٣ البخل / الغنى
١٣٤ البدء / الإعادة
١٣٥ البر / البحر
١٣٦ البر / الفجور
١٣٧ البرد / الحميم
١٣٨ البساطة/التركب
١٣٩ البسط / التقدير
١٤٠ البسط / القبض
١٤١ البشر / الملك
١٤٢ البعثرة / التحصيل
١٤٣ البعد / القرب
١٤٤ البكر / الثيب
١٤٥ البكرة / الأصيل
١٤٦ البكرة / العشاء
١٤٧ البناء / الطحو
١٤٨ البهت / الكفر
١٤٩ البيات / النهار
١٥٠ البياض/السواد
١٥١ البيان / الغيب
١٥٢ البيع / الربا
١٥٣ بين الأيدي / الخلف
١٥٤ البينات / الاختلاف
١٥٥ التبشير / الإنذار
١٥٦ التبعية / العصيان
١٥٧ التبيين / الإخفاء
١٥٨ التبيين / التفكر
١٥٩ التبيين / العلم
١٦٠ التجلية / الغشي
١٦١ التحليل / التحريم
١٦٢ التخلخل/التكاثف
١٦٣ التدبير / العروج
١٦٤ التذبيح / الاستحياء
١٦٥ التذكر / أولوا الألباب
١٦٦ التذكر / السهو
١٦٧ التذكير / التوعية
١٦٨ التراب/النار
١٦٩ التراث/التجديد
١٧٠ التزكية / التدسية
١٧١ التسبيح / الحمد
١٧٢ التسليم / الشك
١٧٣ التشابه/الاختلاف
١٧٤ التشبيه/التنزيه
١٧٥ تصعير الخد / المرح
١٧٦ التصلية / التولي
١٧٧ التعذيب / التوبة
١٧٨ التعطف / القطيعة
١٧٩ التعليم / التزكية
١٨٠ التعليم / الدراسة
١٨١ التفسير/التأويل
١٨٢ التفكير / التقدير
١٨٣ التقدم / التأخر
١٨٤ التقديم / التأخير
١٨٥ التقوى / الإطاعة
١٨٦ التقوى / العلم
١٨٧ التقوى / الكفر
١٨٨ التقى / البخس
١٨٩ التكذيب / التولي
١٩٠ التكفير / الغفران
١٩١ التكليف / الوسع
١٩٢ التكوير / التكدير
١٩٣ التكوين/التشريع
١٩٤ التلاوة / السجود
١٩٥ التمحيص / المحق
١٩٦ التمني / الرؤية
١٩٧ التنزيل / الإنزال
١٩٨ التوبة / الصلح
١٩٩ التوبة / الظلم
٢٠٠ التوبة / القرب
٢٠١ التوديع / القلي
٢٠٢ التوفي / الرفع
٢٠٣ التولي/التبري
٢٠٤ التوليد / الولادة
٢٠٥ التين / الزيتون
٢٠٦ الثابت/السيال
٢٠٧ الثقل / الخفة
٢٠٨ الثواب/العقاب
٢٠٩ الثوابت/المتغيرات
٢١٠ الجانبية/الابتعاد
٢١١ الجبر/الاختيار
٢١٢ الجبر/التفويض
٢١٣ الجحيم / الجنة
٢١٤ الجحيم / النعيم
٢١٥ الجد/اللعب
٢١٦ الجري / الإمساك
٢١٧ الجري / الرسو
٢١٨ الجز / التأليف
٢١٩ الجزاء / التعذيب
٢٢٠ الجزاء / السعي
٢٢١ الجسم الكثيف/الجسم اللطيف
٢٢٢ الجمع / التوفية
٢٢٣ الجمع / الشتات
٢٢٤ الجمع / القرآن
٢٢٥ الجمع / الميعاد
٢٢٦ الجمع/الفرق
٢٢٧ الجن / الإنس
٢٢٨ الجنة / الناس
٢٢٩ الجنة/النار
٢٣٠ الجهر / الخفاء
٢٣١ الجهر / الكتمان
٢٣٢ الحب / الإتباع
٢٣٣ الحب / النبات
٢٣٤ الحب/البغض
٢٣٥ حبل من الله / حبل من الناس

٤٧٧ العلم/العشق
٤٧٨ العلم/العمل
٤٧٩ العلو / الدنو
٤٨٠ العلو / السفل
٤٨١ العلو / العظمة
٤٨٢ العلو/الدنو
٤٨٣ العمد / الامتداد (التمدد)
٤٨٤ العموم/الخصوص
٤٨٥ العمى / البصر
٤٨٦ العهد / الإخلاف
٤٨٧ العولمة/الخصخصة
٤٨٨ العيل / الغنى
٤٨٩ العين / اللسان
٤٩٠ العين/الذهن
٤٩١ الغاية/الوسيلة
٤٩٢ الغداوة / العشي
٤٩٣ الغدو / الرواح
٤٩٤ الغدو / الآصال
٤٩٥ الغدو / العشي
٤٩٦ غشي / التجلي
٤٩٧ الغفران / التعذيب
٤٩٨ الغل / البسط
٤٩٩ الغل / التوفي
٥٠٠ الغم/الأمنة
٥٠١ الغنى / التعفف
٥٠٢ الغنى / الحمد
٥٠٣ الغنى / الفقر
٥٠٤ الغنى/ الفقر
٥٠٥ الغور / المعين
٥٠٦ الغيب / الشهادة
٥٠٧ الغيب / الوحي
٥٠٨ الفتح / الإمساك
٥٠٩ الفجر / الليل
٥١٠ الفجور / البر
٥١١ الفجور / التقوى
٥١٢ الفجور/التقوى
٥١٣ الفرار / الاستقرار
٥١٤ الفراش / البناء
٥١٥ الفرح / الاستبشار
٥١٦ الفرح / القنوط
٥١٧ الفرد/المجتمع
٥١٨ الفسق / الإيمان
٥١٩ الفشل / التنازع
٥٢٠ الفصل / الجمع
٥٢١ الفظاظة / الغلظ
٥٢٢ الفعل / الإرادة
٥٢٣ الفقر / الغنى
٥٢٤ الفكر/اللغة
٥٢٥ الفلق/الشفق
٥٢٦ الفم / القلب
٥٢٧ الفوت / الإصابة
٥٢٨ الفوق / التحت
٥٢٩ الفوق / السفل
٥٣٠ الفيزياء/الميتافيزيقا
٥٣١ القبض/البسط
٥٣٢ قبل / بعد
٥٣٣ القتال / الدفع
٥٣٤ القتل / الإحياء
٥٣٥ القتل / الغلبة
٥٣٦ القدرة / الكسب
٥٣٧ القدسية/الدنيوية
٥٣٨ قدم القرآن /حدوث القرآن
٥٣٩ القدم/الحدوث
٥٤٠ القرآن/الفرقان
٥٤١ القرب / الأمد
٥٤٢ القرب / البعد
٥٤٣ القرب/البعد
٥٤٤ القسط / البخس
٥٤٥ القسط / الظلم
٥٤٦ القضاء / الكون
٥٤٧ القطع / الوصل
٥٤٨ القعود / الجهاد
٥٤٩ القعود / القيام
٥٥٠ القلم / السطر
٥٥١ القمر / الشمس
٥٥٢ القناعة / الاعترار
٥٥٣ القنطار / الدينار
٥٥٤ القنوع / الحرص
٥٥٥ القواعد / السقف
٥٥٦ القوة السالبة/القوة الموجبة
٥٥٧ القيام / القعود
٥٥٨ الكتاب / الحكمة
٥٥٩ الكتاب / الفرقان
٥٦٠ الكتابة / الدراسة
٥٦١ الكتابة / الشهادة
٥٦٢ الكتمان / الإثم
٥٦٣ الكثرة / البتر
٥٦٤ الكسب / الاكتساب
٥٦٥ الكفر / الإحباط
٥٦٦ الكفر / الإيمان
٥٦٧ الكفر / التولي
٥٦٨ الكفر / الرعب
٥٦٩ الكفر / العمل الصالح
٥٧٠ الكفر / الغنى
٥٧١ الكلام / الرمز
٥٧٢ الكمه / البرص
٥٧٣ الكيل / الوزن
٥٧٤ اللذة/الألم
٥٧٥ الله / الرسول
٥٧٦ الله / الشركاء
٥٧٧ الله / الشيطان
٥٧٨ الله / الطاغوت
٥٧٩ الله / الملائكة
٥٨٠ الله/الإنسان
٥٨١ الله/الرسول
٥٨٢ الله/العالم
٥٨٣ اللهو / التجارة
٥٨٤ الليل / النهار
٥٨٥ الليل / اليوم
٥٨٦ الليل/الصبح
٥٨٧ الليل/النهار
٥٨٨ المؤمن / المؤمنة
٥٨٩ الماء / النار
٥٩٠ المادة/الطاقة
٥٩١ المادي/المجرد
٥٩٢ المال / الابن
٥٩٣ المالك / الملك
٥٩٤ المحبة / الوذر
٥٩٥ المحق / الربى
٥٩٦ المحكم/المتشابه
٥٩٧ المحو / الإثبات

مصادر البحث

١ ـ الكتب (العربية) :

١. أبو زيد نصر حامد ـ الاتجاه العقلي في التفسير ـ المركز الثقافي العربي ـ لبنان ـ ١٩٩٦

٢. أدهم د.سامي ـ فلسفة اللغة ـ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ـ ١٩٩٣.

٣. إسماعيل حاتم ـ تعليقات على : "بينات" للمؤلف ـ دار الهادي ـ لبنان

٤. ابن تركة ـ تمهيد القواعد

٥. ابن حزم ـ الفصل في الأهواء والملل

٦. ابن حمزة ـ "مصباح الأنس" في شرح "مفتاح الغيب" للقونوي

٧. ابن عربي محيي الدين ـ عقلة المستوفز

٨. ابن عربي محيي الدين ـ الفتوحات المكية

٩. ابن عربي محيي الدين ـ فصوص الحكم

١٠. الإنجيل المقدس ـ دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط

١١. اوبرال فرانسوا وسعد جورج ـ معجم الفلاسفة الميسر

١٢. البستاني عصام ـ مدخل إلى علم السياسة

١٣. البهادلي أحمد ـ محاضرات في العقيدة الإسلامية

١٤. التوحيدي أبو حيان ـ المقابسات

١٥. توشار جان ـ تاريخ الفكر السياسي

١٦. توفيق جمال ـ تعليقات على "بينات" للمؤلف ـ دار الهادي ـ لبنان

١٧. جاهل د.نظير ـ أوهام الديموقراطية ـ مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ـ لبنان ـ ١٩٩٨

١٨. حرب د.علي ـ نقد الحقيقة ـ المركز الثقافي العربي ـ لبنان ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٩٥.

١٩. الخميني الإمام روح الله الموسوي ـ رسالة الطلب والإرادة ـ دار المحجة البيضاء ـ ١٩٩٣

٢٠. الخميني الإمام روح الله الموسوي (ره) ـ مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية ـ مؤسسة الوفاء ـ بيروت

٢١. الخميني الإمام روح الله الموسوي (ره) ــ وصايا عرفانية ــ مركز بقية الله الأعظم ــ بيروت ــ ١٩٩٨

٢٢. دريدا جاك ــ أطياف ماركس ــ مركز الإنماء الحضاري ــ حلب ١٩٩٥

٢٣. الدريني د.فتحي ــ خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم ــ مؤسسة الرسالة ــ لبنان ــ ١٩٨٢

٢٤. زيد مصطفى ــ المصلحة في التشريع الإسلامي ونجم الطوفي

٢٥. السبحاني جعفر ــ بحوث في الملل والنحل ــ الدار الإسلامية ــ لبنان ــ ١٩٩١

٢٦. سرية صالح ــ رسالة الإيمان

٢٧. السهروردي شهاب الدين ــ حكمة الإشراق

٢٨. السواح فراس ــ دين الإنسان ــ دمشق ــ دار علاء الدين ــ ١٩٩٨

٢٩. السيد د.رضوان ــ الجماعة والمجتمع والدولة ــ دار الكتاب العربي ــ ١٩٩٧.

٣٠. الشامي رشاد عبد الله ــ اشكالية الهوية في فلسطين ــ سلسلة عالم المعرفة ــ العدد ٢٢٤ ــ الكويت ــ ١٩٩٧

٣١. الشهرستاني ــ الملل والنحل

٣٢. الشيرازي حسن بن حمزة بن محمد (الشرف البلاسي) ــ رسالتان في الحكمة المتعالية والفكر الروحي ــ تحقيق د.صالح عضيمة باريس ١٩٨٦

٣٣. صالح د.صبحي ــ المسيحية والإسلام في لبنان

٣٤. الصدر الشهيد محمد باقر ــ فلسفتنا

٣٥. صدر المتألهين الشيرازي صدر الدين محمد ــ شرح أصول الكافي ــ كتاب العقل والجهل ــ مؤسسه مطالعات وتحقيقات فرهنگى ــ طهران

٣٦. صدر المتألهين الشيرازي صدر الدين محمد ــ أسرار الآيات ــ دار الصفوة ــ بيروت ١٩٩٣

٣٧. صدر المتألهين الشيرازي صدر الدين محمد ــ الأسفار ــ دار إحياء التراث العربي

٣٨. صدرالمتألهين الشيرازي صدر الدين محمد ــ الشواهد الربوبية ــ مؤسسة التاريخ العربي ــ لبنان

٣٩. الصدوق ــ الخصال

٤٠. صفدي مطاع: مقدمة لكتاب نهاية التاريخ والإنسان الأخير (فرانسيس فوكوياما) ــ مركز الإنماء القومي ــ ١٩٩٣.

٤١. الطباطبائي العلامة ــ أسس الفلسفة والمذهب الواقعي

٤٢. الطباطبائي العلامة ــ الميزان ــ دار الكتب الإسلامية ــ طهران ــ ١٣٧٢

٤٣. الطباطبائي العلامة ــ بداية الحكمة ــ دار المعرفة الإسلامية ــ بيروت ــ ١٤٠٦

٤٤. الطباطبائي العلامة ــ نهاية الحكمة ــ دار الكتاب الإسلامي ــ بيروت ــ

٤٥. الطهراني آية الله السيد محمد الحسين الحسيني ــ الشمس الساطعة ــ دار المحجة البيضاء ــ ١٤١٧

٤٦. الطوسي الخواجه نصير الدين ــ رسالة في قواعد العقائد ــ تحقيق علي خازم ــ دار الغربة ــ لبنان١٩٩٢

٤٧. عاشور د.فايد حماد محمد ــ جهاد المسلمين في الحروب الصليبية .

٤٨. عبدالرحمن د.طه ــ فقه الفلسفة(الفلسفة والترجمة) ــ المركز الثقافي العربي ــ لبنان ــ ١٩٩٥

٤٩. العز بن عبد السلام ــ قواعد الأحكام

٥٠. العظم د.صادق جلال ــ نقد الفكر الديني

٥١. عفيفي أبو العلا ــ شرح فصوص الحكم ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت

٥٢. العكرة د.أدونيس ــ من الدبلوماسية إلى الإستراتيجية ــ دار الطليعة ــ بيروت ــ ١٩٨١.

٥٣. العمري د.نادية شريف ــ الاجتهاد في الإسلام (أصوله, أحكامه, آفاقه) ــ بيروت ــ مؤسسة الرسالة ١٩٨١

٥٤. غليون د.برهان ــ اغتيال العقل ــ دار التنوير للطباعة والنشر ــ بيروت ــ ١٩٨٥

٥٥. فهيم د.حسين ــ قصة الأنتربولوجيا ــ المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ــ الكويت ــ ١٩٨٦.

٥٦. فوكوياما فرانسيس ــ نهاية التاريخ والإنسان الأخير ــ مركز الإنماء القومي ــ ١٩٩٣.

٥٧. كاسيرر ــ مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية أو مقال في الإنسان

٥٨. الكاشاني ملا محسن فيض ــ أصول المعارف

٥٩. الكليني محمد بن يعقوب ــ أصول الكافي ــ دار التعارف للمطبوعات ــ ١٩٩٠

٦٠. كوثراني د.وجيه ــ نقد في المنهج

٦١. لاغا علي محمد ــ الشورى والديمقراطية ــ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ــ ١٩٨٣.

٦٢. المجلسي ــ مرآة العقول

٦٣. مجموعة مثقفين ــ الحوار القومي/الديني ــ مركز دراسات الوحدة العربية

٦٤. محمد رضا محمد ــ تعليق على رسالة الطلب والإرادة للإمام الخميني (ره) ــ دار المحجة البيضاء ــ لبنان ــ ١٩٩٣

٦٥. محمود زكي ــ المعقول واللامعقول

٦٦. مصباح اليزدي تعليقات على نهاية الحكمة ــ دار الكتاب الإسلامي ــ بيروت

٦٧. مطهري الشهيد مرتضى ــ شرح المنظومة ــ ٧١٨/٢

٦٨. مطهري الشهيد مرتضى ــ تعليقات على أسس الفلسفة والمذهب الواقعي ــ دار التعارف/١٩٨٨

٦٩. معلوف حبيب ــ نقد كتاب: نزعة الإنسية في الفكر العربي لمحمد أركون

٧٠. مغنية محمد جواد ــ مذاهب فلسفية ــ دار التيار الجديد ــ لبنان ــ ١٩٨٥

٧١. مفتاح د.محمد ــ التشابه والاختلاف ــ المركز الثقافي العربي ــ ١٩٩٦

٧٢. ممفورد لويس ــ أسطورة الآلة , بنتاغون القوة

٧٣. موسى فرح ــ خيارات الأمة وضرورات الأنظمة عند الشيخ محمد مهدي شمس الدين ــ دار الهــادي لبنان ١٩٩٥.

٧٤. ميكافيللي كتاب الأمير ــ ترجمة علي مقلد ــ الدار العالمية

٧٥. مينيه رولان /بوزيه لويس /فاروقي نائلة /سنّو أهيف ــ طريقة التحليل البلاغي والتفسير جامعة القديس يوسف/دار المشرق ــ بيروت ــ ١٩٩٣

٧٦. النائيني آية الله العظمى ــ فوائد الأصول

٧٧. نهج البلاغة

٧٨. نور الدين السيد عباس ــ سفر إلى الملكوت

٧٩. نيتشه فريدرش ــ ما وراء الخير والشر ــترجمة جيزلا فالور حجار ــ دار غروب في ــ لبنان ــ ١٩٩٥

٨٠. نيكلسون ــ تاريخ الأدب العربي

٨١. الهاشمي آية الله السيد محمود ــ نظرة جديدة في ولاية الفقيه

٨٢. هيدغر مارتن ــ التقنية / الحقيقة / الوجود ــ ترجمة محمد سبيلا وعبد الهادي مفتاح ــ المركز الثقــافي العربي ــ لبنان ــ ١٩٩٥

٨٣. اليزدي الشيخ مصباح ــ تعليقات على نهاية الحكمة ــ دار الكتاب الإسلامي ــ بيروت

٢ ــ *المقالات في الجرايد والمجلات :*

٨٤. أبو حلاوة كريم ــ قراءة في كتاب (أطياف ماركس) لجاك دريدا ــ السفير ــ ٩٦/١٠/٤

٨٥. أبو زكريا يحي ــ كاتب جزائري ــ مبررات العنف الإسلامي ومبررات العنف العلمــاني ــ الســفير ٩٦/١٠/٢٥

٨٦. آملي آية الله جوادي ــ الإمام الخميني (ره) يعيد صياغة الخطاب الفقهي ــ الثقافة الإســلامية العــدد ١٩٩٧/٧٤

٨٧. أمين محمود ـــ في حوار مع السفير ـــ ٩٨/٦/٨

٨٨. الأمين العلامة محمد حسن ـــ العلمنة والدين والدولة ـــ قراءة في الإشكاليات ـــ السفير ـــ ٩٧/١٢/١٩

٨٩. أمين سمير ـــ ملحق الكفاح العربي ـــ ٩٩/١/٤

٩٠. أومليل علي (المفكر المغربي) ـــ الديموقراطية بديل من العشائرية العقائدية ـــ السفير ـــ ٩٧/١/١٩٧

٩١. بايبس دانيال (رئيس تحرير ميدل ايست كوارترلى) ـــ العقل الغربي للإسلام المتطرف ـــ السفير

٩٢. البدوي الشيخ ابراهيم ـــ مقالة : الحق والمنفعة

٩٣. البكاري كمال ـــ السفير ـــ ٩٨/٢/١٧

٩٤. بلحسن عمار(الباحث الجزائري) : الديني ـــ الدنيوي، حول الإسلام والإبداع الأدبي والفني مجلة المستقبل العربي ـــ العدد ١٢٧ ـــ أيلول ٨٩

٩٥. الجابري محمد عابد ـــ السفير ـــ ٩٧/٢/٧

٩٦. الجابري محمد عابد ـــ عشر أطروحات حول العولمة والهوية الثقافية ـــ السفير ـــ ٩٧/١٢/٢٤

٩٧. جاد الحق الشيخ جاد الحق علي إمام الأزهر الراحل ـــ مجلة الأزهر رقم ٤٦٠١ ـــ ١٩٩٥

٩٨. الجراد د.خلف (باحث سوري)ـــ أي حدود تفصل بين روح التشريع ومدلول النص ـــ السفير

٩٩. جوادي آية الله آملي ـــ الإمام الخميني (ره) يعيد صياغة الخطاب الفقهي ـــ الثقافة الإسلامية ـــ العدد ١٩٩٧/٧٤

١٠٠. حبش اسكندر ـــ صادق هدايت : إشارة مهتاجة في الليل ـــ السفير

١٠١. حبش اسكندر ـــ كترابورو اويه، ذلك المجنون الذي لا شفاء منه ـــ السفير ـــ ٩٧/١/١٠

١٠٢. حرب د.علي ـــ المطلوب إعلان جديد لحقوق الإنسان في الإسلام ـــ السفير ٩٦/٩/٦

١٠٣. حرب د.علي ـــ الفكر الفلسفي الحديث هو قراءة في الكوجيتو ـــ السفير ـــ ٩٦/٥/٣١

١٠٤. حرب د.علي ـــ حول الندوات الفكرية ومأزق العقلانيين العرب ـــ السفير ـــ ٩٧/١٢/١٦

١٠٥. حرب د.علي ـــ من الكتاب المفتوح إلى فتح الإمكانات ـــ السفير ٩٨/٣/١٩

١٠٦. حنفي حسن المفكر المصري ـــ رئيس كلية الفلسفة في جامعة القاهرة ـــ السفير ٩٦/٧/٤

١٠٧. حنفي د.حسن ـــ رئيس الجمعية الفلسفية في مصر ـــ في محاضرة بعنوان : النهضة العربية ... في معهد اللغة والحضارة في باريس ـــ مجلة النور ـــ ٧٩ ـــ كانون الأول ٩٧

١٠٨. خاتمي السيد محمد ـــ في الذكرى السنوية الأولى لانتخابه رئيسا للجمهورية الإسلامي الإيرانية ـــ كيهان العربي ـــ ٩٨/٥/٢٦

١٠٩. خاتمي السيد محمد ـــ كيهان العربي ٩٧/١/٦

١١٠. خاتمي السيد محمد ــ السفير ٩٨/١/١٣

١١١. خاتمي السيد محمد ــ السفير ٩٨/١/١٣

١١٢. خاتمي السيد محمد ــ في محاضرة ألقاها بتاريخ ٢ / ٦ / ٩٨ في مؤتمر في طهران انعقد في ذكرى الإمام الخميني (ره)

١١٣. خاتمي السيد محمد ــ محاضرة بعنوان : التدين في عالم اليوم ــ دار الندوة/بيروت ــ السفير ــ ٩٦/١٢/٥

١١٤. خاقاني د.محمد (المؤلف) ــ نقد كتاب إعادة القرآن لجاك بيرك ــ المنطلق ــ العدد....

١١٥. خاقاني د.محمد (المؤلف) "تقويم الطبيعة في عرفان الإمام الخميني (ره) وفلسفة صدر المتألهين"ــ انعقد هذا المؤتمر في بيروت في شهر حزيران ١٩٩٩

١١٦. خاقاني د.محمد (المؤلف) ــ الأصالة والتجديد في الواقع والمرتجى ــ السفير ــ ١٩٩٩/١/٢٢

١١٧. خاقاني د.محمد (المؤلف) ــ الحوزة والجامعة بين الماضي والحاضر ــ مجلة الرصد ــ العدد ٥٨

١١٨. خاقاني د.محمد (المؤلف) ــ الفرد أم المجتمع ــ مجلة البلاد ــ العدد ٤٦

١١٩. خاقاني د.محمد (المؤلف) مقال من عامر قيطوري, ترجمه إلى العربية بعنوان : القرآن والنظريات السيمياوية.

١٢٠. خاقاني د.محمد (المؤلف) ــ نقد كتاب إعادة قراءة القرآن ــ مجلة المنطلق

١٢١. قراءة في علل غيبة الإمام المهدي (عج) ــ مقال مقدم إلى مؤتمر اليوم الموعود ــ لبنان

١٢٢. الخامنه اى سماحة القائد الإمام ــ كيهان العربي ــ ٩٨/١/٦

١٢٣. خليل أحمد خليل (أستاذ في الجامعة اللبنانية) ــ التواصل المستحيل بين القدسي والفقه السياسي/ السفير

١٢٤. د.خلف الجراد (باحث سوري) ــ أي حدود تفصل بين روح التشريع ومدلول النص ــ السفير

١٢٥. دائرة المعارف الأميركية ــ طبعة عام ١٩٩٤ ــ نقلاً عن السفير ــ ٩٧/١٢/٣

١٢٦. درفشيان جاكي ــ من سيذوب في الآخر ... ــ السفير ــ ٩٨/١/٢٨

١٢٧. الربيعو تركي علي (باحث سوري) ــ حضارة الخوف علامة فارقة في عصر التقدم التكنولوجي ــ السفير ٩٧/١/١٠

١٢٨. ربيعوا تركي علي ــ (باحث سوري) ــ قراءة لأفكار برهان غليون ومحمد عابد الجابري ــ السفير

١٢٩. رفقة فؤاد ــ الشاعر فيلسوف بلغة أخرى ــ السفير ــ ٩٨/١/٢٧

١٣٠. روسين لاري عالم النفس في كتابه : تكنولوجيا التوتر : السفير ــ ٩٨/٢/٩

١٣١. الزاهي فريد (باحث سوسيولوجي مغربي) ــ مفارقة الصورة بين الإسلام والتاريخ الإسلامي ــ السفير ٩٧/١/١٠

١٣٢. السيد د.رضوان ــ الظاهرة الأصولية ومخاطر التوقع ــ السفير ــ ٩٨/١/٨

١٣٣. السيد د.رضوان ــ العولمة الملعونة باسم الهوية الوطنية و الدينية ــ السفير ــ ٩٧/١٢/٢٥

١٣٤. السيد د.رضوان ــ بيان قمة طهران وعلائق الثقافة بالسياسة ــ السفير ــ ٩٧/١٢/١٨

١٣٥. السيد د.رضوان ــ دراسة في الاجتهاد السياسي والفقهي ــ السفير

١٣٦. شعبان د.وفاء ــ قراءة في كتاب ديديه جيل بعنوان "باشلار والثقافة العلمية " ــ السفير ٩٦/٥/١٠

١٣٧. شعبان د.وفاء ــ ديكارت والفلسفة الفرنسية ــ السفير ــ ٩٦/٥/٣١

١٣٨. شمس الفنان علي ــ السفير ــ ٩٨/٥/٢٠

١٣٩. شمس الدين الشيخ محمد مهدي ــ السفير ــ ٩٧/١/٢٣

١٤٠. طرابلسي فواز ــ نقد مقالة : الغرب فريدا لا كونياً لصاموئيل هنتنغتون ــ السفير ــ ٩٧/١/٣١

١٤١. العاشور حسن (كاتب عراقي) ــ العلم وأزمة الأخلاق ــ السفير ٩٨/١/٢١

١٤٢. عبد الفتاح وائل ــ الثقافة المصرية تعيش أقوى لحظات العبث والتعصب ــ السفير

١٤٣. عبد الفتاح وائل ــ كيف أصبح ابن رشد موظفاً في الدولة العربية المعاصرة ــ السفير ٩٦/١٠/٢٥

١٤٤. عثمان عفيف ــ الفكر الغربي أمام العولمة ــ السفير ــ ٩٨/١/٢٨

١٤٥. عرابي رجا عبد الحميد ــ الكون البداية والنهاية ...ــ مجلة الثقافة الإسلامية العدد ٤٧ / ١٩٩٧

١٤٦. العشماوي محمد سعيد (مستشار في القضاء المصري) ــ أفكار من أجل تحديث النظرة إلى الإسلام ــ السفير ــ ٩٧/٥/٨

١٤٧. العظم د.صادق جلال ــ الإسلام والعلمانية ــ السفير ٩٦/٣/٢٧

١٤٨. عكاش سامر ــ فلسفة اللعبة الوجودية ــ نقلا عن علي حرب في السفير ــ ٩٨/١٠/٢٤

١٤٩. فردمان مناحيم ــ سلام مع الإسلام ــ مترجما إلى العربية في السفير ــ ٩٧/١٢/٢٢

١٥٠. قاسم د.جميل ــ نقد كتاب نظرية العقل لجورج طرابيشي ــ السفير ــ ٩٧/٦/٢٧

١٥١. قاسم د.جميل (استاذ الجامعة البنانية) ــ العلمانية : المختلف والمؤتلف ــ السفير ــ ٩٦/٧/٥

١٥٢. كايل ميشيل (عضو في تحرير مجلة الأزمنة المعاصرة الفرنسية) ــ نقد سارتر لكوجيتو ديكارت : أنا موجود إذاً أنا أفكر ــ السفير ــ ٥/٣١/

١٥٣. كشلي محمد ــ ندوة السفير الثقافي ــ ٩٦/١١/١٥

١٥٤. كوثراني د.وجيه ــ أولوية البحث في الدعوة السياسية ــ السفير ٩٧/١٢/٢٧

١٥٥. كوثراني د.وجيه ــ الجابري ووصفة العقلانية الجاهزة من عند ابن رشد ــ السفير ــ ٩٧/١٢/٢٠

١٥٦. كوثراني د.وجيه ــ حوار الأيديولوجيات أم حوار من أجل تخطي الأيديولوجيات ــ السفير ــ ٩٨/١٢/٥

١٥٧. كوربان هانري ــ الشيعة الإثنى عشرية ــ ترجمة د. ذوقان قرقوط ــ مكتبة مدبولي ــ القاهرة ص٢٨٧
١٥٨. لويس برنارد ــ الحضارة الغربية دمج حداثات , والإسلام أول من سعى إلى العالمية ــ ترجمة فؤاد حطيط ــ السفير ــ ٩٧/٢/٧
١٥٩. مجلة فوكاس ــ الإجهاد النفسي : لا أحد يسلم من شروره ــ نقلاً عن السفير ــ ٩٨/١/١٥
١٦٠. محمود أمين ــ في حوار مع السفير ــ ٩٨/٦/٨
١٦١. مرتضى محمد ــ لكي يحفظه الدين ــ السفير ــ ٩٨/١/٧
١٦٢. مرعي د.فؤاد ــ في ما يتعدى النقد والتفكيك ــ السفير ــ ٩٨/٥/٢٦
١٦٣. معلوف حبيب ــ نقد كتاب المشروع النهضوي العربي لمحمد عابد الجابري ــ السفير ــ ٩٧/٢/٧
١٦٤. المغربي أحمد ــ هل هم من الآن في القرن المقبل ؟ ــ السفيرــ ٩٨/١/٣
١٦٥. المقداد الشيخ محمد توفيق ــ ردّ بعض الشبهات عن ولاية الفقيه ــ السفير ــ ٩٨/١/٨
١٦٦. مقران هادي (كاتب جزائري) ــ جنية العنف حولت الصحوة الإسلامية إلى نكبة ــ السفير ٩٧/٢/١٤
١٦٧. الموصللي أحمد ــ الحركات الإسلامية المعاصرة ــ السفير
١٦٨. مونس الأب الدكتور ــ ندوة الدير والعصرنة ــ السفير ــ ٩٨/٥/٢٢
١٦٩. نجم إيلي ــ ديكارت, ماذا بقي لنا منه اليوم ؟ ــ السفير ٩٦/٥/٣١
١٧٠. نور الدين د.عصام ــ تدريس اللغة العربية في المغتربات أولوية قومية ــ السفير٩٨/٦/٣
١٧١. النيفر د.أحميدة ــ نصر حامد أبو زيد ومعضلة : ق . ر . أ ــ السفير
١٧٢. هننتغتون صموئيل ــ صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي ــ السفير ٩٧/١/٢٤

٣ ــ *الكتب والمقالات الفارسية :*

١٧٣. آشيتاني سيد جلال الدين ــ شرح حال وآثار فلسفي ملا صدرا ــ نهضت زنان مسلمان ــ طهران ــ ١٣٦٠
١٧٤. الآملي آية الله حسن زاده ــ إنسان در عرف عرفان ــ طهران
١٧٥. جوادي آية الله الآملي ــ تحرير تمهيد القواعد
١٧٦. خاقاني د.محمد (المؤلف) بررسي جمله هاى خبرى وإنشائى ــ رسالة الماجستير في جامعة تربية المدرس ــ طهران.

فهرست المواضيع

صدر للمؤلف

الكتـــب :

١. عن دار الهادي (لبنان) : بينات , رحلة في آفـــاق الفلســـفة والعرفـــان

٢. عن دار الروضة (لبنان) : لغة الإعلام في الصحافـــة العربيـــة والفارســـية

٣. " " " المفردات الأجنبيـــة في العربيـــة والفارســـية

٤. عن جامعة آزاد الإسلامية (طهران): فرهنـــك رســـانه

٥. عن مؤسسة نهج البلاغة (طهران) : وجوه البلاغـــة في نهـــج البلاغـــة

٦. عن مركز الجهاد الجامعي (طهران) : غلبه بـــر خـــوف

٧. شرح "اللوامع" للشاعر الإيراني نور الدين عبد الرحمن الجامي في شرح ميمية ابن الفارض المصري

٨. في إبطال وحدة الوجود وإثبات توحيد واجب الوجود ــ تحقيق نسخة مخطوطة للقاضي سعيد الجيلاني

٩. فن القصة

المقالات (بالعربية) :

١. نقد كتاب إعادة القرآن لجاك بيرك ــ المنطلق

٢. تقويم الطبيعة في عرفان الإمام الخميني (ره) وفلسفة صدر المتألهين ــ ألقيت في مؤتمر "العرفان عند الإمام الخميني" في بيروت ــ حزيران ١٩٩٩

٣. الأصالة والتجديد في الواقع والمرتجى ــ السفير ــ ١٩٩٩/١/٢٢

٤. الحوزة والجامعة بين الماضي والحاضر ــ مجلة الرصد ــ العدد ٥٨

٥. الفرد أم المجتمع ــ مجلة البلاد ــ العدد ٤٦

٦. القرآن والنظريات السيماوية ــ مقال من عامر قيطوري, ترجمه إلى العربية

٧. نقد كتاب إعادة قراءة القرآن ــ مجلة المنطلق

٨. قراءة في علل غيبة الإمام المهدي (عج) ــ مقال مقدم إلى مؤتمر "اليوم الموعود بلبنان